



# الدراسات الإسلامية

مجلة اسلامية علمية

تصدر بعد كل شهرين  
وتبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب



يناير/فبراير ١٩٨٢

ربيعان الأول والثاني ١٤٠٢ هـ

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان





# الدراسات الإسلامية

مجلة مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان

المجلد السابع عشر

العدد الأول

يناير وفبراير ١٩٨٢ م

ربيعان الأول والثاني ١٤٠٢ هـ



# هيئة التحرير



★ الأستاذ الدكتور عبدالواحد هالي بوتنا *Date.....*

مدير مجمع البحوث الإسلامية،  
الجامعة الإسلامية اسلام آباد

★ الأستاذ الدكتور محمد صغير حسن المعصومي

أستاذ الشريعة بالجامعة الإسلامية، اسلام آباد

★ الأستاذ الدكتور أحمد حسن

أستاذ مشارك بمجمع البحوث الإسلامية

★ الأستاذ الدكتور نور محمد الغفاري

أستاذ مشارك بمجمع البحوث الإسلامية

★ الأستاذ محمد طفيل

أستاذ مساعد بمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

محمود أحمد غازی



## المحتوى

### ١- كلمة العدد

رئيس التحرير

ص ٥

★ ★ ★

### ٢ - التأثيرات اليونانية على منطقة السند

الدكتور محمد حمدى ابراهيم

الدكتور سمير عبدالحميد ابراهيم

ص ١٢

★ ★ ★

### ٣- حول فلسفة التربية فى الاسلام

الاستاذ العلامة مصطفى أحمد الزرقاء

ص ٣٦

★ ★ ★

### ٤- صراع هام بين الاسلام والقوى الالحادية

اورنك زيب عالمكير داراشكوه

محمود أحمد غازى

ص ٥٨

★ ★ ★

## ضيوف العدد

★ الدكتور محمد حمدي ابراهيم ★

استاذ قسم اللغة الاغريقية بجامعة القاهرة . جمهورية مصر العربية

★ الدكتور سمير عبدالحميد ابراهيم ★

قسم اللغة الاردوية بجامعة القاهرة . صاحب مؤلفات عديدة عن محمد اقبال وشعره  
ومفكره وعن آداب اللغة الاردوية والثقافة الباكستانية .

★ العلامة الدكتور مصطفى أحمد الزرقاء ★

أحد كبار الفقهاء وأهل العلم في العالم الاسلامي المعاصر الذين يفتخر بهم العالم  
الاسلامي ، اساد الشريعة بكلية الحقوق بجامعة دمشق سابقا ، وريسر العدل  
السوري سابقا ، أستاذ القانون المدني بجامعة الأردن ، عضو المجمع الفقهي التابع  
لرابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، صاحب مؤلفات عديدة ورائعة في الفقه  
الاسلامي . ويعتبر كتابه القيم : الفقه الاسلامي في ثوبه الجديد خطوة هامة في  
سبيل تحديد الفقه الاسلامي



ليس من الضروري ان تنفق اداره المجمع مع جميع  
الآراء والبحوث التي يسرها الكتاب في هذه المحلة



## كلمة العدد

ان الهدف الرئيسى الذى يعمل من أجل تحقيقه مجمع البحوث الإسلامية منذ تأسيسه قبل عشرين عاما هو العمل لتجديد بناء المجتمع الباكستانى نظاما وسلوكا على دعائم اسلامية صالحة ، واعادة تشكيله حكومة وشعبا فى ضوء تعاليم الاسلام . ولا يمكن تحقيق هذا الهدف الجبار الا بوسيلة حركة علمية فكرية عميقة شاملة تقوم بايجاد تغيير نورى فى منهج التفكير ، تغيير نورى فى نظام التعليم و تغيير نورى فى سير التأليف .

ولعل المغفور له محمد اقبال كان أول من تنبه لحاجة التغيير الثورى الجذرى فى تفكير المسلمين ووضع خطوطا وقواعد لهذا التغيير المطلوب . فركز جهوده العلمية على نقد الفكر الغربى على محك الاسلام والاشارة الى جوانب الضعف فى الثقافة والحضارة الغربية ، فانتقدها بكل صراحة وشجاعة ، ودعا الى نبذ هذه الثقافة الالحادية العلمانية والاعتصام بالكتاب والسنة واعتبار كل شئ ورد الينا من الخارج كالمواد الخام ، نأخذ منها ما صفا وندع منها ما كدر ، لنستعمل الجزء الصافى الملائم لحاجاتنا ونستفيد من تجارب الأمم الحية الراقية فى بناء مجتمع اسلامى حديث .

فلا بد لهذا الأخذ والرد من حركة علمية شاملة عميقة دائمة التنبه واليقظة . تنتقد كل علم و فكر ورأى على أساس الكتاب والسنة وتقوم على حد الاسلوب القرآنى بالهيمنة على العلوم . وأشار محمد اقبال الى أهمية هذه العملية المستمرة قائلا : « ان واجبنا نحن هو أن نراقب تطور الفكر البشرى بكل يقظة وانتباه و نحتفظ بوجهة نظر حرة انتقادية تجاه هذا التطور .. »



هذا هو الهدف الأسمى الذى يكافح مجمع البحوث الاسلامية من أجل تحقيقه على مستوى بسيط متواضع . ومما ترتاح اليه نفوس العاملين بالمجمع أن العالم الاسلامى بدأ يشعر بأهمية هذا العمل الضخم الجبار على نطاق أوسع وأشمل . وبدأت الجامعات العلمية والمؤسسات التعليمية باتخاذ الخطوات اللازمة فى هذا الاتجاه .

وتبنت الجامعة الاسلامية الجديدة باسلام آباد هذا الهدف منذ تأسيسها فى غرة القرن الهجرى الجديد . فینص المرسوم الرئاسى الذى أصدره رئيس الجمهورية الباكستانية لاقامة هذه الجامعة أن الجامعة سوف تعمل لتطوير نظام تعليمى اسلامى يجمع بين الاصاله الاسلاميه الحقيقية وبين مقتضيات العصر الحديث ليؤدى حاجات الأمة الاسلاميه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفنية والطبيعية والفكرية والجمالية فى ضوء تعاليم الاسلام الحققة وأحكام الشريعة الفراء . وسوف تعمل هذه الجامعة لتجديد بناء الفكر البشرى بكل انواعه على أسس اسلامية صحيحة .

فبدأت الجامعة الاسلامية ومعها مجمع البحوث الاسلاميه ( الذى أصبح الآن جزءا من الجامعة وفق المرسوم الرئاسى ) تتخذ خطوات موقفة

لنيل هذا الهدف فقرر مجلس امناء الجامعة أن تعقد ندوة دولية بالتعاون مع المعهد الدولي للفكر الاسلامى الذى يرأسه الدكتور اسمعيل راجى الفاروقى للبحث فى أساليب توجيه المعرفة والعلوم الحديثة وجهة اسلامية وتدوينها من جديد على أساس الاسلام .

وانعقدت الجلسة الافتتاحية للندوة فى الرابع من يناير ١٩٨٢ م تحت رعاية الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق الذى ألقى خطبته الافتتاحية ، وأشار فيها الى أهمية هذا العمل فى المسيرة التى بدأتها باكستان لتطبيق الشريعة الاسلامية . وبعد أن بدأت الجلسة بتلاوة آي من الذكر الحكيم تقدم العالم التربوى الباكستانى الشهير والمؤرخ الكبير الدكتور نبى بخش بلوش مدير الجامعة الاسلامية وعميد معهد التاريخ والثقافة والعضارة الاسلامية بالجامعة وألقى خطبة الترحيب . وبعد أن ذكر فيها بعض الخطوات الهامة التى اتخذتها باكستان فى سبيل تطبيق الاسلام خلال السنوات العديدة الفائتة ، قال : ان جميع النتائج المطلوبة لهذه الخطوات لا تظهر الا بعد أن نحدث تغييرا جذريا فى تفكير المثقفين ووجهة نظرهم ، ولئن كانت النتائج التى ظهرت لهذه الخطوات المباركة جديرة بالذكر والشكر ولكن المنشود أكبر بكثير من الموجود .

وقال : ان الشعور بأهمية تطبيق النظام التعليمى الاسلامى هى الخطوة الاساسية التى سوف تضمن نجاح الخطوات الأخرى . والعالم الاسلامى بدأ ، والحمد لله ، سيره السريع المدروس نحو هذا الهدف . وكان للمؤتمر العالمى للتعليم الاسلامى الاول المنعقد فى مكة المكرمة دور رائد فى بدء هذه المسيرة المباركة . وبرزت فى هذا المؤتمر كثير من المسائل والقضايا المتعلقة بهذه العملية الجبارة . وشعر المشاركون فى هذا المؤتمر أن الخطوة اللازمة لتطوير نظام تعليمى اسلامى منشود هى اسلامية

العلوم واسلامية المعرفة . وهذه الأزمة التعليمية التى يعانى منها العالم الاسلامى كله هى النتيجة المنطقية لسيطرة العلم العلمانى المنهج . والمعرفة الالحادية المحتوى . وأكد هذا الشعور المؤتمر العالمى الثانى للتعليم الاسلامى المنعقد فى مارس ١٩٨٠ م باسلام آباد — باكستان — تحت اشراف جامعة القائد الأعظم .

ثم تقدم الدكتور اسمعيل راجى الفاروقى ، رئيس المعهد الدولى للفكر الاسلامى وألقى كلمته الرائعة التى ذكر فيها استراتيجيته المقترحة للبدء فى هذا العمل الضخم ، أى اسلامية العلوم وتوجيه المعرفة وجهة اسلامية ، وشرح فيها تسع خطوات ، وخمسة مشاريع لانجاح هذه المهمة الصعبة ، وأعد ميزانية لمدة خمس سنوات ، ولاشك أن كلمة الدكتور الفاروقى كانت من أهم بحوث الندوة .

ثم تقدم السيد الله بخش بروهى رئيس الجامعة الاسلامية وأحد كبار رجال القانون فى العالم المعاصر ، وألقى خطبته القيمة التى اعتبرت أساسا لجميع المباحثات والمنافشات فى هذه الندوة . وركز السيد بروهى كلامه على الفرق بين علم الحق وعلم الباطل وبين العلم النافع والعلم الضار ، فان العلم المطلوب المستحسن فى الاسلام هو علم الحق والعلم النافع وعلم حقائق الأشياء كماهى ، وليس المطلوب علم الباطل والعلم الضار وعلم طواهر الأشياء فقط ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب دائما علما نافعا واستعاذ بربه من علم لاينفع ، فعاظنك فى علم ضار .

وعالج رئيس الجامعة الاسلامية قضية العلوم الغربية والمذاهب الفلسفية التى ظهرت فى أوروبا على مر العصور ، وقال ان هذه العلوم والمذاهب الفلسفية تطورت فى بيئة الحادية ، وتحتوى على آراء وأفكار تصطدم مع الاسلام اصطداما ظاهرا وتخالف تعاليم الشريعة

المطهرة مخالفة بديهية ، وذكر بالتفصيل آراء داروين و فرويد وكارل ماركس ، وأشار الى جوانب الضعف فى هذه المذاهب الفكرية وركز على النواحي التى تختلف فيها مع الاسلام .

استمرت أعمال هذه الندوة لمدة خمسة أيام ، واشترك فيها حوالى أربعين عالما و باحثا واستاذا جامعا . ووزعت أعمال الندوة وبرامجها على أربعة عشر جلسة ، خصصت كل واحدة من هذه الجلسات لموضوع معين أو مجموعة علوم معينة ، وكانت هذه الموضوعات تشتمل على ماياتى :  
الجامعة الاسلامية ، مبادئها وأهدافها ، العلوم المتعلقة بالتاريخ ، العلوم القانونية والحقوقية ، العلوم الانسانية وعلم الاجتماع وعلم البشر (الانثروبولوجيا ) ، العلم والمعرفة ومستقبل الأمة ، العلوم النفسية ، تقرير الأولويات فى مهمة أسلمة العلوم وخطة العمل واستراتيجيتها ، العلوم المتعلقة بالطبيعة والرياضيات ، الاقتصاديات ، علوم السياسة ، وخصصت الجلسة الأخيرة للقرارات وتقرير المبادئ والقواعد العامة لهذا العمل .  
نرجو أن تكون لهذه الندوة العالمية تأثير عميق فى تفكير المسلمين ، وتكون مقدمة لثورة علمية فكرية كبرى فى عالمنا الاسلامى المعاصر .  
فان ظهور الروح الانتقادية فى المفكر الاسلامى المعاصر ومعاملته مع الثقافة الغربية معاملة الجوهرى الخبير مع الأحجار والمعادن هو فاتحة خير وبشرى للعالم الاسلامى كله . وندعو الله تعالى أن يوفق العلماء المسلمين وعلى الخصوص الذين تتقفوا منهم بالثقافة الغربية أن يرفضوا قيادة الغرب الفكرية ويحطموا امامته العلمية والحضارية ويثبتوا بالادلة القوية والبراهين القاطعة أن انظمة الغرب الفكرية كلها فاسدة وباطلة ، وأن الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية هى التى توفر وتضمن للبشرية مثلها العليا المنشودة وتهدى الانسان الضال



الحائر على مفترق الطرق الى الصراط المستقيم والطريق القويم .

★ ★ ★ ★

بهذا العدد دخلت مجلتكم المتواضعة « الدراسات الاسلامية » فى عامها الثامن عشر . فقد صدر العدد الأول منها فى مارس ١٩٦٥ م ، وتولى رئاسة تحريرها قبل كاتب هذه السطور كبار الكتاب وعلماء العربية فى هذه البلاد . وكان الهدف من اصدار هذه المجلة هو القيام بالخدمة المتواضعة فى سبيل غاية عظيمة ، وهى تقديم البحوث الاسلامية والدراسات العلمية فى مختلف فروع الشريعة ونواحيها للمساهمة فى اعادة بناء المجتمع الباكستانى على أساس اسلامى صحيح .

وأعلنت هذه المجلة سياستها فى أول عددها ، وقالت ان جميع موافها مبنية على الايمان العميق بالاسلام وبالحقائق الخالدة التى جاء بها الاسلام ، الحقائق التى لاتزال باقية خالدة على مرالعصور وكر الدهور ، والتى تجدها البشرية أغنى وأصلح من قبل كلما مرت بتجارب جديدة . وهذا الايمان العميق يفرض على المسلمين كافة أن ينظروا الى ماضيهـم المجيد وتاريخهم الزاهر بنقـة واعتماد و شجاعة وصراحة وفخر واعتزاز ، وأن لا يلجأوا الى الدفاع السلبي واتخاذ الموقف الاعتذارى ، بل يسبروا الى المستقبل سير الشجاع المقدام الذى يريد البناء والتعمير ، فان الموقف السلبي والاعتذارى لايسمن ولا يغنى من جوع .

وأعلنت المجلة أنها تريد أن تنشر مقالات علمية وفكرية تكون نتيجة بحث جدى وموضوعى وخلاصة تفكير عميق أو تفسير للوقائع واقعى وذى مغزى أو تجمع بين الامرين . ونترك هذا الأمر الى القراء الكرام ، ليحكموا على مدى نجاح هذه المجلة بالقيام بخدمة هذه العاية المباركة واتخاذ هذا المنهج .

كانت هذه المجلة حتى الآن فصلية تصدر بعد كل ثلاثة أشهر . ولكن سوف تصدر ابتداءاً من هذا العام بعد كل شهرين . ونحن نأمل من القراء الكرام أن يشاركونا فى خدمة هذه الغاية المنشودة ، غاية كل مومن يؤمن بصلاحية الاسلام وشريعته دستوراً ونظاماً وسلوكاً ومنهجاً وعقيدة لكل عصر ولكل جيل . فان العلاقة بيننا وبين قراءنا الكرام ليست علاقة البائع بالمشتري أو علاقة ناسرى المجلة بقارئها ، بل علاقاتنا أوسع وأعمق وأسمل وأقدس من هذه العلاقة المادية . نحن جنود فى جند الله وحزبه ، نقاتل فى سبيله . ونجاهد من أجل دينه ، ونكافح لاعلاء كلمته . فعلاقتنا علاقة الأخوة والوحدة والايمان والتضامن .

وندعوا الله تعالى أن يأخذ بأيدينا ويسد خطانا ويوفعنا لما فيه مرضاته انه سميع مجيب . وبهذه الكلمة الموجزة ندخل فى عهد جديد لهذه المجلة ، فبسم الله مجريها ومرساها .

محمود أحمد غازى

★ ★ ★ ★ ★

# التأثيرات اليونانية على منطقة وادى السند

د . محمد حمدي ابراهيم

د . سمير عبدالحميد ابراهيم

رغم أن العرب والفرس قد تركوا تأثيرا له أهميته على منطقة وادى السند<sup>(١)</sup>، كما لو كانوا قد غرسوا سجيرات ورود فى وادى السند ، فأينعت وازدهرت حيناً طويلاً ، الا أن اليونانيين بدورهم ابان عصر الاسكندر الأكبر<sup>(٢)</sup> قد وضعوا بذورا نبت فيما بعد ، وغدت أزهارا شذية الأريج ، توضح بجلاء مدى التأثير اليونانى ومعالمه التى تتميز قطعاً عن معالم التأثيرات العربية الفارسية

اجتاح الاسكندر الأكبر هذه المنطقة العاصية من العالم القديم كالعاصفة لم ذهب عنها سريعا ، ورغم ذلك فقد كان لقدمه عليها آثارا بعيدة المدى ، فلم يكن الاسكندر الأكبر قائدا عسكريا عظيما فحسب ، ولكنه حطم بفتوحاته السد المنيع الذى كان يفصل بين الشرق والغرب ، وساعد على امتزاج الحضارات وقيام التأثيرات بينها . وبعد رحيل الاسكندر الأكبر عاس هواده فى وادى السند زمنا<sup>(٣)</sup> ، وساعدوا على نشأة حضارة جديدة تحمل بين طياتها سمات مميزة لكل من فكر الشرق والغرب وتمثل فى الوقت نفسه نموذجا رائعا لامتزاج علوم وفنون الشرق مع علوم وفنون العرب .

اشأا الاسكندر الأكبر أثناء الفترة القصيرة التى قضاها فى وادى السند (عام ٣٢٦ ق . م) عددا من المعسكرات لسكنى جنوده ، هذا فضلا عن الجنود الذين أقاموا فى مناطق أخرى متفرقة بعد أن عينهم الاسكندر

الأكبر عمالا على هذه المناطق . وبطبيعة الحال كان جنود الاسكندر الأكبر من اليونانيين يتحدثون بلغتهم اليونانية ، الا انهم فى أحيان كثيرة كانوا مضطرين الى معرفة وربما لاستخدام اللغة المحلية لتلك المناطق ، وذلك لتعاملهم المستمر مع سكان المنطقة الأصليين .

ومن ناحية أخرى كان على الطبقة التى تتعامل مع اليونانيين أن تتعلم قدرا من اللغة اليونانية كضرورة تفرضها ظروف التعامل المستمر بين المغلوبين على أمرهم وبين الغزاة الحاكمين .

\* وكان محالا أن تظل لغة وادى السند بمنأى عن هذه التأثيرات ، حقا لم يتغير هيكل اللغة الموجودة تغيرا جوهريا ، ولكن هناك تغييرات لغوية طرأت على لغة الوادى ما فى ذلك شك ، اذا استطاع „جندر كبت موريه“<sup>(١)</sup> بعد فترة زمنية قصيرة أن يؤسس حكومة محلية أنهى بها السيطرة اليونانية على السند ، فقد ظلت اللغة اليونانية متفوقة لفترة طويلة دامت حوالى ٢٥٠ عاما منذ هجوم „ديميتريوس *Δημήτριος*“ سنة ١٩٥ ق م . حتى نهاية عهد هرمائيس *Ερμαιος* عام ٥٠ م . وكانت اللغتان اليونانية والمحلية تستخدمان فى العصر الهندي اليونانى داخل البلاط وفى المعاملات الرسمية ، ويستدل على هذا من الكتابات الموجودة على وجه العملات النقدية<sup>(٢)</sup> ، التى ترجع الى ذلك العصر حيث نجد على وجه Recto احدى فطع العملة كتابة باللغة اليونانية وعلى ظهرها Verso كتابة باللغة المحلية بالخط „الخروشتى“ . ورغم ذلك فلم تستطع هذه اللغة المحلية أن تحرز مكانة داخل البلاط أو تصبح لغة رسمية يتعامل بها الحكام : ففي الهند الهندوكية كانت لغة البلاط الملكى هى اللغة السنسكريتية<sup>(٣)</sup> بينما كانت لغة الشعب تحتوى على عدد كبير من الألفاظ التى تنتمى الى لهجات مختلفة .

وحين قدم المسلمون الى تلك البلاد<sup>(٤)</sup> راجت كل من العربية والفارسية وأقبل على تعلمها حتى رجال الدين الهنادكة ، ونالوا بذلك

مكانة سامية لدى الحكام - وتقلدوا وظائف مرموقة فى البلاط ، وبالمثل حين صار الأمر للانجليز<sup>(٨)</sup> ارتفع لواء اللغة الانجليزية ، وأقبل الجميع على تعلمها حتى أن العلماء بدأوا فى استخدام كلمات انجليزية فى حديثهم مع العامة والأميين فى القرى

ومن هذه الكلمات على سبيل المثال<sup>(٩)</sup> :

First class	وتتطق	فس كلاس
Time	“	تايم
Number	“	نمبر او لمبر
School	“	اسكول او سكول
Hospital	“	هسبتال
Station	“	استيشن . . . . وغيرها

عصر اللغة اليونانية :

لم ينته تأثير اللغة اليونانية بانتهاء الحكم اليونانى للمنطقة ، فقد كان تأثيرها كبيرا وطويل الأمد على المستوى الرسمى : ففى عصر „كشن“<sup>(١٠)</sup> (١٤٠ - ٣٦٠ م ) لا حظنا استخدام الكتابة باللغة اليونانية جنبا الى جنب مع الكتابات الخروستيه والبراهيمية على وجوه العملات المستخدمة فى ذلك الوقت<sup>(١١)</sup> . وكذلك اكتسفت ألواح حجرية كتبت عليها عبارات باللغة اليونانية ، وهذه الألواح محفوظة الآن فى متاحف بشاور ولا هور بباكستان

و كذلك تم اجراء حفائر فى منطقة „ختن“<sup>(١٢)</sup> و التركستان الصينية اسفرت عن اكتشاف كتابات باللغة اليونانية فضلا عن كتابات أخرى باللغة السسكريتية وكذا الخروستية والبرهمية ، ويرى الباحثون أن هذه الكتابات ترجع الى عهد أسرة „كتا“<sup>(١٣)</sup> Capta ، ومما لا شك فيه أن المهاجرين من وادى السند قد حملوا معهم الى هذه المناطق اللغات التى كانت سائدة فى واديههم ، ولقد ايت بعض الباحثين الروس<sup>(١٤)</sup> أن بعض

القبائل الموجودة فى هذه المنطقة لا تزال تستخدم حتى يومنا هذا ، لغة تشبه لغات منطقة السند . ومن هنا يمكن القول بأن تأثير اللغة اليونانية على وادى السند استمر لأكثر من خمسمائة سنة ، ولا بد أن أهل الوادى كانوا يستخدمون فى لغتهم ألفاظا يونانية ، وظل هذا الاستخدام مستمرا منذ ذلك الحين بحيث أصبحت هذه الألفاظ جزءاً لا يتجزأ من اللغة المحلية ، وقد يصعب الآن التعرف على هذه الألفاظ نتيجة لتغير صورتها أو بنيتها أو تحريرها .

#### العلاقة بين اليونانية والبنجابية :

علينا أن نوضح أن الألفاظ اليونانية الموجودة فى لغة وادى السند تنقسم الى اربعة اقسام :

- ١ - الألفاظ التى تمثل ميراثا مشتركا بين اللغات الآرية ، وهى قاسم مشترك بين السنسكريتية واليونانية ، والأرجح أنها دخلت اللغات المحلية عن طريق السنسكريتية وليس عن طريق اليونانية .
- ٢ - الألفاظ التى قدمت الى وادى السند فى العصر الهندى اليونانى وما بعده ، وقد تم هذا عن طريق اللغة اليونانية مباشرة .
- ٣ - الألفاظ اليونانية التى قدمت الى وادى السند عن طريق العربية والفارسية .
- ٤ - الألفاظ اليونانية التى قدمت الى وادى السند عن طريق اللغات الأوربية وبخاصة اللغة الانجليزية .

والنوع الاخير من الألفاظ يمثل فى معظمه مصطلحات علمية حديثة

ويمكننا أن نسوق هنا بعض الأمثلة القليلة (١٥) :

σχολή	مدرسة	اسكول
μαθηματικά	مجمع علمي	اكاديمي
θέατρον	مسرح	تھیٹر
εργαστήριο	برقيشة	تھلڈگراف
τρίγωνον	ماترب	تھلڈگراف
γεωμετρική	قواعد	تھلڈگراف
γεωμετρία	هندسة	تھلڈگراف
πολιτική	سياسة	تھلڈگراف
δημοκρατία	ديمقراطية	تھلڈگراف
πρόγραμμα	برنامج	تھلڈگراف
άτομον	ذرة	تھلڈگراف

أولا : الألفاظ اليونانية القادمة عن طريق اللغة العربية :

كانت علاقة العرب ببلاد اليونان علاقة متشعبة ، فالحدود الجغرافية بين العرب وبينهم كانت شبه متجاورة كما كان اليونانيون يعرفون البلاد العربية ، ويذهبون اليها باستمرار . ولقد ورد ذكر كتاب المذهب البوذي ،،القضايا» على لسان التجار العرب في مدن السند على عهد ،،مناندروس» (١٥٥ - ١٤٠ ق م) ، ومن الأدلة على تلك العلاقة كتاب ،،الرحلة البحرية (في البحر الاحمر)» *Περὶ πλοῦς* لرحالة بحري يوناني مجهول في القرن الأول الميلادي ، وهو كتاب تحدث كثيرا عن العرب كتجار وربيانة سفن(١٦).

ويرى بعض الباحثين أن العرب وصلوا الى ميناء ،،كانتن» في الصين والى «هانك شاو» عام ٣٠٠ للميلاد(١٧). وعلى زمان ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم قام واحد من اخواله (١٨) برحلة تجارية الى الصين حيث كان عدد من العرب يقيمون هناك ، ومن الجدير بالذكر أن أول مسجد اسلامي اقيم في ،،كانتن» كان في سنة ٦٢٧ م أي قبل وفاة الرسول صل الله عليه

وسلم بخمس سنوات (١٩١) ، وقبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام كان العرب يقومون بالتجارة في بلاد الشام التي كانت خاضعة وقتها للحكم الروماني ، ولكن رغم ذلك كان تأثير الحضارة اليونانية واضحا على المنطقة مما أدى الى دخول كثير من الألفاظ اليونانية الى اللغة العربية (١٢٠) ونقدم فيما يلي قائمة ببعض الألفاظ التي دخلت الأردية والبنجابية عن طريق اللغة العربية (١٢١).

بنجابي	اردو	يوناني	عربي	معنى اللفظة اليونانية
كسوں	قانون	κανών	قانون	قانون / قاعدة
دبھتر	دفتر	διδασκαλ	دفتر	جلد / ورق للكتابة
دم	دام	δραχμή	درهم	دراخمة ( عملة )
-	فيراٹ	μετρίον	فيراٹ	من الموازين اليونانية
-	قرن	χρόνος	قرن	زمن
صوفی	صوفی	σοφία	صوفی	حکیم
-	شاب	γάμος	شاب	شباب
-	سيف	ἐπίστρο	سيف	سيف
-	زراعت	ἀγρός	زراعة	حقل ( مع ابدال الحروف )
ہلکف	بلغم	φλόγμα	بلغم	بلغم
اکسیر	اکسیر	ἐξίς	اکسیر	جاف ( سفوف / دوا )
ترياق	ترياق	θριακόν	ترياق	دوا / ضد السموم
قولنج	قولنج	κολων	قولنج	الم القولون
اینوس	اینوس	ἐνός	اینوس	حطب الاینوس
اسطرلاب	اسطرلاب	αστρολάβος	اسطرلاب	آلة لقياس ارتفاعات الاجرام السماوية
-	زنار	ζώνη	زنار	رنار / نطاق
-	طلسم	τέλεσμα	طلسم	شهادة معتدة
کلیہ	کلیہ	ἐκκλησία	کنیہ	مجمع / کنیہ
تیوت	تاہوت	ταύρος	تاہوت	مذبح
کفن	کفن	κόφινος	کفن	سلة کفیرة

ثانيا :الكلمات اليونانية التي قدمت عن طريق ايران :

تنتمي كل من اللغة الفارسية واللغة اليونانية الى مجموعة اللغات الهندوأوربية الفارسية من الفرع الايراني ،واليونانية تمثل بذاتها



فرعا مستقلا (١٣١). وكذلك كانت اليونان القديمة تجاور ايران من الناحية الجغرافية ، ورغم ذلك فقد نشب بينهما نزاع استفحل امره حتى غدا حربا طاحنة ، دامت سنوات عديدة، وتجددت فى عصر الاسكندر الأكبر . ولقد ظلت أسرة سليوكوس تحكم ايران فترة طويلة بعد موت الاسكندر الأكبر و تركت بعدها آثارا لا يستهان بها على جميع أوجه الحياة ، ولم تكن اللغة الفارسية (الايروانية ) بمنأى عن هذا التأثير . ويتضح هذا من الأمثلة التالية :

بنجابى	اردو	فارسى	يونانى	معنى الكلمة اليونانية
-	ناؤ	ناؤ	ναῦς	سفينة
-	موسيقى	موسيقى	μουσική	موسيقى
-	قفنس	قفنس	κύνες	بجسة / بطة
-	زمرود	زمرود	σμάραγδος	زمرود
ملسوس	فانوس	فانوس	φάνος	ضوء / مصباح
-	كلبد	كلبد	κλειδός	مفتاح ( الكلمة فى حالة الاضافة )
شربوزه	روز	خربز	καρπός	ثمرة ( بطيخ )

والواقع أن العلاقة بين اللغات الهندوأوروبية علاقة وبيعة ، وقد حاول بعض الباحثين الدامى أن يثبت أن أكثر الحلفات اتصالا فى هذه المجموعه من اللغات هى الحلقة التى تربط بين اليونانية والسسكريتية (١٣٢) ورغم أن هذا أمر حقيقى من حيث أن اللغتين تنتميان الى عائلة واحدة من اللغات، الا أن الرأى العائل بأن السسكريتية هى اللغة الأم لليونانية رأى بعيد تماما عن الصواب فى رأى الباحثين المحدثين (١٣٤) . ولو ألغينا طرة فاحصة على بعض الألفاظ الموجوده فى عدة لغات ننسئ الى هذه العائلة من اللغات ، للاحظنا على الفور أن هناك تشابها كبيرا بينها بصورة تدعو الى الدهشة :

اردو	پنجابی	سنکرتی	فارسی	یونانی	المغنی
کاون کران	کرام	کرام	کام	κράν	قرنة
دروازه دروازه	دوار	دوار	در	θύρα	باب
مندر مندور	مندر	مندر	-	μάδρα	حظيرة
آواز راج	واله	آواز	آواز	vox (αλφειν)	صوت
کهر کوها	کهر	براز	براز	κέρως	براز
نیمه نیمه	-	نیمه	نیمه	ἡμισ	لحم مفروم
-	-	اهو	اسپ	ἴσως	حصان
دیو دیو	دیو	دیو	دیو	δῖος	إلهی / بوله
بهار بهشت	بهشت	بهار	بهار	ἔαρ	ربیع
-	امرت	امرت	-	ἐμμεστος	حالد
بهو تونه	سنووه	-	-	νῆος	عقل
نهن تر	ترئیس	-	-	τρεῖς	ثلاثة
سات ست	سپت	هفت	هفت	ἑπτά	سپه
دس دس	داسا	ده	ده	δέκα	عشرة
مرخ رته	رد هرا	-	-	ἐρυθρός	احمر
برس هره	روش	-	-	ῥόδον	سنة
خسر سوهر	سواشرا	-	-	ἑκαστος	غیر ذی صلاحیت

### التأثير اليوناني على الآداب الشعبية في المنطقة :

تدور معظم الحكايات الشعبية في اقليم البنجاب حول أمير يغادر وطنه ويعبر الأنهار والجبال ، ويجتاز الصحراوات الشاسعة ، حتى يصل الى واد لا انس فيه ولا جان ، وتترامى له أطلال مدينة يتبين أن ساكنتها «عفريتة» تدق طبولا ذات صوت رهيب ، وبعد أن يتمكن الأمير من الافلات من برائن هذه «العفريتة»، يعبر من جديد صحراء جرداء يناله من عبورها الارهاق والجوع والظمأ ، ويصل بعدها الى تل يشاهد منه على البعد دخانا يتصاعد فينطلق تجاهه ، وعندما يبلغ مكانه ، يجد نفسه أمام قلعة جميلة بداخلها فتاة رائعة الحسن، يفرح لمرآها، بعدما صادفه من أهوال، ويخاف الأمير على فتاته ذات الجمال الخلاب ... ويدور بينه وبين «العفريتة» نزال تكون الغلبة فيه له على العفريتة التي تقضى نحبها ، ومن

ثم ينطلق الأمير فيبلغ غابة يستسلم فيها للنوم تحت شجرة ، ثم يستيقظ فجأة على صوت طيور تستفيث طالبة النجدة من برائن تتين ضخم فيهب لنجدتها ، ويهوى على التتين بسيفه البتار فيشطره شطرين ، وفى الصباح تأتى أميرة الطيور و تدعى « سرخاب »<sup>(٢٥)</sup> فتستمع منه الى قصته وتأنس اليه وتصبح محبوبته .<sup>(٢٦)</sup>

وتلاحظ انه يرد فى هذه الحكاية الشعبية لفظ «دائنى»<sup>(٢٧)</sup> المأخوذ من اللفظ اليونانى *Deinós* الذى يعنى «مرعب أو مخيف» ، كما ورد أيضا لفظ «كانا - ديو» الذى قد تكون دلالاته مأخوذة أو محورة عن اللفظ اليونانى *κύνελος* وهو المارد ( العفريت ) ذوالعين الواحدة (الأعور) الذى مكربه أوديسيوس فى ملحمة الأوديسية للشاعر اليونانى العظيم «هوميرس» وقد يكون للفظ «كانا ديو» علاقة باللفظ السنسكرىتى (ديو) بمعنى الله أو الملاك ، وهو لفظ يعبر فى السنسكرىتية عن الخير والتعديس دائما ، ويعابل هذا اللفظ السنسكرىتى اللفظ اليونانى *Deios* الذى يعنى «مؤله» أو «الهى» أو «سامى» ، الا ان المفهوم اليونانى الأسطورى عن القوى الألهية هو أنها ( مثل الاسرار ) تجمع فى سلوكها بين الخير والسر معا ونرجح أن يكون هذا المفهوم قد انتقل من التراث اليونانى الى الحكايات السعبيه السجاييه ، التى لم تتأثر بالمعنى السنسكرىتى للفظ بعدر ما تأثرت بالدلالة اليونانية له

ومن شخصيات الحكايات السعبيه السجاييه الأخرى شخصيه

«باسك ناك» وهى تحوير لملك العمايين باشك ليكو .

*Bashliko*: ومن المرجح أن تكون تسميتها بهذا الاسم تحويرا

للفظ اليونانى *Βασιλικός* الذى يعنى الملك . وهناك أيضا

شخصية باسم « سرال » التى اخذت عن اللفظ اليونانى *σάρα* الذى

يطلق على نوع من السحالي

وفى الحكايات السعوية البنجابية أيضا نحد ذكر الحجر المسمى «بارس» . يسمح به الحديد فيتحول الى ذهب . وهذا يقابل الكلمة اليوايه  $\pi\epsilon\alpha\sigma\sigma\upsilon$  التى كاتب فى الأساطير اليوايه تطلق على حجر أحصر اللور . ويمكن أن يكون هناك اعتقاد سائد ان المعادن تتحول الى ذهب مسحباه

ومن أبطال الحكايات السعوية البحابيه كذلك أنثى حصان سريعة يطلق عليها أهل السحاب بكل فخر و محبة اسم «بكى» . بتسديد الكاف وقد تكون لهذا الاسم علاقه بفرس الاسكندر الأكبر المسهور باسم

«بوكيفالوس» *Bouképhalos*

وفل أن نتقل من الحديد عن الحكايات السعوية برى ضرورة الاشارة الى ورود ألفاظ يونانية على لسان المرأة البجابيه ، ومن الجدير بالذكر ان المرأة بطبيعتها تميل الى التمسك بالتقاليد المتوارية كما هى بدون تغيير ، ومن هنا فلا تزال بعض الألفاظ المتحجرة تجرى على ألسنتهن ، وهى ألفاظ مرت عليها هرون و هرون ، كانت تستخدم فى الأحاديث العامة ولا يفكر أحد فى معناها . توارثتها نساء المنطقة عن أمهاتهن اللاتى توارثنها بالتالى عن أمهاتهن الأخريات ، وهكذا ظلت هذه الألفاظ تنتقل داخل الصدور جيلا بعد جيل لآلاف السنين .

وفى القرى البنجابية اذا ظل الطفل يصرخ يريد أن يرضع من بدى أمه مرة بعد مرة ، فهى تضيق به ذرعا وتقول :

«جرا ساه لثو هنى نيكرو لى دنى آى»

أى : يابنى خذ نفسك (بفتح الفاء وما قبلها) سوف أقدم لك (نيكرو) أى الشهد .

وهكذا لو ظل الرضيع يمص بدي أمه طول اليوم فهي تنهره قائلة :

«ايهان وج كى سارا دن نيكزو بيا اى»

أى : ماهذا ؟ هل سيظل ( الدى ) مليئا بالشهد (يكرزو ) طول اليوم ؟

وهاتان الجملتان تحريان على السنة الامهات دائما ،

ولاشعوريا ، ولفظ « بيكرزو » مأخوذ عن اللفظ اليونانى « بيكتار »

**véxte** أى سراب الآلهة وهو لفظ مرادف للسهد

العناصر اليونانية فى اللغة البنجابية :

من المثير للدهشة حقا أن بعض الكلمات البنجابية تنفق فى كل من

النطق والدلالة مع الكلمات المماثلة لها فى اليونانية ، دون أن يطرأ

عليها تحوير أو تحريف صوتى كبير : فالكلمة البنجابية « تكهان » ( فى

اللغة الدراورية ) أو « تكان » بتسديد الكاف تعنى ( نجار ) وهى تماثل

كلمة اليونانية المستخدمة منذ عصر الشاعر هوميروس وهى **τέκτων**

( تكتون ) التى تعنى أيضا نجار أو بناء السفن ، ولا يمكن القول بأن هذا

التماثل قد ورد بمحض الصدفة ، كذلك نجد أن لفظ « كينا » ( تنطق

الكاف طلق الجيم فى المصرية الدارجة) فى اللغة البنجابية يدل على

الآلة التى يمس بها النجار زوايا الأركان ، وهذا اللفظ أصله يونانى وهو

**γωνία** ويعنى هذا اللفظ « الزاوية ».

وهناك كلمات كثيرة مستخدمة فى لغة الحديث اليومية فى منطقة

السجاط ، يمكن ارجاعها الى اصول يونانية ، ويمكن أن نورد هنا عددا من

هذه الكلمات التى يمكن من النظرة الأولى اليها أن ندرك العلامة

الويعة بينها سواء فى النطق أو فى المعنى :

الكلمة اليونانية	معناها	نطقها	التقابل بالبنجابية	ومعناه
κόπη	مجداف	kope	چپر	مجداف
κάινη	بوص	kaine	کا - کا	نصب السكر
βοτάνη	عشب / برعى	botane	بوٹى - بوٹى	عشلة / شجرة
καρυν	جوز	karuon	گرسى	منج
πυρά	مكان اعمال النار	pyra	پھار	مكان اعمال النار
πύρωσις	احتراق / حرارة	pyrosis	پشس	حرارة
ἄλως	هالة الفوه حول الشمس او القمر	halos	هاله	نفس المعنى
κύρος	دائرة / حلقة	kyros	کھیرا - کھیر	دائرة
καλαμος	بوص / قلم / قلم	kalamion	قلم	قلم / قلم
τάπηρ	سجاد / كليم	tapes	تپڑ	غرش / كرسى / حصير
οὐρά	ذيل	ura	چورا - چوى	مروحة على شكل ذيل .
φάλος	طرف الخوذة المذهب	phalos	پھل	طرف الحكيم (كما يطلق على طرف السمكة).
κοτύλη	وطاء للموائل / كوب	kotyle	کٹوى	وطاء على شكل الكوب .
κύλιξ	كوب	kylix	کولى	كوب
άρτος	خبز	artos	ارٹس	رغيف الخبز، يقال روت للزغيف كبير الحجم .
κορυμβύλη	مراودة / سوط	korubyle	کوربھ	سوط .
καυστός	مخروق	kaus-tos	کھٹا	اصلاح طبي يعنى منج وغلط المهادن لتركيب الدواء .
κύκλος	دائرة	kyklos	ککلى	لمبة الدائرة للاطفال ، تجمع الناس لليلة راقصى أو حاوى .
ἀγορά	السوق	agora	اگھارہ	لون اصفر ( خلة موسمية تسمى بھنت يتقاف فيها الناس بھاہ اصفر اللون ) .
ξανθός	اصفر	xanthos	بھنٹى	لون اصفر ( خلة موسمية تسمى بھنت يتقاف فيها الناس بھاہ اصفر اللون ) .
θγρός (πρός)	طوى / سائل	thugros (pelen)	ٹھرا	طمين
κρυμός	برد شديد	krymos	کھر	برد شديد .
σινπηφίλος	سكوت / صمت	sinphē	چپ	صمت
φίλος	صديق	philos	پھلى - پھلى	صديق ( النطق قديما بالباء الثالثة ) .
παλαι	قديم	palai	پھلا	قديم / اول
παῖλος	مهر	paillon	پولو	لمبة يلعبها عدد من القريبان كل علس فرسه .
πόλεμος	حرب	polemos	لام	لام
μόσχος	عطر	moschos	مشک	مسك ( المار بٹا پيا )

الكلمة اليونانية	معناها	نطقها	القابل بالبنجابية	ومعناه
λαγνις	أخذ	lagōn	لغانا	يمسك .
κόπω	قطع	loptō	كوتا	يقطع .
παλίν	معارعة / نزول	palin	بيلوانى	من المعارعة .
παλῆ	المعارعة	palē	بيلوان	معارع (قارن اللفظة السنسكريتية بلوان بمعنى "قوى") .
κῆμα	لحم مفرد	kēma	قيمه	لحم مفرد .
κόρη	مناة	korē	كورى	فتاة .

### التأثير اليونانى على نحو اللغتين البنجابية والأردية :

ان التحليل اللغوى للغات شمال الهند يحملنا على الظن بأن هذه اللغات فى مراحل تطورها المختلفة لم تتأثر فقط باللغة السنسكريتية بل تأثرت كذلك بالفارسية واليونانية والعربية وكذلك بلغات شبه القارة كالدروارية والمندا ثم بالتركية والمنغولية واللغات الأوروبية الحديثة (٢٨) وهدفنا هنا أن نعرض للتأثير اليونانى على جزء من قواعد اللغتين البنجابية والأردية لنثبت أن هاتين اللغتين قد خضعتا فى فترة من مراحل تطورها للتأثير اليونانى.

فاذا ما تعرضنا على سبيل المثال للحروف التى تستخدم للدلالة على المضاف اليه وهى :

كا ، ويأتى قبل الاسم المفرد المذكر.

كھے ، (ياء مجهولة بعد الكاف تنطق مماله) ويأتى قبل الاسم الجمع المذكر.

كى ، ويأتى قبل الاسم المونث الجمع والمفرد.

ملاحظ أنه لا يوجد أصل لمثل هذه الحروف فى الفارسية أو العربية كما أن الاضافة فى اللغة السنسكريتية تختلف عن هذه الحروف فى صورتها ونطقها اذ أنها تستخدم ،،اه، أو ،،سيه، للمفرد وتستخدم ،،ام، أو ،،نام، للجمع مثل :

امرتسيه سر : حوض ماء الخلود (قارن الأردية : امرت كا بانى)  
 وكرم سبها : بلاط بكرم (قارن الأردية : بكرم كا دربار)  
 وفيما يلى مثال آخر من اللغات الهندوآرية :  
 نهايات الاضافة فى اللغة الهندوآرية لكلمة ,,حصان,, (٢٩) :

اللاتينية	اليونانية	الاستاتية	السنسكريتية
equus إكوس	ἵππος هيبوس	اسب	اَسو
equi اكوى	ἵππου هيبو	اسباهيه	مفرد اسواسيه
equorum إكورم	ἵππων هبون	اسبانام	جمع اسوام

وبالرغم من أن مفهوم الاضافة (أى حالة المضاف اليه ) كان يوجد  
 فى لغة البراكرت القديمة ( وهى هندوآورية ) الا أنه لا يوجد بها ما يدل  
 على وجود حروف الاضافة ( كا ، كى ، كى ) مثلما نرى فى النص التالى :

ات ديبا سرن ، آند سرن

دهرم ديبا ، دهرم سرن (٣٠)

(ان ملجأ النور الحقيقى هو أطيب ملجأ .. والدين الحق هو النور الحقيقى ،  
 فتعالوا الى ملجأ الدين )

ولا يوجد فى اللغة السنسكريتية ما يدل على اضافة حروف تدل على  
 حالة المضاف اليه ، بل كانت هناك ألفاظ مستقلة للدلالة على هذه الحالة  
 مثل ,,كنى,, (بياء مجهولة أى بالامالة) ونجد هذا اللفظ مستخدما فى  
 الاردية القديمة معنى ,,عند,, ومن الجدير بالذكر أن اللفظ السابق كان  
 يستخدم فى الدكنية القديمة لا يعطى معنى حروف الاضافة الاردية (كا ،  
 كى ، كى) بل يعطى معنى : تجاه و ناحية أو عند . وفى تلك الفترة ذاتها  
 كان لفظ ,,كنى,, يستخدم فى البنجاية بمعنى ضد أو تجاه مثل :

ميرى كنين بمعنى : عندى و ,,رب كنون,, : بمعنى من عند الله



وقد استخدمت هذه النهايات فى اللغة الأردنية الدكنية القديمة وفى اللغة البنجابية ، ثم استخدمها الشاعر الدكنى ،، فيروز،، (ق ١٦ م) بمعان مختلفة ومن أمثلة الأشعار التى استخدمت فيها هذه النهايات الأبيات التالية التى نظمها الشاعر ملك محمد جانسى (١٤٨٠ م - ١٥٣٨ م) :

آنى سرد ر تو ادهك بيارى

نوكنوار كا تك اجيارى      اييه رتو كنت باس جهيه

سكه تن كى مهيا مانهـ

(فصل الشتاء هو أحب الفصول ، الشمس الهادئة والليالى المقمرة ، فى هذا الفصل يستريح القلب عند الحبيب)  
وبجد هذه النهايات مستخدمة أيضا فى الأشعار الصوفية والدينية فى اللغة البنجابية كما فى النص التالى :

فريدا نكهه — را هونى دن سهاوا باغ

نوبت وحى صبح سى چلن كا كر كاج

(يا فريد (٣١) . . هذه الدنيا حديفة رائعة والطائر (أى الانسان) ينزل ضيفا

عليها ، وفى الصباح حين تدوى طبول الأيك ، تحزم متاعك وتسافر.)

كا كا نين نكاس دون بى كى ركهه لى جائى

سهلے درس دکھانے کئے نو باچھے لیجیے کھانے

(أيها الغراب سوف أطلع عينى فاحملها حيث وجه حبيبى ، متعهما أولا

بوجه الحبيب وبعدها حلال عليك أن تلتهمهما)

مما سبق يتضح أنه لا ابر للحروف الدالة على حالة المضاف اليه فى اللغة السسكريتية لأن ظهور هذه الحروف يرجع الى فترة قديمة موعلة فى القدم خضعت للمنطقة خلالها للتأثير اللغوى اليونانى ، ولأن ظهورها كان فعط فى اللهجات السابعة على مولد اللغة الأردنية وأيضا فى البنجابية .

ويحملنا هذا على الاعتماد بأنها ظهرت فى هذه اللهجات تحب  
تأثير اللغة اليونانية ، اذ ان اللغة اليوساية تستخدم اللاحقة  
 $\text{ἰκός}$  - للمذكر و  $\text{ἰκή}$  - للمؤنث و  $\text{ἰκόν}$  - للجماذ  
كثى تعطى معنى „متعلق بـ“ او „خاص بـ“ ، أو مل حرف الياء فى اللغة  
العربية ومثال ذلك :

$\text{Ὀμηρικός}$  بمعنى „خاص بهو ميروس أو هومرى..  
 $\text{Ἰνδικός}$  بمعنى „يتعلق بالهند أو هندى..

ولدينا دليل على أن جبل „هندوكس“ يحمل اسما يونانيا ، اذ أن  
اسمه كان أصلا „انديكوس“  $\text{Ἰνδικός}$  سم حرف الى  
انديكوس أى (جبل الهند) ، سم الى „هندوكوس“ . وهذا الدليل يعتبر  
أحد الشواهد على وجود التأثير اللغوى اليونانى .

كذلك تصادفنا فى نفوس „مهارجم اسوك“ (٣٣) وفى بعض  
المسرحيات القديمة ألفاظ مل :

يوكا ، رومكا التى يتضح منها استخدام اللاحقة اليونانية ساهه  
الذكر اذ انها كانت أصلا :

$\text{Ρωμαϊκά}$  بمعنى المتعلق بالرومان أو رومانى  
 $\text{Ἰωνικά}$  بمعنى المتعلق باليونان أو يونانى

وقد استخدمت علامة الاضافة (كا ، كى ، كى) فى اللغة البنجابية للدلالة  
على النسبة مثل : ميكى أى قرية الأم و بيكى أى قرية الأب : ولا تزال  
هناك أسماء اعلام فى البنجاب تحتفظ بهذه اللاحقة الدالة على النسبة  
مثل :

فاضلكا (فاضل + اللاحقة) أى قرية فاضل .

مرید کرے (المتعلقون بالمرید) أى حرية اتباع المرید .  
 سليمانكى (سليمان + اللاحقة) أى التابعة لسليمان . . . وغيرها .  
 ويمكننا أن نؤكد أن مثل هذه الأسماء التى تطلق عادة على المدن  
 والعرى فى سبه العارة الهندية الباكستانية لا وجود لها فى البنجاب (٣٣)  
 ويتضح التأثير اليونانى جليا كذلك فى اللاحقة الدالة على التأنيث .  
 فنلاحظ أن كلا من الأردية والبجائية تستخدمان حرف النون لصياغة  
 المؤنث من المذكر فى بعض الكلمات ؛ وهذا الاستخدام موجود فى  
 اليونانية القديمة ، ومن الجدير بالذكر أن اللغة السنسكريتية لا تستخدم  
 هذا الحرف للدلالة على المؤنث لأنها تستخدم المقطع ،،ت. للدلالة على  
 المذكر ، والمقطع ،،تى. للدلالة على المؤنث ، والمقطع ،،نتو. للدلالة  
 على الجنس البال neuter ؛ وهناك ألفاظ فى السنسكريتية تنتهى  
 بحرف الواو بغض النظر عن جنسها مثل :

نسو ( ولد ) مذكر .

سبتو ( مطرة ) مؤنث .

مدهو ( ربيع ) مذكر وبمعنى ( سهد ) مؤنث .

دهيو ( بعره ) مؤنث ؛ ،،تنطق واو مشبعة. .

رسو ( بروه ) مؤنث .

نو ( جسم ) جماد ( أى لا جنس ) neuter.

ويمكننا أن نجمل اللواحق الدالة على المؤنث فى اللغة  
 السنسكريتية فيما يلى :

١ - الألف كما فى : بريتها بمعنى اعتقاد أو فكر .

ميدها .. ذاكرة.

جتا .. شعب.

## ٢ - الواو المشبعة كما فى :

دهينو بمعنى بفرة .  
 مدهو ,, شهد .  
 رجو ,, عصير .

## ٣ - الواو المخففة كما فى :

ودهو بمعنى زوجة .

## ٤ - الياء كما فى :

رجنى بمعنى ليلة .  
 ديونى ,, ملكة .  
 وانى ,, صوت .

مما سبق يتضح أنه لا دليل على استخدام حرف النون كلاحقة دالة على المؤنث فى السنسكريتية ، أما الكلمات المستخدمة الآن والتى يظهر فيها حرف النون مثل : بترنى بمعنى زوجة ، بترنى بمعنى بنت فقد وجد تحت تأثير الصياغة الهندية ، وليست كلمات سنسكريتية خالصة ، لأن معنى زوجة فى السنسكريتية هو ,,جايا، أو ,,دار، أو ,,كانتر، أو ,,دهو، ولأن مؤنث بتر بمعنى ولد فى السنسكريتية ليس ,,بترنى، بل بترىكا ، كما أن معنى ابنة فى السنسكريتية هو ,,دهتو، أو ,,آنمجا، أو ,,ستا، أو تنيا .

فاذا انتقلنا الى اللغة الفارسية نجد أنه لا توجد فيها علامة مميزة ألاحقة تدل على المذكر أو المؤنث ، اذ تدل الأسماء بنفسها على جنسها مثل :

مادر بمعنى أم ، مدر (بالياء المثلثة) بمعنى أب .

ولا توجد فى اللغة الفارسية صياغة كلمة مؤنثة من كلمة مذكورة أو العكس ، بل تستخدم بدلا من ذلك كلمة ,,مرد، للدلالة على المذكر وكلمة

„زن“ للدلالة على المؤنث بالنسبة للانسان مثل :  
 بير مرد أى رجل عجوز      بير زن أى امرأة عجوز.  
 جادوكر مرد أى ساحر      جادوكر زن أى ساحرة.  
 وبالنسبة للحيوانات نجد الفارسية تستخدم كلمة „نر“ للدلالة على

المذكر ، وكلمة „ماده“ للدلالة على المؤنث مثل :  
 شیر نر أى أسد      شیر ماده أى لبؤة  
 ومن هذا يتضح أن حرف النون لم يستخدم للدلالة على المؤنث فى كل من  
 السنسكريتية والفارسية ، وهما اللغتان اللتان أثرتا تأييرا واضحا على كل  
 من الأردية والبنجابية ، فى حين أن استخدام حرف النون للدلالة على  
 المؤنث يستخدم فى اللغة اليونانية منذ بداية ظهورها مل :

ἡρώς	بطلانة (نظمه)	Herōine
despōina	سيدة (نظمه)	Despoina
θεάινα	ربة (نظمه)	theaina

ἡρῆς	بطل (نظمه)	herēs
despōtēs	سيد (نظمه)	despōtēs
θεός	رب (نظمه)	theos

وعلى هذا المنوال استخدام حرف النون للدلالة على المؤنث فى الأردية  
 مثل :

مالى بمعنى بستانى      ما لن زوجة البستانى ،  
 دهبوى      „غسال“ دهبوين زوجة الغسال (وهى تقوم أيضا بالغسيل).  
 دلها      عريس      دلهن العروس.  
 بنجايى رجل بنجايى ، بنجاين امرأة بنجاية  
 هندوستانى رجل هندى هندوستانى امرأة هندية .  
 لاهورى رجل لاهورى لاهورن امرأة لاهورية  
 ومن الواضح أن نون التأنيث هذه المستخدمة فى الأردية والبنجابية قد

وردت الى اللغتين مباشرة عن اللغة اليونانية أى دخلت فى العهد الهندى اليونانى ، ثم استمرت حتى دخلت الأردية والبنجابية كما نرى اليوم .  
وهناك سابقة اخرى تشترك فيها اللغة السنسكريتية واليونانية انتقلت الى الأردية والبنجابية وهى السابقة التى تفيد منع أو نفى المعنى عن الكلمة وهى (ان) مثل :

ان كنت بمعنى لا عدد له لا حصر له - لا يعد

ان مل بمعنى غير اجتماعى

ان مول بمعنى لا يقدر بمال - ثمين

والسابقة هنا دخلت على كلمة گنت بمعنى عدد ، مل بمعنى يلقى (جذر الفعل) ، ومول بمعنى قيمة .

وهذه السابقة توجد كذلك فى اليونانية مثل :

أى بلا احساس *ἀναισθητος*

أى بلا عدد - لا يحصى *ἀναριθμητος*

ومن العجيب أن هذه السابقة لا تستخدم الا مع الكلمات السنسكريتية الأصل مما يدل على توغلها فى القدم او انتقالها عن اليونانية الى مثل هذه الالفاظ .

★ ★ ★ ★ ★

## المراجع

١ - يقع وادى السند الآن فى جنوب شرق باكستان . وهو يمثل دلنا نهر السد الذى كان يسمى قديما باسم ..سدهو.. ومن هذا الاسم اشتق اسم الاقليم ، ويرى المؤرخون اليونانيون أن ..سدهو.. هو ..اندس.. ، ومن هذا اللفظ اشتقت كلمة ..اند.. ..هده.. أو ..انديا.. هذا بينما كان العرب

والايرانيون يطلقون على نهر السد اسم «مهرا» ومن هنا اشتهرت منطقة السد باسم «وادي مهرا» : دائرة المعارف الاسلامية (الأردية) ، جامعة النحاب ، مجلد ١١ .

٢ - قدم الاسكندر الاكبر الى السد عام ٣٢٥ - ٣٢٦ ق م . وعبر منطقة «ارور» (وهي اليوم قريبة من «رهري» الحالية) ، ثم تقدم الى منطقة «لاركان» الخصبة ومنها الى شاطئ نهر السد حيث منطقة سيوهي (أو سهون) القديمة ثم عبر بلدة «تالا» وسط الدلتا حيث اتخذ من المياه الساحلي في الحوض «باهرىكان» مستقره . وفي النهاية توجه من السند الى كدروشا (مكران) حيث وصل الى نابل بالطريق الرى المرحع السابق ، مجلد ١١ ، ص ٣٣٠ .

٣ - بعد وفاة الاسكندر قام كل من *Σέλευκος Νικάνωρ* سيلوكس نيكيتورا ، و «جندر كبت موريا» (٣٠٥ ق.م) بالسيطرة على الاقليم ، وفي سنة ١٠٠ ق م - ٢٠٠ م سيطر على السد السهيون والكوشانيون انظر .

The Oxford History of India, V.A. Smith, 3rd edition, pp.85—94.

٤ - لمزيد من التفاصيل انظر كتاب .

The Early History of India , V.A. Smith , passim . London 1908.

٥ - قام «كديس الثانى» ( ٨٥ - ١٢٠ م ) (أحد ملوك أسرة كشن ) بالتغلب على بعض الحكام البارثيين والهند يومانيين ، ووسع مملكته فوصل الى بارس شرقا و حوارزم شمالا ، وأجرى عملة ذهبية حاء على أحد وجوها باليونانية لقب ملك الملوك .

Basileus Basileon

*Βασιλεὺς Βασιλέων*

وعلى الوجه الآخر جاءت كتابات بالهروشية كما يلي : ( سهارا سا - راحا اديرا حاسا : أى الملك المعظم - ملك الملوك ) ( سرب لوك ايشوراسا أى سيد جميع الناس ) (مها اينوراسهيا كديسا أى السيد العظيم وبما كديس ) ( تراادانا : أى المسمى ) انظر اردو ريان كى هديم تاريخ . عين الحق فريد كونوى ، لاهور ١٩٠٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها

٦ - بعد انتهاء عهد « كتا » بدأ عهد ملوك الطوائف وانقسمت الهند الى امارات صغيرة ، وحاول الأمراء الحفاظ على الأساس الأخيرة للسكريتية الا أنها لفظت آخر اعاسها بدخول المسلمين الهند . فخلا الميدان للراكرت هذا الناس يعرضون بها أفكارهم الدينية والعلمية والأدبية . وبدأت التأثيرات المحلية للراكرت تتضح أكثر فأكثر حتى ظهرت اللغات المحلية داخل الهند

٧ - وصل محمد س القاسم الى بلده « ديبيل » سنة ٩٣ هـ ٧١٢ م وفتحها بعد حصار دام ستة اشهر .

ويرى بعض الباحثين أن ملدة ديبيل هذه هي نفسها كراتشي الحالية . ولم يكن اهل السد بحبيهم النظام الرهصى مما دفعهم الى مساندة محمد بن القاسم الذى قاد الجيش المسلم ضد راجا داهرسه ٧١٨م وقضى عليه . انظر دائرة المعارف الاسلامية . مجلد ١١ ( سدھ مسادة )

- ٨- اسأ الاصليز مركزا نهاريا لهم بالسد فى القرن ١٧ م لكنهم اغلقوه بعد فترة . ثم شعروا فى اوائل القرن ١٩ بأهمية المنطقة خاصة بعد أن استولى الروس على وسط آسيا وا حكموا قبضتهم عليها . فبدأوا عقد المعاهدات مع حكام المنطقة ثم انتهى الامر بسيطرتهم عليها . انظر " سدھ مين آباد قومين " . شيخ صادق على شير على - كراتشي ١٩٥١ م
- ٩- لمريد من الامثلة انظر المعاجم التالية : قرهنك آنند رام لمحمد بادشاہ ، فرھيک أصميه لسيد أحمد دهلوى ، وحامى اللغات لخواجة عبد الحميد ، وفيرور اللغات لمولوى فيرور الدين
- ١٠- انظر كتاب : اردو زبان كى قديم تاريخ : عبي الحق فريد . ص ٢٨٩ لاهور ١٩٧٢ .
- ١١- بالإضافة الى وجود هذه العملات فى غرب باكستان الحالية فقد وجدت أيضا فى مدن المناطق الشمالية بالهند مثل : كوركهور ، عارى نور ، مديه هرديش وحل بور
- ١٢- احدى مدن التركستان الصيى واسمها الهدي " كستكه " أى صدر العالم وكانت مركزا للبوذية كما أنها تمع اليوم بأصرحة الأولياء المسلمين . انظر دائرة المعارف الاسلامية ( اردية ) مجلد ٨ . ص ٨٥٢
- ١٣- أسرة - كشا - ( ٤ - ٥ م ) انظر كتاب :

١٤- A History of India , Vol.1 , Ramila Thapor , 1969 .  
pp. 136— 166

Sokolov , S.N. The Avestan Language , Moscow, 1967.

- ١٥- عن الألفاظ اليونانية الواردة عن طريق اللغات الأوربية : انظر المعاجم الأردية التى سقت الاشارة اليهامثل : فرھيک أصميه . وور اللغات وويرور اللغات وغيرها
- ١٦- انظر : عربون كى حهار راسى ( الملاحة عند العرب ) بالأردية . لسيد سليمان الدوى . ط الهيد ٢
- ١٧- المرجع السابق - وانظر ايضا : رحلة ابن بطوطة . ح ٢
- ١٨- أحد احوال النسي من سى الجار وكاوا بالمدينة - انظر محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية . للشيخ محمد الخصرى . ص ٢ د . الجزء الاول . ط الثانية .
- ١٩- كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ٨ يوية ٦٣٣ م ١٣ ربيع الاول سنة ١١ هـ انظر محاضرات الشيخ الخضرى . ح ١ . ص ١٥٧ . كما يذكر الأستاذ أحمد أمين فى كتابه " فخر الاسلام " أن وفاته عليه الصلاة والسلام كانت ١٢ هـ .



- ٢٠- يذكر سليمان المدوى في كتابه بالأردية ( الملاحة عند العرب ) ص ١٥ . ١٦ عددا من الكلمات اليونانية واللاتينية التي استخدمت في العربية فيما يتعلق ومجال الملاحة من بينها أومياوس بمعنى المحيط وأصلها *omias* وير بمعنى ريت أو سحيم يوضع على هيكل السفينة وأصلها *omias* . ووتى بمعنى ملاح وأصلها *vautys* . ولعريد من التفاصيل انظر سليمان المدوى ملحق كتابه . لغات حديثة . ط الهد
- ٢١- تنهى الألفاظ اليونانية عادة في حالة الرفع بحرف السين ( س ) . ولكن هذا الحرف لا يظهر عادة في الطب القري لهذه الألفاظ . وهناك كلمات لا بأس بها تيسر بعض التساؤلات حول حقيقة أصلها . مثل الملاحة بين كلمة « حاج » و « حج » بالعربية وكلمة *kyios* باليونانية بمعنى « مقدس » . وبين كلمة « يأجوج » العربية وكلمة *yiges* اليونانية بمعنى عملاق . وبين كلمة مكعب العربية وكلمة *kubos* اليونانية بمعنى المكعب انظر القاموس التالي Liddel & Scott ; A Greek — English Lexicon , Oxford (1968)
- ٢٢- A Linguistic Survey of India ; Grierson ,G.A., Culcutta 1903—28.  
Indo-European philology . Loelwood. W B . London 1969
- ٢٣- CF. D.S. Crawford , Greek and Latin , Cairo ( 1939), p.30.
- ٢٤- Proceedings of a Symposium — the 26th of Orientalists ; Dehli.  
A Comparative Grammar of The Modern Aryan Languages; Dehli.
- ٢٥- سرحاب . أى . الحمام . وهو طائر مائي كالأوزة يميل لونه الى الحمرة . وقد ذكرها فيل في قاموسه ( New Hinustani English Dictionary . London 1979 )  
بمعنى طقة الرمح . ويرجع هذا المعنى لأنه بمعنى صفة التفديس على هذا الطائر
- ٢٦- A Survey of Panjabi Lang. & Lit., Quraishi, W., April 1967; Panjabi Lit., Screbryakov, I., Moscow, 1968
- ٢٧- داني أسار اليها فيل في قاموسه سابق الذكر أنها تعني امرأة ملعونة لدى المسافرين وطاق الطرق . كما أسار مرور اللغات الى لفظ دائوي بأنه لفظ قديم يعنى الرمح أو المقاب
- ٢٨- لعريد من التفاصيل انظر الكتب التالية هيدوستاني لسانيات ( بالأردية ) . رور قادري . لاهور

Introduction to Prakrit — Varanasi , Woolner ( A.C.).

Comparative Grammar of Prakrit lang., Pischel, R., Delhi

- ۲۹۔ مقلّا عن اردو زبان کی قدیم تاریخ - عین الحق فرید کوٹی . لاہور ۱۹۷۲ 1963.
- ۳۰۔ هذه الاشعار وما بعدها مقلّا عن كتاب . اردو زبان کی قدیم تاریخ . عین الحق فرید کوٹی . لاہور ۱۹۷۲ م
- ۳۱۔ شاعر متصوف يدعى شيخ فرید الدین ولد سنة ۱۸۷۳ متوفى سنة ۱۲۶۵ م .
- ۳۲۔ ترجع نقوش اشوک الى القرن الثالث قبل الميلاد وهي تدل على رواج المراكرة فقد كنت بها الكتب الدينية لكل من اليهودية ( يهود مت ) والجيبة ( جين مت )
- ۳۳۔ هذا البيان لا يبدو صحيحا ، فان هذه الاسماء التي ذكرها المؤلفان كلها لمختلف فرى سحاب رئيس التحرير

★ ★ ★ ★ ★

# حول فلسفة التربية في الاسلام نظرات مستوحاة من الكتاب والسنة النبوية

دكتور مصطفى أحمد الزرقاء

قدمت هذه المقالة الى الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي  
المنعقد في الجزائر في أغسطس وسبتمبر ١٩٨٠

## ١ - التربية والتعليم والفرق بينهما .

في البلاد المتخلفة قلما كان يميز في طريق الثقافة بين مفهوم التربية  
ومفهوم التعليم ، فهما فيها مفهومان مختلطان . ويتجلى هذا الاختلاط في  
المفهوم بينهما في البلاد التي رزحت تحت الاستعمار الأوربي منذ القرن  
التاسع عشر ، لأن تلك البلاد المغلوبة المستعمرة قد كان المستعمر ينظر  
اليها كمزرعة استثمارية وسوق استهلاكية ، يحرص على بقائها مغمورة  
تحت غشاوات من الجهل وقلة الوعي والتمييز ، لان ذلك هو الذي يمكن  
له دوام سيطرته واستثماره واستثماره .

فتلك البلاد لم يكن يبرز لعيون أهلها من فرق بينهم وبين المستعمر  
الغالب سوى فارق العلم والجهل . فالمستعمر قد تمكن من استثمارهم  
لانه أعلم وأوسع معرفة في العلوم الكونية التي استطاع بتفوقه فيها أن يسخر

لأرادته من وسائل القوة المادية والصناعة والسلاح ما جعله يقهرهم ويستعبدهم ، ففوقته في نظرهم هي ثمرة تفوقه في العلم والمعارف .

ثم في خلال النصف الاول من هذا القرن العشرين دب الشعور بالذات في البلاد المستعمرة ، والتحسس بالظلم الذي يمارسه المستعمرون فيها ، وتولدت ، نتيجة لذلك ، رغبة النابيهين من أبناء الشعوب المستعمرة في مقاومة الاستعمار لتحرير البلاد من وطأته ومظالمه ، وكان الذي يسود أفكار هؤلاء النابيهين الراغبين في تحرير بلادهم ، أن طريق الخلاص هو اكتساب العلوم الكونية التي جهلوها وتفوق فيها المستعمر عليهم ، فاتجهوا الى التعلم ، وسافر منهم من يستطيع الى بلاد المستعمرين ليأخذ العلم عنهم ، وقنع من لا يستطيع بالتعلم في بلده ، ونشأت حركة التعليم الحديث في البلاد المتخلفة ، وكان الهدف الاول والاخر فيها هو أخذ أكبر قدر ممكن من العلوم الكونية بمختلف فروعها .

وفي هذه المرحلة ، ومنذ أواخر عهد الدولة العثمانية كانت الوزارة التي تقوم على مهمة التعليم تسمى ( وزارة المعارف ) . وبقي اسمها كذلك بعد انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية عقب الحرب العالمية الاولى ، ولا يزال هذا اسمها في بعض البلاد العربية الى اليوم .

وهذه التسمية أثر من الفكرة التي سادت في بداية يقظة الشعوب المستعمرة ، إذ توهموا أن سبب التفوق والقوة هو سعة العلم : والمعرفة ، وأن هذا هو سبيل التحرر . نظرا الى الظاهر من أسباب القوة وهو هنا التفوق العلمي بين الغالب والمغلوب ، وذلك لقلّة الوعي السياسي وفقدان الرشد الاجتماعي عند المغلوب ، فظن أن الشعوب والافراد انما رقيها وتقدمها وقوتها بالعلم حده . وقد فات المغلوبين المتخلفين من الشعوب أن العلم وحده قد يزيد

التخلف إذا لم يكن قائده هو العقيدة والاخلاق المتينة . فقد يخون العالم أمته ، وقد يبيع ضميره ووجدانه . وقد يركب هواه ، ويؤثر مصلحته الشخصية وأنانيته على كل قيمة وعلى كل مصلحة عامة لامته ويتستر بمظاهر الصلاح الكاذبة . فالحاكم الظالم قد يخدع شعبه بالآباطيل ويتلاعب بمقدراته ، والقاضى العالم إذا لم يكن نزيهاً يكون أقدر على قلب الحق باطلاً والباطل حقاً ، بمختلف المؤثرات ، والغنى العالم قد يرضن بماله عن أوجب الواجبات فى مجال التضحية عند الضرورة اليها ، والجندى المتعلم قد يستسلم لعدوه فى أول جولة خوفاً على نفسه فيرضن بها فى المواقف الحاسمة التى تحتاج الى الشجاعة والاقدام . والموظف العالم قد يكون مرتشياً غير أمين على مصالح الدولة أو حقوق الناس عند ما يجد المغريات التى تدعوه الى الانحراف الخ .

كل ذلك لاضمان فى الامة ضده الا بالاخلاق ، لا بالعلم وحده ، ولا أخلاق الا بالتربية الحسنة التى تهدف الى التركيز على تكوين النفوس الصالحة ، والتوجيه المستقيم قبل ( أومع ) حشو الادمغة بالمعلومات ، وتسليحها بالمعارف والقوانين الكونية الطبيعية التى تخدم حياتها العادية ، وتزودها بوسائل الغنى والتمول ، وتنقلها من حياة التقشف والشظف الى حياة الترف .

واستمر هذا الاختلاط بين مفهوم التربية والتعليم لدى الشعوب المختلفة والمستعمرة حتى منتصف هذا القرن حيث بدأ الاستعمار بالانحسار ، وأخذت مستعمراته بالتححرر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ودب السوعى السياسى فى فئات من الشعوب التى تحررت ، والتفتتح الاجتماعى ، واذ ذلك بدأ التبه الى التمييز بين مفهوم التعليم ومفهوم التربية ، وأخذت البلاد المتحررة فى تغيير اسم وزارة المعارف الى اسم

وزارة التربية والتعليم ، ثم الى وزارة التربية فقط فى بعض البلاد للدلالة على بلوغ هذا المستوى من الادراك الاجتماعى والاخلاقى .

ولعل من الطبيعى أن لا يكون هذا الاسراع السهل فى تغيير اسم وزارة المعارف فى هذه البلاد المتخلفة. يسايره بالسرعة نفسها تحقيق مضمون الاسم الجديد فى التربية والتوجيه وتكوين الشخصية المتكاملة فى الشباب الصاعد سلوكا ومثالية وولاء والتزاما وعقيدة واعتزازا بالاصول والتراث ، وحفاظا على الواجب فى التضحية والايثار عند الاقتضاء ، ولاسيما فى أمة كالامة العربية والاسلامية التى لم تملك أمة أخرى نظير ما ملكه أسلافها العرب والمسلمون على سطح الأرض من أمجاد مختلفة الالوان ، وعلم فى جميع فروع المعرفة ، وثقافة وحضارة لم يعبء فى التاريخ لهما مثيل .

ولكن يبدو أن التخلف الطويل الامد خلال القرون العديدة فى وسع الحياة بمختلف جوانبها ، ومنه التخلف فى التربية ، لا يمكن تغييره فى وقت قصير ، ولاسيما فى بلاد عطلت جميع مصالحها الحقيقية الانقلابات والصراع على الحكم ، والمنافسات على المنافع غير المشروعة بين الأحزاب على حساب مصلحة الأمة وتربية أجيالها الصاعدة التى يجب اعدادها لدورها فى حمل المسؤولية بأمانة واخلاص .

على أننا قد كسبنا الاسم وان لم نحرز المسمى فعسى أن يكون غير بعيد ذلك اليوم المنشود الذى يصبح فيه هذا الاسم المؤنس النير ( وزارة التربية ) اسما على مسمى .

#### ب - العلم والمسؤولية

والعلم فى الاسلام مصدر لمزيد من المسؤولية عن الغير وعن المجتمع يحملها العالم ، وليس العلم فى نظر الاسلام مصدرا لامتياز فى

التمتع والمنافع والاستثمار يدل به العالم على سواء . فكلما ازداد الإنسان علما ازداد تحملا للمسئولية لازدياد ادراكه لمدى واجباته .

ومن أهم نتائج غياب هذا المفهوم التربوي ومقاصده الاسلامية عن التعليم في كثير من الاقطار ، ان لم نقل في كلها اليوم ، أن طبقة المثقفين المصريين كثير منهم يرون أنفسهم مستحقين للتميز بحقوق ومزايا عن باقي أفراد أمتهم ممن لا يعلمون علمهم . وهكذا يرى هؤلاء المثقفون علمهم مبررا لانانيتهم في التكبر وتكديس المنافع والاستعلاء على غيرهم من الناس . وغالبا مايكون هؤلاء موظفين في الدولة قائمين على مصالح عامة ، فيتخذون من مركز سلطتهم هذه ذريعة للحصول على مايفتقده باقي أفراد المجتمع غير المثقفين أو يسيئون معاملة الناس ذوي العلاقة الذين لم توجد وظائف الدولة الا لخدمتهم وقضاء حاجاتهم الرسمية ، وتيسير أمورهم .

وقد أثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله : « من كان أمير المؤمنين فهو عبد المؤمنين » .

وازداد مسؤولية العالم بدلا من تعاليه واستكباره هو مادل عليه الحديث النبوى الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله :  
« لاتزول قدامي يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن جسمه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به ؟ » .

هذه التربية الاسلامية للمتعلمين هي التي تخرج علماء من أول اخلاقهم التواضع ، ومن أبرز سماتهم الزهد والايثار والبعد عن الطمع وشح النفوس ، ومن أكبر همهم أن يعملوا بما علموا .

### غايات التربية الاسلامية

ان التربية طريق الى غاية اجتماعية ولكي نعرف سداد السلوك في هذا الطريق من عدمه يجب أن نعرف الغاية التي يراد أن نصلها ونوصل اليها الناشئين من طريق التربية .

أ ) ان الانسان في نظر الاسلام مستخلف من قبل الله تعالى في الارض لكي يعمرها بالخير ، ويصلح الحياة عليها ، وهو مسؤول عن هذا الاصلاح ومحاسب عليه في الآخرة .

#### الأدلة

«واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة » (البقرة : ٣) «ويستخلف ربي قوما غيركم » (هود : ٥٧) «جعلكم خلائف الأرض » ( الانعام : ١٦٥ ) « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (الحديد : ٧) وآيات أخرى كثيرة في هذا المعنى .

ب ) والحياة الدنيا الصالحة التي اعتبر الانسان مستخلفا عليها في نظر الاسلام هي أن ينشأ الانسان على الامور الآتية التي هي أركان الحياة الصالحة :

١) عقيدة سليمة بريئة مما يدلس العقل البشري من شرك أو وثنية أو خرافات ، ومؤمنة بوحداية الله تعالى وقدرته وعلمه واتصافه بكل كمال ، ومؤمنة أيضا بالحياة الأخرى وبالمسؤولية فيها أي بمبدأ الثواب والعقاب . والأدلة على ذلك كثيرة ومعروفة في القرآن .

٢) جسم قوى يستطيع تحمل الاعباء التي في طريق القيام بواجب الاستخلاف .



## الادلة

«المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف» (حديث نبوى)  
 «رحم الله امرأ أراهم - اى المشركين - من نفسه قوة» (حديث نبوى)  
 «قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم»

(البقرة : ٢٥٦)

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» (الانفال : ٦١)

ولم يجوز النبى صلى الله عليه وسلم انتهاك الجسم ولا فى عبادة الله ،  
 حتى قال : ان لنفسك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، ولربك عليك  
 حقا، فأعط كل ذى حق حقه ، وقال أيضا : « ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا  
 أبقى » . يريد من المنبت المفرط فى العبادة حتى يضعف جسمه كمن  
 يجهد مطيته فى السفر حتى يهلكا فى الطريق .

٣) علم صحيح يخرج به الانسان من ظلمات الجهالة العمياء الى نور  
 المعرفة بالحقائق والواقع والواجب . وهو فى نظر الشريعة ثلاثة أنواع :  
 (الاول) علم بالأمور الدينية التى تتعلق اما بالمغيبات مما وراء الطبيعة  
 كأحوال الآخرة والجنة والدار ، واما بأساليب العبادة المشروعة ، واما  
 بالحلال والحرام فى الشؤون الفردية والاجتماعية . وهذا النوع لا يسوغ  
 تلقيه الا من مصادر الشريعة الاساسية من القرآن والسنة الثابتة ثبوتا  
 صحيحا .

(الثانى) علم بنواميس الكون وقوانين الطبيعة ومصالح الحياة  
 ووسائلها وهذا النوع مرجعه العادات والتجارب والملاحظات . وقد عنى  
 الاسلام فى هذا النوع بتنمية الادراك البشرى ، وحض على اطلاق  
 العقل فى ميدان التفكير والتدبر والنظر فى الحقائق الثابتة ومشهودات  
 الكون للوصول منها الى علم كونى صحيح .

## الأدلة

«قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (سورة يونس : ١٠١).  
 «وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون »  
 ( سورة الذاريات : ٢٠ )

«أنتم أعلم بأمور دنياكم » (حديث شريف )

(الثالث ) علم بالنظام الشرعى ، أى بالجانب القانونى من شريعة الاسلام ، وهو الشرع الحقيقى والجزائى الذى أمر به الاسلام ، ويسمى « فقها » . وهذا قد أتى فى الاسلام ببعض أحكام ثابتة كتحريم الربا ، وحقوق الارث ، ومحلات النكاح ومحرماته ، والقصاص فى القتل ، وبقواعد كلية كمبدأ التراضى فى العقود ، وإزالة الضرر ، ودرء المفساد ، ورعاية الأصلح والأقرب الى العدالة ، واعتبار العرف والعادات فى كل ما لا يصادم نصا تشريعا . الخ ...

وفيما وراء ذلك أمر بالاجتهاد فى تخريج أحكام الحوادث على وفق ما تقتضيه تلك الأسس وروح الشريعة .

٤) تهذيب روحى وأخلاق كريمة قوية تكون رقبيا على توجيه قوة الجسم والعلم فى انتاج الخير للمجتمع . وتجعل من الانسان عنصرا نافعا ، وقدوة صالحة ، فى ظل العقيدة السليمة التى هى الركن التأسيسى الاول .

## الأدلة

«بعثت لاتمم مكارم الأخلاق» ( حديث شريف )

«ألا أخبركم بأحبكم الى وأقربكم منى منازل يوم القيامة ؟

أحسنكم أخلاقا » (حديث شريف )

«الناس عيال الله ، وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله » (حديث شريف )  
 هذه هى أركان الحياة الصالحة التى يجب أن ينشأ ويربى عليها

الانسان . والتربية فى نظر الاسلام يجب أن تخدم بجميع الوسائل ، وفى جميع هذه النواحي فى الحياة ، أى ان التربية يجب أن تكون جسمية وعقلية وروحية . وكل منها يجب أن تعد الانسان فى موضوعها للوصول الى الغايات السالفة البيان .

فالتربية الجسمية يجب أن تكون بحيث تنشئ جسما قويا ، والتربية العقلية يجب أن تنتج عقيدة سليمة متينة ، وادراكا وتفكيراً سديدين وعلماً صحيحاً ، والتربية الروحية يجب أن تنشئ خلقاً طيباً مطبوعاً بحيث يصبح كفطرة ثابتة فى الانسان .

### وسائل التربية وطرائقها فى الاسلام

وأما وسائل هذه التربية وطرائقها فان للاسلام فيها نظراً فى كل من النواحي الثلاث : الجسمية ، والعقلية ، والروحية .

#### أولاً : فى الناحية الجسمية

تبدأ التربية الاسلامية فى هذه الناحية بتدبير سابق هو اختيار الأزواج . فيستحسن شرعاً الاغراب فى الأزواج ، أى أن تكون الزوجة غريبة أى بعيدة عن دم أسرة الزوج ، لأن العادة تثبت أن النسل عندئذ فى الغالب أصح وأقوى ، لأنه اذا اجتمع عنصر ضعف وراثى فى كلا الأبوين يرثه الولد غالباً ، وفى الاغراب يتغلب العنصر الأقوى .

وهذا ما فعله عمر بن الخطاب ( رضى الله عنه ) اذ شاهد أن بعض القبائل العربية قد أضوت أى ضعفت أجسامهم ، فأمرهم أن يتزوجوا الغرائب .

وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يشاهد الزوج مخطوبته فتراه ويرأها قبل الزواج ، لمقاصد عديدة حكيمة منها التأكد من مظاهر صحة الجسم .

ثم بعد حصول الزواج والولد أقر الاسلام ماكان معهوداً عند العرب من ارسال الطفل الى البادية ليرى فيها ، انتجاعا للهواء الطلق ، وللنشؤ فى أحضان الطبيعة عند القبائل ، فينشأ أصح وأقوى جسما ، وأقوم لفة ولسانا . ويظل كذلك طور حضائه كله حتى يحتاج الى تثقيف ، فيعاضه عندئذ الى أهله . وهكذا روى النبى صلى الله عليه وسلم عند حاضنته حليلة فى بنى سعد . وكان خلفاء بنى أمية يفعلون ذلك فى تربية أبنائهم .

ثم أخيرا يحض الاسلام على ممارسة الرياضة البدنية بصورة تعد لقوة الجسم وخفة الحركة . ومن ثم كان النبى صلى الله عليه وسلم يفسح المجال لتصارع الصبيان المراهقين بين يديه . . وقد تسابق هو وأم المؤمنين عائشة بالأقدام ، كما كان الرجال يلعبون بالسلاح بين يديه فى المسجد . وأكد على تعويد الرماية عن القوس والسباحة ، وركب الخيل ، وفضلها على غيرها لانها تفيد الانسان فى الحرب .

وكان عمر يأمر الناس بأن يعودوا أولادهم القفز من الأرض الى ظهور الخيل ، ويعرضوهم للشمس ، ويسمى الشمس حمامات العرب . وفى أمر التربية الجسمية بوجه الاسلام اهتماما كبيرا نحو النظام الغذائى ، ويوصى بالبساطة فى المأكل ، تخفيف الوجبة ، وعدم ادخال الطعام على الطعام . ودستور ذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه : أن لايملا الانسان معدته بالطعام ، بل أن يجعل ثلثها فقط للطعام ، وثلثها للشراب وثلثها للهواء .

ثانيا : فى الناحية العقلية

التعاليم الاسلامية تقضى بأن تبدأ التربية العقلية للطفل منذ أن يبدأ وعيه وتأثره بالتلقى والتلقين .

وقد أقرت الأحكام الفقهية الاسلامية للأم المطلقة غير المسلمة اذا

كان زوجها مسلماً حق حضانة طفلها مالم يبدأ وعيه للأديان وتعقله لها على سبيل التقليد . فمتى أصبح يعقل ذلك ويقلد فيه ينقطع حق أمه غير المسلمة في حضانته خوفاً على عقيدته ، وعندئذ يحضنه غير أمه ممن لهن حق الحضانة في وسط إسلامي ، ويبدأ تكوين عقيدته الإسلامية قبل كل شيء .

وكذلك يبدأ تكوين فكره العلمي تبعاً لنمو قابلياته وبحسب مراحل هذا النمو الطبيعية ، والطريقة الإسلامية أن ينزل المربون إلى مستوى عقلية الطفل في التلقين .

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطأطنى ظهره ليركب عليه سبطاه الحسن والحسين رضي الله عنهما في طفولتهما ، ويقول لهما : «نعم الجمل جملكما ، ونعم الحملان أتما » .

وكان عند بعض أطفال الصحابة نعر ( عصفور ) ففقد ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يداعبه ويسأله « يا أبا عمير ، ما فعل النغير » ؟ وهكذا تدل جميع الآثار على التنزل إلى مستوى الطفل في تربيته . ويمنع الإسلام اطلاع الأحداث على الأديان الأخرى وعقائدها ، كي لا ينطبع شعورهم الديني بها وهو ساذج . فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تعليم أبنكار الأولاد كتب الديانات المخالفة . وفسروا الابتكار بالأحداث .

وقد افترض الإسلام طلب العلم على كل مسلم مدى حياته فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » . وقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . ويدخل في لفظ المسلم في هذا المقام الرجل والمرأة ، فالقدر الضروري من العلم فيه أمور الدين والدنيا فريضة شخصية عينية على كل مسلم ومسلمة .

وما زاد عن ذلك مما تتعلق به مصلحة المجتمع فريضة كفائية بحسب الحاجة العامة . ويدخل فى ذلك كل ما يحتاج اليه المجتمع من العلوم ، من صناعية وطبية وزراعية وعسكرية وطبية . الخ .....

والطريقة المثلى للتنشئة العلمية فى نظر علماء الاسلام المستمدة من دلائل الكتاب والسنة فى التعليم انما هى فى تنوير فكر الناشئ واذكاء فهمه ومحاكمته العقلية أكثر من حشو ذهنه بالمسائل العلمية .

وقد صرح العلماء الفقهاء بأن العلم الحقيقى هو ملكة الفهم الصحيح ، لاكثره الاطلاع على المسائل . وبهذه المناسبة أذكر كلمة لبعض الفلاسفة الفرنسيين تتفق تماما مع هذا النظر الاسلامى فى التعليم والتثقيف اذ يقول ذلك الفيلسوف ما ترجمته : " ان ذهن الطالب قبس يجب اذكاؤه ، لا وعاء يجب املاؤه " .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم عند ما يرسل من صحابته معلمين وحكاما الى الاقطار ، كعلى ومعاذ بن جبل (رضى الله عنهما ) انما يبين لهم طريقة الحكم الصحيح الموافق لأصول الشريعة ، ثم يكلهم الى اجتهادهم فى تعرف أحكام الحوادث من نصوص الشريعة .

والعلم فى نظر الاسلام وسيلة الى العمل ، فخير العلوم ماكان أمس بالحاجة . وقد بدأ النبى صلى الله عليه وسلم أول مدرسة فى الاسلام بأن جعل فداء أسرى بدر من المشركين العالمين بالقراءة والكتابة أن يعلم كل أسير منهم عشرة من المسلمين . وبذلك انتشرت القراءة والكتابة بينهم . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يخشى أن يصبح المسلمون علماء غير عاملين بعلمهم ، فأفهمهم بطريقة عملية أن العلم وسيلة للعمل ، وحذرهم من المسؤولية الدينية الرهيبة التى يتعرض لها من لايعمل بمقتضى علمه .  
والطريقة التى وجههم بها هذا التوجيه هى ما روى عن ابن مسعود ( رضى

الله عنه ) وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم عشر آيات من القرآن ثم لا يتجاوز بهم الى غيرها حتى يعملوا بكل ما تضمنته من أحكام، قالوا : فتعلمنا القرآن والعمل جميعا ( انظر مقدمة تفسير ابن كثير ) .

### ثالثا : فى الناحية الروحية

يعتمد الاسلام فى التربية الروحية على أمور :

(١) التوجية الى ممارسة العبادة المشروعة وادبها بخشوع فى مناجاة الله تعالى فيها ، واخلاص فى أدائها بجميع صورها .

ويعتبر هذه العبادات اذا أدت على وجهها الاكمل وبخشوع صحيح خير أمر وناء من نفس الانسان لنفسه ، اذ يقول القرآن العظيم : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

وطريقة الاسلام فى هذه التربية على العبادة أن يؤمر الطفل بالصلاة منذ تمام السنة السابعة من عمره . ويجوز أن يضرب عليها بعد أن يتم العاشرة من العمر اذا قصر فيها ، على أن لا يضرب بعصا ونحوها بل باليد فقط . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

(٢) الوعظ والارشاد ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبخاصة تنمية فكرة المسؤولية الأخروية ترغيبا وترهيبا .

### التوجية الاختصاصى فى التربية العلمية

ان تعاليم الاسلام تقضى باعتبار ناحية التوجيه الاختصاصى فى التربية مسألة فى غاية الاهمية والخطورة ، واعطائها مايتناسب مع أهميتها من عناية كبيرة .

ويقوم ذلك فى نظر علماء الاسلام على وجوب دراسة ميول الأطفال وقابلياتهم منذ نشأتهم الاولى ، ثم توجيه كل منهم الجهة التى يدل ميله

واستعداده على امكان نبوغه فيها .

وأساس ذلك شرعا هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينتقى لكل عمل من هو أصلح له وأقدر عليه : فيصعد بالأذان الى بلال رضى الله عنه ويصرح بانه اختاره على غيره لأنه أندى صوتا . ويعتد بالقضاء الى من هو أقدر وأحسن فيه فهما وعلما ، وبقيادة الجيش الى من هو أحزم وأخبر بالحرب وأشجع وبالعناية الى من هو أبرز من غيره أمانة وورعا ، وهكذا فى سائر شعب الاعمال .

فقد أخرج الامام مسلم فى صحيحه عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ، ألا تستعملنى ؟ ( أى تولينى امانة ) ، فضرب بيده على منكبى ثم قال : يا أباذر ، انك ضعيف وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا من أخذها بحقها ( أى كان كفؤا لها جديرا بها ) وأدى السدى عليه فيها .. - ( رياض الصالحين للنووى بتحقيق وتعليق الدكتور صبحى الصالح الحديث - ٦٧٣ ) .

وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، كما سبقت الاشارة اليه من قبل : " انتم أعلم بأمور دنياكم " . فوجه القول بذلك الى النشاط والتجارب والبناء على الاصول والقواعد التى يشتمل عليها صلاحها فى هذه الحياة ، والى اعتماد أهل الخبرة فى كل شأن . ومما لا شك فيه أنه لا يمكن أن يتوافر فى كل زمن لكل عمل ومهمة من يتقن ذلك ويحسنه الا بتنمية الملكات والمواهب الاختصاصية بحسب الاستعداد الفردى فى كل شخص ، ليستفاد من قابلياته الكامنة التى اذا هيم لها طريقها الملائم قطعت فيه أعظم شوط ممكن ، واذا سارت على خير بهيرة فى غير طريقها الملائم تعدت بصاحبها عجزا فى أول الطريق . فقد يصلح للعلم والنبوغ فيه من لا يصلح للحرب ، وقد يميل للصناعة



فيجيدها ويبتكر فيها من لاجلد له على الزراعة أو التجارة أو العلم والحفظ ، كما أنه قد يجيد الخطابة من لايحسن نظم الشعر . فكل واحد اذا وجه الى نحو ميله وقابليته نبغ واذا مشى فى غيره عجز وضاعت مواهبه . ففسر نفسه وخسره المجتمع .

ومن ثم يعد علماء الاسلام من فروض الكفاية فى الأمة تلك الدراسة لميول الناشئين وقابلياتهم وما يبنى عليها من توجيه كل شخص توجيهها اخصائيا الى ما تساعد عليه قابليته وميله ، وذلك فى معاهد ومدارس تنشأ خصيصا لهذا الغرض لكى يوجد دائما فى الأمة لكل مصلحة من مصالحها العلمية والحيوية من يستطيع القيام بأدائها على أكمل وجه .

ومعنى فرض الكفاية هو المصالح والوسائل العامة التى تتعلق بها حاجة المجتمع الضرورية فيفترض على مجموع المقتدرين من الأمة أن يسعوا ويبدلوا فى تحقيقها ، وذلك كقيادة الجيوش وانشاء الجامعات لمختلف الدراسات الاختصاصية اللازمة ، ومعاهد التقنية المتطورة (التكنولوجيا ) ، والمستشفيات والمستوصفات وملاجئ العاجزين ، واقامة الجوامع والمعابد ، ورياض الاطفال ودور التدريب وتعليم الحرف ، وصناعة الاسلحة المختلفة والمتطورة . فاذا قام بها البعض من حكومة أو فرد أو افراد سقط الوجوب عن الكل لان المقصود حصول الامر الواجب بقطع النظر عن من يقوم به ، واذا لم يقم بها أحد كان الجميع آثمين لتقصيرهم .

وفرض الكفاية هذا يقابله شرعا الفرض العينى ، وهو مايجب على كل شخص بعينه أن يفعله ولا يغنى فيه فعل غيره عن فعله ، كالصلاة والصيام ونحوهما فلا يقبل أن يصلى أو يصوم أحد عن غيره .

فطلب العلم مثلا واجب عينى ، ولكن تعليم الناس واجب كفائى لان تحصيل الانسان للمقدر الضرورى من العلم هو فريضة شخصية لقول النبى

صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » فلا يشفع علم العالم لجهل الجاهل ولا يغنى عنه .

أما تعليم الناس ما يحتاجون اليه فهو حاجة عامة من مصالح المجتمع فاذا قامت فئة من الناس بواجب التعليم الكافى ، وهيات وسائله ، حصل المقصود وسقط الوجوب .

وعلى هذا الأساس فان دراسة ميول الناشئين وقابلياتهم الفطرية ، وتوجيه كل منهم توجيهها أخصائيا الى الجهة التى يصلح لها يعتبر فى نظر علماء الاسلام من الواجبات الكفائية .

وقد أفاض الامام الشاطبى أبو اسحق ابراهيم بن موسى المالكى ، المتوفى سنة ٧٩٠ للهجرة فى بيان ذلك فى كتابه « الموافقات فى أصول الشريعة » . وأتى فى ذلك بأفضل وأروع ما يمكن أن يصل اليه الفكر العلمى الحديث فى هذا العصر ، وسأنقل هنا نص ما قاله هذا الامام الكبير فى هذا المقام لمافيه من جوهر هام فى التربية الاختصاصية الاسلامية .

قال رحمه الله فى المسألة ١١ من الجزء الاول من كتابه « الموافقات »  
 « ان الله عزوجل خلق الخلق غير عالمين بوجوه مصالحهم ، لافى الدنيا ولا فى الآخرة ، ألا ترى الى قوله تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا » .

« ثم وضع فيهم العلم بذلك على التدريج والتربية ، تارة بالالهام كما يلهم الطفل التقام التدى ومعه ، وتارة بالتعليم . فطالب الناس بالتعليم والتعلم لجميع ما تستجلب به المصالح ، وكافة ما تدرأ به المفاسد ، انهاضا لما جبل فيهم من تلك الغرائز الفطرية والمطالب الالهامية لان ذلك كالاصل للقيام بتفاصيل المصالح ، سواء أكان ذلك من قبيل الافعال أو الأقوال ، أو العلوم ، أو الاعتقادات ، أو الآداب الشرعية ، أو العادية .

وفى أثناء العناية بذلك يقوى فى كل واحد من الخلق ما فطر عليه ، وما ألهم له من تفاصيل الأحوال والأعمال ، فيظهر فيه ويبرز على أقرانه ممن لم يهبأ تلك التهيئة . فلا يأتى زمان التعقل الا وقد نجم على ظاهره ما فطر عليه فى أوليته . فترى واحدا قد تمهياً لطلب العلم ، وآخر لطلب الرئاسة ، وآخر للتصنع يبعث المهن المحتاج اليها ، وآخر للصراع والتطاح .... الى سائر الامور .

«هذا ، وان كان كل واحد قد غرز فيه التصرف الكلى ، فلا بد فى غالب العادة من غلبة البعض عليه فيرد التكليف عليه معلما مؤدبا فى حالته التى هو عليها . فعند ذلك ينتهض الطلب على كل مكلف فى نفسه من تلك المطلوبات بما هو ناهض فيه ، ويتعين على الناظرين فيهم الالتفات الى تلك الجهات منهم ، فيراعونهم بحسبها ، ويراعونها الى أن تخرج فى أيديهم على الصراط المستقيم ، ويعينونهم على القيام بها ، ويحرضونهم على الدوام فيها ، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال اليه من تلك الخطط . ثم يخلى بينهم وبين أهلها ، فيعاملونهم بما يليق بهم ، ليكونوا من أهلها اذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية والمدركات الضرورية .»

«فاذا فرض مثلا أن واحدا من الصبيان ظهر عليه حسن ادراك ، وجودة فهم ، ووفرة حفظ لما يسمع وان كان مشاركا فى غير ذلك من الأوصاف . ميل به نحو ذلك القصد .»

«وهذا واجب على الناظر فيه ، من حيث الجملة مراعاة لما يرجى فيه من القيام بمصلحة التعليم وأدب بالآداب المشتركة بين جميع العلوم ، ولا بد أن يمال منها الى بعض ، فيؤخذ به ويعان عليه ولكن على الترتيب الذى نص عليه ربانيو العلماء .»

«فاذا دخل فى بعض العلوم فمال به طبعه اليه على الخصوص ، وأحبه أكثر من غيره ترك وما أحب ، وخص بأهله فوجب عليهم انهاضه فيه حتى يأخذ منه ما قدر له من غير اهمال له ولا ترك لمراعاته . »

«ثم ان وقف هناك فحسن ، وان طلب الاخذ فى غيره ، أو طلب به فعل معه فيه ما فعل فيما قبله . وهكذا الى أن ينتهى . »

«وذلك كما لوبدأ بعلم العربية مثلاً - فانه الأحق بالتقديم - فانه يصرف الى معلميها فصار من رعيتههم وصارواهم رعاة له . فوجب عليهم حفظه فيما طلب بحسب مايليق به وبهم فان انتهض عزمه بعد الى أن صار يحقق القرآن صار من رعية الحفاظ وصارواهم رعاة له كذلك . »

«ومثله ان طلب الحديث أو التفقه فى الدين الى سائر مايتعلق بالشرعية من العلم . وهكذا الترتيب فيمن ظهر عليه وصف الاقدام والشجاعة وتدبير الامور ، فيمال به نحو ذلك . ويعلم آدابه المشتركة ، ثم يصار به الى ما هو الاولى من صنائع التدبير ، كالعرفاة أو النقابة أو الجندية أو الهداية أو الامامة أو غير ذلك مما يليق به ، وما ظهر له فيه نجابة ونهوض .»

«وبذلك يتربى لكل فعل ، ما هو فرض كفاية ، قوم ، لأنه سير أولاً فى طريق مشترك . فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف فى مرتبة محتاج اليها فى الجملة . وان كان به قوة زاد فى السير الى أن يصل الى أقصى الغايات فى المفروضات الكفائية ، وهى التى يندرج من يصل اليها ، كالاجتهاد فى الشريعة والامارة . فبذلك تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الاخرة . »

«فأنت ترى أن الترقى فى طلب الكفاية ليس على ترتيب واحد ، ولا هو على الكافة باطلاق ، ولا على البعض باطلاق ، ولا هو مطلوب من حيث

المقاصد دون الوسائل ، ولا بالعكس . بل لا يصح فى أهل الاسلام بمثل هذا التوزيع . والا لم ينضبط القول فى ذلك بوجه من الوجوه ، والله أعلم وأحكم . . انتهى كلام الشاطبى .

### الفرق بين تربية الاحداث والبالغين

قبل كل شئ فى تربية الناشئين يجب أن يلحظ أن تربية الناشئ يجب أن تهدف الى اعداده جسميا وعقليا وخبرة فى أمور الحياة التى هو قادم على خوض غمارها . وهذا ما يوجب ، الى جانب تغذية عقله بالعلم وأهم أنواع المعرفة تدريبيه وتعويده على ممارسة الاعمال ذات المسؤولية وتحمل مسؤولياتها .

ومن ثم كان من المقرر فقها أن لولى الصغير المميز أو وصيه ، بل ينبغى له ، أن يأذن له بالتصرف فى السوق التجارية اذا كان من أهلها ، ويعلن لاهل السوق ذلك وفى هذه الحال يرتفع الحجر الطبيعى عن الصغير ، فيصبح ذا أهلية كاملة فى حدود ما أذن له فيه بالتصرف ، فينفذ عليه تصرف كما لو صدر منه وهو كبير راشد .

فاذا وجد الولى منه نجاحا وسدادا يوسع له فى نطاق الاذن والترخيص ، حتى اذا كبر وبلغ سن الرشد وواجه الحياة باستقلال ومسؤولية يواجهها بخبرة ودربة ، والا فانه يكبر سنا ويبقى فى كفايته صغيرا مغفلا .

وأصل ذلك قوله تعالى فى سورة النساء : «وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم» . والا بتلاء هو الاختبار . وطريق الاختبار هنا هو الاذن له بالتصرف فى نطاق محدود ، فيكون اختبارا وتدريبيا فى وقت واحد . والهدف هو تأهيله للاستقلال وحمل المسؤوليات فى سداد ورشاد .

فاذا أردنا الآن ابراز الفوارق بين تربية الأحداث والبالغين فى

الأساليب الإسلامية وجدناها تتجلى فى أمرين اثنين :  
 الأول : أن الاحداث لم تشرع فى حقهم العقوبة النظامية لاجل  
 تربيتهم اذا خالفوا الاوامر الا مايتصل بالسلطة الابوية فى التأديب  
 بالضرب اليسير باليد لايضا .

اما الكبار فقد شرع فى حقهم العقاب تأييدا لامتنال الاوامر فى  
 الشؤون الدينية والاخلاقية . ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله :  
 « ان الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن » .

الثانى : أن طريقة تربية الاحداث هى فى النزول الى مستوى  
 عقليتهم وفهمهم كما تقدم بيانه . أما الكبار فبمخاطبة عقولهم نظريا ،  
 وبقيادتهم عمليا فيما يراد تربيتهم عليه . فقد كان النبى صلى الله عليه  
 وسلم يأمر الصحابة بالأمر ويبدؤهم بتطبيقه حتى يجدوا فيه القدوة .

فكان فى حفر الخندق يحمل التراب على ظهره الشريف معهم  
 ليعلمهم عدم امتياز بعضهم على بعض ، ولينتزع فكرة الطبقة المسيطرة  
 فى الجاهلية . وكان أحيانا يأمرهم بالاخف ممارصى فيه الشرع وهم  
 يريدون الأشد ، أو يأمرهم بما يخالف عاداتهم الاجتماعية التى جاء دين  
 الاسلام بهدمها فيصعب عليهم الامتنال حتى يياشر بنفسه ما أمرهم به  
 فينقادون ويألفون ، كما حصل عندما أمر النبى صلى الله عليه وسلم  
 الصحابة بالافطار فى رمضان وهم مسافرون للجهاد فى غزوة الفتح خوفا  
 أن تضعف أجسامهم من الصيام عند لقاء العدو ، وقد شرع الله الافطار فى  
 السفر ، فصعب عليهم الامتنال ، حتى أشارت عائشة رضى الله عنها على  
 النبى صلى الله عليه وسلم أن يفطر هو أمامهم ففعل فتابعوه فى الافطار .

وكذلك فى حادثة زواج النبى صلى الله عليه وسلم بابنة عمته زينب  
 التى كانت زوج متبناه زيد بن حارثة . وقد كانت العرب تعتبر المتبنى كالابن

الحقيقى ، وزوجته تعتبر كثة لايجوز لأبيه تزوجها بعده ، فجاء الاسلام بابطال ذلك ، وقصر حكم التبنى على الكرامة المعنوية ، فجاء فى القرآن : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آبائهم فاخوانكم فى الدين » .

وقد كان يصعب على العرب امتثال هذا الحكم لما يلحظونه فيه من حرج بحسب التقاليد الاجتماعية الموروثة ، حتى تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب مطلقة متبناه زيد فزال بذلك كل حرج ، وألفه الناس .

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم طريقة فى تربية الرجال غير طريقة القدوة ، وهى أن يوجههم بالفعل الى الأفضل ثم يترك النتائج تملئ عليهم العظة . فقد روى ابن ماجه فى سننه فى ( باب بيع من يزيد ) أنه جاء رجل فقير يسأل النبى صلى الله عليه وسلم صدقة ، فرأى أنه قادر على العمل ، فسأله عليه السلام ما عندك فى بيتك قال : حلس نبسط بعضه ونلبس بعضه ، وقدح نشرب فيه الماء ، قال ائتنى بهما ، فنادى فى أصحابه من يشتري هذين : فقال رجل أنا اشتريهما بدرهم ، قال : من يزيد عليه ؟ فقال آخر : أنا اشتريهما بدرهمين يا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ، فباعهما منه ثم دفع الدرهمين الى صاحبهما وقال له : اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى أهلك واشتر بالآخر قدوما وائتنى به . ففعل ، وأتاه بالقدوم ، فشد النبى صلى الله عليه وسلم فيه عودا ( أى وضع له نصابا ) ثم أعطاه آياه وقال له اذهب فاحتطب ولا أرينك خمسة عشر يوما . فذهب الرجل يحتطب ويبيع ثم جاء بعد خمسة عشر يوما ومعه عشرة دراهم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عندئذ : « هذا خير لك من أن تأتى يوم القيامة والمسألة - أى سؤالك الصدقة - نكتة سوداء فى وجهك » .

### ملاحظات ختامية

(١) ان التربية العقلية والروحية للاحداث ليس لها فى الاسلام سن معينة كما سبقت الاشارة اليه ، وانما وقتها نسبى وهو الوقت الذى ينضج فيه وعى الطفل فى تلقى المعانى الدينية والتقليد فيها ، وهو يوافق السن التى يؤخذ فيها الاطفال فى هذا العصر لروضات الأطفال ، وهذا كما ذكرنا نسبى يختلف باختلاف بنية الطفل وقابلياته .

والدليل على ذلك ما تقدم بيانه من نص الفقهاء على عدم جواز ابقاء الطفل المسلم عند أمه المطلقة غير المسلمة لأجل حضانه عندما يبدأ بتعقل الأديان .

(٢) الاختلاط فى تعليم الاحداث تدل الدلائل الشرعية ونصوص الفقهاء على أنه يمكن أن يسمح به الى تمام سن السابعة من العمر .

(٣) التربية الاسلاميه : يجب أن تعد أفرادا صالحين للحياة فى الدنيا والاستعداد للآخرة ، وقد فهم ذلك مما تقدم ، وأن من الادلة عليه غير ما تقدم قوله تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ( القصص : ٣٨ ) وقوله أيضا « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » ( البقرة : ٢١ ) وفى عبارة الشاطبى السالفة البيان بلاغ كاف فى هذا الموضوع .

(٤) الظاهر من رأى الدين الاسلامى فى طبيعة الفطرة البشرية أنها صفحة بيضاء فى الابتداء ثم تتأثر بمؤثرات التربية والتوجيه والمحيط والمجتمع . ولكن العقل بعد ذلك كاف لان يكون حاكما مميزا منظما . ويدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم . « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .



# صراع هام بين الاسلام والقوى الاحادية فى شبه القارة اورنك زيب عالمكير - داراشكوه

محمود أحمد غازى

كان اليوم السابع من ذى الحجة ١٠٦٧ هـ الموافق للسادس من ديسمبر ١٦٥٧ م يوماً تاريخياً عظيماً فى تاريخ شبه القارة الاسلامى . وكان بداية لسلسلة حوادث جلى . ومنطلق أسد صراع و آخره بين الاسلام والقوى الاحادية الذى شهده العهد الاسلامى . فاجأ فى هذا التاريخ مرض الموت الامبراطور شاهجهان . وكان ابنه الأمير أورنك زيب فى دكن يواصل عملياته ضد المراهته والبغاة الشيعة الذين قاموا هناك ضد الامبراطورية المسلمة وأثاروا البلبال فى الشعب . وأما الابن الاكبر دارا سكوه فكان فى البلاط الملكى ، فكان أول من علم بمرض أبيه فبادر إلى اتخاذ خطوات وتدابير وقائية للاستيلاء على العرش بعد وفاة أبيه فوراً . فسد جميع الطرق التى كان يمكن بها وصول نبأ مرض الامبراطور إلى أخيه أورنك زيب والاخوة الآخرين . ثم استولى على سنون الدولة وبدأ يمارس سلطات الحكم بتوقيع مصطنع للامبراطور تمرنه بنفسه . (١)

ثم أصدر دارا سكوه عدة مراسيم امبراطورية باسم شاهجهان إلى الامراء والاخوان وخاصة إلى أورنك زيب يريد بذلك تضليلهم ومخادعتهم . وحصل لنفسه توقيعات من الامبراطور على اوراق مصطنعة

تمنحه مناصب لانظيرلها فى تاريخ الهند ، ونال جوائز غالية باسم الامبراطور .

ولكن قبل أن نتابع الاحداث يجدر بنا أن ندرس الموقفين اللذين تبلورا فى شخصية أورنك زيب زعيم الجبهة الاسلامية وشخصية دارا شكوه زعيم القوى الالحادية .

كان دارا شكوه أكبر الابناء الاربعة لشاهجهان من بطن زوجته ممتاز محل . . وكان واسع الاطلاع والمعرفة على الديانة الهندوكية وعلوم البراهمة . وكان شغوفا بدراسة الاديان المختلفة . وكان يتقن العربية والفارسية . وحصل على المعارف الهندوكية واللغة السنسكريتية فى بنارس فى المعابد الهندوكية على أيدى الاساتذة البرهمنين . وكان حب أبيه الامبراطور شاهجهان الذى كان يحبه حبا جما أفسد أخلاقه وعاداته . فكان يستكبر ويعجب بنفسه ويحتقر الصالحين وأهل التقوى ويصادق الفساق وأهل الهوى . كان من ألد أعداء الحركة المجددية يعادى كل من انتمى الى هذه الحركة . وكان دائما يحاول أن ينال من منزلة أخيه الصالح البار أورنك زيب الذى كان موضع حب واحترام واجلال وتشجيع لدى السادة المجددين (١) .

ويقول المؤرخ المغولى محمد كاظم فى كتابه عالمكيرنامه من نزعة داراشكوه الالحادية :

« ورسخ فى قلبه الالحاد والنظريات الاباحية التى كان يسميها التصوف . ولم يقتنع آخر الأمر بالجهر بالالحاد والاباحية بل تعدى الامر الى ماوراء ذلك ، فاولع ولما شديدا بدين الهنداكة وعاداتهم وطقوسهم . وبدأ يصاحب البراهمة وأصحاب فلسفة اليوغا والمتصوفين الهندود ويعتبرهم مرشدين كاملين وعارفين واصلين الى الحق . وكان يؤمن أن

الويدا كتاب سماوى وخطاب ربانى ومصحف أول من مصاحف الكتاب  
الكريم « (٣) .

وكان يشاع عنه ميله الى السير بخطى جده أكبر فى المحاولة لايجاد دين  
جديد يمزج فيه الاسلام والهندوكية بخاصة والاديان الأخرى بعامة . ولم  
تكن آراءه هذه تنحصر فى شخصه بل قام بحملة تاليفية علمية لنشر هذه  
الآراء الالحادية فى الشعب والاوساط الادبية . فنقل عدة كتب دينية  
هندوكية من السنسكريتية الى الفارسية - لغة الاوساط الادبية والثقافية  
الاسلامية فى شبه القارة . وكان بين الكتب التى ترجمها من  
السنسكريتية الى الفارسية كتاب او بانيشد ، أهم الكتب المقدسة  
الهندوكية . ويمكن تقدير مدى تأثير دارا شكوه بهذا الكتاب ومحتوياته  
أنه سمي ترجمته باسم : السر الاكبر . ويدعى دارا شكوه أنه أقدم كتاب  
سماوى فى تاريخ البشر ، ويقول أنه هو الكتاب الذى أشار اليه القرآن  
الكريم بقوله : انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون .  
فهو الكتاب المكنون وكنز التوحيد عند داراشكوه (١).

ونذكر فى مايلى مؤلفات دارا شكوه التى ألفها بنفسه أو هى الفت تحت  
اشرافه الخاص وتحتوى على آرائه وتبين نزعاته الفكرية والدينية .

#### ١- سفينة الاولياء.

وهو أول كتاب ألفه داراشكوه . وكان تأليفه فى بداية انتمائه الى  
الفكر الصوفى الوجودى . وكان عام تأليفه ١٠٤٩ هـ وهو اذ ذاك ابن  
خمس وعشرين سنة . ويحتوى الكتاب على ترجمة ١١ مؤلف من المتصوفين  
والأولياء . ويذكر المؤلف نفسه باسم : الفقير محمد داراشكوه الحنفى  
القادرى . وهذا الكتاب أحسن مؤلفات داراشكوه ديناً وفكراً ، فانه بدأه  
بالحمد لله رب العالمين ثم الصلاة والسلام على سيد الكائنات وفخر

الموجودات صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر خلفاءه الاربعة رضوان الله عليهم اجمعين وقال : إن حبهم وولائهم عبادة عن حب الله ورسوله وعدائهم عبارة عن العداء مع الله ورسوله .(٥)

٢- سكينه الاولياء .

وهو فى ذكر الشيخ ميان مير اللاهورى الذى كان مرشدا لملاشاه البدخشانى مرشد دارا . وكان تاليفه عام ١٠٥٢ هـ لما كان المؤلف ابن ٢٨ سنة . ويدعى المؤلف فى هذا الكتاب أنه يتلقى إلهاما من الله تعالى ويأتيه النداء الربانى بين حين وآخر . ويقول إنه سمع نداء من الله أنه تعالى سوف يرزقه شيئا لم يرزق مثله من الملوك أحداً . ثم عبر هذا النداء بنفسه وقال ان تعبيره ظهر لما تشرف ببيعة ملاشاه البدخشانى فى ٢٩ ذى الحجة من نفس السنة .(٦)

٣- حق نما (مرآة الحق ) :

وهى رسالة أبان فيها طريق الوصول الى الحق ومدارجه ، ويقول ان أهل الله والعارفين حينما يقرأون هذه الرسالة سوف يتحبرون ويعجبون بعلمى العميق ومعرفتى وبصيرتى النافذة ويتعجبون كيف فتحت أبواب المعرفة وانجلت الحقائق الروحانية على أمير مثلى بدون أن أقوم بأية عبادة أو أمارس رياضة روحية . وتحتوى هذه الرسالة على أربعة فصول . وذلك لانه سمع الهاتف الغيبى يقول له فى الرؤيا أربع مرات أن الله تعالى يعطيك مالم يعطه لاحد من السلاطين .

وكتبت هذه الرسالة فى سنة ١٠٥٦ هـ ويشتمل على كثير من العبارات والاساليب التى اعترض عليها العلماء ، وكانت معارضة لاحكام الشريعة الاسلامية .(٧)

#### ٤- حسنات العارفين :

ألفه فى ١٠٦٢ هـ وجمع فيه شطحات الصوفية والاحاديث الموضوعية لتأييد دعاويه الباطلة . وادعى أنه قد بلغ منزلة روحية لاحاجة فيها الى أداء العبادات . وكانت هذه الرسالة فى الحقيقة ردا على اعتراضات العلماء على رسالته السابقة : حق نما ( مرآة الحق ) وكان يحاول من جمع شطحات الصوفية أن يثبت أن الانسان اذا اكتمل روحيا وبلغ درجة الكمال فى التصوف صدرت منه كلمات وعبارات تبدو فى بادئ الامر كأنها تعارض الشريعة ولكنها فى الحقيقة تدل على كمال فائتها الروحى والباطنى . (٨)

#### ٥- مجمع البحرين :

ألفه عام ١٠٦٥ هـ وهو آخر كتاب ألفه داراشكوه بنفسه . وحاول فيه المؤلف أن يجمع بين الاسلام والهندوكية وادعى أن التصوف وفلسفة الويدانتا الهندوكية متحدا من حيث مبادئها وتعاليمهما وكونهما حقا . وكل من اختار احدهما واعتصم به بلغ الى الحق ووصل المراد . ولم يأت المؤلف فى هذا الكتاب بشئ جديد ، بل جمع فيه آراء الكتب الهندوكية المقدمة وافكار الفلاسفة الهندوكيين . وكان يخشى أن القراء المسلمين يشورون على هذا الكتاب ، فكتب فى مقدمته أن هذا الكتاب ليس للعامة الجاهلة من المسلمين والهنداكة ، بل للذين عندهم معرفة أسرار الكون ، والذين لا يرون أى فرق بين الاسلام والهندوكية ويرون أن الفرق الذى يوجد بين هاتين الديانتين هو لفظى وظاهرى فقط ، لا غير (٩).

#### ٦- منهاج السالكين :

هذا الكتاب ليس تأليف دارا شكوه ، بل قام بتأليفه بعض أصدقائه الهنداكة تحت أمره وإشرافه الخاص . وهو ترجمة كتاب صوفى

من السنسكريتية إلى اللغة الفارسية . وكان تأليفه عام ١٠٦٦ هـ واسم الكتاب فى السنسكريتية جوگ بشست .

#### ٧- ترجمة كتاب بهگوت گيتا إلى الفارسية :

وهو أيضا أحد الكتب المقدسة عند الهنادكة . وكلمة بهگوت گيتا معناها . الانشودة الالهية . ويحتوى الكتاب على الشعر الهندوكى الدينى ويتجه اتجاها وثيقا الى الفلسفة الوجودية والفكر الويدانتى .

ولنلق الان نظرة عابرة على حياة ذلك الرجل الفذ الذى قضى على هذه المؤامرة التى دبرتها القوى المعادية للاسلام وحакتها أيدى الهنادكة والصوفية الوجودية والذى تزعم الكتلة الاسلامية وقاد الحركة الاسلامية فى جو معادى وفى وجه أشد معارضة ممكنة . ولاشك أن الزمان قل أن وجود يمثل هذه الشخصية الكبيرة الفذة . ولو قلنا أن اردنك زيب أكبر مسلم و أعظم قائد اسلامى ظهر فى شبه القارة منذ بداية العهد الاسلامى حتى هذا اليوم لم يكذبنا أحد .

ولنعترف أن حياة هذه الشخصية الجبارة لجديرة بأن يخصص لها تأليف مستقل للناطقين بالضاد وأن تأليف سيرة له باللغة العربية لحق على الادباء المسلمين بالهند وباكستان وعلمائهما وباحثيهما الذين يكتبون باللغة العربية . ولاشك أنه من فرائض الكفاية على الأمة الاسلامية جمعاء وأمانة فى اعناق علماء الاسلام الذين هم مسئولون أمام الله وأمام التاريخ لأداء هذه المهمة .

ولد أورنك زيب فى قرية دوحده (التي تقع على ثغور ولايتى مالوه و گجرات ) فى الخامس عشر من ذى القعدة ١٠٩٧ هـ الموافق بالرباع والعشرين من أكتوبر ١٦٦٨ م فى ليلة بين يومى السبت والأحد . وكان جده و والده وجنودهما راجعين من أحمد نكر بعد أن انتصروا على ملك

عنبر قائد أحمد نكر الذى حاول أن يستقل من الحكومة المركزية . فجاء ميلاده متزامنا مع هذا الانتصار الكبير والفتح المبين ، فكان فألا صالحا ان دل على شئ فانما دل على حسن بخت هذا المولود السعيد وعظم قدره وجلالة شأنه .

وتتلمذ على كبار الاساتذة ، واستمرت تلمذته حتى بعد اعتقاله على العرش وتسلمه مقاليد الحكم فى أكبر امبراطورية فى زمانه . ونذكر فى مايلى جماعة من العلماء الذين قرأ عليهم هذا النابغة العبقري والذين يرجع اليهم الفضل فى تكوين شخصية اورنك زيب وتنقيفه .

١- مير محمد هاشم الكيلانى

٢- الشيخ محى الدين موهن البهارى

٣- الامير سعد الله خان رئيس الوزراء فى العهد الشاهجهانى وزميل الامام المجدد فى حلقة دروس الحديث فى كشمير

٤- الشيخ سيد محمد القنوجى ، وقرأ عليه اورنك زيب الادب العربى واللفة العربية والرياضيات

٥- الشيخ أحمد المعروف بملاجيون ، أحد كبار الفقهاء والمفسرين الذين ظهروا فى شبه القارة . وله عدة كتب فى اصول الفقه وأحكام القرآن يعتمد عليها العلماء والباحثون .

٦- دانشمند خان

كان من نتيجة تلمذه على أمثال هؤلاء الاساتذة أن أتقن أورنك زيب اللغات العبرية والفارسية والتركية والهندية والاردوية . وكان يجيد الفارسية الى حد أن مقالاته ومكاتيبه ورسائله فى الفارسية هى من أحسن ما ألف فى الفارسية فى شبه القارة ومن أجودها . وكان يحسن أنواع الخط العربى النسخ والنستعليق كما يظهر من نسخ المصحف

الكريم التى توجد حتى الآن والتى كتبها أورنگ زيب عالمكير بيده ليبيعها ويقتات منها لنفسه وهو يملك شبه القارة باكملة . وحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثلاث و أربعين . بدأ حفظ كتاب الله فى عام ١٠٧١ هـ ١٦٦١ م وانتهى من حفظه فى عام ١٠٧٢ هـ ١٦٦٢ م وهو يومئذ امبراطور أكبر امبراطورية اسلامية شهدتها شبه القارة .

ويبدو كأنه بدأ حفظ كتاب الله الكريم شكراً لله تعالى على ما أنعم عليه من نعم جليلة ويسر له الانتصار على الكتلة الالحادية المتحدة . وحفظه للقرآن الكريم فى أقل من سنتين يدل على أن ذاكرته كانت قوية جداً ، كما يدل على شغفه الكبير بكتاب الله ، فانه حفظه فى مدة كانت امبراطوريته تمر بأزمة شديدة ، وكان أورنگ زيب مشتغلاً فى توطيد أركان الحكومة وتنظيم البلاد تنظيمًا جديدًا بعد أن تدهورت الأوضاع وساءت الاحوال كنتيجة للحروب الطويلة الدامية التى استمرت عدة سنوات .

وجاء فى كتاب ( مآثر عالمكيرى ) عن مكانة اورنگ زيب العلمية والدينية ما يلى :

«وكانت له رحمه الله قدم راسخة فى جميع المراتب الدينية التى تقتضيها طبيعته السعيدة . وكان عاملاً بمذهب الامام الاعظم أبى حنيفة رضى الله عنه معتصماً بأسس الاسلام الخمسة . وكان دائماً على الوضوء ، رطباً لسانه بذكر الله وكلمة التوحيد والادعية المأثورة والاوراد المسنونة ، وكان يؤدى صلواته الواجبة فى أول أوقاتها فى الجامع أو غير الجامع مع جماعة من المسلمين . ثم يؤدى جميع السنن والنوافل والمستحبات بخشوع تام وخشوع كامل . وكان رحمه الله يصوم الايام البيض وكل يوم الاثنين ويوم الخميس ويوم الجمعة . وكان يؤدى صلاة الجمعة بكافة مسلمين وعامة المؤمنين وكان من دأبه قيام الليل فى الليالى المباركة .



وكان من حمسه لطلب الحق أنه كان يجالس جماعة من العلماء وأهل الله في مقصوته في مسجد القصر ، ويدفع الزكاة الشرعية ... كل سنة الى المستحقين ... ويعتكف في المسجد في الايام العشرة الاخيرة من شهر رمضان « (١٠) .

ولما دبرت القوى الهندوكية مؤامرتها لاعلاء داراشكوه على عرش الامبراطورية وبدأ الاشتباك بينها وبين القوى الاسلامية تحت زعامة اورنگ زيب الامير المجاهد العالم المتدين كانت عواطف الخواجه محمد سعيد (١١) كلها مع أورنگ زيب . فكان يؤيده بجميع وسائله ، ويأمر مريديه بتأييد أورنگ زيب . وخلال هذه المدة الخطيرة والوضع الحرج غادر الخواجه وطنه سرهند وتوجه تلقاء العاصمة يريد الذهاب الى مكة المكرمة لينشرف بزيارة بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج ، واجتمع في دلهي مع اورنگ زيب وبشره بالنجاح في المعركة التي كان يقودها ضد القوى الطاغية ونصحه بتطبيق شريعة الاسلام واحياء المجتمع الاسلامي في جميع بواحيه . ولما رجع من بيت الله كان ذلك في عهد أورنگ زيب الذي قد اعتلى العرش بعد أن قضى على جميع المؤامرات (١٢) . وادى تأييد الخواجه محمد سعيد وزملائه في الحركة المجددية لأورنگ زيب الى مساعدة جميع العلماء والطبقات الاسلامية المختلفة . فشكل جبهة متحدة لتأييد اورنگ زيب ونصره الذي أدى الى التفات الجماهير حوله .

فالخطوة الأولى التي اتخذها أورنگ زيب في سبيل القضاء على هذه المؤامرة الالحادية هي استعراض الوضع السياسي السائد في شبه القارة . فرأى أن جميع القوى السياسية والعسكرية التفت الى مختلف الامراء أبناء شاهجهان . فرأى أورنگ زيب أن يحيد بعض الأمراء ويتحد مع بعضهم بالوصول معه الى اتفاقية التعاون ضد داراشكوه ، وتجلت هذه

المحاولات فى الاتفاقية التى حصلت بين اورنگ زيب ومراد للتعاون الوثيق لصالح الاسلام والمسلمين فى شبه القارة . وهذا ملخص الاتفاقية .

«الهدف من هذه الاتفاقية هو اعلاء الدين المتين لسيد المرسلين عليه من الصلاة أتمها ومن التحيات أعمها ، والقضاء على الالحاد والزندقة لتخيب جهود رئيس الملاحدة واتباعه واحزابه ، ولتصون أرض الهند التى طهرها أجدادنا الكرام بالوسائل بمساعيهم الجميلة من أذناس الكفر والشرك ، لتصون هذه الأرض من فتن الافتراق والتحزب . ووفق للأخ العزيز ( محمد مراد ) أن يوافقنا ويعاوننا فى هذه المهمة المباركة وأقسم بالله اليمين أن يبقى رفيقنا وسهيما على تعاقب الأيام والليالى ويستقيم فى جادة الوفاق والوثام بعد استقرار شئون الدولة وتنظيمها واستئصال جذور ذلك العدو - عدو الدين والدولة - ووعده الأخ الكريم أن يصادق صديقنا ويعادى عدونا ، ولا يخطو خطوة إلا برضانا ، ويقتنع بما سوف نترك له من أقاليم البلاد ولا يطالب بأكثر من ذلك ، وأما نحن بدورنا فنؤكد لأخينا العزيز بأننا نتابع عنايتنا به واخلصنا له مادام قائما على عهده وميثاقه . ونولى أقاليم لاهور وكابل وكشمير وملتان وبهكر وتتهته حتى خليج عمان ، ولا يجد الأخ الكريم انشاء الله أية صعوبة فى هذا الامر وتمنح له فرصة الوصول إلى مركز ولايته فورا بعد استئصال ذلك الملحد ، ونشهد الله ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم على وعدنا هذا . وها نحن نكتب هذه الوثيقة لمزيد من الاطمينان . ونرجو من الأخ الكريم أن يلتزم بعهده وفق قول الله تعالى : وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مستولا ، وأن لا يميل إلى أهل الاغراض والشهوات الذين كثروا فى هذه الايام . وفقنا الله تعالى واياكم لما يحب ويرضاه . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » (١٣) .

كانت هذه الاتفاقية من أهم المنجزات الدبلوماسية التي استطاع أورنگ زيب الفوز بها في بداية الحركة . وجاء هذا التحالف كخطوة مباركة كسبت وسائل أمير كبير يتمتع بنفوذ كبير وقوة يعتد بها وامكانياته لصالح الاسلام والمسلمين . ولو لم تكن حصلت هذه الاتفاقية لكان من الصعب جدا للقوى الاسلامية وعلى رأسها أورنگ زيب أن تصارع وحدها منذ البداية قوتين مختلفتين وعلى جبهتين مختلفتين . وأما بعد الاتفاقية فظهر الامكان بأن يكون هناك عدو واحد للمواجهة وجبهة واحدة للقتال .

كان الامير مراد فائما بعهدده يتعاون مع أخيه أورنگ زيب ويعمل تحت قيادته وفق الاتفاقية اذ جاءته رسالة من شاهجهان التي كتبها تحت ضغط وتأثير من دارا شكوه ، وكانت الرسالة تحث مرادا على قتل أورنگ زيب وأنجالة بعد أن يدعوهم للضيافة . ونورد فيمايلي نص هذه الرسالة كما يرويها أورنگ زيب نفسه .

كتاب شاهجهان إلى محمد مراد

« عهدنا ملك الهند بأسرها بطيب الخاطر وطوع النفس اليك يا ابننا السعيد ، فالواجب عليك أن تقدم في هذه القضية بكل حذر وتحمل ، ولا تركزن بهذا السر إلى أحد ، فربما كان أو بعيدا . وعليك أن تدعو أخاك ( أورنگ زيب ) وابناء أخيك بعد عدة أيام إلى منزلك بحيلة الضيافة ، ثم تقضى عليهم وتزين الخطب باسمك ولقبك ملكا على السلاط ، فأننى عاهدت هذا الامر الخطير اليك يا بنى الحبيب . وأرجو أن تقوم بهذه المسئولية الكبرى بيقظة كاملة . والسلام (١١) »

ويمكن أن تكون هذه الرسالة مصطنعة لم يعرفها ولم يعلم بها شاهجهان ، وأرسلها دارا شكوه خفية . ولكن كان من سوء حظ الامير مراد

أن تأثر بهذه الرسالة وبدأ يدبر ضد أخيه وقائده أورنگ زيب ويكيد الكيود للاستيلاء على العرش ، وأغسراه أصحابه وأعوانه ، وأضلوه عن سواء السبيل . فبدأ يجند الجنود ويجمع الأموال والثروات لينهض ضد أخيه أورنگ زيب .

ولكن أورنگ زيب لم يحتفل بأمره ، وذهب إلى دهلې يتعقب دارا تاركا مرادا وجنوده في آگره . ولما بعد أورنگ زيب عن مدينة آگره متوجها إلى دهلې أعلن مراد اعتلاءه على العرش امبراطورا على الهند . ومنح كثيرا من جماعته ألقابا فخرية بمناسبة اعتلائه عرش الامبراطورية . ولكن قبل أن يفوز في موامرته لقتل أورنگ زيب بدعوته إلى الضيافة نجح أورنگ زيب في اعتقال مراد وإحلاله في قلعة گواليار مع جميع التشريفات الاميرية . وأحل معه جميع أبنائه وأهله حتى أنه أذن لحبيبته الهندوكية سرستی بائی أن تسكن معه في القلعة . وقرر أورنگ زيب لكل منهم راتبا خاصا . وطمئن مرادا ومن معه أن هذه الاجراءات انما هي مؤقتة وانما اضطر اليها أورنگ زيب نظرا إلى حاجة البلاد والضوضاء والفوضى واختلال بالامن (١٥)

ولكن يبدو أن مرادا لم يقتنع بما حاول أن يقنعه به أخوه أورنگ زيب، ولم يتخل عن إرادته للقضاء على أورنگ زيب والاستيلاء على الحكم . فبدأ يكيد للفرار عن القلعة . فقام لذلك الفرض بمحاولات عديدة . ورشى بعض موظفي القلعة ومنهم والد المؤرخ الشهير خافي خان الذي كان يشتغل في القلعة آنذاك . ولما تم اعداد البرنامج للفرار من القلعة وآن أوان الخروج ذهب مراد إلى حبيبته سرستی بائی ليودعها ، فبكت بكاء شديدا وبدأت تحن وتن لفراق حبيبها . فنبه صوتها الحارسين الذين كانوا غافلين عن هذه المؤامرة ، فخبىوا آمال الامير المعتقل ،

وشكوا أمره الى أورنگ زيب . ولكن أورنگ زيب لم يحفل بهذه الشكاوى ولم يخط خطوة ضد أخيه الامير مراد وتركه وشأنه فى القلعة فلبث فى السجن بصنع سنين .

ولما انتصر أورنگ زيب على جميع معارضيه ، وانهزمت القوى المعادية للاسلام ونودى بأورنگ زيب امبراطورا على الهند بدون أى منافس حدثت حادثة ذهبت بحياة الامير مراد . وكان أن رفع أحد أبناء على نقى خان أحد النبلاء المغوليين أمر قصاص والده الى المحكمة ، وكان الأمير مراد قتله فى زمن والده شاهجهان . وأصر المدعى ( ابن المقتول ) على متابعة هذه المرافعة ، وأبى الا أن يقبل القصاص . فعزن لذلك أورنگ زيب حزنا شديدا ، وحاول بنفسه أن يقنع المدعى بقبول الدية ولكنه رفض أن يقبل طلب الامبراطور وأصر على القصاص فلم يكن للمحكمة بدم أن تحكم بالقصاص وتأمر بقتل الأمير مراد . فأعدم فى ٢١ ربيع الثانى ١٠٧٢ هـ . فاغتم الامبراطور أورنگ زيب لموت أخيه غما شديدا . ولم يكلم المدعى مدة طويلة لفرط حزنه وشدة غمه (١٦) .

ولما فشلت مؤامرات شاهجهان لاغتيال أورنگ زيب وفردارا الى بنجاب بعد أن رأى هزيمة قاصمة فى دلهى حاولت القوى الهندوكية مرة أخرى للمضاء على أورنگ زيب بأية وسيلة ممكنة . فضغطت على شاهجهان وحصلت منه على كتاب إلى مهابت خان حاكم بنجاب يلتمس منه أن يساعد دارا شكوه ضد أورنگ زيب بجميع ماله من الاموال والجنود والوسائل ، جاء فى هذا الخطاب ايضا : كيف يحب مهابت خان أن يرى رجلا أدان العالم لنفسه بتزويره وخداعه يظفر بعرش الامبراطورية . (١٧) .

ولا ندرى هل وصلت هذه الرسالة الى مهابت خان أم لا . وان كل ما نعلمه هو أن مهابت خان لم يأخذ خطوة لتأييد دارا شكوه وظل متحايدا

فى هذه المسئلة . فبعد أن يش شاهجهان من مهابت خان كتب الى ابنه  
 الاخر محمد مراد رسالته التى أشرنا اليها قبل ذلك  
 وأما الاخ الثالث والمنافس الامكانى لأورنگ زيب وهو شجاع ،  
 فعينه أورنگ زيب وفق طلبه وأمله حاكما على ولايتى بنغال وبهار .  
 ولكن لما حصل بين أورنگ زيب ودارا اصطدام تلقى شجاع رسالة  
 من شاهجهان التى كتبها باللغة الهندية يحثه فيها على القيام بثورة ضد  
 أورنگ زيب . ويدو أنه كتب هذه الرسالة بعد أن فشلت محاولته لاستغلال  
 الامير مراد وقواته ضد أورنگ زيب . ولكن من حسن حظ المسلمين فى  
 شبه القارة ومن حسن حظ الاسلام وكذلك من حسن حظ أورنگ زيب  
 نفسه أنه ظل خبيرا بجميع هذه المكائد التى كان يكيدھا الملك المخلوع  
 الذى أصبح من أكبر أعداء أورنگ زيب لمجرد أنه خيب آمال أبيه حول  
 تخليفه ابنه الاكبر .

انتھز الأمير شجاع هذه الفرصة وتقدم بجنوده نحو أكبر آباد ودهلى  
 يريد الدخول فى حاضرة البلاد والاستيلاء على العرش الامبراطورى .  
 ولكن أورنگ زيب أهمل قدومه وتغافل عنه ، بل استمر فى معالجته لأكبر  
 أعدائه وأقواهم وهو دارا شكوه وبعد أن فرغ من قضية دارا اضطر الى  
 معالجة شجاع أيضا . فشر الفريقان عن ساعديهما واستعدا للمقابلة .  
 فاجتمعا بقرية كهجوه فى السابع عشر من ربيع الثانى ١٠٦٩ هـ . وكان  
 شجاع قد دبر مؤامرة مع جسونت سنگھ أحد القواد الهندوكيين فى جيش  
 أورنگ زيب ، وأغواه أن يغدر بأورنگ زيب وينور عليه مفاجأة اذا رحت  
 رحى الحرب ويهجم عليه من جانب آخر . فلما كانت الليلة التى تبعها يوم  
 اشتياك الفريقين قام أورنگ زيب حسب عادته يصلى صلاة التهجد فى  
 خيمته . فبيّثا هو يناجى ربه ويعبده اذ سمع هريرا وصوتا فى جيشه .

فاستخبر من لديه من الحراس . فاخبروه أن جسونت سنگه غادر الجيش مع جنده الاربعة عشر ألفا ولحق بجيش شجاع . ولكن أورنگ زيب لم يحفل بأمره ولم يظهر منه أى خوف وحزن بل أشار بيده قائلا :  
 « طيب ! اذا ذهب فليذهب » وبعد أن فرغ من صلاته ودعائه طلب قائده العام مير جملة وقال له : « ان هذا منة من الله علينا وفضله أن هذا الغادر غادرنا قبل أو ان الحرب ، والله لو غدرنا أثناء القتال لصعبت علينا معالجته ...

ولما أصبح الفريقان وتوجها الى ساحة القتال حاول أورنگ زيب مرة أخرى أن يعقد صلحا مع شجاع ويقنعه بالانسحاب عن القتال ويقنع بالمنصب الذى عينه عليه أورنگ زيب قبل ذلك . ولكن شجاعا لم يتيسر له الصلح . فاضطر أورنگ زيب الى القتال وألقى بشجاع هزيمة قاصمة . وفر شجاع حتى لجأ الى بورما و آواه ملك من ملوكها . ولكن شجاعا لم يكن رجلا قانعا بالايواء ' فانه لو كان قانعا بمثل هذا لرضى بالحكم على ولايتى بهار وبنغال تحت أخيه أورنگ زيب . فلم يجلس مطمئنا مقتنعا وحاول الاستيلاء على ملك من آواه ، ولكنه خاب فى محاولته ، وقتل على أيدي ذلك الملك . وسعى أورنگ زيب أن يدعو أبناءه وعائلته الى الهند ، ولكنه لم يجدهم هنالك ، وبعد ذلك لم يوقف لهم أثر (١٨) .  
 كان شاهجهان تحت تأثير وضغط معارضى أورنگ زيب منذ البداية . فاستمر يعرقل طريقه وحاول مرارا ، بدون جدوى ، أن يحرم أورنگ زيب من الحكم ، حتى دبر مرة لاغتياله ، ولكن الله تعالى نجى أورنگ زيب من هذه المكائد التى كادتها عقول الهنادكة وجعلت شاهجهان آلة ووسيلة لتنفيذها . فان أورنگ زيب لما وصل الى آكره ، حاضرة البلاد آنذاك ، ودخل القلعة أبدى شاهجهان المعتقل أمل أن يزوره ابنه الفاتح . فكتب

الى أورنگ زیب رسالة طويلة بخطه ودعاه الى زيارته . ولكن الامراء والحكام العسكريين نصحوه أن لا يذهب لزيارة والده المعتقل ، لأنهم كانوا يتوقعون كل داهية ومصيبة ممكنة منه . ولكن أورنگ زیب توكل على الله ، وذهب الى الناحية التي كان فيها والده شاهجهان . ولكنه ما ان اقترب من غرفته ليدخلها ويزور والده اعتقل حكامه رجلا يحمل رسالة خطية من شاهجهان الى دارا شكوه ينصحه أن يقيم في شاهجهان آباد (دهلى) ويستغل ما فيها من الاموال الطائلة والثروات والجنود ويؤطد مكائته هنالك . وأما أورنگ زیب فنحن نقضى أمره هنا عندنا . (١٩)

فدهش أورنگ زیب بروية هذه الرسالة وأمر باجراء التحقيقات عن الرسالة فظهر أن شاهجهان كان يكيد لاغتيال أورنگ زیب ، وقد وزع السلاح على جميع النسوة الخاديات في القلعة لئلا يخطر في بال أحد خيال أى خطر منهن وأمرهن أن يهجمن على أورنگ زیب اذا أشار عليهن شاهجهان بذلك . وعلى الرغم من ذلك لم يأخذ أورنگ زیب خطوة ضد والده وتركه على حاله . (٢٠)

وكان من حسن حظ أورنگ زیب أن جميع المؤامرات ضده فشلت فشلا تاما ، أولا لأنه علم بجميع هذه الرسائل التي كتبها أبوه شاهجهان ضده الى أبنائه وأصدقائه ، وأخيرا فشلت المؤامرة للقضاء على حياته . فحينئذ اضطر أورنگ زیب الى القيام بأجراءات وقائية ، وألقى الحظر على أبيه في كتابة الرسائل واستقبال الزوار . فكتب الى أورنگ زیب يعاتبه في حظره ، ويحذره من عذاب الآخرة لعدم احترامه والده ، لعله كان يظن أن أورنگ زیب لم يعرف شيئا عن محاولته ومؤامراته ضد حياته . ولكن أورنگ زیب لم يأل جهدا في احترام والده وكتب اليه مع كل اجلال و توقير ما ملخصه :



« ان جلالتم قضيتم عمركم فى تجارب متنوعة ، ورأيتم من قلب الزمان مارأيتم . فكنت اعتقد أن تهملوا كل ماحدث خلال الايام الاخيرة وكأنه كان من القضاء المبرم أن يتولى هذا المتفادى مقاليد الامور . وكنت أتوقع أنكم لا تحاولون فى هزيمتى واعلاء أعدائى وترقيتهم . فعامل هذا المسكين مع جلالتم أحسن معاملة ممكنة ، وكان من ود هذا المسكين أن يشمر عن ساعد الجد لخدمتكم وطلب رضاكم بعد انتهاء هذه الضوضاء التى أحدثها أعداء الاسلام والمسلمين ، وأن لا يألو جهدا فى هذا ليفوز بالسعادة العظمى فى هذه الدنيا وفى الدار الآخرة . ولطالما كنت أسمع أن كل ما أشاهده وأواجهه من ثورات وقيام الناس ضدى كلها من تحريضكم ، وأن كل مايقوم به السادة الاخوة من غوغاء وحركات انقلابية انما هى من تشجيعكم . ولكنى أهملت دائما جميع هذه الانباء ولم تحدث فى خاطرى حتى وسوسة الانحراف عن احترامكم واجلالكم . ولكننى لما توالى الى الاخبار عن سخطكم على كما يظهر من خطابكم الذى وجهتم الى شجاع فى اللغة الهندية أيقنت أن جلالتم لا تحبون هذا الخادم المسكين ، ومع أن الامر قد بلغ الآن أشده لاتزال جلالتم تحاولون أن يصبح ولى الامر أحد غيرى ، وتضيق جهودى التى أقوم بها لتنفيذ الدين المتين واصلاح شئون الدولة . وأيقنت أيضا أن جلالتم لن تنتهوا عن أعمالكم هذه ولن تتخلعوا عن هذه الفكرة التى استولت عليكم بل تصرون على تليقها ، فنظروا الى هذه الاحوال اضطرت مع كل التأسف ولمجرد الحذر والوقاية الى أن لا أنفذ أمنيتى التى كنت أتمناها . والله على ما أقول شهيد . وما ان اطمئن خاطرى عن انتهاء هذه الفتن تنتهى هذه الاجراء ت الوقائية (١١) .

ولكن أعنف المعارك التى خاضها أوردنگ زيب خلال هذه الحروب

كانت مع اتحاد القوى المعادية للإسلام التي جعلت دارا شكوه قائدا وزعيما لها . وكان الامبراطور المتقاعد شاهجهان يؤيد هذه الطائفة ويدعمها بكل ماكان لديه من الوسائل والامكانيات . فاستطاع دارا شكوه أن يجمع جنودا طائلة تجاوز مائة ألف راكب الى جانب خمسة وعشرين ألف راجل . وأما أورنگ زيب فلم يكن معه الا حوالى ثلاثين ألف مقاتل بين راكب وراجل . ولكن لما اشتدت الحرب وحمل الوطيس لم يبق حوله الا ألف جندى . وكاد أن يهزم أورنگ زيب ويهزم معه الاسلام فى هذه المعركة القاصمة . ولكنه ثبت فى مكانه ثبوت الجبال الراسيات «موكأن أعصابه لم تكن من اللحم والدم بل كأنها كانت أسلاكاً من حديد أو فولاد » (٢٢)

حتى وقع بين الاخوين اصطدام شديد فى ٧ رمضان المبارك ١٠٦٨ هـ . ولكن داراشكوه اضطر الى الفرار من ساحة القتال قبل غروب الشمس تاركا الظفر والفتح لأورنگ زيب ذلك الصبور الصلب الثابت الذى قام فى وجه الجحافل قيام الجبال الراسيات . وذهب داراشكوه بأهله وبنيه وماله ونقديته الى دهلى . ثم انتقل الى گجرات وأخذ يتجول فى البلاد يحاول بدون جدوى أن يهزم أخاه ولكنه اعتقل فى شوال ١٠٦٩ هـ وحوكم عليه فى المحكمة بالارتداد والالحاد ، فعكمت المحكمة عليه بالاعدام فأعدم فى ٣٠ ذى الحجة ١٠٦٩ هـ .

وبعد أن نجح اورنگ زيب فى القضاء على القوات الهندوكية والالحادية ونودى به امبراطورا على الهند اعتقل والده الامبراطور المتقاعد شاهجهان كما مر . وكانت معاملته مع والده فى السجن معاملة الابن البار الصالح مع والده المسن المعجوز . ويعترف الدكتور برنير الفرنساوى والسائح المعروف الذى يشتهر بعدائه لأورنگ زيب بمعاملته

الحسنة مع أبيه . يقول الدكتور برنير :

«كانت معاملة أورنگ زيب مع شاهجهان لا تخلو عن اللطف والاحترام ، وكان لا يالو جهدا فى اكرام والده العجوز وتوقيره واستضافته وتسليته . وكثيرا ما كان يهدى اليه هدايا قيمة ويستشيريه فى شئون الدولة المهمة ويطلب نصيحته كأستاذ ومرشده الروحى . ويظهر من رسائله التى كان يكتبها الى شاهجهان احترامه واجلاله وطاعته لوالده . وكان من نتيجة هذا أن خمد غضب شاهجهان وانتهى عداءه لابنه وبدأ يكاتبه ويراسله فى شئون الدولة وكان أحيانا يدعو له الخير والصالح » (١٣٣)

انتصار الكتلة الاسلامية : اعتلاء أورنگ زيب واصلاحاته الاسلامية .

قدم بنا أن الحركة الالحادية التى بدأتها القوات المعادية للاسلام للقضاء على الكيان الاسلامى فى شبه القارة قد بلغت أوجها فى عهد الامبراطور جلال الدين محمد أكبر . وكان نظام حكمته نظاما جاهليا علمانيا . ومن المعلوم ان الامام المجدد بدأ حركته الاصلاحية فى مستهل العهد الجهانگیرى . وكان جهانگیر تولى الحكم بمساعدة جماعة اعتبار الاسلام التى كانت تحتوى على أصدقاء الامام المجدد وأعوان حركته . وعلى الرغم من أن جهانگیر لم يكن رجلا متدينا صالحا فى أعماله بل كان بعف موقفا بين موقف الاسلام وموقف الجاهلية والعلمانية فقد اضطر الى القيام بعدة اجراءات بالغة الامر من الناحية الاسلامية . واستطاعت الحركة الاسلامية بفضل جهود الزعماء المجددين أن تساعد الامير خرم لصالح المتدين فى الاعتلاء على العرش باسم شاهجهان وكان رجلا متحمسا للدين مؤيدا للحركة المجددية منذ شبابه . ولكنه كان تحت تأثير وضغط زوجته ممتاز محل أم ابنه الامير داراشكوه . ولكن بلغت النتيجة

السياسية للحركة المجددية أوجها في عهد الامبراطور أورنگ زيب عالمگیر الذى عده بعض العلماء سادس الخلفاء الراشدين بعد الخلفاء الاربعة وسيدنا عمر بن عبدالعزيز سياسة ونظاما ومنهاجا . ولاشك أن توليه الحكم لم يكن الاثمة ياتعة للجهود الطويلة والمساعى المتوالية التى بدأها الزعماء المجدديون قبل نصف قرن أو أكثر . ونذر بعض شيوخ الحركة المجددية ان ينفقوا فى سبيل الله كذا وكذا من الاموال اذا فاز أورنگ زيب فى الاعتلاء على العرش وخاب داراشكوه . ويروى أن السيخ عبدالخالق الحضورى قال لمرسده السيد محمد آدم البنورى أن يدعوا الله تعالى لنجاح أورنگ زيب ، فاذا قبل دعاءه ونجح أورنگ زيب فانه سوف يهدى اليه أرضا واسعة خصبة (١٤).

وما ان تولى أورنگ زيب مقاليد الحكم حتى أصدر مراسيم لعدة اجراءات مهمة . وجاءت هذه الاجراءات كبداية لاصلاح سامل لنظام الدولة وكيان المجتمع الاسلامى . ونذكر فى مايلى ، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، بعض الاصلاحات التى قام بها فور توليه الحكم . غير التقويم الشمسى ( الذى اختاره أكبر امتثالا وتعليدا لعبدة الشمس من الايرانيين ) واتخذ مكانه نظام التقويم الهجرى الاسلامى .

وألقى منصب ملك الشعراء الذى كان سائدا فى شبه الفارة وكثير من الحكومات الاسلامية الفارسية والاسيوية الوسطية . وألقى تقاليد المنح والعطاء للشعراء الذين كانوا يبالغون فى مدائح الملوك والاباطرة ، ويأتون فيها بالأفويل والأكاذيب .

كان جلال الدين أكبر وخلفاءه حتى حفيده الصالح المتدين الامبراطور ساهجها ن كلهم كانوا يحتفلون بنوروز كعيد وطنى تحت تأثير الكتلة الايرانية . فألغاه أورنگ زيب وأحل محله عيد الفطر الذى أمر فيه

أن يقام كمهرجان اسلامى وطنى . ومن الجدير بالذكر أن نوروز احتفال  
ايرانى مجوسى الأصل .

وألقى جميع التشريفات الامبراطورية والتقاليد الاميرية التى كانت  
تخالف أحكام الاسلام . منها عادة « النذرانة » التى كانت رائجة منذ  
بداية العهد المغولى واستوفت بعد وفاة أورنگ زيب . وكان المراد منها  
الهدايا التى كانت تقدم الى الامبراطور أو الى الوزراء والامراء من زوارهم .  
فكان كلما يزور الملك أحد كان من واجبه التقليدى أن يقدم اليه هدية  
كانت تسمى « نذرانة » أو « نذر » . وقد أصبحت هذه « الهدايا » فى  
الحقيقة نوعا من الرشوة . وكانت تبلغ أحيانا الى مئات الآلاف والملايين  
من الروبيات يقدمها كل من كانت له حاجة عند الامبراطور . وأمر الحكام  
أن لا يراعوا عند المنول أمامه تشريفات وعادات غير اسلامية ويقروا عليه  
السلام حسب تعاليم السنة النبوية . وكذلك ألقى عادة « درشن » التى قد  
أصبحت بمثابة العبادة لبعض الهندوكيين . وكان جلال الدين أكبر هو  
الذى قد بدأ هذه العادة القبيحة . وكلمة درشن معناها اللغوية : النظر أو  
الرؤية . والمراد هنا النظر الى وجه الملك بنية العبادة . وكانت الهنداكة  
تعتقد أن النظر الى وجه الملك عبادة . فكان الملك يجلس فى نافذة  
خاصة لهذا الغرض فى قصره والناس كانوا يحتشدون تحتها فى الفناء .  
منذ الصباح الباكر حتى يظهر لهم وجه الملك ويرىهم اياه .

وجدد نظام المساجد والأوقاف الاسلامية وخص لها أراضى واسعة  
خصبة ليقف عليها من دخلها . وأقام دور الأيتام والفقراء والمكفوفين  
والمحتاجين على حساب الدولة . وأنشأ الاستراحات للمسافرين ومطاعم  
مجانية لابتداء السبيل على الشوارع الرئيسى الذى يوصل كابل بأورنگ  
آباد فى جنوب الهند .

وقام باجراءات هامة بعيدة المدى لتنفيذ النظام المالى الاسلامى .  
وعفى عن ثمانين ضريبة وأتاوة فى العام الثانى من جلوسه على عرش  
الامبراطورية . وكانت هذه الضرائب تبلغ عشرات الملايين من الروبيات .  
وقام بعدة اصلاحات فى نظام البريد والمخابرات لخدمة المواطنين .  
ومنع جميع أنواع الخمر والمسكرات . وأمر بتنحية أوانى الذهب والفضة  
وجميع أدوات الكتابة التى كانت من الذهب أو الفضة .

وكان الاباطره الأعاجم منذ قديم قد تعودوا بخصاء الرجال ليقدموا  
بعد ذلك فى حرمهم ، وكانت هذه العادة المبيحة الشنيعة جارية فى شبه  
القارة أيضا . وكان هؤلاء الرجال يسمون « خواجه سيرا » أى سيد الحرم  
فى العرف الهندى . ولكن أورنگ زيب لم يكن ليأذن لهذه العادة المبيحة  
أن تستمر . فحرم خصاء الرجال ومنعه منعباتا .

ثم أنشأ مصلحة الاحتساب وعين على رئاستها العلامة مير زاهد  
الهروى الفيلسوف والعالم الشهير . وكانت مصلحة الاحتساب قائمة منذ  
بداية العهد الاسلامى فى شبه القارة ، وعيّن عليها العلماء البارزون  
والفقهاء الكبار المسهود بصلاحهم وتواهم وورعهم . ولعل أشهر  
المحتسبين فى شبه القارة قبل العلامة مير زاهد الهروى هو العلامة  
القاضى ضياء الدين السنامى مؤلف نصاب الاحتساب . (٢٥)

ولكن من أكبر منجزات هذا الملك الصالح تدوين موسوعة فقهية تعد  
من أكبر مصادر الفقه الحنفى . وهو كتاب الفتاوى العالمگیریة الذى يسمى  
أحيانا بالفتاوى الهندية . واستخدم للقيام بهذه المهمة الجبارة جماعة  
من العلماء والفقهاء الذين عكفوا طوال السنين على هذه الخدمة حتى اتوا  
بهذه الموسوعة الكبرى .

وكان الشيخ ملا نظام الدين هو رئيس هذا المجمع الفقهى الذى قام

بتدوين هذه الموسوعة الفقهية الكبرى . وكان اورنگ زيب عالمگير يشرف على أعمال المجمع اشرافا خاصا شخصا . وأنفق عليه حوالى ربع مليون روبية . وكان ملا نظام يذهب كل يوم الى الامبراطور ويقرأ عليه ورقة أو ورقتين من مسوده الكتاب . وكان الامبراطور يناقش الشيخ ملا نظام فى كل مسئلة يختلف فيها رأيه مع رأى المدونين .

وكان الامبراطور المعفوره رجلا متواضعا ، يتواضع مع كل واحد ، فاص أودان ، سريف وبسيط . رحمه مرة والده ساهجهان على تواضعه وعمره مع كل واحد وعدم عمله بالتعاليد الاميرية من أبهة وعجب وخيلاء فأجاب قائلا " ان هذا العبد ، المفتخر الى الله ، يعمل بالحديث النبوى السريف الذى رواه أنس بن مالك ( رضى الله عنه ) : من تواضع لله رفعه الله . ولذلك أتصور اما كبيرا وعيبا فيبىح أن اسحق قلب أحد غماو حزناً من معاملتى الغير الملائمة معه . (١٢٩) .

وكان يقول : " ان أعمال الولاة وأصحاب الحكم تؤثر فى انفاع خلق الله والاصرار بهم " . (١٣٠) . فاذا كان الولاة طعاة جائرين بعيدين عن الاسلام يكون السعب كذلك ، واذا كانوا صالحين متخلفين بأخلاق الاسلام دايى عن بيضة الاسلام يؤثر ذلك فى نفوس الشعب أيضا . فكان رحمه الله يعامل كل واحد معاملة عادلة تليق وسأنه . وروى المؤرخون قصصا عديدة تدل على عدله وكيف كان يعامل أبناء شعبه يذكر أحداها فى مايلى :

كان الشيخ أشرف اللاهورى من كبار حكام اورنگ زيب ومن أعضاء بلاطه المعربين . رفع مره إحدى فضاياه الى محكمة اورنگ زيب نفسه الذى كان بناءا على كونه عاهل الامبراطورية رئيسا لأكبر محكمة النقض والاستئناف . فطلب الامبراطور المدعى عليه

سيد محمد أمير للثول أمام المحكمة ، ففادر السيد لاهور متوجها الى دلهي ، وأقام خارج المدينة . فلما علم الامبراطور أن السيد وصل الى دلهي وأقام خارج المدينة أمر المدعى الشيخ أشرف اللاهوري أن يخرج من المدينة ويقيم على نفس المسافة وأن لا يحضر بدون أمر من الامبراطور فانه يطلب الفريقين بنفسه على سواء فان في المحاكم وأحكام الشرع المحمدى لارعاية لأحد سواء كان مصاحبا للامبراطور أم غيره . فلما رأى الشيخ أشرف هذه الاحكام الصارمة تخلى عن دعواه .

وكان الامبراطور أورنگ زيب رجلا صبوراً لا يتعب عن عمله ولا يكل ولا يمل . رآه الدكتور جيلي كريرى وهو يناهز الثمانين من عمره . يقول كريرى : « انى رأيته واقفا بين ظهراى أمرائه وحكامه متكئا على عصاه . وكان يلبس ملابس بيضاء صافية . وكانت على رأسه عمامة مريئة بقطعة من زمرد . كل واحد من المستغنيين يتقدم اليه ويعدم اليه عرضه وطلبه . فيعزأ الامبراطور كل عرض أو طلب بنفسه بدون نظارة ثم يوقع عليه بنفسه . وكان يظهر من وجهه الهش البش أنه فرح لمسغولياته هذه .. . وكان يعد كل يوم بلاطا عاما يدخله من يشاء بدون أى مانع أو تعويق . وكان الامبراطور يستمع الى كل واحد .

انفجرت ذات مرة بعض التفوق البارودية بعد أن وضع فيها المراهقة النار واستشهدت جموع كبيرة من الجنود المسلمين ، فاندفع أورنگ زيب بعجلة سريعة الى مكان الحادثة وهجم بنفسه على العدو ، وقتل منهم عددا كبيرا وكان عمره آنذاك يجاوز الثمانين (١٥٨) .

من عادة الملوك والاباطرة دائما أنهم لا يعبأون بأموال الدولة ويضيعونها فى ترفهم وهناءهم ، الا مارحم ربي . ولكن أورنگ زيب لم يكن ممن لا يبالون بحدود الله وأوامره وبواهيه . وكان أورنگ زيب عالمكبر



يحسن الخط ويكتسب رزقه من كتابة المصحف الشريف . وتوجد الآن ستة نسخ من الكتاب الحكيم المكتوب بأيدي السلطان محي الدين أورنگ زيب عالمكير . والمصحف الذى كان يتلو فيه موجود فى مكتبة جامعة كولمبيا . ومرة أعد أورنگ زيب نسخة قيمة من القرآن الكريم التى أرسلها « الى مكة المكرمة زادها الله قدرا .. » وبعد أن تولى الحكم كتب نسخة أخرى وأرسلها أيضا الى مكة المكرمة ثم بعث نسختين الى المدينة المنورة وانفق على تزيينهما مبالغ كبيرة « من جيبه الخاص » (١٩) . وعلاوة على كتابه المصحف كان يشتغل فى أوقات فراغه فى صنع القلانس ويكتسب من أجرتها رزقه - (٢٠) .

ومع سدته فى نفواه كان عكيفا على العبادات والدعاء والذكر . فراه الدكتور بربر فى ١٦٦٥ وهو يقول : « كان حيفا هزيلا وأضاف فى ضعفه وهزالته استمراره فى صومه وعكوفه على عباداته » (٢١) .

وكان رجلا حوادا سحيا . وحدث داب مرة أن كتب عناية الله خان رئيس ديوان العطاء ( بخسى ) الى الامبراطور يقترح عليه أن يقلل من عطاءاته ، فان حوده وسحاته لايف عند حد والاموال والبروات فهى محدوده على كل حال . فكتب الامبراطور على عرضه هذا :

«استمع الله ان نظام المملكة مثل نظام ملكوت الله . فان الخلق عيال الله وررهم على الله . وأما هذا القاسم الفقير الضعيف ( يريد نفسه ) ليس الا وكيل ربه الجليل فى المسح والعطاء . واعلم أن اعتماد الحد والسهايه فى ملك الله عين ضلال ومحض هلاك .. » (٢٢) .

وتتحلى ساطه هذا الامبراطور المؤمن المجاهد المتدين ونفواه وسذاجته وزهده فى الحياه ورغبته عن لذات الدنيا فى وصيته التى تركها لورثته وخلفاءه من بعده . وجاء فى هذه الوصية مايلى :

١- ان الروبيات الاربع والأتين ( حوالى  $\frac{4}{11}$  دولار أمريكى ) التى اكتسبناها بخياطة القلائس محفوظة عند السيدة آية بيگم . ولينفق هذا المبلغ فى تكفينى ودفنى .

٢- مبلغ نلسمائة وخمس روبيات ( حوالى نلاين دولارا أمريكيا ) موجودة فى صندوق المصاريف الملكية الخاصة . وهذا المبلغ حصلنا عليه كأجرة كتابة القرآن الكريم . ولينقسم هذا المبلغ فى المساكين يوم وفائى وبما أن أجرة كتابة القرآن الكريم غير جائزه عند بعض فقهاء الاسلام فأرى من الواجب أن لاتنفق فى تكفينى ودفنى .

٣- يجب أن يكون قبرى قبرا عاديا ولا أدفن فى التابوت وأن لاتكون على قبرى بناية أو سرادق أو غناء أو بدعاب أخرى ٣٣.

وفاة أورنگ زيب : قضى أورنگ زيب أكر من نصف قرن أيامه على ظهر فرسه يعود جود الاسلام ولياليه على سجاده يعبد ربه ويدكره واستمر فى مكافحته للمضاء على البغاء الهندوكيين والفوضيين من قوم المراهته حوالى ثلاثة عقود . وبعد أن فتح جميع فلاع البغاء ومراكزهم . وهزم الفوضيين وكسرتهم أقام عدة أيام فى أحمد نگر فى جنوب الهند فمرض هنالك مرضا سديدا وازداد مرضه يوما فيوما والتمس منه خادمه الخاص عبدالحميد أن يتصدق بفيل وجوهرة ألماس لعله يستفى من مرضه فكتب على طلبه بفلمه الخاص : « صدقة الفيل لهذا الغرض من عادة الهند وعبد النجوم . وانما عليك أن ترسل الى السيد العاضى أربعة آلاف روبية ( حوالى اربعمائة دولار ) ليوزع على المستحقين والفقراء » . وفى اليوم الثامن والعشرين من ذى القعدة ١١١٨ هـ وكان اليوم يوم الجمعة جلس بعد اداء صلاة الفجر على سجاده واستمر فى ذكر الله يتلو كلمة التوحيد حتى وافاه الاجل المحتوم بفيل صلاة الجمعة . رحمه الله تعالى

رحمة واسعة وتقدمه بغفرانه . ( آمين ) وكان عمره واحدا وتسعين عاما بالتقويم الهجرى وتسعاً وثمانين بالتقويم الشمسى . وحكم أكثر من نصف قرن . ودفن فى قرية جلال آباد فى مديرية أورنگ آباد فى جنوب الهند . ويستخرج تاريخ وفاته على حساب الابدجية من قول الله تعالى عز من قائل :

روح وريحان وجنة نعيم



## المراجع

- (١) رفات عالمگیری ص ٣٦٦
  - (٢) راجع التفاصيل فى رفات عالمگیری ، وخاصة المقدمة للاستاد الحجة حبيب أشرف الدوى
  - (٣) محمد ميان علماء هند كا شاندار ماسى ، مجلد أول ص ٥٤٣
  - (٤) طبع هذا الكتاب فى سارس ١٩٠٩ م
  - (٥) لم يطلع هذا الكتاب حتى الآن ، وتوجد نسخة الخطية فى مكتبات الهند وأوربا ، وتوجد احدى هذه النسخ فى مكتبة المتحف البريطانى فى لندن ورقمها Oriental 224
  - (٦) طبع هذا الكتاب فى تهران ، فى عام ١٩٦٥ م وتوجد نسخة الخطية فى مكتبات مختلفة أيضا .
  - (٧) طبع هذا الكتاب فى لكهنؤ ، الهند ١٨٨١ م
  - (٨) طبع هذا الكتاب فى دهملى ، عام ١٨٩٢ م
  - (٩) قام الدكتور محفوظ الحق بقل هذا الكتاب الى اللغة الانكليزية وقدمه بمقدمة باسم
- Introduction to the Translation of Majma — al— Bahrayn وطبع فى
- كلكته ، الهند ، فى عام ١٩٢٩ م
- (١٠) ناز عالمگیری ، ص ٥٢٥ - ٥٢٦
  - (١١) هو ابن الامام المجدد أحمد بن عبدالأحد السرخسى . راجع لفرسته : نزهة الغولام ج ٢ ص ٣١٦ - ٣٤٧ .

- (۱۲)۔ راجع حالات مشائخ نقشبند ص ۳۷۴
- (۱۳)۔ رقصات عالمگیری : ص ۲۶۴-۲۶۷
- (۱۴)۔ رقصات عالمگیری . ص ۳۰۸ .
- (۱۵)۔ علماء ہند کا شاندار ماضی ، مجلد اول ص ۶۰۹ - ۶۱۰ .
- (۱۶)۔ المصدر السابق ، ص ۶۱۰-۶۱۱
- (۱۷)۔ رقصات عالمگیری . ص ۳۰۹ - ۳۱۰
- (۱۸)۔ شاندار ماضی ، مجلد اول ، ص ۶۱۲-۶۱۸
- (۱۹)۔ رقصات عالمگیری ص ۲۹۵ .
- (۲۰)۔ رحلة الرحالة الادبي الدكتور بربر الرحمة الاردنية ، ص ۲۹۵ واحسا نظرة على اورنگ دہب عالمگیر للعلامة شبلی
- النصاني ص ۳۸ ، ۶۰
- (۲۱)۔ رقصات عالمگیری ص ۲۹۷-۲۹۸
- (۲۲)۔ لبس بول
- (۲۳)۔ رحلة الدكتور بربر في شبه القارة ، مجلد ثانی ص ۲۸۹
- (۲۴)۔ علماء ہند کا شاندار ماضی ، ج ۱ ، ص ۴۶۵-۴۶۶ .
- (۲۵)۔ لم یطبع هذا الكتاب حتى الآن وتوجد نسخة الخطیة فی مکتبة جامعة پنجاب .
- (۲۶)۔ وقائع عالمگیری ، ص ۴
- (۲۷)۔ رقصات عالمگیری ص ۱۳ رقة ۴۳
- (۲۸)۔ علماء ہند کا شاندار ماضی ، مجلد ۱ ، ص ۶۶۰
- (۲۹)۔ علماء ہند کا شاندار ماضی ، مجلد ۱ ، ص ۶۵۵
- (۳۰)۔ اورنگ دہب عالمگیر پر ایک نظر ، للعلامة شبلی النصاني
- (۳۱)۔ مصدر سابق .
- (۳۲)۔ وقائع عالمگیری ، ص ۱۰۸
- (۳۳)۔ أظہر من الوضیة بکامله فی وقائع عالمگیری . ص ۱۶۷ - ۱۲۰ -



## وداعايا محمد المبارك

اهتز العالم الاسلامى نبأ وفاة العالم الكبير والداعية الاسلامى الشهير والمجاهد المخلص الاستاذ محمد المبارك الذى وافاه الأجل المحتوم فى ليلة جمعة المبارك فى ١٥ صفر الماضى . وكان الفقيد راجعا من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان آخر عهده فى هذه الحياة الدنيوية زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة فى روضة من رياض الجنة .

كان رحمه الله من العلماء المخلصين والمجاهدين الأبطال الذين كرسوا حياتهم لنشر الدعوة الاسلامية بقلمه الرائع ومريحته الفياضة . وكان للمفخور له دور ملموس فى الحياة السياسية فى بلاد الشام فى الخمسينات ، وتولى عدة مناصب وزارية منها وراة التربية والتعليم . وترك مكتبة رائعة تعد من أهم ما كتب عن الاسلام فى القرن العشرين ، ولعل أفضل وأروع ما أنتجته مريحته سلسلة نظام الاسلام التى تحتوى على عدة كتب تبحث فى نواحى مختلفة عن نظرية الاسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور والاجتماع والاقتصاد . وتشرف رئيس تحرير هذه المجلة باللقاء معه فى بعض المؤتمرات الدولية ، ولا زالت ذكريات الاجتماعات والاحاديث التى جرت معه حية فى قلبه وسوف تبقى باقية خالدة فى ذاكرته . فرحمك الله يا محمد المبارك وأدخلك فسيح جناته ، ووداعا الى يوم التلاق ، وسلاما ، انا ان شاء الله بكم للاحقون .

# مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية باللغة العربية

اختلاف الفقهاء للإمام الطحاوي

تحقيق : الدكتور محمد صغير حسن المعصومي

✱

كتاب النفس والروح وشرح قواها للإمام الرازي

تحقيق : الدكتور محمد صغير حسن المعصومي

✱

الرسائل القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري

تحقيق : الدكتور بير محمد حسن (مع الترجمة الأردية)

✱

معدن الجواهر في تاريخ بصرة والجزائر للشيخ نعمان

تحقيق : البعثة الدكتور محمد حميد الله

✱

الكندي وآراؤه الفلسفية

للدكتور عبد الرحمن شاه ولي

✱

مقصود المؤمنين لبازيد الأنصاري

تحقيق : الدكتور ميرولي خان

✱

كتاب الانفعال للإمام الصغاني

تحقيق : الأستاذ أحمد خان

★ ★ ★ ★ ★

**AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYA**

**ARABIC JOURNAL**

**OF THE**

**ISLAMIC RESEARCH INSTITUTE, ISLAMABAD, PAKISTAN**

**Vol. XVII No. 1**

**January February 1982**

	Inside Pakistan	Outside Pakistan
<i>Annual Subscription</i>	Rs. 18.00	\$10.00 or £5.00
<i>Single Copy</i>	Rs. 5.00	\$ 3.00     £1.50

*All business correspondence  
should be addressed to :*

**The Circulation Manager**

**Islamic Research Institute**

**ISLAMIC UNIVERSITY  
ISLAMABAD - PAKISTAN**

---

Printed at Islamic Research Institute Press,  
Published by Muhammad Sami'ullah for the Islamic Research Institute, Islamabad

# الدراسات الإسلامية

مجلة اسلامية علمية

تصدر بعد كل شهرين  
وتبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب



جمادان الأولى والآخرة ١٠٢

مارس - إبريل ١٩٨٢ م

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان







# الدراسات الإسلامية

مجلة مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان

---

المجلد السابع عشر

العدد الثاني

مارس - إبريل ١٩٨٢ م

جمادان الأولى والآخرة ١٤٠٢ هـ

---

# هيئة التحرير



✽ الأستاذ الدكتور عبدالواحد هالي بوتا ✽

مدير مجمع البحوث الإسلامية ،  
الجامعة الإسلامية اسلام آباد

✽ الأستاذ الدكتور محمد صغير حسن المعصومي ✽

أستاذ الشريعة بالجامعة الإسلامية ، اسلام آباد

✽ الأستاذ الدكتور أحمد حسن ✽

أستاذ مشارك بمجمع البحوث الإسلامية

✽ الأستاذ الدكتور نور محمد الغفاري ✽

أستاذ مشارك بمجمع البحوث الإسلامية

✽ الأستاذ محمد طفيل ✽

أستاذ مساعد بمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

محمود أحمد غازی



## المحتوى

كلمة العبد

رئيس التحرير

ص ٥

★ ★ ★ ★

نظرية المعرفة عند الامام الماتريدى

دكتور أحمد محمد أحمد جلى

ص ١٥

★ ★ ★ ★

لمحات عن وظيفتى الفتوى والرقابة الشرعية

فى البنوك الاسلامية

دكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى

ص ٤٣

★ ★ ★ ★

العرفاة والنقابة : مؤسستان اجتماعيتان

فى العهد النبوى

الاستاذ محمد يوسف الفاروقى

ص ٧٨

★ ★ ★ ★

سير التأليف فى باكستان : خطب بهاوالبور

الاستاذ محمد طفيل

ص ٩٠

★ ★ ★ ★

## ضيوف العدد

★ دكتور أحمد محمد جلى ★

أستاذ الفلسفة وعلم الكلام بجامعة القاهرة

★ دكتور حسن محمود عبداللطيف الشافعى ★

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية دارالعلوم ، جامعة القاهرة

واستاذ منتدب لمعهد الدعوة والقراءات وعلوم القرآن

بالجامعة الاسلامية ، اسلام آباد - باكستان

★ الاستاذ محمد يوسف الفاروقى ★

أستاذ مساعد للفكر السياسى الاسلامى بقسم الدراسات

الاسلامية ، الجامعة الاسلامية ، بهاولبور ، باكستان



ليس من الضرورى ان تنفى ادارة المجمع مع جميع  
الآراء والمخوب التى يسرها الكتاب فى هذه المجلة



## كلمة العدد

ان الذين درسوا التاريخ البشرى دراسة متعمقة ، وسبروا غوره ، وعرفوا ظاهره من باطنه وجليه من خفيه ، و وقفوا على جلاله و دقائقه يعرفون أن لكل عهد من عهود التاريخ مسائل مختلفة ، ومشاكل مختلفة ، وأحوال خاصة ، وظروف خاصة ، وأوضاع خاصة ، ولكن على الرغم من هذا الاختلاف وهذه الفروق نجد أن هناك روحا أساسية تصل حاضر القوم بغابرهم ، وتنبتهم فى حالهم عن مستقبلهم .

مثل التاريخ فى ذلك كمثل الكائن الحى الذى تمر عليه أدوار مختلفة ، و عهود متغيرة ، ومراحل متطورة . فيمر بالصغر والمراهقة ، ثم يدخل فى عهد الشباب ، ويتمتع بريعانه ويفتخر برونقه وغضارته ، ثم تتنابه الكهولة والشيخوخة ، ثم يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا . وتختلف مسائله ومشاكله ، وتتغير ضروراته وحاجاته ، وتتجدد آراءه ونظرياته ، وتبديل عاداته وخصائله فى كل عهد من هذه العهود ، وفى كل دور من هذه الادوار .

ولكن مع هذا الاختلاف الدائم والتغير المتواصل تبقى روح ذلك الكائن الحى كما كانت ، وتبقى شخصيته الاصلية على حقيقتها ، وتنشابه مسائله ومشاكله ، وتتماثل ضروراته وحاجاته . ولاشك أن

هناك روحا واحدة لجميع مسائله ومشاكله ، مثل روحه المتحدة السارية فى جسده منذ طفولته الى أن يبلغ الى أرذل العمر ، ولاريب أن هناك تسلسلا حيويا فى ضروراته و حاجاته مثل تسلسل جسده الحيوى ، وأن هناك شخصية دائمة لآراءه ونظرياته مثل شخصيته هو . وتبقى هذه الشخصية الفكرية فى اكثر الاحيان من البداية الى النهاية . وكم من عالم ومفكر رأينا فكره الاساسى باقية مع بقاء وجوده فى عالم الكون ، لاينفك منه فى حال من الاحوال . ولئن اضمحلت أعضائه ، وضعفت جوارحه ، واسترخت عظامه ، وانهارت صحته ، وضاعت ذاكرته ، ولكن يبقى فكره الاساسى حيا خالدا .

ولاتختلف حالة الأمم والأديان والمؤسسات والمجتمعات من حالة الأفراد . وان شئت فخذ تاريخ أمة من الأمم ، فانك سوف ترى أن أحوالها و أوضاعها فى عهدها الابتدائى تختلف عن أوضاعها و أحوالها فى عهدها المتوسط ، وسوف ترى أن مسائلها ومشاكلها فى عهدها المتوسط غير مسائلها و مشاكلها فى عهدها الأخير ، وسوف ترى أن الادواء التى تعاني منها الأمم فى كهولتها غير الادواء التى تعاني منها فى أرذل عمرها . ولكن الطبيب الحاذق الذى يعالج ادواء هذا الكائن الحى منذ نعومة أظفاره يعرف أن هذا الاختلاف فى هذين النوعين من الادواء والامراض انما هو اختلاف ظاهرى ، والفرق بينهما سطحي ، لا يصل الى قرارة الامور .

فكل من لديه بصيرة و معرفة فى فلسفة نهوض الأمم و زوالها ،

وأسباب سعادة الشعوب وشقاتها ، وعوامل انحطاط الاجيال وازدهارها ، وكل من درس نفسيات الأمم والاسباب التى تؤدى اليها ، والعلل والعوامل التى تلعب دورها فى تكوينها يعرف أن هناك علة وراء هذا الداء الاجتماعى الذى يعانى منه الشعب الفلانى ، وأن هناك سببا للمرض الشعبى الذى يصاب به المجتمع الفلانى .

★ ★ ★ ★

ان من الادواء التى أصابت العالم الاسلامى فى ماض غير بعيد تخاذلا فكريا نرى آثاره فى كل مكان ، واستسلاما حضاريا نشاهد معالمة كل يوم ، وانهزاما ثقافيا نجد أماراته فى عالمنا الاسلامى . ومن أهم هذه الآثار و المعالمة تأثر المسلمين بحركة الاستشراق — ذلك الداء الذى جاء به وبويلاته الاستعمار الغربى ، بل الذى سبقه الى العالم الاسلامى كطليعته ورائده الذى لا يكذب أهله . وما أحسن ما قاله أحد العلماء المسلمين عن الاستشراق قال : انه وليد غير شرعى لأبوين غير شرعيين ، وهما التبشير الذى خطط له ، والاستعمار الذى غذاه ورباه . ومع أن الاستعمار الغربى بدأ ينهار على المستوى السياسى وطفق يتقهقر من مضمار الاستعباد العسكرى ولكنه يتواجد فى العالم الاسلامى تواجدا قويا بفكره المسيطر وحضارته القائمة و ثقافته المنتشرة بين المسلمين . وأدى فكره وحضارته و ثقافته فى العالم الاسلامى الى كل ما أدت اليه هذه العوامل الثلاثة فى الغرب من انحطاط خلقى وانهيار حضارى وفوضى



فكرية ، فرمتنا بدانها وانسلت .

وماهو أدهى وأمر أن المسلمين أو العدد الكبير من مثقفيهم ومستغربيهم لا يرون بهذه النتائج بأسا ، ولا يستعدون لمقاومتها ، ولا يشمرون عن ساعد الجد لسد الطريق في وجه هذا السيل الجارف . بل يتهافتون على كل ما نسب الى الغرب أو وصف بالحدثاء تهافت العطشان على الماء ، ولا يعرفون أنه لاخير في أرب ألقاك في لهب ، وما كل بارقة تجود بمائها .

بدأت حركة الاستشراق بادئ ذي بدء على أيدي الآباء والرهبان والمسيحيين في فاتيكان . وكانوا من قبل يأتون الى المراكز العلمية الاسلامية في اندلس — ذلك الفردوس الاسلامى المفقود — ليتعلموا علوم المسلمين ويتثقفوا بالثقافة الاسلامية على أيدي العلماء المسلمين . وكانت الطلبة المسيحيون يتناوبون الى المدارس والجامعات الاسلامية في قرطبة وغرناطة وطليطلة وصقلية . وكانوا يتأثرون بالفكر الاسلامى وعمقه وسعته ، وبالشرعية الاسلامية وصلاحياتها لحل مشاكل البشر ، وبالمجتمع الاسلامى وسموه وسماحته ، وبالحضارة الاسلامية المزدهرة المتصفه بخصائص ومزايا لاتدانيها فيها حضارة أخرى . وكان أحبارهم وrehبانهم يشعرون بالضيق والتوحش أمام أساتذتهم المسلمين ، فانهم لم يكونوا يستطيعون أن يدافعوا عن معتقداتهم المسيحية ويقوموا أمام الهجوم الفكرى الاسلامى . فرأى مسئولو فاتيكان من اللازم أن يعتنوا بدراسة العلوم

الاسلامية ، ويكونوا على معرفة من الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية ، أولا ليتسنى لهم الدفاع عن عقائدهم ، وثانيا ليعدوا مبشريهم رجالا ونساءً ، شيوخا وشبابا ، للجدال والنقاش مع المسلمين وتوجيه الاعتراضات على الفكر الاسلامى . هكذا كانت بداية هذه الحركة ، ولبثت على هذا المنوال بضع سنين ، حتى قامت على قدم وساق .

كانت حركة الاستشراق حركة سلبية من أول يومها ، ولم يكن أساسها على هدف ايجابى بناء . بل كانت تهدف الى الدفاع عن عقيدتهم الدينية التى وضعها لهم القديس بولس ، وكانت تقصد الى تشويش أذهان المسلمين و افساد عقليتهم . ومع أن أهدافهم لازالت متحدة متماثلة عبر تاريخهم ، وعلى الرغم من أن فكرهم السلبى الذى يتناقلونه على اختلاف بيناتهم وتباين أحوالهم ما برح على هيئته القديمة ، ولكن المراحل المختلفة التى مرت بها هذه الحركة أعطت كل واحدة منها طابعا خاصا ولونا خاصا لهذه الاهداف .

فنرى أن حركة الاستشراق فى القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت تهدف الى تمسيح المسلمين اذا جاز التعبير وتنصيرهم . ونرى مظاهر هذه الأهداف فى كتابات كثير من الآباء المسيحيين والمبشرين النصارى الذين ظهوروا فى زى العلماء والمستشرقين . ولكن بعد جهود دامت قرنين أو اكثر وصلوا الى نتيجة أن تنصير المسلمين وتمسيحهم ليس بالامر السهل الهين . فغيروا استراتيجيتهم ،

وركزوا جهودهم على الاشادة بالحضارة الغربية و ابراز مزاياها المزعومة والاعلان بفضلها على الحضارة الاسلامية والنيل من الثقافة الاسلامية والانتقاد على الحضارة الاسلامية و ابراز ما زعموا أنه من جوانب النقص فيها والتأكيد على أن الحضارة الاسلامية حضارة محلية وليست عالمية ولا يمكن لها أن تضمن للبشرية النجاح الثقافى والفوز الحضارى .

وكان بين هؤلاء المستشرقين جمع غير قليل كانوا يعملون من أجل توفير المعلومات والاحصاءات عن الاسلام والمسلمين والبلاد الاسلامية المختلفة لمصالح المخابرات وهيئات التحقيق وبعثات الاستطلاع ، حتى ولوزارات الخارجية والدفاع ، وأصبحوا بذلك طليعة الاستعمار و وسيلة استعباد الشعوب ، وما أسوأ هذا الاستعمال المؤسف للعلم والأدب! فمن ذا الذى لا يعرف كتابات أولف كيرو وامثاله عن المسلمين الأفغان ؟ ومن ذا الذى لم يقرأ رحلات الرحالين الاوربيين والامريكان الذين تجولوا فى البلاد الاسلامية فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ؟ ومن ذا الذى يجهل دور داؤتى وفلبى وأمثالهم فى الحياة السياسية فى الجزيرة العربية ؟

ولكن لا يعنى سرد هذه الحقائق التاريخية المؤلمة أننا ننكر خدمات بعض المستشرقين فى سبيل احياء التراث الاسلامى العلمى التليد . فان منهم فريقا يقومون بأعمال علمية شهدت بقيمتها العلمية أجيال المسلمين . وهل يمكن لأحد أن يقول ان المعجم المفهرس

لألفاظ الحديث النبوى الشريف الذى قام بجمعه وتأليفه جماعة من المستشرقين تحت رئاسة الاستاذ فنسك عمل لاقيمة له ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن لا يعترف أن تاريخ آداب اللغة العربية الذى دونه المستشرق الالمانى بروكلمان مصدر علمى كبير ؟ ومن ذا الذى لا يقدر جهود المستشرقين الذين قاموا بتحقيق المخطوطات الاسلامية القديمة التى كان المسلمون يقرأون عنها فى كتب التاريخ والرجال والفهارس فقط ؟



لازال المسلمون فى قضية المستشرقين بين طائفتين . طائفة يبالغون فى تعظيم قدر المستشرقين ، ويغلون فى اجلال شانهم واعلاء مكانتهم ، ويعتبرونهم أعلام الفكر وائمة الهدى . وأغلبية هذه الطائفة تحتوى على تلامذة المستشرقين الذين يحذون حذوهم ويفقدون بقوتهم ويستنون بسنتهم ، ويمكن أن نسمى هؤلاء التلامذة الابرار لأساتذتهم والافياء لكبارهم مستغربين ، فانهم قوم ارتضعوا من ثدى أمهاتهم الفكرية ويأنسونه بأبائهم فى العلم ، فان الثكلى يحب الثكلى . ومن هذه الطائفة أمة لا يعرفون كثيرا عن الاستشراق وتاريخه وأهدافه ، بل كلما راقتهم مقالة لأحد المستشرقين ، أو وقعت منهم موقعا حسنا ، أو وجدوا فى قراءة شئ لهم لذة وبهجة حكموا عليهم جميعا بالحسن والقبول . وليس من عادة العاقل الحكيم الحذر أن يصدر حكما عاما بالحسن والقبول على علم أو مؤلف لم يستوعبه بالبحث والدراسة

لمجرد أنه قرأ منه شيئاً ساحر النفوس وخطاب الأسلوب بغض النظر  
عمالم يقرأه ولم يعرفه .

وطائفة أخرى ليست بأقل بعدا من العدل والانصاف من الطائفة  
السابقة . وهم الذين لا يعترفون لذى فضل فضله ، ويرون أن كل من  
درس العلوم الإسلامية العربية في البلاد الغربية فمن أجل عدائه  
للإسلام وبغضائه للمسلمين . وإن تعجب فعجب قولهم أن كل من قرأ  
كتب المستشرقين ، أو راقه شئ منهم ، أو اتخذ أسلوبهم في البحث  
والتأليف ، أو اعترف بفضل أولى الفضل منهم ، فقد خرج من رتبة  
الإسلام ، أو يخشى أن يتطرق إلى دينه الفساد ، ويتسرب إلى فكره  
الزيف والضلال .

فكانت الحاجة ماسة إلى أن يجتمع رجال من أهل العلم والفكر  
في العالم الإسلامي ويدرسوا قضية المستشرقين ، وما قاموا به من  
أعمال علمية ، ومزاياها وجوانب الضعف والنقص فيها ، لتتبلور وجهة  
نظر العالم الإسلامي الصحيحة نحو حركة الاستشراق ، وليكون الناس  
على بصيرة من الأمر ، ولهصل المسلمون إلى موقف متزن بين طرفين  
ووسط بين نهايتين ، وليتراءى لهم الرأي القائم على ميزان العدل  
والانصاف والتقدير ، لاوكس فيه ولاشطط .

★ ★ ★ ★

وكتب الله فضل التقدم في هذا الاتجاه والسبق في هذا المضار  
للمجمع الإسلامي الشهير مجمع دارالمصنفين بالهند ، المعقل العلمي

الاسلامى العريق الذى لا يعتز به مسلموا الهند و باكستان فحسب بل الذى يفتخر به العالم الاسلامى كله . فدعا هذا المجمع الى عقد ندوة علمية عالمية حول الاسلام والمستشرقين ، واشترك فيها عدد لا بأس به من علماء الهند و باكستان وبعض البلاد العربية الى جانب عديد من أهل العلم من الاصل الهندى أو الباكستانى الذين يقطنون فى بلاد غير مسلمة . واستمرت أعمال الندوة لمدة ثلاثة أيام ما بين ٢٦ - ٢٨ ربيع الثانى ١٤٠٢ هـ الموافق ٢١ - ٢٣ فبراير ١٩٨٢ م .

وافتح الندوة سماحة الاستاذ الكبير السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى مدير ندوة العلماء بالهند والرئيس الحالى لمجمع دار المصنفين . فلقى خطابا رائعا بديعا هزّ العواطف و حرك المشاعر ، وتأثر الحاضرون بالاخلاص والحماس الشديدين اللذين كان الخطاب متدفقا بهما ، حتى ذرفت العيون وانحدرت الدموع على خدود كثير من الحاضرين . وكان أكثر تأثرا بالخطاب هو سماحة الأستاذ البهائية السيد صباح الدين عبدالرحمن المؤرخ الكبير والاديب البارع والامين العام للمجمع . فلم يتمالك على نفسه لما أشاد الخطيب الجليل بجهود العلامة شبلى النعمانى مؤسس دارالمصنفين وتلميذه الرشيد الجليل العلامة الفذ السيد سليمان الندوى الامين العام الأول للمجمع . وكانت هذه الكلمة الافتتاحية من أهم بحوث الندوة وأحسنها . فعالج فيها العلامة الندوى قضية الاستشراق بشئ من التفصيل والدقة . وكان موقفه تجاه المستشرقين متصفاً بالاعتدال والانصاف مثل

مواقفه السابقة الكثيرة . وهكذا كانت الحال فى اغلبية البحوث والمقالات التى قدمت الى الندوة ، فكان طابعها الخاص هو الاتزان والاعتدال . واتفقت كلمة المشتركين أن البحث القيم الذى القاه المؤرخ الاسلامى الشهير والكاتب الاسلامى المعروف الدكتور خليف أحمد النظامى رئيس جامعة على كره الاسلاميه سابقا من أحسن البحوث وأجودها من حيث المحتوى والتقديم والاتزان والاعتدال .

واشترك فى الندوة وفد من مجمع البحوث الاسلاميه تحت رئاسة مدير المجمع الدكتور عبدالواحد هالى بوتنا . وكان الوفد مكونا من ستة أعضاء أحدهم كاتب هذه السطور . ونسجل هنا شكرنا الجزيل وامتناننا العميق وتقديرنا البالغ على الحفاوة والتكريم اللذين عاملنا بهما اخواننا المسلمون فى الهند ، وعلى رأسهم سماحة الاستاذ الندوى وسماحة الاستاذ صباح الدين ، فجزاهم الله خير الجزاء .

وفى الختام لايسعنا الا أن ندعوا الله تعالى أن يوفق القائمين على دارالمصنفين لما فيه خير الاسلام وصلاح المسلمين وأن يتقبل جهودهم وأن يبارك فى مساعيهم ، انه سميع مجيب .

محمود احمد غازى



## نظرية المعرفة

### عند الامام الماتريدى

دكتور أحمد محمد أحمد جلى

#### مقدمة

الامام الماتريدى هو ابو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى السمرقندى احد أعلام الفكر الاسلامى ومن الذين ينتمون الى مدرسة الأحناف فى الفقه والكلام ، وقد بلغ الماتريدى من الأثر والمكانة داخل هذه المدرسة الى الحد الذى ادى الى تكوين مدرسة كلامية عرفت باسمه هى « المدرسة الماتريدية » . وبالرغم من هذه المكانة وذلك الأثر الذى أحدثه الماتريدى ، فإن حياته تكاد تكون مجهولة لنا . وكل ما نستطيع أن نستخلصه من المصادر التى ترجمت له ، هو أنه عاش خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، وأنه ولد بقرية « ماتريت » او « ماتريد » واليه ينسب ، وأنه توفى عام ( ٣٣٣هـ - ٩٤٤ م ) بمدينة سمرقند ، كما تخبرنا هذه المصادر نزراً قليلاً عن مؤلفاته وأساتذته ولا تعطينا صورة واضحة عن تطوره الفكرى ومكوناته الثقافية ، وقد أثار هذا الأمر انتباه الباحثين فى الفكر الاسلامى وتطوره لاسيما وأن كتابا كابن النديم صاحب « الفهرست » ، وابن



خلكان وابن العماد وابن خلدون لم يشيروا إطلاقاً الى الماتريدى ، بل ان المصادر الحنفية لم تمدنا بمعلومات كافية عن حياته . وحتى الذين تأثروا به تأثراً مباشراً كنجم الدين ابى حفص عمر بن محمد النفسى (٥٣٧ هـ - ١١٤٢ م) الذى استوحى كتابه : « العقائد النسفية » من الماتريدى لم يشر إطلاقاً الى الماتريدى . وهكذا نجد ما يشبه الأهمال الكامل للماتريدى فى كل المصادر التى أرخت للفكر الإسلامى ، لاسيما اذا ما قورن ذلك بتلك العناية وذلك الاهتمام الذى لقيه الامام الأشعرى ( ٢٦٠ - ٣٢٤ هـ ) الذى كان معاصراً للماتريدى .

وقد حاول دكتور فتح الله خليف كشف الأسباب وراء الميل نحو التقليل من شأن الماتريدى وتقديم الأشعرى عليه وانتهى الى القول بأنه ليس هناك من سبب لذلك الا أن الماتريدى عاش فى بلاد ماوراء النهر بعيداً عن العراق مركز العالم الإسلامى فى ذلك الوقت حيث نشأ الأشعرى وشاع مذهبه (١).

وبالرغم من وجاهة هذا التقليل فلا يبدو أنه هو السبب الوحيد وراء اهمال الماتريدى ، اذ أن كثيراً من علماء ماوراء النهر قد ذاع صيتهم واشتهروا وكانوا محل اهتمام أهالى بغداد وعواصم العراق .

ويبدو لنا أنه من ضمن الأسباب التى أسهمت فى اهمال ذكر الماتريدى ، اذا ما قورن بالأشعرى ، هو صعوبة اسلوب الماتريدى وغموض عباراته ، ويبدو هذا واضحاً من خلال ما وصل الينا من

مؤلفاته . وقد ادرك تلامذة الماتريدى هذا الأمر ونبهوا اليه . فالامام  
 البزدوى (٢) رغم اشادته بعلم الماتريدى واعترافه بفضله عليه يقول بأن  
 فى « كتاب التوحيد » للماتريدى قليل انغلاق وتطويل وأنه مشوش فى  
 ترتيبه (٣). والى مثل هذا رأى يذهب ابوبكر السمرقندى الذى قام  
 بشرح كتاب « تأويلات القرآن » للماتريدى اذ يقول : « ان هذا  
 الكتا . لم يكتبه الماتريدى بنفسه مثل « كتاب التوحيد » و « المقالات ،  
 و « مآخذ الشرائع » وغيرها بل أملاه على تلامذته ، ومن ثم جاء  
 أسهل اسلوبا من كتبه المصنفة ، ولكنه مع هذا لا يخلو من نوع اغلاق  
 فى اللفظ وابهام فى المعنى بحيث يعجز عن دركه كثير ممن يدعى  
 التبريز فى العلوم ، وانما يحصله من أفنى عمره فى أصول التوحيد  
 وأصول الفقه وسهر فى صناعة الكلام ومعانى اللغة » (٤). فربما كان  
 اسلوب الماتريدى وتعقيد عباراته من الأسباب التى أدت الى  
 الانصراف عن كتبه وخمود ذكره .

وهناك سبب آخر يمكن أن تقدمه فى هذا المجال . وذلك أن  
 الماتريدى ينتمى الى «مدرسة الأحناف » تلك المدرسة التى تختلف  
 عن المدارس الاخرى كالمالكية والشافعية فى أن مؤسسها ابو حنيفة  
 مزج بين الفقه والكلام ، وخاض بأبحاثه فى كلا الحقلين ، ومن ثم  
 فان ما أسهم به الماتريدى فى علم الكلام لم يرفيه الأحناف سوى  
 شرح وتبرير عقلى منطقى لآراء ابي حنيفة الكلامية ، ووفقا لهذا  
 التصور كان التركيز دوماً فى اطار هذه المدرسة على مؤسسها أبى

حنيفة دون سواء . وهذا يفسر لنا من ناحية عدم تركيز الأحناف على الماتريدي رغم ألمعيته ، ومن ناحية أخرى يبرز لنا لماذا يقارن الأشاعرة دوماً في كتبهم بين آراء الأشعرى وبين آراء أبى حنيفة الكلامية رغم أن أبا حنيفة قد لا تكون له صلة ببعض تلك الآراء (٥).

ورغم ما قوبل به الماتريدي من إهمال في الماضي فإنه لحسن الحظ قد حفظت لنا بعض كتبه ، وقد اتجهت أنظار الدارسين في السنوات الأخيرة نحو الكشف عن هذه الكتب ونشرها ، فصدر له «كتاب التوحيد» الذي حققه وقدم له دكتور فتح الله خليف في عام ١٩٧٠ م ، كما صدر الجزء الأول من تفسير الماتريدي «تأويلات أهل السنة» أو «تأويلات القرآن» (٦). ولاشك أن هذا سيسهم في تقديم فكر الماتريدي ووضعه في موضعه الصحيح من الفكر الاسلامي ، ويمكن الباحثين من بيان الدور الذي لعبه في تطوير هذا الفكر . وهذه الدراسة عن نظرية المعرفة عند الماتريدي ما هي الا نتاج لهذه الجهود ومحاولة أولية للكشف عن جانب من جوانب هذا المفكر العظيم .

### نظرية المعرفة عند الماتريدي

بالرغم من أن اوائل المعتزلة قد عالجوا بعضاً من مشكلات المعرفة وتناولوا مصادرها من حواس وعقل وعلاقة هذا الأخير بالوحي ونسب اليهم القول بأن العقل يمكنه الوصول الى معرفة الله ومعرفة ما هو خير وشر بل يجب عليه هذا ويحاسب ان قصر فيه حتى ولو لم

يبعث رسول (٧) الى غير ذلك من الاراء التى تؤكد نزعتهم العقلية ، بالرغم من هذا فان اراء المعتزلة هذه لم تصلنا متكاملة ، ولم يبق لنا من كتب المعتزلة الاوائل ما يكشف عن المنهج الذى اتبعوه فى معالجة هذه القضية - الأمر الذى أعطى « كتاب التوحيد » للماتريدى اهمية كبيرة باعتباره اقدم مصدر كلامى اهتم بقضية المعرفة وعالجها معالجة دقيقة ، وجعل هذا للماتريدى الفضل فى انه بتصديره كتابه هذا بمناقشة هذه القضية استثن سنة سار عليها كل من اتى بعده من المتكلمين (٨) .

وفى هذا الاطار بدأ الماتريدى بانكار التقليد ، والالهام ، والامام المعصوم عند التعليمية ( الشيعة - الباطنية ) كمصادر للمعرفة ثم بين مصادر المعرفة من حس وخبر وعقل ، وناقش الفرق التى انكرت هذه المصادر كما بين العلاقة بين هذه المصادر ، لا سيما العلاقة بين الوحي والعقل .

أما التقليد فيذهب الماتريدى الى أنه لا يمكن أن يكون حجة فى صحة قضية او بطلانها لان الناس من مختلف الديانات والنحل يدعى كل منهم صحة ما يعتقدوه ويستمسك به وليس له من حجة سوى انه يقلد شخصا او يتبع مذهباً بعينه ، ولو صح التقليد كمقياس للصحة والخطأ او كمصدر للمعرفة لكانت الاعتقادات المتناقضات كلها صحيحة ، وهذا مما لا يعقل . واعتقاد مذهب او تقليده قد يكون مقبولا اذا ما توفر فيه شرطان : اذا كان المقلد قد اتى بتعاليم تحمل براهين

صحتها وتفتح الحكماء بأنها حق ، وان يكون المقلد على دراية وفهم بما يتبعه ويأخذ به ، (٩) وطبيعى انه فى هذه الحالة ينتفى الامر الذى يذم به التقليد ويرفض ، بل من الصعب اطلاق التقليد فى مثل هذه الحال .

وقد انكر الماتريدى أن يكون الالهام مصدراً للمعرفة اليقينية فذكر أن بعض الناس يعتقدون أن قلب الشخص هو مصدر معارفه اليقينية ومن ثم ينبغى عليه أن يتبع ما يمليه عليه قلبه ، بينما يذهب آخرون الى أنه ليس فى استطاعة الانسان اكتساب معارف يقينية ، ومن ثم ينبغى أن يتبع ما يلهمه الله اياه (١٠) . ويبدو أن الرأى الاول هو رأى السوفسطائيين او الشكاك الذين ذهبوا الى أن حقائق الاشياء تتبع من اعتقاد الانسان القلبي فيها ، فما يراه حقا فهو حق ، وما يظنه باطلا فهو باطل (١١) . وأن الرأى الآخر هو رأى الصوفية الذين يزعمون أن معارفهم تكتسب عن طريق الالهام الالهى الذى يقذف فى القلب حين تطهره لاعن طريق الفكر (١٢) .

وذكر السوفسطائيين هنا مع الصوفية قد يدل عند الماتريدى على اشتراك هاتين الطائفتين فى اشياء عامة فى المعرفة ، اذ أن كلا منهما يذهب الى جعل الانسان مقياس الحقيقة ، فما يعتقد الانسان او ما يقذف فى قلبه هو مصدر المعرفة ، وان كلا منهما لا يحمل براهين او أدلة على صدق زعمه ، وهذه النقطة الاخيرة اتخذها الماتريدى سنداً فى رفضه للالهام . فالالهام دعوى لا يقوم عليها برهان ، ولو اتخذ

اساساً للحكم ومقياساً لصحة المعرفة لوقع الناس فى التناقض لأن كثيراً من الناس يحملون افكاراً متناقضة وكل يدعى أنه ملهم او أن معارفه من عند الله ، وقطعاً ان الله العليم الحكيم لا يمكن أن يكون مصدراً لكل هذه المتناقضات (١٣).

وقد رفض الماتريدى ايضاً دعوى التعليمية او الباطنية أن معارفهم مستمدة من تعاليم الامام المعصوم ، وذهب الى أنه لوصح هذا الرأى الذى يقول به التعليمية لم يكن هناك معنى للآيات القرآنية التى تحت الانسان على التفكير والنظر ، فخلافاً لما ذهب اليه هؤلاء نجد أن هذه الآيات تبين فى وضوح ان المعارف الدينية يصل اليها الانسان بعقله وفكره وعن طريق الرسل الذين لاشك فى صدق رسالاتهم (١٤).

#### مصادر المعرفة

واذا ما بطل أن يكون التقليد والالهام والامام المعصوم اساساً للمعرفة فما هى اذن مصادر المعرفة ؟ يذهب الماتريدى الى أن للمعرفة ثلاثة مصادر ، وعن طريقها يكتسب الانسان معرفة الاشياء : (١) الحواس او العيان (٢) الأخبار او شهادة السمع (٣) النظر او الاستدلال .

١- الحواس : قد استخدم الماتريدى مصطلح « عيان » كمقابل لمصطلح « حواس » الذى شاع استخدامه بين عامة الفلاسفة والمتكلمين ، وهذه الحواس من سمع وبصر ولمس الخ هى السبب الذى يؤدي الى كل المعارف الحسية التى تقع تحت ادوات الحس و

وسائله ، بل هي اساس كل معرفة اذ أنه منها يستمد العقل ويستفيد في تكوين معارفه ، والمعارف التي تصل اليها عن طريق الحواس معارف يقينية لا سبيل الى الشك فيها (١٥). ولكن في حقيقة الامر تعرض هذا النوع من المعرفة والوسائل التي تكتسب عن طريقها الى نقد عنيف خاصة من طائفة السوفسطائيين الذين بلغ بهم الشك الى انكار كل معرفة وعلم . وقد كان الماتريدى ، فيما يبدو ، على علم بأراء هذه الطائفة وما استندوا عليه من حجج ، ومن ثم نجده يجادلهم ويتبع الحجج التي استندوا عليها بالتفنيد .

فالسوفسطائيون ، كما يقول الماتريدى ، قد انكروا المعارف الحسية لأن ادوات الحس ووسائله قد تخطئ في كثير من الاحيان ومن ثم لا ينبغي أن يوثق بها كمصدر للمعرفة ، فالعين المصابة بالحوادث ترى الشيء الواحد مزدوجا والمريض بالصفراء يجد طعم العسل مر المذاق ، والرجل في حلمه يرى اشياء لا وجود لها في الحقيقة او تختلف عما هي عليه في الواقع ، وفوق هذا فان الاشياء التي ترى من مسافة بعيدة تختلف عن روئيتها من قريب ، وأن هناك بعض الاشياء التي تدق عن الرؤية والحس ومن ثم تعجز ادوات الحس عن ادراكها . . وينتهى السوفسطائيون من كل ذلك الى أن مظاهر الاشياء خادعة وأن ادوات الحس غير مأمونة ومن ثم لا ينبغي الوثوق بها كوسائل لاكتساب المعرفة (١٦)

وقد ناقش الماتريدى آراء السوفسطائيين هذه ويسن ضعفها

وتهافتها ، وذهب الى ان الحجج التى اوردها السوفسطائيون دليل اثبات على تأكيد صحة المعارف المحسوسة ووسائل ادراكها ، اذ أنهم لو لم يدركوا هذه المحسوسات لما تسنى لهم التمييز بينها فى مختلف الحالات .

اما ما اورده السوفسطائيون من اعتراضات على ادوات الحس وموضوعاتها كالآفات التى تصيب الحواس واختلاف الشئ المحسوس قربا وبعدا حلما ويقظة ، او عدم ادراك حقيقته لصغره ، فهذه فى رأى الماتريدى معوقات او آفات تحول بين هذه المحسوسات وبين ادوات الحس ، ولاخلاف فى انها قد تغير من مظهر الشئ المحسوس او تحول دون ادراكه ادراكاً صحيحاً ، ولكن هذا لا يعنى أنه اذا ما ارتفعت هذه المعوقات وكانت الحاسة سليمة ، أن يتحقق ادراك الاشياء ادراكاً حقيقياً يقينياً ، فاعتراض هذه الآفات اذن لا يقود ضرورة الى الشك فى الحواس او الى انكار ادوات الحس ودورها فى المعرفة (١٧). بل ان معرفة الشئ تختلف وفقاً لحالته وحالة وسائل الادراك ، ففى حالة سلامة الاداة يكون ادراك الشئ تاماً وفى حالة اعتراض علل ما لادوات الحس فقد يكون الادراك ناقصاً او مفقوداً بالكلية فلا تستطيع الحاسة اذن أن تدرك الاشياء (١٨). واخيراً فان هناك العقل الذى عن طريقه يستطيع الانسان ان يعلم الآفات والعلل التى تصيب حواسه ، ويبين له أن ادراكه للاشياء عن طريق هذه الحواس سيكون ناقصاً ، وفى هذا ضمان من خداع الحواس . وينتهى الماتريدى من ذلك الى



ان وسائل الحس وادواته لا ينبغي الشك فيها او التقليل من قيمة المعارف التى تكتسب عن طريقها .  
٢ - الأخبار او شهادة الغير :

الأخبار هى المصدر الثانى الذى عن طريقه يكتسب الانسان معارفه وبواسطة الأخبار يعلم الناس انسابهم واسماء الاشياء ، والبلاد النائية والأحداث الماضية وكل ما يتعلق بشئون حياتهم من نفع وضرر مما لا يستطيع الإنسان أن يقف عليه بنفسه . ويقسم الماتريدى الأخبار الى نوعين : ١ - أخبار عامة وتقابل التاريخ وشهادة الغير . ٢ - أخبار الرسل والأنبياء . واذا كانت الأخبار العامة مصدراً للمعرفة فان أخبار الرسل أولى بأن يوثق بها كمصدر للمعرفة لصدق مصدرها .

ويبدو أن الماتريدى قد وقف على آراء بعض الطوائف والفرق التى شكت فى الأخبار بصفة عامة وفى أخبار الانبياء بصفة خاصة سعياً الى ابطال النبوة وانكارها . وقد نسب مؤرخوا الفرق الإسلامية معظم هذه الآراء الى طائفة البراهمة او السمنية (١٩) وقد ذهب الماتريدى الى أن من ينكر الأخبار اطلاقاً كمصدر للمعرفة يناقض نفسه لان انكاره ما هو الا نوع من الأخبار ، كما أن مثل هذا الموقف يؤدى الى جهل الانسان بنسبه واسمه واسماء الاشياء التى يتعامل معها ويقود الى جهل مطبق والى عجز كامل عن اعطاء معلومات عن الاشياء المشاهدة ناهيك عن الامور الغيبية (٢٠) .

وقد استند البراهمة وغيرهم ممن انكروا حجية التاريخ وشواهد  
كمصدر للمعرفة الى أن الأخبار والروايات التاريخية عرضة للتحريف  
والنحل ومن ثم لا ينبغي أن يوثق بها ، وهذا في نظر الماتريدي لا  
ينبغي ان يكون سبباً في رفض الأخبار جملةً وتفصيلاً ، اذ أن مثل هذا  
التحريف والانتحال انما هو طعن في أخبار بعينها ولأسباب محددة  
ومن ثم لا يؤدي ضرورة الى الطعن او الشك في صحة كل الاخبار .  
هذا بالاضافة الى ان هناك أخباراً عديدة قد تأكدت صحتها بما لا  
يدع مجالاً للشك فيها ، فلماذا لا تتخذ هذه أساساً لحكمنا على  
الأخبار (٢١) . ويرى الماتريدي أن خير وسيلة للرد على مثل هؤلاء هو  
ان يستخدم معهم طريق السخرية والمزاح فيسأل الواحد منهم عن ماذا  
يقول حين ينكر ، فاذا أعاد ما قاله يكون بذلك قد أثبت خبراً لأن قوله  
الاول اصبح في حكم الماضي ، والاكفى الانسان شره . ويمكن ان  
نستخدم وسيلة اخرى لاقتناع امثال هؤلاء وذلك بان يخضعوا لألم مادي  
فاذا ما تألم الواحد منهم وعبر عن هذا الألم بكلام تجهل عليه واخبر  
ان ما يعبر عنه وتعبيره مجرد اخبار لا حقيقة له ولا يحمل اية معلومات  
او يوصلها (٢٢) .

اما ما أتى به الرسل من أخبار عن الغيب وحياة الناس الماضية ،  
فيرى الماتريدي أنها احق واجدر بالقبول من الأخبار العامة لأنه ليس  
هناك من الأخبار ما هو أوضح واصدق من أخبارهم وذلك بسبب  
الدلائل والبراهين التي تثبت بما لا يدع مجالاً للشك صدقهم وصحة

المصدر الذي استقوا منه هذه الأخبار . ومن ثم فإن من ينكر أو يجحد مثل هذه الأخبار جدير أن يوصف بالتعنت والمكابرة (٢٣).

ولكن هذه الأخبار قد اتت إلينا ونقلت بواسطة سلاسل من الرواة الذين هم كبشر غير معصومين ، وعرضة للخطأ والكذب ومن أجل ذلك ينبغي ان تخضع هذه الأخبار للتحقيق فان ثبتت صحتها وثبت صدق روايتها سميت هذه الاخبار بالاخبار المتواترة ولزم الانسان التصديق والعمل بها (٢٤). وهناك نوع اخر أدنى درجة فى الصحة من هذه ، وينبغى ان تخضع هذه أيضاً لفحص دقيق فى متنها وسندها لمعرفة مدى صحة سندها ومطابقة متنها للقرآن او الأحاديث الصحيحة الاخرى ، ووفقاً لنتيجة هذا الفحص يعمل بهذه الاحاديث والأخبار او لا يعمل بها (٢٥).

ودفاع الماتريدى عن الأخبار المتواترة او الأحاديث يبدو أنه موجه ضد بعض المعتزلة الذين يقال انهم انكروا قيمة التواتر فى السند كأساس للصحة او الصدق . وقالوا انه من المحتمل أن يكذب واحد من رجال سند الحديث ، بل يمكن تواطئهم جميعاً على الكذب . وقد ذكر ابو عيسى الوراق (٢٦) كواحد من اولئك الذين نقدوا الأحاديث المتواترة وانتهى الماتريدى بعد رد ارائه فى هذا الصدد الى تأكيد التواتر فى الأخبار وأن القول بأنكار التواتر وحجته يؤدى الى رفض التأريخ والوحى والى انكار كل المعارف الأنسانية سواء منها ما يتعلق بهذه الحياة او الحياة الآخرة . (٢٧).

### ٣- النظر او العقل :

يعتبر الماتريدى العقل والنظر المصدر الثالث للمعرفة ، وقد استخدم مصطلحات « النظر » و « الاستدلال » و « العقل » للدلالة على حركة النشاط العقلى فى اقامة البراهين وتركيب القضايا المنطقية . وقد اعطى الماتريدى العقل مكانة كبيرة فى نظريته عن المعرفة فأعتبره حاكماً ضرورياً ولازماً على تلك المعارف التى نكتسبها عن طريق حواسنا او نعتمد فيها على الأخبار ، خاصة فى تلك الحالات التى يحدث فيها اختلال فى مدارك الحس او اضطراب فى الأخبار ومصادرها . فالعقل هنا لازم لىتميز لنا عن طريقه وجه الحقيقة ، ونميز به بين صدق دعوى الرسل ودعاوى المخادعين (٢٨) .

وقد اعتمد الماتريدى على القرآن فى دفاعه عن مشروعية النظر واثبات أن العقل مصدر من مصادر المعرفة اليقينية . وأشار الى العديد من الآيات القرآنية التى تحت الانسان على التفكير فى آيات الله فى الكون ، والتدبر فيها ، وتأمر الناس بالتأمل فيما يحيط بهم من مخلوقات وفى انفسهم وما فيها من عبر : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (٢٩) . « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » (٣٠) ... ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلک التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث

فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض ، لآيات لقوم يعقلون » (٣١) « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » (٣٢) . ففى هذه الآيات وما يماثلها رغب الله فى النظر وألزم الاعتبار وامر بالتفكر والتدبر ، وأخبر أن ذلك يوقف الناس على الحق ويبين لهم الطريق (٣٣) .

وبالاضافة الى هذه الادلة المستمدة من القرآن ، فإن هناك كثيراً من البراهين العقلية التى تشير الى ضرورة استخدام العقل كوسيلة للمعرفة . فالعقل وسيلة هامة لمعرفة الله تعالى عن طريق معرفة الحكمة فى خلقه للعالم ، كما أنه ايضاً ضرورى كأداة يستغلها الانسان فى سبيل عمارة الارض التى سخرها الله تعالى له ، كما أنه مرجع هام للحكم على حسن الاشياء وقبحها بعد تحديد هذا القبح والحسن عن طريق الحس والخبر . وهذا كله يبين اهمية العقل والنظر ودوره فى معارف الانسان ، بل ان من ينكر دور العقل واهميته يحتاج الى استخدام العقل نفسه ليثبت رأيه هذا ، وهذا فى رأى الماتريدى . اوضح برهان على اهمية العقل (٣٤) . فمشروعية النظر والفكر اذن يشبها الشرع ويبررها العقل وتسندها براهين المنطق وادلته .

وقد بين الماتريدى وهن الحجج التى اعتمد عليها المنكرون للنظر والتدبر . اذ أن هؤلاء ذهبوا الى أنه ليس هناك ضمان من ان النظر العقلى سيؤدى الى معرفة حقائق الاشياء كما ان الاعتماد على العقل سيكل الانسان الى نفسه ويجعله مسئولاً عن الوصول الى معرفة حقائق الاشياء مع ان الامور كثيراً ما تختلط فى العقل فلا يدري

الانسان ما هو من عند الله وما هو من وحي الشيطان . من اجل ذلك كله يرى هؤلاء أنه من الأسلم للانسان تجنب النظر اطلاقاً والاعتماد على الوحي والالهام . ولم ينسب الماتريدى هذه الآراء الى طائفة معينة ، وربما تمثل اتجاهها عند بعض الفرق المتطرفة التى لجأت الى المعرفة الغنوصية او اعتمدت على النص من غير اعمال فكر او نظر . وقد أكد الماتريدى لهؤلاء ان ترك النظر يؤدى لا الى النجاة والسلامة بل يقود الى عطب الانسان وهلاكه ، لان الانسان بفطرته كائن مفكر وهو دوماً يسأل عن ذاته ومصيره ومبدأه وما ينفعه وما يضره الى غير ذلك من الاسئلة التى لا يمكن الانسان أن يتفادها او يتجاهلها ، فبحكم فطرته وطبعه الانسان كائن مفكر . هذا بالاضافة الى أن الانسان محاط فى هذه الحياة بكثير من المخاطر والمزالق التى لواتبعها ستقود الى هلاكه وهو ملزم بان يبحث عن ما ينفعه ويفيده ويتجنب ما يؤذيه ، ويتحقق هذا اما عن طريق اتباع من يوثق به والعقل هنا ضرورى لمعرفة مدى صدق مثل هذا الشخص ، او أن يلجأ الانسان الى استخدام حكمته وعقله ، واذن لامنجة للانسان فى كلا الحالين عن استخدام العقل والنظر (٣٥).

ويرى الماتريدى ان الشيطان هو الذى يسول للانسان ترك النظر وعدم استخدام العقل لأن استخدام العقل والنظر يفلق على الشيطان المنفذ الذى ينفذ منه للانسان ، اذ ان الانسان الذى يشغل نفسه بالتفكير فى طبائع الاشياء ومبادئها ونهاياتها سعياً الى معرفة خالفها

ووجوده سينصرف عن الالتفات الى الاشياء التى فيها هلاكه والتى يفرى بها الشيطان ، هذا بالاضافة الى ان التفكير والنظر اما ان يقود الانسان فى النهاية الى معرفة انه مخلوق وان له خالقاً يحاسبه ويعاقبه ومن ثم ينتهى به الفكر الى اتباع اوامره وتجنب نواهيه وينال بذلك السعادة فى الدنيا والآخرة ، او يقوده النظر الى فكرة مضادة لهذه وينتهى به الى سعادة الدنيا والتمتع بملذاتها مع العذاب والشقاء فى الآخرة ، او ينتهى به الامر الى اكتشاف انه يستحيل عليه الوصول الى نتيجة فاصلة فى مثل هذه المواضع . وفى جميع هذه الاحوال تتبين فائدة النظر واهمية التفكير للانسان (٣٦).

#### العلاقة بين العقل والوحي :

بالرغم من أن الماتريدى أكد اهمية العقل وجعل له مكانة بارزة متميزة فى نظريته فى المعرفة ، فإنه كان مدركاً لقصور العقل وان هناك حدوداً لا ينبغى له ولا يمكنه ان يتعداها فطبيعة المعرفة العقلية محدودة بما تمدنا به حواسنا او نستنبطه بوسائل الادراك . ومثل هذه الوسائل تقصر عن بلوغ حقائق كثير من الاشياء ، بل ان طبيعة المعرفة العقلية لا تتعدى فى كثير من الاحيان التمييز بين الاشياء اتفاقاً واختلافاً ، فالعقل يدرك الاسباب وراء الظواهر كما أنه يستطيع البرهنة على ما بين الاسباب والظواهر من ارتباط ، ولكنه يقصر عن معرفة حقائق الاشياء فى ذاتها (٣٧).

فدور العقل اشبه ما يكون بدور الدليل او المرشد الذى يرشد

الى مسالك المدينة المختلفة ودروبها ولكنه لا يستطيع ان يعطى صورة دقيقة متكاملة عن ما تحتويه المدينة من حقائق واسرار . وهذا يبدو اكثر وضوحاً بالنسبة للمسائل الميتافيزيقية ، اذ ان العقل يعجز تماماً عن أن يعطينا تصوراً دقيقاً لذات الله تعالى وحقيقة صفاته فهذا امر وراء طوره وادراكه ، ولذلك لزمت الحاجة الى الوحي لبيان هذه الاشياء (٢٨). ولأهمية هذه القضية ، قضية العلاقة بين الوحي والعقل كرس الماتريدى جزءاً كبيراً لمعالجتها وبيانها وتحديد دور العقل داخل اطار الدين . فوضح دور الوحي وأهميته بالنسبة للانسان فيما يتعلق بشئون دينه ودنياه ، وذهب الى أن الوحي كان المصدر الاول لمبادئ المعارف الانسانية التى تتعلق بشئون حياته الدنيوية من طب و طعام وحرف وصناعات وتربية و لغات الخ ... فبالرغم من اننا نتلقى هذه المعارف ونهتدى الى هذه الأشياء بتجاربنا وعقولنا ، فان مبادئ هذه الصناعات والعلوم قد أتت عن طريق الوحي ، والا لو ترك للانسان ان يكتسبها من البداية لظل يجرب ويعيد تجاربه الى درجة قد تقود الى هلاكه فى هذا السبيل (٢٩). كذلك نجد ان العقل يوجب علينا معرفة الله ووجوب شكره على ما أنعم به ، ولكنه لا يستطيع ان يرسم لنا الطريقة التى يؤدى بها هذا الشكر . وبالمثل نجد أن الانسان مهملٌ بحكم خلقته وفطرته لعبادة خالقه ولكننا لا نجد فى العقل تحديداً لنوع هذه العبادة ولا كيفية ادائها ، كل ذلك مصدره الوحي والشرع فقط ، ومن ثم كانت الحاجة اليه ، وكان ضرورياً للانسان فى هذا



المجال (٤٠). هذا بالاضافة الى ان الناس لو تركوا وعقولهم لما إتفقوا على شئ بل لانتهى بهم الامر الى الاختلاف والفرقة وهذا واضح بالمشاهدة ، ومن ثم لزم وجود سلطة تفوق العقل وتعلو عليه وتوجه الناس وتحفظ عليهم وحدتهم . كذلك نلاحظ أن معارف الناس محدودة وهم متفاوتون فيها من شخص الى اخر ولا يبعد ان يعجزوا جميعاً عن الوصول الى كثير من المعارف ومن ثم كان الوحي مصدراً مهماً لأمدادهم بما فيه صلاحهم ومنافعهم من العلوم التي لم يستطيعوا الوصول اليها . ثم ان العقل البشرى قابل للتأثر بالرغبات والدوافع والعادات والألفة ، الأمر الذى قد يعوقه عن الوصول الى بعض المعارف اليقينية للأشياء ، ومن هنا كانت الحاجة الى الوحي كمصدر موثوق به غير قابل للتأثر بظروف خارجيه . واخيراً يذهب الماتريدى الى ان الأشياء غير المحسوسة يصل اليها الانسان اما عن طريق الاستنباط من المحسوسات كما يستدل بالدخان على وجود النار ، وبالبضوء على الشمس ، وعلى الاثر بالمؤثر او عن طريق الأخبار التي تنقل اليها حقائق الاشياء التي لم نشاهدها ، والوقائع التي تقع خارج دائرة تحركنا . ومن هذا النوع الأخير كل الأمور المتعلقة بذات الله تعالى وأوامره ونواهيه ووعدته وعيده فهذه لا سبيل الى معرفتها الا عن طريق الخبر من الرسول ( اى الوحي او الشرع ) (٤١).

والدفاع عن الوحي واهميته هو فى الواقع دفاع عن الدين بصفة عامة وهذا ما أكده الماتريدى وركز عليه وبين أن الدين هو مصدر

الوحدة بين الناس كما انه ملجأهم حين تختلف عقولهم وتحار أفكارهم ... وقد ظل الدين او العقيدة يلعب دوراً هاماً فى حياة الانسان ، وهذا ما يشهد له تاريخ البشرية الذى يكشف لنا ان الانسان لا يمكنه ان يعيش من غير عقيدة وغاية وهدف مهما كانت هذه العقيدة وتلك الغاية وذلك الهدف . ومن ثم نجد أن الملوك كى يضمّنوا خضوع الناس لهم يختطون سياسات معينة ونظماً يحاولون ان يجمعوا حولها الناس ، والمصلحون يقدمون للناس برامج اصلاح معينة ، والرسل يأتون برسالات من عند الله لتنظيم حياة الناس ، كل ذلك يشهد بأن الانسان لا يمكن ان يحيا من غير عقيدة وهدف (٤٢).

والعقل ايضا يؤكد اهمية الدين بالنسبة للانسان اذ لا يتصور عقلا ان الناس خلقوا عبثاً او ان حياتهم تنتهى بموتهم ، بل ان العقل السليم يستلزم وجود حياة اخرى وغاية من وراء حياتنا الدنيا . ولو ترك الناس وعقولهم من غير هداية الهية ، لانتهى بهم الامر الى الشقاق والفرقة والتناحر ومن ثم كانت الحاجة الى الدين من اجل استقرار الحياة الانسانية . وفوق ذلك كله لا يمكن لله العالم الحكيم ان يترك الناس من غير عون لهم او هاد يوجههم الى ما ينفعهم فى حياتهم الدنيا والآخرة (٤٣) . وهكذا نجد ان العقل وشهادة السمع او الشرع يحكمان بضرورة الرسالات الالهية ، بل ان المجتمع فى رأى الماتريدى لا يمكنه الاستقامة الا عن طريق وحى الهى وشرعية تنظم حياة الناس وتضع لهم اسس السلوك وقواعد النظام (٤٤) .

هذا التصور الاسلامى الذى اكده الماتريدى عن الوحى واهنيته  
 قوبل بمعارضة من بعض الطوائف ، بعضها ملحد لا يؤمن بوجود اله ،  
 وبعضها مؤمن بأن هناك اله خالق للكون ولكن رأى هؤلاء أنه لا  
 ضرورة للوحى ، وزعموا أن العقل البشرى يمكنه أن يصل الى  
 معرفة الله والتمييز بين ما هو خير وشر . وقد رفض هؤلاء فكرة  
 الوحى وانكروا دور الرسل كحاملى رسالات الله الى البشر ، واحتجوا  
 بأن رسالات الانبياء اما أن تتفق مع حكم العقل ومن ثم ستكون لا  
 فائدة منها ، واما أن تكون مناقضة له وعندئذ سيكون من المستحيل  
 التصديق بها والتسليم بصحتها . وفى كلا الحالين لا داعى لارسال  
 الرسل مادام العقل البشرى يقوم بمهمتهم . وقد زعم هؤلاء ان هناك  
 تناقضاً بين العقل والوحى اذ ان الرسل اباحوا أشياء وامروا بافعال  
 يعتبرها العقل قبيحة كقتل الحيوان الأليف وذبحه ، ولما كان الله  
 الحكيم لا يأمر بما هو قبيح فى العقل فالرسل اذن لم يعيئهم الله  
 تعالى (٤٥). وقد نسبت هذه الآراء الى البراهمة (٤٦) ، ومن تأثر بهم  
 كمحمد بن زكريا الرازى ( ت ٩٢٥ ) (٤٧) وابو عيسى الوراق الذى  
 سبقت الاشارة اليه ، وابن الراوندى (٤٨).

وقد اشار الماتريدى بصفة خاصة الى البراهمة والى ابي عيسى  
 الوراق وبين تهافت اراءهما فى هذا الصدد ، وأكد انه لا يمكن ان  
 يكون هناك تعارض بين الوحى والعقل فى حكمهما على الأشياء وما  
 تنوهمه من تعارض بين العقل والشرع انما مرده الى قصور من

جانبنا وسوء فهم لطبيعة الاشياء التى تصدر أحكامنا عليها . اذا أن الاشياء بالنسبة للحسن والقبح نوعان : بعضها قبيح فى ذاته او حسن بصرف النظر عن الظروف والاحوال التى تحيط به ، والبعض الاخر قد يكون حسناً تارةً قبيحاً تارةً أخرى وفقاً لظروف معينة يوجد فيها . وهذا النوع الاخير ليس من السهل معرفته او الوقوف على حقيقته بالعقل بل يحتاج الى وحى من عند عليم خبير بكل الظروف والاحوال والاشياء . وذبح الحيوان الأليف وقتله من هذا النوع الأخير فهو ليس فى ذاته شراً والا لما أتى الشرع واباحه فى بعض الاحيان ، بل ان العقل يوجب القتل فى بعض الاحيان كما فى حالة الدفاع عن النفس او حماية المجتمع من شر البغاة . ثم أن هؤلاء البراهمة قد خلطوا بين أحكام العقل وأحكام الطبع ، ويرى الماتريدى ان هناك فارقاً هاماً بين هذين : فلا خلاف ابدأً بين حكم العقل والوحى ولكن الاختلاف يكون دوماً بين الوحى وحكم الطبع ، لان حكم العقل على الاشياء حسناً وقبحاً حكم ثابت لا يرتبط باحوال او بظروف معينة ، ولا يتغير لتغير تلك الاحوال والظروف ، بينما أحكام الطبع تختلف وتتغير وترتبط بالطبائع والعادات وتغيرها واختلافها . (١٩)

والحكم بقبح ذبح الحيوان الأليف وقتله مرده الى طبائع الناس وعاداتهم . ويضرب الماتريدى مثلاً على امكانية تغير احكام الطبع وتحولها بالحيوانات المتوحشة من طيور ودواب . والتى يصعب قيادتها . ولكن حينما تروض هذه الحيوانات وتؤلف يلين قيادها ويحبب اليها

ما كانت تنفر منه ، فالطباع هنا تتغير وتتبدل تبعاً لتغير الظروف . ومن هذا القبيل قتل الحيوان الأليف وذبحه ، فكون طائفة من الناس نفرت منه او تفرزت استجابة لعاداتها والفها أو لطباعها لا يدل على قبح ذبح الحيوان لأن هؤلاء اذا ما تغيرت ظروف حياتهم سيعتادون عليه ولا يرون فيه قبحاً . ولكن مثل هذا التذبذب لا يحدث ابداً بالنسبة لأحكام العقل فما قبيح وحسن بالعقل يزداد قبحاً وحسناً كلما اعمل الانسان فيه فكره ، ومن اجل هذا جعل الله سبحانه وتعالى العقل لا الطبع أساساً للتكليف والمسئولية (٥٠).

وهذا الاختلاف بين العقل والطبع ليس شيئاً عارضاً بل يعود في الاساس الى حقيقة كل منهما ، اذ الطبع يميل دوماً الى اللذات العاجلة ، ويدعو الانسان اليها ويشجعه على اكتساب ما يجلب عليه نفعاً قريباً وتجنب ما يؤذيه ، بينما العقل على العكس من ذلك يكشف للانسان حقائق الاشياء من حيث قبحها وحسنها الذاتى بصرف النظر عن ما تجلبه من ألم او حسرة عاجلة . فالطبع لا يمكن ان يعطى مثل هذا الحكم لأنه مهتم باللحظة الحاضرة بينما العقل مهتم بالحاضر والمستقبل ومن ثم فهو اقدر على الحكم على الافعال من حيث قبحها وحسنها الذاتى . وهكذا يرى الماتريدى انه ليس هناك تناقض بين العقل والوحى من حيث حكمهما على الحسن والقبح الذاتى فى الافعال ، وما يبدو من تناقض ظاهر انما مرده الى ان احكامنا مستمدة من الطبع لا من العقل (٥١).

فالعقل اذن اسمى درجة من الطبع ولكن للعقل الانساني حدوده وواجه قصوره ، فهو عرضة ايضا للمؤثرات الخارجية التى تحول بينه وبين ادراك القيم الحقيقية او الذاتية لاشياء ومن هنا تأتى الحاجة للوحى . وبالإضافة الى ذلك فأن العقل ان امكنه الوصول الى معارف حقيقية مطابقة لما هو مأمور به ومنهى عنه بالوحى ، فأن هناك امورا بين هذه اسماها الماتريدى الممكنة ، لا يتضح الحكم فيها بطريقة قاطعة ، فالعقل لا يستطيع ان يصل فيها الى حكم حاسم ، والفصل فيها من ثم الوحى . « الاصول ثلاثة : ممتنع وواجب وواسط ، وهو الممكن ، وعلى ذلك جميع امر العالم ، فالواجب فى العقل بجهة لا يجوز مجئ الخبر بغيره ، وكذلك الممتنع ، ويجئ فى الممكن اذ هو المتقلب من حال الى حال ويد الى يد ، وملك الى ملك وفى ذلك ليس فى العقل ايجاب جهة والامتناع من جهة فتجئ الرسل ببيان الاولى من ذلك فى كل حال » (٥٢).

فالوحى اذن اسمى درجة من العقل ، ومهما بلغت درجة العقل فانه ليس فى امكانه الاستقلال عن الوحى والشرع . ولكن فى اطار الشرع او الدين نجد ان للعقل دوراً هاماً يلعبه . اذ انه شرط ضرورى للتكليف . ويذهب الماتريدى الى ان الانسان اذا كان عاجزاً عن فهم اوامر الشرع وادراكها مع استنفاد طاقته من اجل ذلك فهو اذن ليس مخاطباً بها ، لان تكاليف الشرع جعلت للفهم اولاً ثم العمل ، ويخاطب بها ويلزم الانسان العاقل المدرك . كذلك يذهب

الماتريدى الى ان الانسان العاقل ملزم بمعرفة الله تعالى وعن طريق النظر فى المخلوقات ينتهى العقل الى الايمان بوجود الله تعالى وقدرته . فمعرفة الله اذن تكتسب بالاستدلال ، وما دام الانسان قد زود بملكات الفكر والتدبر وامر ان يفكر فى نفسه وفى ماحوله ومن حوله ، فهو ملزم بالقيام بهذه الوظيفة ، وان يعرف الله عن هذا الطريق (٥٣). وينسب الى الماتريدى القول بأنه لو لم يبعث الله رسولا فالانسان مكلف بالتفكير ولا عذر له عن عدم معرفة بخالقه ما دام قد منح العقل وقوة التفكير (٥٤).

ولاشك ان هذا رأى لا يتفق مع مدلول الايات القرآنية التى تربط الحساب والعقاب بارسال الرسل مثل قوله تعالى « رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً » (٥٥) وقوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (٥٦) والتى فهم منها الأشاعرة أن التكليف مرتبط بارسال الرسل وان العقل وحده لا يلزم الايمان بالله او معرفته ، وان الانسان غير معاقب على اعماله او اعتقاده قبل ارسال الرسل (٥٧). ولكن الماتريدى اتفقا مع المعتزلة ذهب الى ان « الحجة » المشار اليها فى الاية تتعلق بالعبادات والشرائع والتى لا يمكن معرفتها او ايجابها الا عن طريق الوحي وحده ، اما العقيدة او الايمان فيلزم عن العقل وبه يجب ، لان الانسان قد اعطى عقلا ويحمل من الدلائل والبراهين التى لو استخدمت لبرهنت على وجود الله ووحدانيته وربوبيته (٥٨).

وهكذا يضع لنا الماتريدى تصوراً متكاملأً لنظرية فى المعرفة يتناول فيه مصادرها من حس وخبر وعقل ويذهب فيه الى أن الحواس اساس المعارف الانسانية ، كما أن الانسان يتلقى كثيراً من معارفه عن طريق التلقى او الأخبار ، ولكن المعرفة الحسية والخبرية . عند الماتريدى اقل درجة من المعارف المستنبطة عن طريق العقل ، اذ أن العقل حاكم على الحس وعلى الأخبار . ولكن من ناحية اخرى نجد العقل اقل درجة من الوحي بل انه يقصر عن الوصول الى المعارف اليقينية فى كثير من الحالات التى تقع فى دائرة الوحي . وفى اثناء معالجته لهذه القضايا تناول الماتريدى اراء الطوائف المناهضة لامكانية اكتساب المعرفة عن طريق الوسائل المشار اليها كالسوفسطائيين وغيرهم ممن انكروا امكانية العلم او حاولوا انكار الوحي والنبوة والشرائع . وتكتسب اراء الماتريدى هذه اهمية خاصة اذ انها تمثل اقدم محاولة لمعالجة هذه القضية فى اطار علم الكلام الاسلامى .



## هوامش البحث

- ١- الماتريدى : كتاب التوحيد ، المقدمة : ص ١٠ حقق هذا الكتاب وقدم له دكتور فتح الله خليف ، بيروت ١٩٨٠ .
- ٢- ابو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوى ( ت ٣٩٠ هـ - ٩٩٩ م ) له كتاب « اصول الدين » الذى يبدو أثر الماتريدى واضحاً فى موضوعاته ومنهجه بل وحتى فى عباراته ومصطلحاته .



- ٣- البزدوى : اصول الدين ، ص ٣
- ٤- الماتريدى : تأويلات اهل السنة ، مجلد ١ ص ١٩/٨
- هـ- يذهب كمال الدين البياضى الى ان الماتريدى لم يتنكر طريقة بل هو مفصل وشارح لمذهب الامام أبى حنيفة : اشارات المرام من عبارات الامام ص ٢٣ .
- انظر : السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ، ص ٢٨٤ وما يتلوها .
- اما الكتب التى ركزت على المقارنة بين الأشاعرة والماتريدية فهى متأخرة نسبياً ولعل اول كتاب وردت فيه هذه المقارنة هو كتاب : الروضة البهية فيما بين الأشعرية والماتريدية ، لأبى عذبة طبة حيدر آباد : ١٣٢٢ هـ
- ٦- صدر الجزء الاول عام ١٩٧٠ - ١٣٩١ هـ حققه وعلق عليه الدكتور ابراهيم عوضين والسيد عوضين .
- ٧- الأشعرى : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . ج ٢ ص ٣١-٣٥ ، ٦٩ ، ٧٩٨٧ . الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ١ ص ٥٩ . الجوينى ، الأرشاد ص ٨ القاضي عبد الجبار : الأصول الخمسة ، ص ٨٨ زهدى حسن جار الله ، المعتزلة ، ص ١٧٧ - ١٠٩ .
- ٨- لانجد هذا المنهج عند الاشعرى المعاصر للماتريدى بينما نجد ان معظم المتكلمين الذين اتوا بعد الماتريدى ينتهجون هذا النهج ، راجع مثلا : الباقلانى كتاب التمهيد ، البغدادي : اصول الدين . الجوينى : الارشاد ، الشامل فى اصول الدين ، الرازى : محصل افكار المتقدمين والمتأخرين ، الايجى : المواقف .
- ٩- الماتريدى : كتاب التوحيد ص ٣-٤ .
- ١٠- نفس المرجع ص ٦ .
- ١١- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص : ٤٥-٤٦ .
- ١٢- الفزالى : احياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ١٦ . التفتازانى : شرح العقائد النسفية ، ص : ٤٦ .
- ١٣- الماتريدى : توحيد ، ص ٦ .
- ١٤- الماتريدى : تأويلات سورة يس آية ٨٨
- ١٥- الماتريدى : توحيد ص ٨٧
- ١٦- نفس المصدر : ص ٢٥-٢٦

- ١٧- نفس المصدر : ص ٢٦ .
- ١٨- نفس المصدر : ص ١٥٤ .
- ١٩- الباقلائي : التمهيد : ص ١٠٤ - ١٢١ البغدادى اصول الدين . ص ١١-١٢
- التفتازاني : شرح العقائد النسفية : ص ٣٤ - ٣٥ .
- ٢٠- كتاب التوحيد : ص ٧
- ٢١- نفس المصدر ص ٢٦ - ٢٧ .
- ٢٢- نفس المصدر ، ٨ ، ٢٧ .
- ٢٣- نفس المصدر ص ٨
- ٢٤- نفس المصدر ص ٩٨
- ٢٥- نفس المصدر : ص ٩
- ٢٦- ابو عيسى الوراق ( ت ٢٦٧-٨٦١ ) كان من المعتزلة ثم خرج عليهم واتهم باتباع المنصب المانوى انظر
- ( S.M. Stern ) Vol.I P.130- Encyclopedia of Islam, art .
- Abu- Isa al- Warrak وقد نسبت بعض هذه الاراء
- ايضا الى : النظام واتباعه من المعتزلة انظر : البغدادى ، اصول الدين
- ص ٢٠ الأبيجى : المواقف ج ٨ ص ٣٨٠ .
- ٢٧- توحيد ص ١٩٧ وما يتلوها
- ٢٨- نفس المصدر ص ٩
- ٢٩- فصلت : ٥٣
- ٣٠- الفاشيه : ٢٠- ٢١ .
- ٣١- البقرة : ١٦٤
- ٣٢- الذريات : ٢١
- ٣٣- توحيد : ص ١٠
- ٣٤- نفس المصدر ص ١١-١٠
- ٣٥- نفس المصدر ١٣٥- ١٣٦
- ٣٦- نفس المصدر ١٣٦
- ٣٧- نفس المصدر ٢٦٧
- ٣٨- الماتريدى : تأويلات الاعراف ٥٤
- ٣٩- توحيد : ١٨١- ١٨٠

٤٠- نفس المصدر ١٨١

٤١- نفس المصدر ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥

٤٢- نفس المصدر ص ٤

٤٣- نفس المصدر ص ٦

٤٤- نفس المصدر : ص ١٨٦

٤٥- نفس المصدر ص ٢٠٠ - ٢٠١

٤٦- E. 12 Vol.I art. Barahima),

( Fazlur— Rahman ) P.1031.

٤٧- عبدالرحمن بدوي ، من تاريخ الالهاد في الاسلام ، ص ٢٠١ - ٢٠٦ .

٤٨- ابوالحسن احمد بن يحيى بن اسحق ولد في بداية القرن الثالث الهجري ، وقد

كان من المعتزلة ثم اصبح شيعياً ، وبثأثير من استاذة الوراق اعتنق بعض

الاراء الالهادية ووصف بالزندقة انظر :

Encyclopedia of Islam, art. Ibn—ar—Rawandi

( P.Kraus, G. Vejda) PP.905—6

٤٩- توحيد ص ٢٠١ - ٢٠٤

٥٠- نفس المصدر ص ٢١٨ - ٢١٩ ، ٢٤٣

٥١- نفس المصدر ص ٢٢٣ - ٢٢٤

٥٢- نفس المصدر ص ١٨٤

٥٣- نفس المصدر ص ١٢٧

٥٤- شيخ زاده ، كتاب نظم الفرائد وجمع القوائد في بيان المسائل التي وقع فيها

الاختلاف بين المانريدية والأشعرية ص ٤٦ - ٤٩

٥٥- النساء : ١٦٥

٥٦- الاسراء : ١٥

٥٧- الأيجي : المواقف ، ج ١ ص ٩٧١

٥٨- تأويلات القرآن : النساء ١٦٥

## لمحات عن وظيفتى الفتوى والرقابة الشرعية فى البنوك الاسلامية

حسن محمود عبداللطيف الشافعى

ان الموضوع الذى نتناوله اليوم - بغية القاء الضوء على بعض جوانبه ، موضوع جليل الخطر متعدد الأبعاد . وتعد العناية به أحد المعالم البارزة والخصائص المميزة لحركة الاقتصاد الاسلامى الحديثة ، ومن أمارات التوفيق الالهى لها ، اذ تحرص على تحقيق المصالح الاسلامية فى اطار الشريعة الحنيفية الخالدة .

ومدار هذا الموضوع على ثلاث مسائل شرعية :

أ - أولاها وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو

حكم فقهى عملى ، وقاعدة شرعية عامة فى نفس الوقت ،

يرتبط بها الكثير من الأحكام الفرعية التفصيلية ، مما حدا بالبعض الى رفعها لمرتبة الأصول الاعتقادية ، ولذا فان علماء أهل السنة يدرسونها فى أصول الدين وان كانت تتناول أيضا فى عظم الفقه ، وفى سياقها من علمى التفسير والحديث .

ب - والمسألة الثانية : مسألة الحسبة ، وهى صورة من الصور

العملية التى نشأت عن التطبيق العملى للمبدأ السابق ( الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ) ، وان كانت تركز بصفة خاصة على شئون المعاملات التجارية ومظاهر الآداب والنظام العام ، ولذا فهي تدرس عادة في الكتب الفقهية التي تعنى بالشئون الادارية والسياسة الشرعية للدولة الاسلامية .

ج - والمسألة الثالثة : مسألة الفتوى ، وهي مسألة أصولية

يدرسها علماء أصول الفقه اذ أن يعرضوا للمجتهد الذى يتولى بيان أحكام الله تعالى فى الوقائع والنوازل .. وقد صارت بدورها وظيفة أو ولاية شرعية منذ الصدر الأول والى أيامنا هذه ليتعرف من ليسوا من أهل العلم أحكام دينهم .

وموضوعنا - كما هو واضح - أكثر مساسا بالمسألتين الاخيرتين ، فالرقابة الشرعية فى البنوك ضرب من الحسبة المتخصصة من حيث الموضوع ، بمجال الولاية ، وكذا الفتوى هى الوظيفة الشرعية المشار اليها آنفا ، وان كانت أيضا متخصصة من الناحيتين السابقتين ، ولكن المسألة الأولى هى القاعدة الأساسية التى تقوم عليها كلتا الوظيفتين المذكورتين من الناحية الشرعية ، ولذا سنبدأ بها كمدخل طبيعى للموضوع كى نخلص الى كلمة عن الفتوى ، وأخرى عن الرقابة من بعض الجوانب التى قدتهما فيما نحن بصدده الآن ، ونختم هذه اللمحات السريعة بخاتمة نقدم فيها مقترحات متواضعة لدعم هاتين الوظيفتين الشرعيتين فيما يستقبل من عمل البنوك الاسلامية ان شاء الله .

أولا : تمهيد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

١- المعروف هو كل ماعرفه الشارع وحكم بحسنه ، والمنكر ما أبكره ونهى عنه ، والأمر بالأول والنهى عن الثانى واجب كفاى على الأمة ، وقد يتعين فى بعض الأفراد ، وهو جماع الدين كله كما يقول شيخ الاسلام ابن تيميه : « ... واذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهى ، فالامر الذى بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف ، والنهى الذى بعث به هو النهى عن المنكر ، وهكذا ورد نعت النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، كما قال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وهذا واجب على كل مسلم قادر ، وهو فرض على الكفاية ، ويصير فرض عين على القادر الذى لم يقم به غيره ، والقدرة هى السلطان والولاية ، والذين بيدهم السلطان والولاية أقدر من غيرهم ، وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم ، فان مناط الوجوب هو القدرة ، فيجب على كل انسان بحسب قدرته ، كما قال تعالى . فاتقوا الله ما استطعتم » (١) .

ويقول النووى فى شرحه على صحيح مسلم : « ثم ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية ، اذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقيين ، واذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلاعذر ولاخوف . ثم انه قد يتعين كما اذا كان فى موضع لا يعلم به الا هو ، أولا يتمكن من ازالته الا هو ، كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه

على منكر أو تقصير في المعروف ... ولا يسقط عن المكلف لكونه لا يفيد في ظنه ، بل يجب عليه فعله ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين . وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول ، وكما قال الله عز وجل .  
 « ما على الرسول الا البلاغ »... (٢) .

٢- وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه هذا الواجب التضامني على الأمة في اقامة السريعة والالتزام بأحكامها ، وأزال ما قد يشوب ذلك من سوء الفهم أحيانا ، سئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ) فقال : بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام (٣) . فهو واجب لا يسقط الا في أحوال الفتن أو ظهور عدم الفائدة ، لا مجرد الظن بعدمها أو خشية الضرر الشديد بالآخر .

٣- كما بين عليه الصلاة والسلام أن هذا الواجب لا يتم القيام به الا بتغيير المنكر وازالته وأقامة المعروف ونصرته ، كل بحسب قدرته وسلطته وولايته ... ولو بالموعظة والنصيحة والبيان ، أو المقاطعة والكراهية ، وذلك أضعف الايمان . روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » (٤) .

ويعلق عليه الامام النووي رحمه الله « وأما قوله عليه السلام

«فليغيره» فهو أمر ايجاب باجماع الأمة ، وقد تطابق على ايجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة واجماع الأمة وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين (٥) (الدين النصيحة ...)

٤- وأول ما ينبى أن يجتنب فيه المنكر ويراعى فيه المعروف هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك بمراعاة الآداب الشرعية فى الأمر والنهى ، وقد لخصها شيخ الاسلام ابن تيمية فى خلال ثلاث : العلم والرفق والصبر ، فلا بد من هذه الثلاثة العلم والرفق والصبر ، العلم قبل الأمر والنهى ، والرفق معه ، والصبر بعده ، وان كان كل من الثلاثة مستصحباً فى هذه الأحوال . وهذا كما جاء فى الأثر عن بعض السلف . ورووه مرفوعاً . ذكره القاضى أبويعلى فى المعتمد : لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كان فقيها فيما يأمر ، فقيها فيما ينهى عنه ، رفيقا فيما يأمر به ، رفيقا فيما ينهى عنه ، حليما فيما يأمر به ، حليما فيما ينهى عنه ) ... (٦)

٥- ولكون العلم والتفقه هو الشرط الأول للقيام بهذا الواجب الشرعى ورد الحضى والترغيب ، بل الأمر والايجاب لطلب العلم والفقه ، وربط به أمر الدعوة والنصيحة : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (٧) ودعينا للتنافس فى ذلك ، ففى صحيح مسلم (٨) ( سمعت عبدالله ابن مسعود يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسد الا فى اثنين : رجل آتاه الله مالا



فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » ، قال النووى تعليقا عليه : ورجل آتاه الله حكمة ....» معناه يعمل بها ويعلمها احتسابا ، والحكمة كل مامنع من الجهل وزجر عن القبيح (٩) والقدر الضرورى من العلم أو فرض العين منه هو أن يتعلم المسلم ما به تسلم عقيدته ونصح عبادته ويكتسب رزقه ويقوم بواجباته الضرورية كترية ولده ونحوه ، فان عرض ما لا يعلمه سأل أهل الذكر ... وهنا يأتى دور الفتوى والاستفتاء كما سنعرض له فيما يلى بعون الله

ثانيا : فى الفتوى ، وخاصة فيما يتعلق بالمعاملات المالية :

الافتاء شرعا هو : «بيان حكم الله تعالى بمقتضى الأدلة الشرعية على جهة العموم والشمول (١٠) والاستفتاء أن يطلب العامى الذى لا معرفة له بالحكم هذا البيان ممن هو أهل لذلك . ولكل منهما شروط و آداب شرعية ، سنلم ببعضها فيما يلى :

- ١- وجوب التفقه فى المعاملات المالية على المشتغلين بها :  
من المقرر فى الشريعة أنها عامة شاملة لكل أفعال المكلفين ، فما من واقعة الا والله تعالى فيها حكمه ، علمه من علمه وجهله من جهله (١١) ولا يمكن ان يتعزى الفعل نفسه عن حكم شرعى أبدا (١٢).
- ٢- ومن المقرر أيضا أن المكلف لا يصح له أن يقدم على عمل حتى يعلم حكم الله فيه ، فاما علمه بنفسه ، واما سأل عنه العالم به ، فهذا هو ما تعبده الله تعالى به فى كل شأنه .
- ٣- والذى يجب أن نضيفه الى هذين الأصلين - فيما نحن بصده

هو أن كل من يتصدى للاشتغال بالمعاملات المالية من المسلمين  
ففرض عليه أن يتعلم أحكامها ويتفقه فيها ، وهذا داخل فى فرض  
العين من العلم الشرعى لفرض الكفاية ، وقد أفاض علماء  
المسلمين فى ذلك على اختلاف مذاهبهم ، ومن جمع الكثير من  
أقوالهم فى هذا الأمر الحافظ محمد عبدالحى الحسنى الكنانى  
الادريسى فى « التراتيب الادارية » اذ يقول :

« عزا بعض المتأخرين الى الترمذى . مرفوعا . ( لا يبيع فى  
سوقنا الا من تفقه فى الدين ) ولم أجده فى كتاب البيوع من الجامع ،  
ولافى الجامعين للسيوطى ، ثم وجدته فى كنز العمال معزواله ( ص  
٢١٨ ج ١ ) . وفى ( تنبيه المغترين ) كان مالك يأمر الأمراء  
فيجمعون التجار والسوقة ويعرضونهم عليه ، فاذا وجد أحدا منهم  
لا يفقه أحكام المعاملات ولا يعرف الحلال من الحرام أقامه من السوق،  
وقال له : تعلم أحكام البيع والشراء ثم أجلس فى السوق ... وقال  
الزرقانى فى ( شرح المختصر ) : ... عن مالك أنه لا تجوز شهادة  
التجار فى شى من الأشياء الا أن يتعلموا أحكام البيع والشراء » (١٣)  
ثم ينقل الادريسى عن الشيخ أبى سعيد الخادمى الحنفى : « على  
التاجر أن يتعلم أحكام البيوع صحة وفسادا وبطلانا ، حلا وحرمة ،  
وربى وغيرها . قال فى ( التتارخانية ) : لا ينبغى للرجل أن يشتغل  
بالتجارة مالم يحفظ كتاب البيوع » (١٤).

وينقل الادريسى عن فقهاء الشافعية أيضا : « حكى الامام

الشافعى فى ( الرسالة ) والغزالى فى ( الاحياء ) الاجماع على أن المكلف لا يجوز له أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ، قال القرافى فى ( الفروق ) فمن باع وجب عليه أن يتعلم ما عينه الله وسرعه فى البيع ، ومن آجر وجب عليه أن يتعلم ما شرعه الله فى الاجارة ، ومن قارض وجب عليه أن يتعلم حكم الله فى القراض ، ومن صلى وجب عليه أن يتعلم حكم الله فى تلك الصلاة ... قال الشافعى : طلب العلم قسمان : فرض عين ، وفرض كفاية ، ففرض العين علمك بحالتك التى أنت فيها ، وفرض الكفاية ما عدا ذلك ... (١٥).

وفى ( فوانين الأحكام الشرعية ) لابن جزى : « ومنه ( أى العلم ) فرض عين وفرض كفاية ، ففرض العين ما يلزم المكلف من معرفة الطهارة والصلاة ، فاذا دخل رمضان وجب عليه معرفة الصيام ، فان كان له مال وجب عليه معرفة الزكاة ، فاذا باع واشترى وجب عليه معرفة البيوع ... وأما فرض الكفاية فهو ما زاد على ذلك » (١٦).

هكذا كان حال الأمة فى حرصها على اقامة الشرع فى أمر المعاملات المالية وتشدها فى ذلك بالمحافظة على تعلمها والتزامها ، ربما لان بعض أحكامها مما قد يدق ويخفى لعدم احتياج الكافة اليه كالعبادات مثلا ، واما لانها ترتبط بضرورة لحقوق العباد . والمسامحة فيها أفل من المسامحة فى حقوق الله تعالى ، وأما لحرصها على أكل الحلال الذى هو أصل من أصول الحياة الاسلامية ، فان « من لم يكن فقيها يأكل الربا » كما يقول الادريسي الذى يروى عن عمر رضى

الله عنه . بل عن النبي صلى الله عليه وسلم الاصل فى هذا كله : « ... قال عمر لا يدخل الأعاجم سوقنا حتى يتفقهوا فى الدين ...» أى من أحكام البيوع . وأصل ذلك من فعله عليه السلام ، فانه كان يعلم كل من يتعاطى عملاً أحكامه وتكاليفه ...» (١٧) . ثم ينقل عن ابن الحاج فى المدخل : « كان عمر بن الخطاب يضرب بالدرة من يقعد فى السوق وهو لا يعرف الأحكام ، ويقول : لا يقعد فى سوقنا من لا يعرف الرباء أو كما يقول « (١٨) .

هذا هو الأصل فى الحياة الاسلامية أن يكون المشتغلون بالمعاملات المالية فقهاء وعالمين بما يحل ويحرم ، ويصح ويفسد ، ويندب أو يكره من أمورها .  
حكم الاستفتاء و آدابه :

ولكن بعض الاحكام المالية قد يخفى حكمه حتى على بعض الفقهاء أو المشتغلين بالفقه ، وبعض المشتغلين فى المال قد يشغله عمله عن التفقه وطلب العلم وخاصة بعد أن ضعفت الهمم عن طلبه ، وقلت الدواعى الى ذلك عما كان عليه الحال فى الصدر الأول ، فماذا يكون الحال عندما تنزل بالواحد من هؤلاء واقعة لا يدرك حكمها ؟ أو يواجه تصرفاً أو تعاقدًا لا يعرف أصحح هو أم فاسد ؟ أحرام أم حلال ؟ وان الاجابة عن ذلك فى الأصول الثلاثة التى بدأنا بها المسألة السابقة وهى أن عليه اللجوء الى أهل الذكر والعلم واستفتاءهم فيما عرض له وفق قول الله تعالى : ( فاستلوا أهل الذكر ان كنتم

لا تعلمون .

ويقول الشاطبي في ( الموافقات ) : « ان المقلد اذا عرضت له مسألة دينية فلا يسعه في الدين الا السؤال عنها على الجملة ، لان الله لم يتعب الخلق بالجهل ... والادلة على هذا المعنى كثيرة ، وهي قضية لانزاع فيها ..

ويقول الغزالي في ( المستصفى ) : « العامى يجب عليه الاستفتاء واتباع العلماء وقال قوم من القدريّة : يلزمهم النظر في الدليل واتباع المعصوم . وهذا باطل بمسلكين : أحدهما : اجماع الصحابة ، فانهم كانوا يفتون العوام ولا يأمرونهم بنيل درجة الاجتهاد وذلك معلوم على الضرورة والتواتر من علمائهم وعوامهم ....»

المسلك الثانى : أن الاجماع منعقد على أن العامى مكلف بالأحكام ، وتكليفه طلب رتبة الاجتهاد محال ، لأنه يؤدي الى أن ينقطع الحرث والنسل وتتعلل الحرف والصنائع ، ويؤدي الى خراب الدنيا لو اشتغل الناس بجملتهم بطلب العلم ، وذلك يرد العلماء الى طلب المعاش ، ويؤدي الى اندراس العلم ، بل الى اهلاك العلماء وخراب العالم ، واذا استحال هذا لم يبق الاسؤال العلماء (١٩).

ويقول الآمدى : « العامى ومن ليس له أهلية الاجتهاد - وان كان محصلا لبعض العلوم المعتبرة في الاجتهاد - يلزمه اتباع قول أحد المجتهدين والأخذ بفتواه عند المحققين من الأصوليين ... ويدل عليه النص والاجماع والمعقول :

أما النص فقوله تعالى ( فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون )  
وأما الاجماع فهو أنه لم تزل العامة فى زمن الصحابة والتابعين قبل  
حدوث المخالفين يستفتون المجتهدين ويتبعونهم فى الأحكام  
الشرعية ، والعلماء منهم يبادرون الى اجابة سؤالهم ... فكان اجماعا  
... وأما المعقول فهو أن من ليس له أهلية الاجتهاد اذا حدثت به  
حادثة فرعية اما أن لا يكون متعبدا بشئ ، وهو خلاف الاجماع من  
الفريقين . وان كان متعبدا بشئ ، فاما بالنظر فى الدليل المثبت  
للحكم ، أو بالتقليد ، الأول ممتنع ، لان ذلك مما يفضى فى حقه وفى  
حق الخلق أجمع الى النظر فى أدلة الحوادث والاشتغال عن  
المعاش ... ورفع الاجتهاد والتقليد رأسا وهو من الحرج والاضرار  
المنفى بقوله تعالى . وما جعل عليكم فى الدين من حرج . ويقول عليه  
السلام : لا ضرر ولا ضرار ....»

هذا واجب غير المجتهدين فى تطلب الحكم من المفتين العارفين  
به ، ولو رحلوا فى سبيله . يقول الخطيب البغدادى فى ( الفقيه  
والمفتى ) : « أول ما يلزم المستفتى ، اذا نزلت به نازلة ، أن يطلب  
المفتى ليسأله عن حكم نازلته ، فان لم يكن فى محلته وجب عليه أن  
يمضى الى الموضع الذى يجده فيه ، فان لم يكن ببلده لزم الرحيل اليه  
وان بعدت داره ، فقد رحل غير واحد من السلف فى مسألة ....» (٢٠).

ومن ثم يتضح أن الاستفتاء ضرورة واقعية وشرعية معا ، ويجب  
على غير العلماء أو المجتهدين فيما يجهلون حكمه من تصرفاتهم

ولذا نظمت أموره منذ الصدر الأول :

أ - فقام النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الوظيفة بنفسه ، وأخذبها العلماء من أصحابه في محضره وغيبته (٢١).

ب - ونظم الولاية والأمراء منذ الصدر الأول أمر الفتوى العامة -الى جانب تطوع العلماء المتأهلين بذلك - حتى لاتعطل أو يتعرض لها من ليس من أهلها (٢٢)، ويراجع في هذا « اعلام الموقعين عن رب العالمين » لابن القيم .

ج - كما حرص بعض المشتغلين بالمعاملات المالية على الاستعانة بالمفتين في أعمالهم على نحو خاص يعتبر بادرة لما تلجأ اليه المؤسسات المالية الاسلامية في الوقت الحاضر ، يقول صاحب ( السراجية ) كما يروى عنه الادريسي في الترايب : « لا ينبغي للرجل أن يشتغل بالتجارة ما لم يحفظ كتاب البيوع ، وكان التجار في القديم اذا سافروا استصحبوا معهم فقيها يرجعون اليه في أمورهم ، وعن ائمة خوارزم أنه لا بد للتاجر من فقيه صديق » (٢٣).

١- وقد أورد العلماء عدة آداب للمستفتي كي يبرأ من المسئولية الدينية ، منها : أن يختار المفتي المعروف بالعلم والعدالة ، وقد شدد الشاطبي في ذلك وقال : لا يصح له أن يسأل من لا يعتبر في الشريعة جوابه ، لانه اسناد أمر الى غير أهله ، والاجماع على عدم صحة مثل هذا . (٢٤) فاذا لم يكن في البلد

الامت واحد وجب عليه الرجوع اليه اتفاقا ، ولكن اذا تعددوا ، وكلهم أهل علم وعدالة ، فهل يفاضل بينهم ؟ أوجب البعض عليه التخير ومراجعة الافضل ، ومنهم الآمدى والباقلانى وجماعة من الفقهاء والأصوليين (٢٥) ، وقال البعض : يأخذ بقول من شاء منهم ، كالغزالي فى المستصفى (٢٦) ، ونص الآمدى على أنه مذهب أحمد وبعض الشافعية وجماعة من الفقهاء والأصوليين (٢٧) ، ومال الساطبى الى الأول (٢٨) .

٢- وأن يحدد المسألة تماما بكل قيودها ، ولا يخفى من حقيقتها شيئا ، فان السائل أعرف بمسألته من جميع الناس ومنهم مفتيه ، وأن يوفر العالم ويجله فى الخطاب ، ولا يسأل فيما لا ينفع أولايهم من الامور (٢٩) .

٣- ألا يعمل بالفتوى اذا كان يعلم أن حقيقة الأمر فى الباطن كما يعرفها هو ، وقد خفيت على المفتى ، اذ يحكم على ظاهر الامر ، بخلاف ماتضمنه الفتوى . وهو المقصود باستفتاء القلب يقول العلامة ابن القيم : لا يجوز العمل بمجرد فتوى المفتى اذا لم تطمئن نفسه وحال فى صدره من قبوله وتردد فيها ، لقوله صلى الله عليه وسلم ( استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك )

٤- ولكن هذا الأمر الأخير يدعو الى بيان نقطة هامة ، فقد علمنا أن واجب العامى سؤال من عرف بالعلم والعدالة واتباع



قوله ، وما سبق يتضمن أنه قد لا يعمل بها ، وقد بين العلماء متى يكون الفتوى ملزمة للمستفتى ، وضبطها بعضهم فى أحوال أربع :  
١- حالة التزام المستفتى بالعمل بالفتوى .

٢- شروعه فى تنفيذ الحكم الذى كشفته الفتوى .

٣- اطمئنان قلبه الى صحة الفتوى ووثوقه بها .

٤ اذا قصد جهوده عن الوقوف على حكم الواقعة ، ولم يجد سوى مفت واحد (٣٠) .

فاما حالنا التعدد فى الفتوى أو التردد فيها من جانب المستفتى فقد سبق بيانهما ، وأما الحالتان الأوليان فالمفروض فيهما أن المستفتى قد عزم الأمر واطمأن الى الفتوى فلا يعود وينقضه .  
٣- حكم الافتاء وجلالته و ادبه :

الافتاء فرض كفاية على الأمة ، يقوم به فيها من توفرت فيه شروطه ، وقد يصير فرض عين أحيانا . « فان لم يكن وقت حدوث الواقعة المسئول عنها الا واحد تعين عليه ، فاذا استفتى وليس فى الناحية غيره تعين الجواب عليه ، فان كان فيها غيره ، وحضر ، فالجواب فى حقهما فرض كفاية ، وان لم يحضر غيره وجهان أصحهما لا يتعين ، والثانى يتعين » (٣٠) .

وقد تحدث الامام الساطبى فى معنى الوجوب الكفائى على الأمة كلها وعلى العلماء - ان تعددوا فى نفس الوقت - فأما واجب العلماء والقادرين فهو النهوض بالوظيفة السريعة ، وأما واجب الأمة فهو

اقامة هؤلاء القادرين يقول الامام الشاطبي « انه واجب على الجميع على وجه من التجوز ، لان القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة فهم مطلوبون بسدها على الجملة ، فبعضهم هو قادر عليها مباشرة ، وذلك من كان أهلالها . والباقون ، وان لم يقدروا عليها ، قادرون على اقامة القادرين .

فمن كان قادرا على اقامة الولاية فهو مطلوب باقامتها ، ومن لا يقدر عليها مطلوب يأمر آخر وهو اقامة ذلك القادر . . . فالقادر اذن مطلوب باقامة ذلك الفرض ، وغير القادر مطلوب بتقديم ذلك القادر ، اذ لا يتوصل الى قيام القادر الا بالاقامة ، من باب ما لا يتم الواجب الا به ... فهو واجب » (٣١) وهو بيان دقيق لمعنى الفرض الكفائي ، ودور الأمة في توفير الكفاءات التي تنهض به ، وتسد حاجته وتتمكن من ذلك بالجهد التضامني للأمة بأسرها .... فان لم تف بذلك أثمت جميعا .

هذا ، وان تعين أحد للافتاء ، اما لانفراده بالأهلية ، أو باتفاق كلمة من لهم الأهلية على تقديمه بحيث لا يفتى سواء ، أو وقع اختيار من له الولاية والسلطة عليه ، سواء كان المختار واحدا أو أكثر ، وتفرغوا للقيام بأمر الفتوى فلا بأس بأن يأخذوا من الأجر والراتب ما يكفيهم ، ولا يجوز أخذ شئ من أعيان المستفتين ، قال الخطيب البغدادي في ( الفقه والمتفقه ) : « لا يسوغ للمفتي أن يأخذ الأجرة من أعيان من يفتيه ، كالحاكم الذي لا يجوز له أن يأخذ الرزق من أعيان

من يحكم له أو عليه . وعلى الامام أن يفرض لمن نصب نفسه لتدريس الفقه والفتوى فى الاحكام مايفنيه عن الاحتراف والتكسب ، ويجعل ذلك فى بيت مال المسلمين ، فان لم يكن هناك بيت مال ، أو لم يفرض الامام للمفتى شيئا واجتمع أهله على أن يجعلوا له من أموالهم رزقا ليتفرغ لفتاويهم وكتابات نوازلهم ساغ ذلك . أخبرنا ابن الفضل ... قال : كتب عمر بن عبدالعزيز الى والى حمص : أنظر الى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها فى المسجد عن طلب الدنيا فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين حين يأتىك كتابى هذا ، فان خير البر أعجله ، والسلام عليك « (٣٣).

ولايتعارض هذا مع ما أورده ابن القيم من انكار النبى صلى الله عليه وسلم على عبادة بن الصامت أخذه قوسا ممن علمه الكتاب والقرآن (٣٣)، فانه لم يكن متفرغا لذلك ، والاباحة مشروطة بالأياخذ من أعيان المستفتين ، على أن الخلاف فى أخذ الاجر على القيام بالوظائف الدينية مشهور ، وقد استقر الرأى فيه على الجواز، بناء على أنه فى مقابل التفرغ لها ، لاعلى سبيل الأجرة .

ج - جلالة منصب الفتوى : ان المفتى - كما يقول الشاطبى قائم فى الأمة مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، والدليل على ذلك أمور :  
 أ - أحدها النقل الشرعى فى الحديث ( ان العلماء ورثة الانبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وانما ورتوا العلم ) ...

ب - الثاني : أنه نائب عنه فى تبليغ الأحكام ، لقوله : (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب)...

ج - والثالث أن المفتى شارح من وجه ، لان مايلغه من الشريعة أما منقول عن صاحبها ، وأما مستنبط من المنقول ، فالأول يكون فيه مبلغا ، والثانى يكون فيه قائما مقامه فى انشاء الاحكام... (٢٤)

وهذا هو المعنى الذى جعل الامام ابن القيم يسمى هؤلاء العلماء القائمين بأمر الاجتهاد والافتاء فى الدين « الموقعين عن رب العالمين » وجمع أخبارهم وما انتهى اليه من تراثهم فى كتابه العظيم «اعلام الموقعين»... (٣٥)

ولجلالة أمر الفتوى تهيبها السلف ، وتوقفوا أحيانا عن الجواب ، وعد هذا من دلائل فقههم وأمانتهم ، واشتد انكارهم على من تعرضوا للفتوى من غير أهلها ، بل ان النبى صلى الله عليه وسلم حذر من ذلك منبها على خطورة منصب الفتوى ، كما يروى الشاطبى فى كتاب الاعتصام : «...قال عليه الصلاة والسلام (.. ان الله لا ينزع العلم انتزاعا ولكنه ينزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم ، فيضلون ويضلون ) ... ومعلوم أن هذه الآثار الدائمة للرأى لايمكن أن يكون المقصود بها ذم الاجتهاد بالقياس على الأصول فى نازلة لم توجد فى كتاب ولا سنة ولا اجماع من يعرف الأشباه والنظائر ويفهم معانى الأحكام ... فان هذا ليس فيه تحليل وتحريم ولا العكس ، وانما القياس الهادم للاسلام ماعارض

الكتاب والسنة أو ما عليه السلف .. (٣٦) .

وربما كانت الفتوى من بعض الوجوه أخطر شأنًا من القضاء ، وقد لا يصلح لها من يصلح له ، روى عن أبي حنيفة قوله : ( أصحابنا هؤلاء ثلاثة وثلاثون رجلا ، منهم ثمانية وعشرون يصلحون للقضاء ، ومنهم ستة يصلحون للفتوى ؛ ومنهم اثنان يصلحان يؤدبان القضاة وأصحاب الفتوى ، وأسار الى أبي يوسف وزفر ) (٣٧) ومثل هذا التفضيل للمفتي وتقديمه على القاضي مما صرح به السبكي في بعض فتاويه كما يروى ابن حجر (٣٨)

ولجلالة أمر الفتوى استرطوا في المفتي شروطا جمّة ، حتى استرط طائفة منهم أن يكون من أهل الاجتهاد ، يقول الخطيب البغدادي : « أول أوصاف المفتي :

- ١- أن يكون بالغاً ، لأن الصبي لاحكم لقوله .
- ٢- ثم أن يكون عافلاً ، لأن القلم مرفوع عن المجنون لعدم عقله .
- ٣- ثم أن يكون عدلاً نقيّاً ، لأن علماء المسلمين لم يختلفوا في أن الفاسق غير مقبول الفتوى في احكام الدين ، وان كان بصيراً بها ، سواء كان حراً أو عبداً ، لأن الحرية ليست شرطاً في صحة الفتوى .
- ٤- وأن يكون عالماً بالأحكام الشرعية ، وعلمه بها يستعمل على معرفته بأصولها وارتياضه بفروعها ... (٣٩) .

ثم يضيف البغدادي أمورا هامة جدا للتفكير الفقهي بوجه عام وللفتوى في عصرنا هذا ، « وينبغي أن يكون هو الاستنباط جيد

الملاحظة ، رصين الفكر ، صحيح الاعتبار ، صاحب أناة وتؤدة . وأخا استببات وترك عجلة ، بصيرا بما فيه المصلحة ، مستوقفا بالمشاورة ، حافظا لدينه ، مشفقاً على أهل ملته ... لأن الفقيه يحتاج الى أن يتعلق بطرف من معرفة كل شى من أمور الدنيا والآخرة ، وإلى معرفة الجدل والهزل ، والخلاف والضد ، والنفع والضرر ، وأمور الناس الجارية بينهم ، والعادات المعروفة منهم ، فمن شرط المفتى النظر فى جميع ما ذكرنا هـ ، ولن يدرك ذلك الا بملاقة الرجال وكثرة المذاكرة لهم وجمع الكتب ودرسها ودوام مطالعتها « (٤٠) .

ولاشك أن ثقافة المفتى لا تعود الى الكتب وحدها ، ولا الى الفقه خاصة ، وانما هى أيضا المعرفة بأمر الناس وملاقة الرجال وتنزيل قواعد الشرع على وقائع العصر بما يحقق المصلحة من ناحية ومقاصد الشرع من ناحية أخرى .

هذا ، وقد اشترط البعض فى المفتين الاجتهاد ، واليه مثال قدماء الاحناف (٤١) وجماعة من الأصوليين ، ولم يشترط البعض ذلك ، واستظهر الآمدى أن « المختار أنه اذا كان مجتهدا فى المذهب بحيث يكون مطلعا على مأخذ المجتهد المطلق الذى يقلده ، وهو قادر على التفريع على قواعد امامه وأقواله ، متمكن من الفرق والجمع والنظر والمناظرة فى ذلك كان له الفتوى » (٤٢) . ويكاد الجمهور يميل الى هذا الرأى (٤٣) .

ومن تقاليد المفتين فى الاسلام ما ينبغى التنبيه عليه لحاجة أهل

عصرنا اليه :

١- المشاورة فى الفتوى قصد استيضاح المسألة أو الاتفاق فى الجواب ، يقول البغدادى هـ فأول ما يجب على المفتى أن يتأمل رقعة الاستفتاء تأملاً شافياً ... ثم يذكر المسألة لمن بحضرته ممن يصلح لذلك من أهل العلم . ويشاورهم فى الجواب ، ويسأل كل واحد منهم عما عنده ، فان فى ذلك بركة واقتداء بالسلف الصالح . وقد قال الله تبارك وتعالى ( وشاورهم فى الأمر ) وشاور النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مواضع وأسياء وأمر بالمشاورة ، وكانت الصحابة تتساور فى الفتاوى والأحكام (٤٤).

ويمكن أن يعتبر هذا أصلاً للفتوى الجماعية أو لجان الفتوى ، وله نسواهد أخرى ، وقد صرح بمثل ذلك تسيخ الاسلام ابن تيمية فى السياسة الشرعية هـ ..وهكذا فى سائر الولايات ، اذا لم تتم المصلحة برجل واحد جمع بين عدد ، فلا بد من ترجيح الأصلح ، أو تعدد المولى اذا لم تقع الكفاية بواحد ..

٢- التدريب على الفتوى واعداد المتأهلين لجيل يلحق بهم من الفقهاء والمفتين . ففي باب فتوى الصغير بين يدى الكبير من جامع بيان العلم وفضله يروى ابن عبد البر هـ قرأت على أبى عمر .... عن عبدالرحمن بن غنم الأشعرى قال : قلت لمعاذ بن جبل : أرايت قول الله عزوجل ( يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله ) فقال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا أبابكر وعمر حين أراد أن

يعتني الى اليمن ، فقال : أشيروا على فيما آخذ من اليمن ، قالوا : يا رسول الله أليس قد نهى الله أن تتقدم بين يدي الله ورسوله ؟ فكيف نقول وأنت حاضر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أمرتكما فلم تتقدما بين يدي الله ورسوله » (٤٥) .

وتم شواهد أخرى من عدل الصحابة في تدريب المتأهلين من طلاب العلم على الفتوى ... وجرى على ذلك السلف فكانت الاجازة للفتوى بعد أن يشهد للمرء شيوخه وعارفوه ، قال الخطيب البغدادي بعد أن روى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ان الله تعالى لا ينزع العلم من صدور الناس بعد أن يعلمهم اياه ، ولكن ذهابه فبض العلماء ، فيتخذ الناس رؤسا جهالا فيسألون فيقولون بغير علم ، فيضلون ويضلون ) : « ينبغي لامام المسلمين أن يتصفح أحوال المفتين فمن كان يصلح للفتوى أقره عليها ، ومن لم يكن من أهلها منعه منها ، وتقدم اليه بالألا يتعرض لها ، وأوعده بالعقوبة ان لم ينته عنها .

وقد كان الخلفاء من بنى أمية ينصبون للفتوى بمكة في أيام الموسم قوما يعينونهم ، ويأمرون بالألا يفتى غيرهم ... كان يصبح الصائح في الحاج : لا يفتى الناس الا عطاء بن أبي رباح ، فان لم يكن فعبد الله بن نجيح .

والطريق للامام الى معرفة حال من يريد نصبه للفتوى أن يسأل عنه أهل العلم في وقته والمشهورين من فقهاء عصره . ويعول على



ما يخبرونه من أمره ... وسمعت أبا مصعب أحمد بن بكر يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : « ما أفنيت حتى شهد لى سبعون أنى أهل لذلك » (٤٦) وقد مررنا من قبل قول أبى حنيفة فى صاحبيه أبى يوسف وزفر : انهما يصلحان لتأديب القضاة والمفتين .

٣- ومن تقاليدهم حرصهم على نشر العلم واذاعة الفتوى لتعم الفائدة ، ويتحقق الفرض على أتم وجه من بيان الأحكام ، وكتب الفتوى فى القديم والحديث مسهورة متداولة . ومن أسهرها العالمگیری وفتاوى ابن الصلاح وسيخ الاسلام ابن تيميه والشيخ عليش وغيرهم . ومن أحدثها ما بدأت تنشره دار الافتاء المصرية من فتاوى القرن الرابع عشر الهجرى ، ومن البين أن الكتاب كما قال بعض العلماء « يقرأ بكل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد فى كل زمان مع تفاوت الأعصار وتباعد ما بين الأمصار ، وذلك أمر مستحيل فى واضع الكتاب والمنازع بالمسئلة والجواب ... » (٤٧) نعم ، لقد ذكروا أنه « ان كان فى الرفعة ما لا يحسن ابداءه ، وما لعل السائل يورس ستره أو ما فى اساعته مفسدة لبعض الناس فينفرد المفتى بقراءتها والجواب عنها » (٤٨) فان خلا الجواب من نحو ذلك استحب اعلانه ، والا فترك تقديره للمفتى .

٤- وآخر ما نذكره من ذلك حرصهم على حرية الرأى الفقهى مع الأدب والحسمة والوقار ، وقد أورد مسلم فى صحيحه بابافى اختلاف المجتهدين ) جاءت فيه قصة الولد الذى ادعته امرأتان .

واختلفت فيه فتوى سيدنا داود عليه السلام وسيدنا سليمان عليه السلام كما يرويهما نبينا صلى الله عليه وسلم (٤٩). ويورد مسلم أيضا في الصحيح في ( باب جواز التمتع ) :

« عن سعيد بن المسيب قال : اجتمع علي وعثمان رضي الله عنهما بعسفان ، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة ، فقال علي : ما تريد الى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه ؟ فقال عثمان : دعنا منك ، فقال : انى لا أستطيع أن أدعك ، فلما أن رأى على ذلك أهل بهما جميعا (٥٠) » . ويعلق النووي على ذلك بأن « فيه اشاعة العلم واطهاره ، ومناظرة ولاية الأمور وغيرهم فى تحقيقه ، ووجوب مناصحة المسلم فى ذلك ، وهذا معنى قول على : لا أستطيع أن أدعك » (٥١) ويروى مسلم أيضا عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه قال قال عروة بن الزبير لعائشة رضي الله عنها : ألم ترى الى فلانة بنت الحكم طلقها زوجها البتة ، فخرجت ؟ فقال عائشة : بشما صنعت ، قال : ألم تسمعى الى قول فاطمة ؟ فقالت : أما انه لاخير لها فى ذكر ذلك ويعلق النووي : « ان فى حديث فاطمة بنت قيس فوائد كثيرة :... جواز انكار المفتى على مفت آخر ، خالف النص ، أو عمم ما هو خاص ، لأن عائشة رضي الله عنها انكرت على فاطمة بنت قيس تعميمها ألا سكتى للمبتوتة وانما كان انتقال فاطمة من مسكنها لعذر » (٥٢).

ثانيا : كلمة فى الرقابة والحسبة :

علما أن البيان ليس هو المطلوب الوحيد فى تغيير المفكر واقامة

المعروف اذا ما وجدت القدرة والولاية وأمنت الفتنة والضرر . ومن هنا كانت الحسبة ، وهى كما يعرفها الماوردى : «أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله » (٥٤) .

### أ - حكمها:

اتفق العلماء على أنها فرض كفاية أسوة بأصلها الذى هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقيين ، واذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف . ولم يشذ عن ذلك الا بعض الامامية (٥٥) . فقالوا بالوجوب العيني .

ومع أنها فرض كفاية فى الجملة فقد تصير فرض عين على بعض الاشخاص فى بعض الحالات : كأن لا يطلع على المفكر أو يقدر على ازالته غيره ، يقول النووى : « ثم انه ( أى الأمر بالمعروف ) قد يتعين كما اذا كان فى موضع لا يعلم به الا هو ، أولا يتمكن من ازالته الا هو ، كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير فى المعروف » (٥٦) .

ومن ذلك أن يختار لهذه الوظيفة ويلتزم القيام بها ، يقول الماوردى : « وهذا وان صح من كل مسلم فالفرق فيه بين المتطوع والمحتسب من تسعة أوجه » :

١- أنه فرض متعين على المحتسب بحكم الولاية ، وفرضه على غيره داخل فى فروض الكفاية .

- ٢- والثانى أن قيام المحتسب به من حقوق تصرفه الذى لا يجوز أن يتشاغل عنه ، وقيام المتطوع به من نوافل عمله التى يجوز أن يتشاغل بغيره .
  - ٣- والثالث أنه منصوب للاستعداد اليه فيما يجب انكاره ، وليس المتطوع منصوبا للاستعداد .
  - ٤- والرابع أن على المحتسب اجابة من استعداده ، وليس على المتطوع اجابته .
  - ٥- والخامس أن عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل الى انكارها ، ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر ليأمر باقامته ، وليس على غيره من المتطوعة بحث ولا فحص .
  - ٦- والسادس أن له أن يتخذ على انكاره أعوانا ، لانه عمل هو له منصوب ، وليس للمتطوع أن يندب لذلك أعوانا .
  - ٧- والسابع أن له أن يعزر فى المنكرات الظاهرة لايتجاوز الى الحدود ، وليس للمتطوع أن يعزر على منكر .
  - ٨- والثامن أن له أن يرتزق على حسبته من بيت المال ، ولايجوز للمتطوع أن يرتزق على انكار منكر .
  - ٩- والتاسع أن له اجتهاد رأيه فيما يتعلق بالعرف دون الشرع فيقر وينكر من ذلك ما أداه اجتهاده اليه وليس هذا للمتطوع (٥٧).
- وانما أفضت فى نقل هذه الفروق لما تلقيه من واجب المستول عن الرقابة الشرعية ، وازالة كل ما يراه يخالف الشرع من أوضاع أو

تصرفات ، وكل مامر يمكن أن يستأنس به فى أمر الرقابة الشرعية ،  
اللهم الا مسألة التعزير ، مالم يمنحوا سلطة التغريم أو الخصم مثلا .  
ولا ننصح به ..

### ب - آدابها :

وقد سبق أن اوردنا من آداب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر  
من العلم والرفق والعلم ما يعد جماعا لأدب المحتسب فى النهوض بأمر  
ولايته .

### ج - ومجالها:

النظر فى الأمر بمعروف ترك والنهى عن منكر يفعل دون حاجة  
الى دعوى ترفع وبينات تعرض وأيمان تطلب ... وقد تشارك القضاء  
فى جواز الاستعداد الى القائم بها والادعاء أمامه فى ثلاثة أنواع من  
الدعاوى التى تتعلق بحقوق الافراد :

١- مايتعلق منها ببخس أو تطفيف فى كيل أو وزن .

٢- مايتعلق منها بغبن أو تدليس .

٣- مايتعلق منها بمطل أو تأخير لأداء .....» (٥٨).

وبرغم اتساع مجالها فهى تركز كما ظهر على كثير من  
المعاملات المالية ، ولذا فينبغى أن نقدم الأصل الشرعى فى جواز  
تدخل السلطة لالزام الكافة بمراعاة الشرع فى معاملاتهم وخاصة  
التجار ورجال الأسواق مما نعتبره « أصل الحسبة » .

### د - أصلها (فى المجال المالى والتجارى )

روى مسلم فى صحيحه فى باب قول النبى صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا . » عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله ، فقال : أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ، من غشنى فليس منى « (٥٩) . وفى كتاب البيوع من صحيح البخارى عن ابن عمر قال : « لقد رأيت الناس فى عهد رسول الله من يتباعون جزافا - يعنى الطعام - يضربون أن يبيعوه فى مكانهم حتى يؤوه الى رجالهم » .

وروى مسلم أيضا فى صحيحه من « باب بطلان البيع قبل القبض » عن أبى هريرة أنه قال لمروان : « حللت بيع الربا ، فقال مروان ، ما فعلت ، فقال ابوهريرة أحللت بيع الصكاك وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام حتى يستوفى ، قال : فخطب مروان الناس فنهى عن بيعها ، قال سليمان ، فنظرت الى قرش يأخذونها من أيدي الناس » (٦٠) .

قال النووى : الصكاك جمع صك ، وهو الورقة المكتوبة بدين ، ويجمع أيضا على صكوك ، والمراد هنا الورقة التى تخرج من ولى الأمر بالرزق لمستحقه بأن يكتب فيها : للإنسان كذا وكذا من طعام أو غيره ، فيبيع صاحبها ذلك لإنسان قبل أن يقبضه .

وقد اختلف العلماء فى ذلك : فمن منعها أخذ بظاهر قول أبى هريرة وبحجته ، ومن أجازها تأول قضية أبى هريرة على أن المشتري

ممن خرج له الصك باعه لثالث قبل أن يقبضه المشتري ، فكان النهي عن البيع الثانى لا الاول ، لأن الذى خرجت له مالک لذلك ملكا مستقرا ، وليس هو بمشتري فلا يمتنع بيعه قبل القبض ، كما لا يمتنع بيع ماورثه قبل قبضه ، قال القاضى عياض - بعد أن تأوله على نحو ما ذكرته - وكانوا يتبايعونها ثم يبيعها المشتري قبل قبضها فنهوا عن ذلك ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فردّه عليه وقال لا تبع طعاما ابتعته حتى تستوفيه . هذا تمام الحديث فى الموطأ وكذا جاء الحديث مفسرا

فى الموطأ أن صكوكا خرجت للناس فى زمن مروان بطعام ، فابتاع الناس تلك الصكوك قبل أن يستوفوها ، وفى الموطأ ما هو أبين من هذا ، وهو أن حكيم بن حزام ابتاع طعاما أمر به عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فباع حكيم الطعام الذى اشتراه قبل قبضه .

رابعاً: الكلمة الاخيرة عن اقتراحات مستقبلية :

والآن ، وفى ضوء هذا الهدى الاسلامى ، فان لنا أن ننظر الى واقعنا بشئ من التفاؤل المسنول ونطلع الى مستقبل اكثر اشراقا لهذه المؤسسات الصاعدة التى تحاول حل مشاكل الأمة الاقتصادية فى ضوء شريعتها الخالدة .

أ - ولضمان ذلك فقد أنشأت البنوك الاسلامية أجهزة متخصصة لأمر الفتوى والرقابة الشرعية ، وان كان بعضها يكتفى فى هذا الصدد بوجود عنصر شرعى فى مجلس الادارة ، ولعل أكمل صيغة لتلك الاجهزة ما احتواه القانون الاساسى لبنك فيصل

الاسلامى السودانى ( انظر المادة ٦٩ منه ).

ب - كما نص فى الاتفاقية الاساسية لإنشاء الاتحاد الدولى للبنوك الاسلامية المادة ١٦ على تشكيل هيئة عليا للفتوى والرقابة الشرعية بالاتحاد من عدد من كبار فقهاء المسلمين لا يزيد عددهم عن سبعة أعضاء يختارهم مجلس الادارة بالاضافة الى ممثل عن هيئة الرقابة بكل من تلك البنوك الأعضاء ، ويكون رأى هذه الهيئة ملزما وفقا للقواعد الشرعية التى تقررها ، وتقوم الهيئة بهذا العمل تطوعا ، وتختص الهيئة بالاتي :

١- متابعة أعمال البنوك الاسلامية الاعضاء والتأكد من مطابقتها لاحكام الشرعية ، ولها أن تطلب عن طريق الامانة العامة للاتحاد من البنوك الاعضاء موافاتها بالبيانات التى تعينها على أداء مهمتها .

٢- النظر فيما يتقدم به أى من المسلمين بشأن ما يراه عن مدى شرعية أعمال أى من البنوك الاعضاء .

وبناء على تلك السادة تشكلت الهيئة المذكورة وعقدت بعض الاجتماعات ، وشكلت مجلس ادارة وأمانة عامة لها .

ج - كما تابعت لجان الفتوى بالعديد من البنوك والمؤسسات المذكورة نشاطها ، وقدمت حلولاً ودراسات شرعية لبعض ما يعترض طريق العمل المصرفى والمالى الاسلامى مما يعد تراثا له قيمته تضاف الى تراث الفقه الاسلامى الذى كاد يتوقف فى



هذا المجال فى الفترات الأخيرة .

والآن نود أن نتقدم ببعض المقترحات لدعم الأجهزة الشرعية المحلية منها والمركزية وفاءً لرسالتها الجليلة .

١- العمل على اعداد العاملين بالبنوك الاسلامية وتدريبهم على النحو الذى يتيح لهم فهم الاحكام الشرعية المتعلقة بما يقومون به من تصرفات والوعى بالطبيعة الخاصة للمؤسسات التى يعملون بها حتى لا يتعرضوا فيما لو رزقوا بفقهِ كمالك رضى الله عنه للطرد من السوق المصرفية والتجارية . ومن حسن الحظ أن الاتحاد الدولى لهذه البنوك يعمل الآن على اعداد موسوعة شرعية لدراسة كافة الاعمال المصرفية من وجهة نظر الفقه الاسلامى ، مما قد يسهم فى توفير الاعداد المشار اليه .

٢- كما نرجو أن تعمل هيئات الفتوى على تنسيق العلاقات فيما بينها وتبادل الفتاوى عقب اصدارها من خلال الأمانة العامة للهيئة العليا للفتوى والرقابة أو من خلال الاتحاد أو بصفة مباشرة سواء على أسس المعاملة بالمثل أو بدون هذا الشرط الأخير ، وذلك للاستفادة من التجارب والجهود دون ازدواج أو تكرار .

٣- كما نقترح أن تقوم هذه الهيئات باعلان ماتصدره من فتاوى الا ماقدموا المصلحة لأرجاء اعلانه دعماً للحياة الفقهية واثراء للفكر الاسلامى المتعلق بالمسائل المصرفية والاقتصادية بوجه

٤- العمل على اعداد بعض النابهين سواء من شباب العاملين بتلك البنوك نفسها أو بكليات الشريعة والاقتصاد والقانون للمعاونة مستقبلا فى مهام الافتاء والرقابة الشرعية بعد دراسات ومناهج مناسبة ويشارك الاتحاد مع السلطات الأكاديمية فى وضعها بحيث تغطى احتياجات العمل المصرفى الاسلامى والاقتصادى بوجه عام .

٥- اعطاء العاملين بالبنوك والمتعاملين معها عامة المسلمين حق مخاطبة هيئات الفتوى مباشرة شريطة ارسال صورة من تلك المخاطبات لادارات البنوك .

٦- كما نقترح تطوير عملية المراقبة الشرعية بحيث لا تقتصر على الاذن أو عدمه بقيام المشروعات الجديدة وتحويلها ، ولكن تضم الى ذلك متابعة هذه المشروعات ، سواء قبل الاذن فى دراسات الجدوى التى ينبغى أن تضم عناصر شرعية أو فى متابعتها بعد الاذن للعمل على حل مشاكلها وحماية مسارها وضمان استمرارها فى الاطار الشرعى ومايخدم المصالح الحقيقية لاقتصاديات الشعوب الاسلامية ، كل أولئك من خلال نظرة شرعية أصيلة . على أن هناك جانبا من المراقبة الشرعية تتأكد أهميته خصوصا فى مرحلة النمو والنمو التى تمر بها هذه المؤسسات لترسيخ التقاليد الاسلامية ، تتمثل فى مراقبة الحركة اليومية للتعامل فى البنوك الاسلامية . والاطمئنان على

ايجابية العاملين واستيعابهم بطبيعة هذه البنوك واحترام القيم الاسلامية بوجه عام من اقامة سليمة للشعائر لمراعاة صداقة لاخلاقيات العمل وحماية مخلصه للأسرار الشخصية وحفظ للمظهر الانساني والاسلامى العام ، وذلك ونحوه لا يتم بأسلوب تقليدى للرقابة ، ولكن من خلال لون من الريادة الروحية والأخلاقية يكسب الاتجاهات ويجسد المثل بطريقة تربوية أكثر منها ادارية .

د- ونقترح أيضا تحريك الامانة العامة للهيئة العليا للفتوى والرقابة بحيث يحقق تواصلا حيا وفعالا بين الهيئات المحلية ، وتقوم منها بالمشروعات العامة :

أ - وذلك كالاقتراح الذى أسلفناه عن تكوين البرامج المناسبة لاعداد العناصر اللازمة للعمل المصرفى الاسلامى .

ب - العمل على نشر التراث الاسلامى فى الافناء وفى الفكر الاقتصادى الاسلامى بوجه عام فى عصوره المختلفة .

٨- هذا وبالرغم من انه لا توجد دواع للكلام عن اختلاف فى رأى بين هيئات الفتوى وادارات البنوك ، فاننا نعتقد أن نصوص قوانين التأسيس والقواعد الفقهية التى سبق غرضها تحال الى الهيئات العليا للفتوى والرقابة للبت فيه برأى شرعى ، ولكن اذا كان الأمر اداريا أو اجرائيا ، فيرجع فيه الى الجمعيات العمومية ، بتلك المؤسسات التى انبثق عنها كل من سلطات

## الادارة وهيئات الفتوى والرقابة . والله ولى التوفيق .

### المراجع

- ١- الحسبه فى الاسلام ط مؤسسة مكة بدون تاريخ ص ١٨
- ٢- مسلم بشرح النووي ط الحلبي - ٢٣/٢
- ٣- ابن القيم - فتاوى رسول الله ط الاعتظام ، القاهرة ، ١٩٠٨ م ص ١٦
- ٤- السابق ٢ - ٢٢
- ٥- الحسبة فى الاسلام ص ٧٤ ،
- ٦- سورة التوبة ٢٢
- ٧- ٦ - ٩٧ - ٩٨
- ٨- صحيح مسلم بشرح النووي ٦ - ٩٨
- ٩- الفتاوى الاسلاميه ط القاهرة ١٤٠٠ ، المجلد الاول ص ٩
- ١٠- انظر الشاطبي ، موافقات ١ - ٤١
- ١١- الادريسي ، التراتيب ٢ - ١٦
- ١٢- الادريس : التراتيب ط بيروت - بدون تاريخ ٢ - ١٨
- ١٣- السابق ، نفس الصفحة
- ١٤- السابق ص ١٦ - ١٧
- ١٥- ابن جزى : قوانين ص ٤٤٢ ،
- ١٦- التراتيب ٢ - ١٧
- ١٧- السابق ٢ - ١٨
- ١٨- الغزالي : المستصفى ط الجندى بالقاهرة ، ص ٥١٩
- ١٩- البغدادي : الفقيه والمتفقه ، ط دارالكتب العلميه بدون تاريخ ٢ - ١٧٧ ،
- ٢٠- انظر الموافقات ٤ - ١٦٢ ، وابن البر : جامع بيان العلم وفضله ، دارالكتب الحديثه بالقاهرة ١٩٧٥ م ص ١٥٩ .
- ٢١- الفقيه والمتفقه ٢ - ١٥٣ - ١٥٤
- ٢٢- التراتيب الاداريه ٢ - ١٨
- ٢٣- الموافقات ٤ - ١٧٥ .

- ٢٤- الاحكام ٢١٤-٤
- ٢٥- المستصفي ص ٥٢٠
- ٢٦- الاحكام ٢٠٤-٤
- ٢٧- الموافقات ١٨١-٤
- ٢٨- انظر البغدادي ، الفقيه والمتفقه ٢٧٩-٢ وبهذا طيبا نشره الدكتور يوسف القرضاوى بمجلة « المسلم المعاصر » العدين ٦٠٥ عن الفتوى فى الماضى والحاضر .
- ٢٩- الفتاوى الاسلاميه ، نشر دار الافتاء بالقاهرة ١٤٠٠ هـ المجلد ١ ، ص ٢٢
- ٣٠- السابق ص ١٠
- ٣١- الموافقات ١ - ١١٤
- ٣٢- الفقه والمتفقه ١٦٤-٢ ١٦٥
- ٣٣- انظر فتاوى رسول الله ( المستخرج من اعلام الموقعين ) ص ٧٧ .
- ٣٤- الموافقات ١٦٢-٤ ١٦٣
- ٣٥- انظره وخاصة ٢٠٦-٤ وما بعدها
- ٣٦- الشاطبى ، الاعتصام بالكتاب والسنة - ط السعادة بمصر ٢٨٤-٢
- ٣٧- الكوثرى : لمحات النظر - ط القاهرة ١٣٦٨ هـ ص ٢٠
- ٣٨- ابن حجر الهيتمى ، الاعلام بقواطع الاسلام ، ط دار الشعب سنة ١٤٠٠ هـ ص ٨٨
- ٣٩- البغدادي ، الفقه والمتفقه ١٥٦-٢
- ٤٠- السابق ١٥٨-٢
- ٤١- الفتاوى الاسلاميه ١٣
- ٤٢- الآمدى ، الاحكام ٢٠٣-٤ ٢٠٤
- ٤٣- الفتاوى الاسلاميه ١٣- ١٧
- ٤٤- البغدادي ، الفقيه والمتفقه ١٨٣-٢ ١٨٤ .
- ٤٥- جامع بيان العلم وفضله ١٥٩
- ٤٦- البغدادي ، الفقيه والمتفقه ١٥٢ - ١٥٤
- ٤٧- البغدادي ، تقييد العلم - ط دار احياء السنة النبويه ١٩٧٤ م ص ١١٨ .
- ٤٨- البغدادي ، الفقيه والمتفقه ١٦٨-٢
- ٤٩- صحيح مسلم ١٨-١٢
- ٥٠- السابق ٢٠٢-٨

- ٥١- السابق ٢٠٣-٢
- ٥٢- السابق ١٠-١٧
- ٥٣- السابق ١٠-١٧-١٠٨
- ٥٤- الماوردي : الاحكام السلطانية ٢٤٠
- ٥٥- انظر شرح النووي على مسلم ٢٣-٢ وموسوعة الفقه الاسلامي - القاهرة ١٣٨١ هـ النموذج الأول ص ٥٥
- ٥٦- النووي ، ١ ، شرح مسلم ٢٣-٢
- ٥٧- الماوردي ، الأحكام السلطانية ٢٤٠
- ٥٨- موسوعة القاهرة الفقه - النموذج ص ٦٢
- ٥٩- صحيح مسلم لشرح النووي ١٠٩-٢
- ٦٠- السابق ١٠- ١٧١



# العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان فى العهد النبوى

محمد يوسف الفارومى

تعريب : سردار رشيد حسين

ان بيعة العبة لها أهمية كبرى فى ارساء قواعد الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة وهى كحجر الزاوية لها . ولذلك كان كعب بن مالك رضى الله عنه يفضلها على غزوه بدر<sup>(١)</sup> ، وبعد أن تمت هذه البيعة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مندوبه الخاص مصعب بن عمير رضى الله عنه الى المدينة المنورة ليقوم بمهام تعليم الدين الحنيف لأهالى المدينة . وكان عند الله بن أم مكتوم رضى الله عنه يساعده فى تأدية هذه المهمة الجبارة . وقد بدأ مصعب بن عمير رضى الله عنه القيام بمسئوليته هذه بوجه مؤثر و ديناميكية بالغة ، كما يلقى خطبه على الناس بعد ان يضع اصبعه على نبضهم وأن يحصل على معرفة طبائعهم وفراصة نفسيتهم ، داعيا الى كلمة الحق بالحكمة والموعظة الحسنة مراعىا لمكانة المخاطب الاجتماعية ومبلغ علمه . واعتنق الاسلام جم غفير من سعب المدينة نتيجة لجهوده ومساعدته ، والواقع أن مهام التبليغ والتوجيه لا تكون أصعب بين عامة الناس أكثر مما تكون بين القادة السياسيين وأصحاب السلطة والحكم . وذلك فى جميع العصور والدهور . وكان هذا اعجاز مصعب بن عمير رضى الله عنه أنه ترك انطبعا جيدا لدى ساسة المدينة وأصحاب القيادة وأرباب الحل والعقد وأصحاب السلطة القبلية ، وبالتالي اعتنق الاسلام عدد كبير من سادة الأوس والخزرج .

وبعد السنة الثالثة عشر من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أتى مصعب بن عمير رضى الله عنه بوفد كبير الى مكة المكرمة ، وكان يرافقه فى هذه البعثة أفراد من قبيلتى أوس و خزرج ، وأبرمت المعاهدة التاريخية الموسومة ببيعة العمة الثانية . وهذه البيعة هى حجر الزاوية فى انشاء الدولة الاسلامية فى قلب شبه الجزيرة العربية . وفى نفس السنة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بهجرته المباركة الى عاصمة هذه الدولة الجديدة ، وفور قدومه هناك اتخذ عدة قرارات هامة لاهامة حكومة مظلمة وانشاء مجتمع منيع وتحمي الوحدة الاسلامية . وكان ميثاق المدينة وعملية المواخاة حلفتين هامتين من هذه السلسلة (١٠) . ومع هذه الخطوات الجديدة أبقى الرسول صلى الله عليه وسلم بالتعديلات الضرورية القليلة بعض المؤسسات السياسية التى كانت موجودة لدى العرب قبل الاسلام . وكان لها دور بارز فى حياتهم الاجتماعية والسياسية ومن هذه المؤسسات كانت العرافة والنقابة . ونقصد فى هذا المعال أن نلمى الضوء على هاتين الهيئتين السياسيتين .

**العرافة**

كانت العرافة والنقابة هيئتين منذ هديم الزمان . وكانت لهما أهمية بالغة فى المجتمع العربى ، وكانت اتصالات الحكومة بعامة الناس تتم من خلال العرفاء والنقباء وكان هؤلاء الممثلون يسرفون الحكومة بأحوال الشعب فى دوائهم الخاصة وحاجاتهم ، كان العريف ممثلا لدائرة صغيرة تحتوى على عشرة نفوس (١١) . وكان ينتخب من بين أعيان القبيلة المحنكين ومن انريائهم على وجه العموم ، والذى لم يكن يقوم بمراعاة مصالح ناخبي دائرته فحسب بل كان يحافظ على حقوق شعبه فى التعامل مع القبائل الاخرى والجماعات والاحزاب .

وجاء وصف العريف فى لسان العرب والقاموس كالآتى : هو القيم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس يلى أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم (١٢) ويقول العلامة ابن حجر العسقلانى حول معنى العريف . أنا عريفهم ، أى وليت أمر سياستهم وحفظ أمورهم (١٣) . وجاء فى تاج العروس شرح القاموس ، هو رئيس القوم لمعرفته بسياسة القوم (١٤) . ويمكن تعيين معنى العريف من شعر طريف هكذا :



## أو كلما وردت عكاظ قبيلة

بعثوا الى عريفهم يتوسم

يعنى مهما يأتي في مولد عكاظ أية قبيلة فيرسل شعب شراحيل الى عريفهم للوقوف على احوالى كي يتمكنوا من اغتيال على تعريفه (٨٠) .

ولما نسبت معركة الحنين في شهر سوال في السنة الثامنة الهجرية وانتهت بانتصار المسلمين حضر وفد كبير من قبيلة هوازن الى الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه اطلاق سراح أسراهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم للناس « أنا أريد اطلاق سراحهم ، فمن يريد منكم كذا بالرغبة فليفعل فقال الناس نعتقهم بالرغبة ولكن قال الرسول صلى الله عليه وسلم للناس : لا أعرف من يسمح بالرضا ومن لا يسمح ، فابعوا الى عرفاءكم ليتقدموا بهذه القضية بأنفسهم- فقد جاء في صحيح البخارى ، قال ابن سهاب حدثني عروة بن الزبير أن مروان بن الحكم والمصور بن مخزوم أخبراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين أذن له المسلمون في عتق سبايا هوازن ، فقال لا أدري من أذن فيكم ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاتكم أمركم فرجع الناس فكلّمهم عرفاءهم ، فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه أن الناس قد طيبوا وأذنوا (٨١) .

وحدث هذا في وقت قد رسخ فيه دعائم الدولة الاسلامية وظهرت معالمها الى حيز الوجود ظهوراً كاملاً . وكانت مكة المكرمة قد فتحت وكانت هيئات الدولة الاسلامية الاجتماعية والسياسية بدأت تعمل . وهذه سبايا الحرب تحمل في طياتها التعقيدات العديدة . فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث في هذا الأمر مع العرفاء بدل أن يتصل بالناس مباشرة . لم يكف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يعترف ببيابة هذه المؤسسة فحسب بل أقرها واعتبرها ضرورية للمجتمع .

وجبنا الى جب مع هذا كله نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كما روى في سنن ابى داود ، « ان العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ولكن العرفاء في النار (٨٢) . » هما يبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « العرفاء في النار » جميع الساسة

والزعماء وأصحاب المناصب الحكومية العليا كى يقوموا بواجباتهم بكمال التدين وأتم التكريس والافليستعدوا للعقاب الشديد . ولما طلب ابوذر رضى الله عنه منصباً حكومياً من النبي صلى الله عليه وسلم خاطبه قائلاً : يا أباذر ( رضى الله عنه ) انك رجل ضعيف وانما هي ( أى المناصب الحكومية ) أمانة وان لم يؤد أحد واجباته كما كان حقها بعد أن ولى عليها فتكون وبالاً عليه يوم القيامة وسبباً لذلك وهوانه (١٠١) . ويرى العلامة ابن حجر العسقلانى أن العريف ينوب عن حقوق شعب دائرته ويجعله عاملاً بالنظم والاحكام السارية ، فاذا اقيم على كل قوم عريف لم يسع لأحد الا القيام بما أمر به (١٠٢) . وعندما يعين العريف على كل قوم فلا يستطيع أفرادهم أن يفتروا المنكرات بل يخضعون للقوانين والنظام بدون التردد والتزعزع . وكل هذه الامثلة ان دلت على شئ فانما تدل على أن هؤلاء العرفاء فى ذلك الحين كانوا يقومون بتوعية الشعب وبصورتهم باداء الحقوق والواجبات بموجب الاحكام والنظم السارية . وقد استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل وفق متطلباتها فى عهده .

وقد نقل الامام البخارى فى « كتاب الشهادات » رواية بأن أبا جميلة ، فع دعوى الى عمر رضى الله عنه و عرض أنه وجد لقيطاً ووضع له بغيه تربيته وتنشئته والتمس يومية له من بيت المال ولكن سيدنا عمر رضى الله عنه شك فى هذا الشخص ، فتقدم عريفه بصفاء ذمته وبراءته فى هذا الصدد حيث قال انه رجل صالح . فخصص عمر رضى الله عنه يومية لهذا الطفل على تصديق العريف ووبى بديانة أبى جميل وصدقه (١٠٣) .

ولى عمر رضى الله عنه سعد ابن أبى وقاص على معركة القادسية لتجهيز الجيش وتعبئته ، وأرشده أن يعشر الجنود ويعين العريف على كل فرقة من عشرة نفوس . قائلاً : اذا جاءك كتابى هذا فعشر الناس وعرف عليهم (١٠٤)

ويؤكد لنا المؤرخ الجليل العلامة الطبرى رحمه الله هذا الامر ويقول انه كما كان يعين العرفاء فى العهد الفاروى كانوا يعينون فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا كلام الطبرى رحمه الله فى الفاظه : فعرف على كل عسرة رجلاً كما

كانت العرافات أزمان النبي صلى الله عليه وسلم (١١). يقول مسلم بن ثنثة ان ابن علقمة عين أبيا عريفا لقومه ليقوم بجمع الزكوة والصدقات ، (١٢) ومرة حكى ابوسعيد الخدرى رضى الله عنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم أمام مروان ، بأنه لا هجرة بعد الفتح بل جهاد ونية . فأنكر مروان صحة نسبة هذا القول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان رافع بن خديج رضى الله عنه وزيد بن ثابت رضى الله عنه موجودين لديه . قال ابوسعيد رضى الله عنه ان أردت فهذان يستطيعان أن يؤيداني فى تصديق صحة هذا الحديث لديك . ولكنهما يخشيان أن تعزلهما من أعمال جمع الصدقات ومناصب العرافة . وظلا ساكتين ، فرفع مروان حذاءه لضرب أبى سعيد . فلما رأيا هذا الوضع المتوتر والخطير ، صدفا أبا سعيد فائلين ، بأنه ما قاله أبوسعيد هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعينه (١٣) .

ويتضح من هذه الروايات والاحاديث أن العرافة كانت ادارة اجتماعية وسياسية مترابطة . والحكومة كانت تستنخر احوال الشعب من خلالها وتطلع على مشاكله ومسانله . وكان العريف يتوسط بين الشعب والحكومة لحل هذه القضايا والامور . وعندما نظمت هذه المصلحة فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم من جديد جعلت تستخدم كمؤسسة تستهدف اصلاح المجتمع وترمى الى توعيته وتزكيته ، ولذلك كان العرفاء يعينون من بين الذين يتمتعون بالسيرة الحسنة والسلوك الممتاز ، وعميدتهم الدينية الراسخة ويعظون بمكانة مرموقة وعزيزة لدى شعب دائرتهم ، وكان هذا هو السبب الوحيد لاتباعهم وتكريمهم من أعماق القلوب من قبل الناس . ونظام الديمقراطية الاساسية الذى طبقه هنا المرحوم محمد ايوب خان يماثل الى حدما فى شكله ومظهره الخارجى نظام العرافة فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم . ولكن النمط الذى نفذ عليه هذا النظام أساسا فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم والاهداف والمقاصد التى راعاها عليه السلام فى تطبيقه من تزكية النفس وتربية الخلق للملة الاسلامية ، هى مفقودة تماما فى نظام الديمقراطية الاساسية ، ونحن الآن بصدد تطبيق النظام الاسلامى وثمة أيضا فكرة على

المستوى الحكومى . فعلىنا أن نقوم باستعراض شامل لهيئتنا السياسية والاجتماعية . وإذا أردنا تطبيق الاسلام الكامل واعلاء رايته الحققة فى كل معنى الكلمة وإذا كانت أمنيتنا أن تسترد الأمة الاسلامية مكانتها الضالة فيجب علينا أن ننفع روح الاسلام الحقيقية فى كل المراكز القومية والحيوية للمجتمع والادارة والعدل . لتظهر النتائج بعيدة المدى فى توجيه العلة الاسلامية وتشكيله من جديد بدون الشك والمماراة .

#### النقابة

وكانت النقابة مؤسسة ثانية سياسية واجتماعية كانت تمثل دائرة كبرى بالنسبة للعرافة . وقد عرفها صاحب تاج العروس فى شرح القاموس كالتالى :

النقيب شاهد القوم ورأسهم ، فانه يفتش أحوالهم ويعرفها . وقيل النقيب الرئيس الاكبر ١٧٠ . وأضاف يقول . وانما قيل للنقيب . نقيب لانه يعلم دخيلة أمر القوم . ويعرف منافبهم . وهو الطريق الى معرفة أمورهم ١٧١ . ويقول الكاتب السهير مؤلف مجمع البحار : النقيب هو كالعرف على القوم المقدم عليهم . يعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم ١٧٢ .

وعد أوضحنا فى الصفحات الماضية ، أن العريف كان يمثل الدائرات الصغيرة والأحياء . وكانت مسئولياته منحصرة على المستويات المحلية والافليمية . وكان يحافظ على حقوق وواجبات محلته ومنطقته . ولكن على العكس من هذا ، كانت مسئوليات النقيب متزايدة . وكان ينوب عن الصعيدين البلدى والعمومى .

لا يخفى على أهل العلم أهمية بيعة العقبة الاولى فى تاريخ الاسلام السياسى . وخاصة على الذين يعرفون نتائجها معرفة جيدة ، أبرمت بيعة العقبة الثانية بعد مرور ثلاث عشرة سنة على بعثة النبى صلى الله عليه وسلم . وتمت بهذه المناسبة معاهدة أيضا بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين أهل المدينة . فعين الرسول صلى الله عليه وسلم اثنى عشر نقيبا . تسعة منهم من قبيلة خزرج وثلاثة من قبيلة أوس . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختبرهم بنفسه . بل رشحهم الانصار كمثلين لهم ١٧٣ . قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تمت البيعة . أخرجوا لى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم . وأخرجوا منهم

اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من أوس (١١). أى قدموا منكم اثني عشر شخصا يقومون بواجبات النقيب عن قبائلهم وشعوبهم ليكونوا حكاما بينهم عندما تنشب المشاجرات وتبرز المشاحنات فيما بينهم ، فانتخبوا اثني عشر شخصا ، تسعة من خزرج وثلاثة من أوس .

وعبدالله ابن الصامت ( رضى الله عنه ) الذى كان من هؤلاء النقباء ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأجلة ، يحكى هذه الواقعة بكل فخر وبهجة . وقد نقل الامام مسلم روايته هذه فى صحيحه .

عن عبادة ابن الصامت ( رضى الله عنه ) قال ، انى من النقباء الذين بايعو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ، بايعناه على أن لا نشارك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا ننهب ولا نعصى ، فالجنة ان فعلنا ذلك ، فان غشنا من ذلك كان فضاءه ذلك الى الله تعالى (١٢)

وفيما يلى أسماء هؤلاء النقباء من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الكرام :

- (١) أسعد بن زرارة رضى الله عنه من بنى نجار .
  - (٢) أسيد بن حضير رضى الله عنه من بنى عبدالاشهل .
  - (٣) أبو جابر عبدالله بن عمرو رضى الله عنه من بنى سلم .
  - (٤) براء بن معرور ( رضى الله عنه ) من بنى سلم .
  - (٥) رافع بن مالك ( رضى الله عنه ) من بنى زريق .
  - (٦) رقاعة بن عبدالمنذر رضى الله عنه من بنى ظفر .
  - (٧) سعد بن الربيع ( رضى الله عنه ) من بنى الحارثة .
  - (٨) سعد بن عبادة ( رضى الله عنه ) من بنى ساعدة .
  - (٩) سعد بن خيثمة ( رضى الله عنه ) من بنى عمرو بن عوف .
  - (١٠) عبدالله بن رواحة ( رضى الله عنه ) من بنى حارثة .
  - (١١) عبادة ابن الصامت ( رضى الله عنه ) من بنى عوف .
  - (١٢) منذر بن عمرو ( رضى الله عنه ) من بنى ساعدة .
- وروى بعض المؤرخين اسم سيدنا أبى الهيثم بن التيهان فى النقباء بدل

رفاعة بن المنذر . وكان ينحدر من قبيلة بنى عبدالاشهل .  
ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يعين النقباء فحسب بل انه  
عليه السلام أنشأ ايضاً منصب نقيب النقباء و عين فيه أسعد بن زرارة رضى الله  
عنه .

ويكتب المورخ الشهير العلامة البلاذرى رحمه الله فى ذكر أسعد بن  
زرارة رضى الله عنه - أسعد الخير بن زرارة بن عوس النجارى ( رضى الله  
عنه ) . يكنى أبو أمامة ، مات على تسعة أشهر من الهجرة ، ومسجد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بينى ، فدفن <sup>بالبقيع</sup> وكان نقيب النقباء ( ٢٣ ) .  
ويروى الامام أحمد ابن حنبل فى مسنده عن على رضى الله عنه أنه عليه  
السلام قال :، وانى أعطيت أربعة عشر نقيباً وزيرا نجيباً ( ٢٤ ) .

وذكر القرآن عن النقباء فى العصور الماضية والملل البالية حيث يقول:  
ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً ( ٢٥ ) وكان  
سيدنا موسى عليه السلام عهد اليهم المسئوليات السياسية المهمة جنبا  
الى جنب مع الواجبات الدينية ، وفصل القاضى الشوكانى هذه الواجبات  
كالآتى :- انهم بعثوا أمناء على الاطلاع على الجبارين والنظر فى قوتهم  
ومنعتهم ، فساروا ليختبروا حال من بها ويخبروا بذلك ( ٢٦ ) - يريد أنهم  
ندبوا ليستخبروا عن العمالقة وقوتهم ومنعتهم وامكانياتهم الدفاعية  
ليطلعوا سيدنا موسى عليه السلام عن كل هذه المعلومات . وكان العمالقة  
يقطنون أرض شام ويحظون بصحة جيدة وقامة طويلة . فلما أمر موسى عليه  
السلام بالجهاد ضدهم ، بعث نقباءه لاستطلاع أحوالهم الداخلية  
واستعداداتهم الحربية .

وأما ما يتعلق بسلطات هؤلاء النقباء وواجباتهم فقد اتضح الى حد كبير  
مما ذكر آنفاً من الاستشهادات والنصوص التاريخية وعلى سبيل المثال

كان من صلاحياتهم حسم الخلافات والمشاحنات بين الناس والاطلاع على احوالهم بكل كفاءة ودقة وابلاغ الحكومة معلومات عن حوائجهم وظروفهم ، ولم يزالوا يخبرون الحكومة عن صلاحيات الأشخاص الاكفاء والأفراد المتحررين لتستفيد الحكومة من مؤهلاتهم وكفاءاتهم استفادة تامة . ويبدو هذا أيضا مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للقباء يوم بيعة العبة الثانية حول واجباتهم ، فقال : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم عليه السلام ، وأنا كفيل على قومي ، فقالوا نعم (١٠) . أى انتم مسئولون عن مشكلات قومكم كما كان أصحاب عيسى عليه السلام مسئولين عن قومهم وأنا مسئول عن أمتي ، فأقر الناس وقالوا نعم .

فقصارى القول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى هؤلاء القباء كل المسئوليات الاجتماعية والسياسية ، وكان هؤلاء الممثلون يحثون الناس على اتباع الاحكام و القوانين ويعملون بها . وكانوا مستشارين خصوصيين للحكومة ، وكانوا يراقبون سمعة الحكومة وشعبيتها بين الناس ، ولكن أهم ما كانوا يقومون به هو تربية النفوس وتزكية القلوب ، وكانوا يبذلون ما استطاعوا من الجهود فى دوائرهم المختصة للتنوعية الاخلاقية وتزكية النفوس - ويجدر بالذكر فى هذا الصدد مجلس عبدا لله ابن رواحه التبروى الشهير بالمجلس الايمانى عند المؤرخين . فكان يعقد الاجتماعات واللقاءات مع الناس ، ويقول لهم بالأخوة والرفق : تعالوا ! تؤمن بربنا ساعة وتبترك بذكر الله عزوجل قليلا .

وكان سيدنا أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : لا أستطيع أن أنسى أسلوب تربية عبدا لله بن رواحه أبدا ، كلما لقينى ، قال لى واضعا يده على كتفى بالرفقة والشفقة يا عزيزى ع . ١ تعال إنجدد ذكر الله قليلا من الزمن .

وكان سيدنا اسعد بن زرارة نذر نفسه للدعوة الى الخير وتعليمه . ويكتب العلامة البلاذري أن اسعد بن زرارة قام بالدعوة والارشاد في المدينة المنورة بجهد بالغ وتكريس كامل وحنين كبير . وكانت هذه كلها نتيجة مساعيه الحميدة أن انتشر الاسلام في المدينة المنورة بسرعة قليلة ووقت قصير . وكانت الجمع والجماعات تنظم أيضا تحت اشرافه (١٩) .

والواقع أن الرسول صلى الله عليه وسلم عهد الى جميع القادة السياسيين والمسئولين الحكوميين وأصحاب المناصب العليا والسفراء والأمراء بتبليغ الفكر الاسلامي ومبادئ نظام الحياة الاسلامية والقيام بتزكية النفوس وتربيتها لخلق المجتمع المتحضر المتعال والمنظم . وكان هؤلاء الافراد يحتلون مكانة معلمى الاخلاق . وكان هذا هو السبب الوحيد لتفوق المثل الاخلاقية في المجتمع بسرعة بالغة . وكان النظام كله يلتزم بالاخلاق العالية والقوانين السارية السمعاء .

وان اتخذ المفكرون الاسلاميون والامة المسلمة ومستولو الحكومات الاسلامية هذه الوصفة الشافية وهذا الدواء المؤثر بحسن نواياهم وكمال اخلاصهم فنحن على حق اليقين أن تعليمات الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه في السياسة والقانون والدستور وسنته المطهرة في تكوين الحياة الانسانية هي الوحيدة التي سوف تهدى البشرية وتضمن اصلاح المجتمع الانساني المعاصر . فانه المستعان وهو الهادى الى سواء السبيل . .

## المراجع

(١) الامام الهروي . رياض الصالحين . باب التوبة ص ١٧ طبع مصر ١٣٥٧ هـ

(٢) راجع المقالة - الراحة كعصر الأساس للمجتمع الاسلامي . للزلف . في مجلة - مكرور - جمادى الآخر . ١٤١٠ هـ



- (٣) الطبري ج ٤، ص ٨٧ طبع مصر الدكتور محمد حيدان، نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ص ٧٢
- (٤) تاج المروس ج ١، ص ١٩٥، مجمع البحار ج ٢، ص ٢٧٢، لسان العرب كلمة عرب
- (٥) فتح الباري ج ١٢، ص ١٤٨
- (٦) تاج المروس ج ١، ص ١٩٥
- (٧) مختصر العاني ص ١٤٣، طبع قرآن محل، كراتشي
- (٨) الجامع الصحيح للبخاري ج ٣، كتاب الاحكام ص ١٠٦٤، فتح الباري ج ١٢، ص ١٤٨
- (٩) سر أبي داود، باب الفراه، ص ٥٤ طبع أنص الطاج، كراتشي
- (١٠) الصحيح لاسلم ج ٢، ص ١٢٩
- (١١) فتح الباري ج ١٢، ص ١٤٨
- (١٢) الجامع الصحيح للبخاري، كتاب الشهادات ج ١، ص ٣٦٦
- (١٣) الطبري ج ٤، ص ٧٨
- (١٤) مصدر سابق
- (١٥) مسند الأمام أحمد بن حنبل ج ٢، ص ٤١٤
- (١٦) مسند المصدر ج ٢، ص ٢٢
- (١٧) تاج المروس ج ١، ص ٤٩٢
- (١٨) مسند المصدر
- (١٩) مجمع البحار ج ٣، ص ٣٨٦، لسان العرب ج ١، ص ٦٩٩
- (٢٠) نبلي الصافي، سورة البقرة صلى الله عليه وسلم ج ١، ص ٢٦٤
- (٢١) سورة ابن هشام، ذكر بقة البقرة الثانية
- (٢٢) صحيح مسلم، ج ٢ كتاب الحدود، ص ٨٠
- (٢٣) البلاذري اسباب الاشراف، تحقيق الدكتور محمد حيدان ج ١، ص ٢٤٣
- (٢٤) مسند الأمام أحمد بن حنبل ج ١، ص ٢٤٣
- (٢٥) المائدة - ١٢

- (٢٦) الشوكاني، فتح الباع، ج ٢، ص ٢٠.
- (٢٧) ابن حجر، البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٦٢.
- ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٣، ص ٢٩٨.
- (٢٨) ابن الأثير، أئمة اللغة، ج ٢، ص ١٥١.
- (٢٩) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٤٣.



# سير التاليف فى باكستان

## (باب التقرىظ والانتقاد)

### خطب بهاولپور للدكتور محمد حميد الله

الاستاذ محمد طفيل

ان من العادات المتبعة فى الجامعات الكبيرة أسها تقوم بتوفير الفرصة للمتخصصين والاساتذة والخبراء ان يلقوا خطبهم فى ميادينهم الخاصة . ويتمكن بذلك هؤلاء الخبراء والمتخصصون بتقديم نتائج بحوثهم أمام الطلاب والباحثين الذين يستفيدون بهذا الطريق من أحدث الافكار والآراء المعاصرة . وهذا طريق معروف بين الجامعات . فانها تدعو أحدا من أساتذة الموضوع الكبار لالقاء المحاضرات خلال اجازات صيفية أو فى مناسبة اخرى .

والاستاذ المدعو يبذل جهوده ويجمع نتائج بحثه ويكتبها بشكل مقال ويقدمه الى المشتركين المستمعين الذين يتوجهون بالاسئلة الى الاستاذ المحاضر فى نهاية المحاضرة ليجيب على هذه الاسئلة . وبذلك تتضح كثير من النقاط التى لم يستطع المحاضر أن يعطيها مكانا كافيا فى معالته أو خطبته .

هذا النظام مؤثر جدا وثبتت فائدته فى أقطار العالم شرما وغربا . فأما فى الغرب فنجد أن فى كل جامعة ومعهد دراسى برنامج لتشجيع هذه المحاضرات العلمية ولو مرة واحدة فى كل سنة . ولكن لم يتوجه فى

الشرق الى هذا الطريق المفيد حتى الآن الاقليل من الناس . فنجد فى شبه القارة أى الباكستان والهند نصيبا قليلا من نتائج هذه العادة فى مسم الخطب والمحاضرات فى المكتبات الدولية الكبيرة . ولا نجد مايجدر بالذكر سوى مجموعتين هامتين لمثل هذه المحاضرات . احدهما للعلامة سيد سليمان الندوى (المتوفى عام ١٩٥٣ م )والأخرى للشاعر والفيلسوف الحكيم العلامة محمد اقبال رحمة الله عليه . فالمجموعة الأولى تبص عن السيرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية . والثانية تبص فى بعض النواحي الهامة لتجديد التفكير الدينى فى الاسلام .

ولانجد بعد محاضرات فيلسوف الشرق مجموعة تجدر بالذكر فى هذه المنطقة . حتى جاء العالم الشهير والفاضل الكبير الدكتور محمد حميد الله ، زاده الله شرفا وعلما ، وألقى هذه المحاضرات التى بين يدينا . وذلك تحت اشراف الجامعة الاسلامية ببهاولبور التى أسست لنشر الرسالة الاسلامية والعلوم الدينية قبل عشرين سنة فى بلدة ديبية واعدة على مسافة ١٠٠ كيلومتر من بلدة ملتان العديمة التاريخية .

ولد الدكتور محمد حميد الله فى ١٦ محرم الحرام ١٣٦٦ هـ الموافق ٩ فبراير ١٩٠٨ م فى بلدة حيدرآباد دكن بالهند . وحصل على التعليم فى نفس البلدة التى كانت مركزا للعلوم الدينية . وأتم دراسته العالية فى الجامعة العثمانية الشهيرة . ثم سافر الى أوروبا وحصل على الدكتوراه من جامعة بون ( ألمانيا ) وكتب اطروحته عن نظرية الحياد فى القانون الدولى الاسلامى . ثم حصل الدكتوراه مرة ثانية فى الآداب من جامعة سور بون ( باريس ) وكتب اطروحته عن الدبلوماسية فى عهد الرسالة وعهد الخلفاء الراشدين . وكان آنذاك أستاذا فى الجامعة العثمانية ثم ارتحل الى أوروبا عدة مرات ودرس فى جامعات أوروبا المختلفة .

ويعرف فضيلة الدكتور عديدا من اللغات الشرقية والغربية . فأصبحت بهذا السبب لديه معرفة واسعة وخبرة طويلة في مجاله الخاص . أغنى الدراسات الاسلامية . ويستطيع بذلك أن يستشهد بأراء القدماء والمحدثين في اثبات مايريده من نتائج . فارتفع مستواه العلمى الى أقصى درجة ، وأصبحت خطبه ومقالاته مؤثرة تأثيرا واسعا في أوساط الشرق العلمية بعامة وفي أوساط الغرب العلمية بخاصة .

وإذا رأينا الى مجهوداته العلمية وجدنا أنه كتب كثيرا في موضوعات دينية . فكتب عن القرآن الحكيم والسنة النبوية والسيرة الطيبة . وبأنى فيمايلى باسماء الكتب التى ألفها عن السيرة النبوية من ناحية سياسية ومن ناحية اجتماعية الى جانب مقالاته للدكتوراه ، وذلك فى لغاب عديدة (١) الغزوات فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، باللغتين الاردوية والانجليزية .

(٢) نظام الدولة الاسلامية فى العهد النبوى ( باللغة الاردوية )

(٣) أول دستور مكتوب ( بلغات عديدة ) .

(٤) الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ( باللغتين العربية والاردوية ) .

(٥) الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته السياسية ( اللغة الاردية )

(٦) القانون الدولى ( اللغة الاردية ) .

(٧) صحيفة الهمام بن المنبه . حققه وعلق عليه وهو أول من طبعها

(٨) القرآن فى كل لسان .

(٩) كتاب فى مجلدين فى السيرة النبوية ( اللغة الفرنساوية ) .

(١٠) دليل الجامع الصحيح للإمام البخارى .

هذه الكتب تبحث عن العلوم الدينية الاساسية . والباحثون يستعملونها فى

ابحانهم . وألف الدكتور محمد حميد الله كثيرا من المقالات التى طبعت فى جرائد دولية ويستفيد منها أهل العلم .

وهذه الخطب التى بين ايدينا والتى نكتب عنها هى مهمة جدا . لأنها ألفت فى عاصمة الناس ويستطيع القارى العادى ان يقرأها ويفهمها . لانها فى لغة سهلة ولها طريق واضح وأسلوب سهل مفيد كان من عادة الخطيب أن يقوم على المنصة ويلقى خطبته بين صلواتي العصر والمغرب . والناس يسمعونها . فاذا أذن للمغرب كمل خطبته وصلى الصلوة مع الجماعة فى عامة الناس . وبعد صلوة المغرب كان يجيب عن الاسئلة التى كانت توجه اليه من عامة الناس . ويتم هذا الاجتماع متأخرا فى الليل كل يوم .

ومن عادة الخطباء أنهم يتكلمون فى الاجتماعات وأمامهم خطبهم المكتوبة . ولكن الخطب التى الفاها الدكتور الفاضل كانت شفوية . فانه لم يكتب شيئا حتى المذكرات . وهذا ان دل على سئ فانما يدل على أن الدكتور الفاضل له سيطرة تامة على العلوم الدينية واستعداد كامل لبيانها وسرحها .

الى هذا العالم الشهير اثنى عشرة خطبة تحت نظام محدد فى وقت معين . وهى كالاتى .

- (١) تاريخ جمع القرآن الحكيم وتدوينه
- (٢) تاريخ تدوين الحديث النبوى (صلى الله عليه وسلم ) .
- (٣) تاريخ الفقه .
- (٤) تاريخ أصول الفقه وأهمية الاجتهاد
- (٥) القانون الدولى الاسلامى
- (٦) ماهو الدين ؟ عبيدة وسلوكا

- (٨) الدولة وسياستها فى العهد النبوى صلى الله عليه وسلم  
 (٨) نظرية الحرب وحكمة الغزوات النبوية .  
 (٩) نظام التعليم وتشجيع العلوم فى العهد النبوى صلى الله عليه  
 وسلم .  
 (١٠) العدل والتشريع فى ضوء السيرة النبوية .  
 (١١) نظام الاقتصاد فى العهد النبوى صلى الله عليه وسلم . .  
 (١٢) نشر الرسالة وعلاقات المسلمين مع النُميين فى العهد  
 النبوى .

بدأ فضيلة الدكتور خطبته الاولى بالحديث النبوى من مسند الامام  
 أحمد بن حنبل ثم ذكر كل كتاب دينى أو صحيفة دينية معروفة بين الناس  
 وأسار الى كيفيتها وحفظها ، وتكلم عن جمع التوراة والزبور والانجيل  
 وتدوينها . وبين التحريف الذى تسرب الى كل واحد منها وأنبت  
 بالشواهد باننا لانجد أحدا من هذه الكتب بصورتها الاصلية أوفى ألسنتها  
 الاصلية . وهى فى هيئة محرفة لا يمكن معرفة حقيقتها ولا العمل بها .  
 أما القرآن الحكيم فهو كتاب حى ومحفوظ منذ تنزيله . ويثبت من  
 بحوث المعاصر بأن جزءا من القرآن الحكيم كان مكتوبا فى السنة  
 الخامسة للنبوة أى قبل الهجرة . وهو يستشهد فى هذا الصدد بقصة اسلام  
 سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ثم عالج مسئلة كتابة القرآن  
 بوضوح تام وقال : « ان القرآن الحكيم كتب فى عهد الرسول صلى الله  
 عليه وسلم من البداية الى النهاية ( ص ١٢ - ١٣ ) . ولما توفى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم أصبح أبوبكر رضى الله عنه خليفة المسلمين اهتم  
 اهتماما خاصا بجمع القرآن الحكيم وحفظه . وجمع القرآن على لغة مريس  
 فثبت من الدلائل القوية ان القرآن الحكيم كان مكتوبا فى عهد النبوة .

وجمع على لغة قريش فى بداية عهد الخلافة . أما الخلفاء الثلاثة الآخرون فنشروا هذه الرسالة الى أقطار العالم .

فى نهاية هذه الخطبة نجد مقارنة مفيدة بين القرآن والانجيل . وخلاصة هذه المقارنة أن المهد الجديد يكثر فيه اختلاف الرواية . أما القرآن الكريم فمصوص عن هذا الاختلاف . ويدل على هذا الرأى البحث الذى قام به المستشرقون فى المانيا حديثا .

وتكلم فى الخطبة الثانية عن تدوين الحديث النبوى الشريف . وقال عن اهمية الحديث ان مكانة الحديث تساوى مكانة القرآن من وجه ( ص ٣٣ ) لان من واجب المسلمين أن يؤمنوا بالحديث مثل ايمانهم بالقرآن الحكيم . فان عقيدة المسلم لاتكمل الا بالايمان بالحديث النبوى الشريف . وقال ان نظير القرآن الحكيم من حيث كونه كتابا دينيا منزلا نجهده فى أديان أخرى ملا التوراة والزبور فى اليهود والانجيل فى النصارى ، ولكن لا نجد فى دين أو نظام كتابا أو مجموعة كتب تشبه كتب الحديث عندنا ( ص ٣٦ ) .

وشرح فضيلة المحاضر بالتفصيل أن الحديث النبوى يحتوى على الهداية الربانية لكل ناحية من نواحي الحياة ، ويساعد الانسان لحل جميع فضاياه . ثم قسم الحديث على قسمين كبيرين :

#### أ) المكاتيب الرسمية

ب ) الاحاديث التى قام الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بجمعها شخصيا .

احاط المحاضر بكل المكاتيب والوائق الاخرى فى النوع الاول وذكر أن المكتوب الاول من المكاتيب النبوية التى حفظها لنا التاريخ كتب فى السنة الخامسة للنبوّة . أى قبل سبع سنوات من الهجرة . عند الهجرة



الأولى الى الحبشة ، وذلك الى النجاشي . ثم اشار الى أن المكتوبات النبوية عددها حوالي أربع مائة مكتوب . بعضها يحتوى على المعاهدات وبعضها على تبليغ الدعوة ونشر الرسالة وبعضها على نواحي أخرى . وبدأت كتابة الحديث فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستشهد الخطيب من الرواية التى وردت فى سنن الترمذى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر صحابيا بكتابة الحديث وقال له : « استعن يمينك » أى أكتب أنوالى ، فعمل الصحابى رضى الله عنه بهذا القول وتبعه فى هذا العمل عبدالله بن عمرو بن العاص فى شبابه . وكان يكتب كل ماسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومثل ذلك كان يكتب أنس بن مالك رضى الله عنه احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان يقره عليه والنبي كان يصحح أخطاءه . ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثر عدد المسلمون فكان من عادتهم أن يتلو الاستاذ الاحاديث التى كتبها بعد السماع المباشر من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفصل الخطيب هذا البحث تفصيلا وذكر عدة سجلات خاصة وصحف شخصية دونت من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهد الرسالة . وتبحث الخطبة الثالثة عن علم الفقه ومباحثه المختلفة . فبدء الدكتور خطبته بذكر الحديث المشهور الذى روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، والذى يذكر أن معاذ رضى الله عنه أجاب عن السؤال الثالث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اجتهد برأى ولا آلو.

قد بين فضيلة الشيخ أن أنظمة القوانين القديمة والحديثة دونها الانسان الذى هو مركب من الخطا والنسيان . ولكن من خصائص قانون الاسلام انه منزل من الله الحكيم الذى لا يخلو عمله عن الحكمة فليس فيه نقص ولا تناقض ، وهو يلائم فطرة الانسان . وهو أوسع من كل قانون

دونه البشر . والمصدر الاول الرئيسى للقانون الاسلامى هو القرآن الحكيم الذى أنزله الله وحصانه عن كل تحريف ثم السنة النبوية التى لازالت مكتوبة ومحفوظة منذ عهد الرسالة .

وتبحث المحاضرة الرابعة فى تاريخ أصول الفقه وأهمية الاجتهاد وأصول الفقه هو فن خاص قام بتأسيسه المسلمون . ولئن كان القانون موجودا فى العالم قبل المسلمين ولكن المسلمين لهم الاولوية فى بداية هذا العلم الهام .

أما الخطبة الخامسة فتبحث عن القانون الدولى فقال الخطيب ان فكرة القانون الدولى أسسها المسلمون لأول مرة . واعطوا الانسانية القانون الذى يبحث عن العلاقات بين الدول الحرة مسلمة أو غيرها . ومن أهم بحوثها حالة الحرب وحالة السلام . فالاسلام يعطى الاصول والقواعد لكل واحدة منهما . ويرى المحاضر أن ميثاق المدينة يمنح الاصول والقواعد عن حالة السلام وأما الفزوات التى قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته فتوفر لنا قدوة حسنة وأصولا واضحة لحالة الحرب وألف الفقهاء المسلمون فى هذا المجال كتبا كثيرة مفيدة منذ عهد الامام ابي حنيفة الى يومنا هذا ، مثل كتابى السير الكبير والسير الصغير للامام محمد بن حسن الشيبانى رحمه الله عليه ، فهما كتابان اساسيان مهمان جدا فى موضوع القانون الدولى .

نحن اليوم نقسم القانون الدولى الى نوعين : القانون الدولى العام والقانون الدولى الشخصى . وكتب الفقهاء المسلمون فى كل واحد منهما فى كتاب واحد كموضوع واحد .

ماهو الدين عقيدة وعملا وسلوكا ؟ هذا موضوع البحث فى المحاضرة السادسة . فبده الخطيب محاضرتة مشيرا الى حديث جبريل عليه السلام

الشهير . وبين العقائد الاساسية فى الاسلام وشرح الحديث النبوى  
 ماأمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » شرحا مفصلا . وذكر حقيقة  
 الوحى وكيفية نزوله . وتكلم عن الناحية العملية فى الاسلام وقال ان  
 الحياة كلها عبادة . ويرى أن هذا المعنى الشامل للعبادة ايضا من  
 خصائص المسلمين ، لان العبادة عند اليهود تلاوة التوراة فقط .  
 والمجوس يعبدون النار ، والهندوس يعبدون البقرة ، وأما النصارى  
 فعبادتهم استعمال الصليب فقط . أما المسلمون فعندهم طريق معين للعبادة ،  
 كما فسر الشارع عليه السلام : « ان تعبد الله كانك تراه وان لم تكن تراه  
 فانه يراك » . ومن أهم عباداته الصلوة والزكاة والصوم والحج . وعندما  
 يتكلم المحاضر عن العبادات الاسلامية يقارن عبادات الاسلام بعبادات  
 الأديان الاخرى ويثبت تفوق الاسلام . ثم تكلم عن فكرة التصوف عند  
 نهاية المحاضرة . والتصوف فى رأيه هو الاخلاص فى العمل فقط لاغير  
 (ص ١٥٩) .

والمحاضرة السابعة تبحث عن نظم الدولة . فبدء المحاضر هذه  
 المحاضرة بأية قرآنية « ربنا آتانا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » ،  
 معناها الدين عبارة عن اداء واجبات دينية وواجبات دنيوية . فالمسلم  
 يتمنى من الله التوفيق بأدائهما بطريق حسن مقبول . فلذا أسس الرسول  
 صلى الله عليه وسلم دولته على أساس دينى فى جزيرة العرب ، فانه ما كان  
 يريد لنفسه منصبا دنيويا بل كان يأخذ كل واحد منهما بمنواله ليعمل لنشر  
 الرسالة ولإقامة الدين . فالاسلام يطلب من متبعيه ان يكوّنوا دولتهم لينفذوا  
 فيها الأحكام الشرعية .

وهو أولا يتكلم من ناحية تاريخيه ويكشف ان الدولة أسست فى اليمن  
 قبل تأسيسها فى أوروبا ، وقد أكتشف من آثار تاريخية فى اليمن ان العرب

كانوا يحبون فلاح المملكة وعامة الناس . ومكة المكرمة كانت دولة مدنية ، وكان فيها نظام سياسى ، وكانت حدود هذه الدولة واسعة سعة حدود الحرم ، وكان هناك نظام الحكم الذاتى . وكان مجلس الوزراء قائما فى صورة دار الندوة .

ولكن الدولة الاسلامية لم تؤسس فى مكة المكرمة بل اقيمت فى المدينة المنورة بعد هجرة الرسول عليه السلام الكبرى من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ، وكان الرسول عليه السلام مؤسس هذه الحكومة السياسية تحت لواء دينى ، ودون دستور هذه الدولة وحرر كل جزء منه وقدمه الى عامة الناس ( ص ١٧٨ ) لمعرفتهم والعمل به . فكان من أهم نقاط هذا الدستور .

أ - أن تكون الدولة مستقلة .

ب - أن يكون غير المسلمين أحرارا فى اختيار دينهم أى للمسلمين دينهم وللإهود دينهم .

ج - أن يكون الرسول عليه السلام رئيس هذه الدولة .

د - أن السلام والحرب شيان متساويان لكل واحد من سكان المملكة .

هـ - أن يدافع عنها كل واحد من سكان الدولة إذا كان هناك تحد من خارج الدولة .

و - والرسول سوف يحكم فى القضايا والأمر أمره .

ز - والدية سوف يدفعها كل واحد من عامة الناس .

كانت هى عناصر الدولة الاسلامية التى أسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فثبتت من هذا ان الاسلام قدم الى الانسانية نظاما سياسيا وماليا وتعليميا وعسكريا وقضائيا شاملا .

والدفاع والغزوات كانت موضوع المحاضرة الثامنة من هذه السلسلة .  
ويبدأ المحاضر بقوله ان الدفاع أصعب مسائل السيرة النبوية لان الدفاع  
يحتاج الى اعداد عسكري وغير عسكري . فشرع الرسول صلى الله عليه  
وسلم دفاعه باعداد غير عسكري ، وهو تنظيم الدولة وحل مشاكل  
المهاجرين بشكل المواخاة وميثاق المدينة .

فاما الناحية العسكرية فكان الرسول صلى الله عليه وسلم خبيراً  
فى هذا العقل ، فكان يعين العيون ، وكان يرسلهم الى معسكرات العدو  
ليعرف قوتهم واعدادهم للحرب . وكان يعمل بالحكم الرباني وأعداؤهم ما  
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » فالاسلام يعطى نظاماً خاصاً للحرب و  
لحل المسائل التى تنشأ بعدها . ومن خاصية هذا النظام أنه لا يريد القضاء  
على الانسان بل يريد اصلاحه عن طريق الجهاد والقتال مثل الجراحة  
العملية فى الطب .

وأما فى المحاضرة القادمة ففسر الدكتور المحترم نظام التعليم فى  
العهد النبوى وبده محاضراته بقول الله تعالى » اقرأ بأسم ربك الذى خلق  
..... » وكان الرسول يدعو الله دائماً » رب زدنى علماً » وكان يأمر » اطلبوا  
العلم من المهد الى اللحد » . وشجع الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه  
لكتابه الوحي خاصة ، وكان من عادة الصحابة أنهم كانوا يكتبون الوحي  
واحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فى مكة

وأما فى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم فكان نظام التعليم فيها مدوناً  
ومنظماً . وكانت الصفة بمثابة جامعة سكنية . وكان الرسول صلى الله عليه  
وسلم يعلم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، والصحابة كانوا طلاب العلم يطلبون  
كل نوع من انواع العلوم الدينية وغيرها . وكان الرسول صلى الله عليه  
وسلم يتلقى الوحي من ربه ويبلغه الى الناس عامة والى اصحابه خاصة .

وتبحث المحاضرة العاشرة فى نظام العدل وتاريخ التشريع فى ضوء السيرة النبوية على صاحبها السلام والتحية .

ونظام الاقتصاد موضوع المحاضرة القادمة . ان المال مهم للانسان . لان الانسان لا يمكن بقاءه الا بالمال ، كما اشار القرآن الحكيم الى هذه الحقيقة بقوله : « واموالكم التى جعل الله لكم قايما » فالمحاضر أولا يفسر كلمة الزكاة ويقول : يمكن أن تكون الزكاة معروفة بين الناس قبل عصر الرسالة فالاسلام لا يقضى على العادات المفيدة للانسانية ، ولا شك ان الزكاة جزء مهم للنظام المالى فى الاسلام وفرضت فى السنة التاسعة من الهجرة النبوية .

ثم سئل المحاضر « هل يجوز للحكومة الاسلامية ان تأخذ الضرائب سوى الزكاة ؟ فأجاب المحاضر أن للحكومة الاسلامية أن تأخذ الضرائب من المسلمين . وعلى هذا الامر اجماع الامة . وكيف تجرى شئون الحكومة لو لم يكن عندها مال ؟ اذا كانت أموال الزكاة قليلة من حوائج الحكومة فلها أن تأخذ الضرائب .

والمحاضرة الاخيرة تبحث عن نشر الرسالة الاسلامية وحقوق الذميين فى المجتمع الاسلامى . فالتبليغ من واجبات الرسول الاساسية فالرسول المكرم أدى وظائفه هذه بطريق أحسن وبلغ رسالة الله الى الانسان بشكل لا يتصور أحسن منه ونحن نرى الرسول يقيم مثالا حسنا بحسن سلوكه مع الذميين .

هذه هى بعض الاشارات الموجزة عن المحاضرات التى ألقاها الدكتور محمد حميد الله فى الجامعة الاسلامية ببهاولفور ولا شك أن هذه المحاضرات تحتل مكانة عليا فى المطبوعات الحديثة حول موضوعات دينية وفى نفس الوقت هى تعالج مسائل مهمة نواجهها كل يوم .

والأستاذ المحاضر له خبرة طويلة فى نشر الرسالة والقاء المحاضرات ففى خطابه اثر خاص يتأثر به الانسان . ومن عادة المحاضر ان يقدم معلومات متعلقة بالموضوع من كل ناحية ومن كل مصادر ولكن من عادته انه لا يحتم القول فى القضايا المختلف فيها ، بل يتركها للسامع أو القارى أن يأخذ النتيجة من البحوث والمعلومات التى يقدمها .

فالجامعة الاسلامية التى دعت الدكتور لالقاء هذه المحاضرات القيمة تقدم اليها التهنئة لتجهيز هذه المحاضرات وطبعها بصورة جيدة .  
وندعو أن الجامعات الباكستانية الاخرى خاصة وجامعات البلاد الاسلامية الاخرى عامة تمشى على طريقة الجامعة الاسلامية ببيهاولفور وتدعوا العلماء الكبار من كل اقطار العالم لالقاء المحاضرات على موضوعات معاصرة حديثة ، لان هذا الطريق أكثر تأثيرا فى نفوس الشباب المسلمين وأذهانهم .

\*\*\*\*\*

# مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية باللغة العربية

اختلاف الفقهاء للإمام الطحاوي

تحقيق : الدكتور محمد صغير حسن المعصومي



كتاب النفس والروح وشرح قواها للإمام الرازي

تحقيق : الدكتور محمد صغير حسن المعصومي



الرسائل القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري

تحقيق : الدكتور بير محمد حسن (مع الترجمة "الأردية")



معدن الجواهر في تاريخ بصرة والجزائر للشيخ نعمان

تحقيق : البحاثه الدكتور محمد حميد الله



الكندي وآراؤه الفلسفيه

للدكتور عبدالرحمن شاه ولي



مقصود المؤمنين لبازيد الانصارى

تحقيق : الدكتور ميرولى خان



كتاب الانفعال للإمام الصغاني

تحقيق : الأستاذ أحمد خان





**AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYA**

**ARABIC JOURNAL**

OF THE

**ISLAMIC RESEARCH INSTITUTE, ISLAMABAD, PAKISTAN**



Vol. XVII No. 2

March-April 1982

	Inside Pakistan	Outside Pakistan
<i>Annual Subscription</i>	Rs. 30.00	\$15.00 or £7.50
<i>Single Copy</i>	Rs. 6.00	\$3.00     £1.50

(Rates applicable from 1st July 1982)

*All business correspondence  
should be addressed to :*

The Circulation Manager

**Islamic Research Institute**

**ISLAMIC UNIVERSITY**

**ISLAMABAD - PAKISTAN**

---

Printed at Islamic Research Institute Press,  
Published by Muhammad Sami'ullah for the Islamic Research Institute, Islamabad

# الدراسات الإسلامية

مجلة اسلامية علمية

تصدر بعد كل شهرين  
وتبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب



EXCHANGE

رجب - شعبان ١٤٠٢ هـ

مايو - يونيو ١٩٨٢ م

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان





# الدراسات الإسلامية

مجلة مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان

المجلد السابع عشر

العدد الثالث

مايو - يونيو ١٩٨٢ م

رجب - شعبان ١٤٠٢ هـ

## هيئة التحرير

★ الأستاذ الدكتور عبدالواحد هالى بوتا \*

مدير مجمع البحوث الاسلامية ،

الجامعة الاسلامية اسلام آباد



★ الأستاذ الشيخ عبدالقدوس الهاشمى \*

أستاذ بمجمع البحوث الاسلامية



★ الأستاذ الدكتور محمد صغير حسن المعصومى \*

أستاذ السريعة بالجامعة الاسلامية ، اسلام آباد



★ الأستاذ الدكتور أحمد حسن \*

أستاذ منارک بمجمع البحوث الاسلامية



★ الأستاذ الدكتور نور محمد الففارى \*

أستاذ مسارک بمجمع البحوث الاسلامية



★ الأستاذ محمد طفيل \*

أستاذ مساعد بمجمع البحوث الاسلامية



رئيس التحرير

محمود أحمد غازى

## المحتوى

كلمة العدد

رئيس التحرير

ص ٥

★★★★

نظرة عابرة على تطور علم الفقه قبل الشافعى

د . طه جابر العلوانى

ص ١٣

★★★★

اسلامية المعرفة

د . عبدالحميد أحمد أبو سليمان

ص ٢٩

★★★★★

نظرية التقادم فى الشريعة الاسلامية

الأستاذ ساجد الرحمن الصديقى

ص ٦٧

★★★★★

مواجه

السيدة مها غريب

ص ٧٩

★★★★★

## ضيوف العدد

★ دكتور طه جابر العلوانى ★

أستاذ الفقه الاسلامى بكلية الشريعة ، جامعة الامام محمد بن سعود  
الاسلامية

الرياض - المملكة العربية السعودية

★★★★★

★ دكتور عبدالحميد أحمد أبو سليمان ★

أستاذ الفكر السياسى بجامعة الرياض ، الأمين العام للندوة العالمية  
للشباب الاسلامى

الرياض - المملكة العربية السعودية

★★★★★

★ الاستاذ ساجد الرحمن الصديقى الكاندهلوى ★

موظف بقسم البحوث ، مجلس الفكر الاسلامى ،

اسلام آباد - باكستان

★★★★★

★ السيدة مها غريب ★

ساعرة وأديبة معروفة ، سورية المولد ، الجزائرية المسكن

عربية الأصالة ، اسلامية الفكر

★★★★★

ليس من الضرورى ان تنفق ادارة المجمع مع جميع  
الآراء والبحوث التى ينشرها الكتاب فى هذه المجلة



## كلمة العدد

كثيرا ما نردد أو نسمع أن الاسلام دين الانسانية ، وأن الشريعة الاسلامية تضمن للبشرية حاجاتها وضروراتها فى كل زمان . ولكن الذين يدركون حقائق هذه الدعوى ويقفون على غوامضها ويفحصون على دقائقها هم قلة قليلة من الناس لا يبلغون عددا كبيرا يعابيه . وأما الاغلبية الغالبة من المسلمين وخاصة الشباب فليس لهم الا أن يرددوا ما سمعوا من هتافات أو مآزيرهم من النعرات أو مناويع عندهم موقعا حسنا من الأقوال .

ان الاسلام ليس دين الانسانية فحسب ، بل هو دين السموات والأرض . أجل انه دين الكون كله ودين العالمين بأجمعها فكل أسلم لرب السموات والأرض ، وسجدت له الشمس والقمر والدواب ومن فى الأرض ، وكل أتوه طائعين . فكل هذه الاشياء الموجودة فى هذه الكائنات منقادة لقواعد وضعها خالقها ، ومسخرات تحت نظام وضعه بارئها ، ولا يخرج شى من هذا النظام ولا يحيد عنه قيد شعرة . وكذلك نرى العناصر لا تتخلى عما وضع الله تبارك وتعالى فيها من خاصيات ، ولا يتسرب اليها التغير والتبدل الا بقواعد وأصول كتبها الله لها ..



فهذا هو الاسلام فى الناحية الطبيعية ، ويعمل بهذا الاسلام طوعا أو كرها كل موجود ماسوى الله ، والانسان أيضا يعمل بهذا النوع من الاسلام فى حياته الطبيعية ، حتى الانسان الكافر الجاهل الطاغى العاتى عن أمر ربه مجبول ومكره على أن يسلم لسنة الله رب العالمين فى عاداته اليومية فى مأكله ومشربه وملبسه ومعيشته ، فيضطر الى الأكل والشرب ، ويضطر الى اللباس ليقى نفسه من الحر والقر والصيف والشتاء . فاسلام البشرية لله رب العالمين فى حياتها الطبيعية يقتضى أن تسلم لله فى حياتها الاختيارية وفيما تركها خالقها مختارة ، وجعل أمرها بيدها .

فلذلك اعتبر القرآن الكريم دين الاسلام دين البشرية كلها ودين الانسانية جمعاء . وهذه هى النظرية الطبيعية والنظام الطبيعى الذى يلائم طبيعة الانسان ويوافق فطرته السليمة ، ويفى بحاجاته وضروراته ، وبه يستقم أمرها وتتقوم مقوماتها .

★★★★★

وانظر على العكس من ذلك الى الأديان والمذاهب والنظريات والانظمة الأخرى . فانها لاتفى بحاجات الانسانية كلها وضرورات البشرية بأجمعها . فانظر الى المسيحية مثلا ، لاشك انها تشكل ديانة عالمية ، ويقوم رجالها بالتبشير المسيحى بنشاط واسع فى أنحاء العالم ، ولكنها لاتستطيع أن تصبح نظام الحياة للبشرية كلها ، فانها ليست بنظام للحياة ، انما هى مجموعة بعض المعتقدات والطقوس ولا تعدو تعاليمها من بعض التوضيات الاخلاقية ، ولا تضمن للبشرية نظاماً متكاملًا فى النواحي العائلية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدولية . لأن التعاليم التى نسبها أبناءها الى سيدنا المسيح لاتحتوى

على شى من هذا النوع .

وان شئت فخذ النظرية الشيوعية كمثال . فانك تجد أنها نظام اقتصادى لاغير . والاقتصاد عند أهلها أساس النشاطات البشرية كلها ، وليس عندهم مايمكن أن نسميه بالدين والاخلاق ، فان الدين والاخلاق عندهم أفيون الشعوب . ولايعترفون بحاجات الانسان الروحية وضروراته الماوراء الطبيعية فضلا عن اتيانها وتحقيقها .

★★★★★

فلا بد لدين الانسانية أن يكون كفيلا لجميع مسائل الانسان ، وضامنا لحل سائر قضاياها ، جامعا لكل خير ، مانعا من كل شر ، شاملا لجميع نواحي الحياة البشرية ، ملائما لفطرة الانسان ، ويجب لدين البشرية أن تكون تعاليمه صالحة لكل زمان ومكان ، وأن تكون قواعده ومبادئه الاساسية دائمة ثابتة ، وتكون فروعه وتطبيقاته قابلة للتغيير والتطور ليجمع بين مزايا الثبات والتغيير كليهما ، ويخلو عن نقائصهما وعيوبهما . ويلزم أن يكون دين البشرية ضامنا وكفيلا لكرامة الانسان ، ضامنا للحفاظ على مكانته السامية المحترمة . ولا بد لدين الانسانية أن يدين به أناس يؤمنون بنظرياته الانسانية وأفكاره العالمية ، ولا يؤمنون بالفلسفات القومية والنظريات الضيقة ، ولا يعترفون بالعوائق التى تحول دون الوحدة البشرية ، بل يقاومون كل من أراد تعزيز البشرية وتفريقها الى فرق وطوائف وجعل أهلها شيعا .

وكذلك لا بد لدين يدعى بكونه دينا للبشرية بأسرها أن يكون دينا عالميا وأن لايبقى محدودا ومنحصرا على طائفة دون طائفة وعلى شعب دون شعب وعلى بلد دون بلد ، بل لا بد من أن يكون له أتباع من جميع الطوائف البشرية ، ويقوم له دعاة فى كل الشعوب ، ويتصدى للدفاع

عنه حماة يجاهدون فى كل بلد من بلاد العالم .  
 فاذا كانت هذه هى معايير حق وموازن صالحة وصادقة لدين  
 الانسانية ونظام الحياة للبشر كله فقل لى بالله هل تصدق هذه المعايير  
 الا على دين الاسلام ؟ وهل يطابق هذه الموازين الا نظام الاسلام ؟

★★★★★

ان نظام الاسلام هو النظام الوحيد الذى يطابق الفطرة الانسانية  
 مطابقة تامة ، بل هو فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ويؤمن بهذا  
 الدين كل من عنده فطرة صحيحة أو من أتى الله بقلب سليم . فانه  
 يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وشرع ليتم مكارم الاخلاق ،  
 وتشمل هدايته الربانية كل ناحية من نواحي الحياة البشرية . فانها  
 تصلح عقائده الاساسية وآراءه الماوراء الطبيعية ، وهذه الناحية يعالجها  
 علم الكلام من العلوم الاسلامية . وينظم الاسلام حياة الانسان  
 الفردية والاجتماعية ويخبره بما لنفسه وما عليها ، ويعالج علم الفقه  
 هذه الناحية ، ثم يحسن أخلاقه ويطور أدبه ويتم له مكارم الاخلاق ،  
 وهذه الناحية ، يعالجها علم الاخلاق ، أو ماسماه بعض المفكرين  
 بالحكمة العملية ، وكذلك يزكى نفسه ويجلى روحه ويوطد صلته بخالقه  
 ويخلق فى قلبه التقوى ومخافة الله التى يعتبرها رأس الحكمة ، ويعالج  
 هذه الناحية علم الاحسان والتصوف . فكما أن فطرة البشرية وطبيعتها  
 جامعة شاملة لنواحي متعددة فكذلك دين الفطرة جامع وشامل لجميع  
 هذه النواحي .

★★★★★

ولا يشك أحد أن هذه الشريعة الغراء صالحة لكل زمان ومكان ،  
 فان قواعدها ومبادئها الاساسية دائمة ثابتة لاتقبل التغيير ، فان هذه

القواعد الدائمة والمبادئ الخالدة يتضمنها كتاب الله الخالد الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وتقدم السنة النبوية المطهرة نماذج خالدة لتطبيقات عملية لهذا الدين ، وهى تمثل تفسيراً وتشريعاً لهذه المبادئ الخالدة الربانية والمبادئ الأبدية . ويتضمن علم أصول الفقه الاسلامى أصولاً وقواعد للاجتهاد والاستنباط ، وتضمن هذه الاصول والقواعد جانباً تطورياً ومتغيراً من الشريعة الاسلامية والتي تجعلها صالحة لكل زمان ومكان .

وليست الشريعة الاسلامية شريعة جامدة متحجرة ، وانما هى نهج متطور للحياة ويتمشى مع روح كل عصر ، ويهذى كل انسان وكل جيل وكل بلد الى الصراط المستقيم ، فكل جيل وكل بلد يواجه بعض المسائل والمشاكل التى تخص به جنباً الى جنب مع المشاكل الطبيعية التى تواجه كل انسان تواجد على اديم الأرض .

ويحتوى هذا الدين السنن الالهية الابدية التى مازالت تهذى الانسانية منذ فجرها فى هذا الكوكب الأرضى . ولا يتصور أى تغيير أو تعديل فى هذه السنن الأبدية ، فانها تعالج الانسان وتتناول مشاكله بالحل ، فيما أن طبيعة الانسان وفطرته لم يحدث فيها أى تغيير أو تعديل فكيف يمكن أن تتغير الهداية التى تحل مشاكل الانسان الفردية والنفسية والاجتماعية وتهديه الى سواء السبيل ؟

وما زال قالب ذهن الانسان هو نفس القالب الذى كان لقدمائنا ، ومواهبنا الفكرية هى المواهب التى كانت بها يتمتع آباؤنا ، وكذلك الاحوال والاهواء والمتطلبات الأخرى ، وكذلك نمط التفكير وطبيعة الحياة الانسانية ، لم يحدث فى كل هذا فرق جوهري أو تغيير جذري ، فنرى مثلاً المعرفات التى كانت تقوم بها أخيار الامم السالفة

وبررتهم تقوم بها أختيارنا وصلحائنا وبررتنا ، والمنكرات التى ترتكبها  
أشرار الأمم الغابرة ترتكبها أشرار القرن العشرين أيضا . لم يحدث  
فى هذه الناحية أى فرق ، وانما حدث الفرق فى الاساليب والمناهج .  
فقوم سيدنا لوط عليه السلام كانوا يرتكبون ذلك المنكر الفاحش كما  
يرتكبه أبناء حضارة القرن العشرين ، وكان أصحاب الايكة يخسرون  
فى الميزان والمكيال كما يخسرها تجار عصرنا الحديث .

★★★★★

وأما كرامة الانسان ومكانته السامية المحترمة فى الكون التى يقرها  
ويعترف بها ويؤكد عليها الاسلام فهذه ميزة يمتاز بها الاسلام على  
سائر الاديان والمذاهب والانظمة الفكرية . فالاسلام يعلن أن الانسان  
خليفة الخالق البارئ فى هذا الكوكب الأرضى ، ومرتبته فى الكائنات  
بعد مرتبة الخالق مباشرة . واتفقت كلمة علماء الاسلام أن البشرهم  
افضل المخلوقات وأشرفها ، وهم أشرف وأفضل من الملائكة أيضا .  
وينادى القرآن الكريم بكرامة الانسان واحترام بنى آدم ، والدعوة  
الانسانية العالمية التى جاء بها الاسلام موجهة الى البشرية كلها  
والانسانية بأسرها ، دون فرق وتمييز ودون تفضيل عنصر دون عنصر ،  
ولون دون لون ، وعرق دون عرق ، وجيل دون جيل . وهذا هو شان  
دين الانسانية .

ومن أعظم الحقائق التى تشهد على انسانية الاسلام أننا لانرى  
بلدا من بلاد العالم بل ومدينة من المدن الا وفيها مسلمون يهدون  
بالحق وبه يعدلون . نرى كثيرا من البلدان ليس فيها شيوعى ، وبلدان  
أخرى لا يوجد فيها اليهود و نرى كثيرا من البلدان والقرى والمدن  
لاهى رأت ولاهى سمعت بهندوكى أو بوذى قط . ولكننا لانرى مدينة

وبلدا يخلو من مسلم يؤمن بالله وبرسوله النبى الأمى ويشهد على الناس بقوله وبفعله وبحياته بحقانية الاسلام وعدله وضمانه لفوز الانسانية وفلاح البشرية ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة .

ويسرى الاسلام فى روح الانسان ويجرى منه مجرى الدم ، فيصبح حياته وروحه وقلبه بحيث لايمكن التمييز بين دينه وبين روحه ، بين فكره وبين احساساته ، نشاهد أمثلة هذا السريان كل يوم ، ومن ذا الذى لم ير أو لم يسمع أخبار الاضطهاد والمجازر التى عانى ويعانى بها اخواننا المسلمون فى أفغانستان والهند والفلبين والحبشة وغيرها من البلاد ؟ فهل ترك أحد دينه فرارا من هذه الاضطهادات وهذه المجازر ؟ وهذا أكبر دليل على السراية التامة التى يسريها الاسلام فى قلب المؤمن وروحه وعقله وفكره .

★★★★★

ان الاسلام يريد القوة ، فالقرآن يأمر المسلمين بأن يعدو لأعداءهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل يرهبون به عدو الله وعدوهم ، فهذه القوة التى يريدتها الاسلام قوة تؤيد الحق وتدعمه ، القوة التى تستعمل لاعطاء كل ذى حق حقه ، ولاداء الواجب الانسانى الاسمى الذى فرضه الاسلام على أبنائه .

ان الاسلام دين الرحمة ، و يأمر بالرحمة ، فانه دين أنزله أرحم الراحمين ، وجاء به الى البشرية من بعثه الله رحمة للعالمين . والجمع بين القوة وبين الرحمة والعدل بينهما والانصاف الى مقتضيات كل منهما من أهم المميزات والمعالم التى يمتاز بها الاسلام بين سائر الاديان والنظريات والملل والنحل ، ولا بد للانسانية من استعمال القوة

إذا كانت فى حاجة إليها ، وكذلك لابد لها من الرحمة إذا مست الحاجة إليها . فان اللجوء الى استعمال القوة دائما يؤدى الى ظهور الانظمة الاستبدادية والملوك الجائرين والحكام المضطهدين ، واللجوء الى الرحمة دائما عبارة عن اللاعنفة الغير الطبيعية التى تنادى بها البوذية وتدعى بالايمان بها المسيحية ، ولم تستطع كلاهما أن تصبحا دين الانسانية ونظام الحياة للبشرية . وقد قالت العرب قديما :

وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

محمود أحمد غازى



## نظرة عابرة على تطور علم الفقه قبل الشافعى

د. طم جابر الغلوانى

- ١- عرفوا علم « اصول الفقه » بأنه ، مجموع طرق الفقه على سبيل الاجمال ، وكيفية الاستدلال بها ، وكيفية حال المستدل بها (١)
- ٢- وموضوعه : الادلة الشرعية السمعية من حيث اثبات الاحكام الشرعية بجزئياتها بطريق الاجتهاد بعد الترجيح عند تعارضها (٢).
- ٣- فائدته : ايجاد القدرة على معرفة الأحكام الشرعية من الادلة التى نصبها الشارع للمؤهلين للاجتهاد والمستوفين لشروطه .  
اما ما يستفيدة غير المؤهلين للاجتهاد من هذا العلم - فهو معرفة مأخذ المجتهدين ، ومدارك الاحكام عندهم بحيث تنمو لدى الاصولى القدرة على دراسة المذاهب وتحليلها ، والقدرة على الاختيار منها والترجيح بينها ، والتخريج على قواعد الأئمة المجتهدين .
- ٤- العلوم التى استمدت مسائل العلم منها :  
علم « اصول الفقه » فى حقيقته علم قائم بذاته ، مستقل عن غيره ، ولكن له مقدمات لا يستطيع الأصولى الاستغناء عنها قد استمدت من علوم كثيرة :  
(أ) فبعض هذه المقدمات قد استفيد من علم المنطق الأرسطى « الذى اعتاد الكاتبون فى الاصول من المتكلمين ان



يقدموا لكتابتهم بها : كمباحث الدلالات اللفظية واقسامها ، وانقسام اللفظ الى تصور وتصديق ، والحاجة الى الكلام بناء على ذلك - على مبادئ التصورات من الاقوال الشارحة والتعريفات وانقسامها الى حدود ورسوم ، ومبادئ التصديقات ، والكلام على البرهان وكيفية تأليفه واستخدامه في اثبات دعوى المستدل ونقض كلام المعارض ونحو ذلك .

ب ) وبعض هذه المقدمات استقوها من علم الكلام ككلامهم عن " الحاكم " هل هو الشرع ام العقل وماالحق ذلك من الكلام عن " حكم الاشياء قبل الشرع " و - شكر المنعم " هل يجب بالشرع أم بالعقل ؟ .

ج ) وبعضها عبارة عن احكام كلية للغات بلورها الاصوليون واستمدوها من المباحث اللغوية كالمباحث المتعلقة باللغات ووضعها وانقسام الالفاظ الى حقائق ومجازات ، والكلام عن الاشتراك والاشتقاق والترادف والتوكيد ، والعموم والخصوص ومعاني الحروف ونحوها .

د ) وبعضها قد استمد من علوم الكتاب والسنة ككثير من المباحث المشتركة بين الكتاب والسنة : نحو الكلام على التواتر والآحاد ، والقراءة الشاذة وحكمها ، والجرح والتعديل ، والناسخ والمنسوخ والأحوال الراجعة الى متن الحديث او طريقه وغيرها . هـ ) كما أن الأمثلة التي يمثل بها الاصوليون مستمدة من الفروع الفقهية او ادلتها التفصيلية من الكتاب والسنة .

٥ - المباحث التي يتعرض لها الاصوليون غالبا :

أ) مقدمات منطقية

- ب ( مباحث اللغات  
 ج ( الأوامر والنواهي  
 د ( العموم والخصوص  
 هـ ( المجمل والمبين  
 و ( النسخ  
 ز ( الأفعال ( أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ودلالاتها)  
 ح ( الإجماع  
 ط ( الأخبار ( السنة ).  
 ي ( القياس  
 ك ( التعارض والترجيح  
 ل ( الاجتهاد والتقليد  
 م ( الأدلة المختلف فيها .
- ٦- نشأة هذا العلم وتاريخه :

من الصعب دراسة تاريخ هذا العلم ونشأته بعيدا عن تاريخ « الفقه »  
 الذى هو « الأحكام الشرعية العملية ، المستمدة من أدلتها التفصيلية »  
 فالأصل : ما يبنى عليه غيره ، والفقه قد بنى على أصوله التى هى  
 أدلته وتفرع عنها .

أ ( ولذلك فإنه لا بد من تكوين فكرة اجمالية عن تاريخ التشريع .  
 سن الشريعة وأثبتت الأحكام ، وأنشأ القواعد والقوانين ووضع النظم  
 حاكمية اختص الله سبحانه بها ، ونسبها الى نفسه ، فنسبة شئ منها  
 الى غيره جل شأنه شرك بالله - تعالى - ينافى التوحيد ويناقضه .

وقد نصب الله - سبحانه - لهذه الأحكام التى أبرمها حججا  
 واضحة وأدلة بينة تهدى اليها ، وتعرف الناس بها .

وهذه الأدلة منها ما اجمعت الأمة على حجيتها ، واطبقت على دلالاته على الاحكام . واتفقت على قبوله ، ومنها ما اختلفت فيه .

فالذى اتفقت عليه ، واجمعت على الاحتجاج به دليلان من أدلة الاحكام ، ومصدران من مصادر التشريع ، وهما الدليلان اللذان كانا عمدة التشريع فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهما :  
 ١- الكتاب الكريم : وهو : اللفظ المنزل على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، المنقول إلينا بالتواتر كل حرف منه ، المكتوب بين دفتى المصحف الشريف ، المبتدأ بالفاتحة ، والمختتم بسورة الناس .

٢- السنة المطهرة : وهى كل ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - غير القرآن : من قول أو فعل أو تقرير .

فكل ما تلفظ به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عدا القرآن أو ظهر منه - فى الواقع ونفس الأمر - من ابتداء رسالته ، الى آخر لحظة فى حياته فهو من سنته - بمفهومها العام - سواء أثبت حكما عاما لسائر افراد الامة ، وهذا هو الأصل ، أم أثبت حكما خاصا به - صلى الله عليه وآله وسلم ، أو خاصا ببعض أصحابه - رضى الله عنهم .

وسواء اكان فعله عليه الصلاة والسلام - جبليا ، أم كان غير جبلى فما من قول أو فعل أو تقرير يصدر عنه عليه الصلاة والسلام - الا ويشب به حكم شرعى اعتقادى أو عملى يقطع النظر عن كونه ايجابا او ندبا او تحريما او كراهة او اباحة ويقطع النظر عن كونه مبنيا على حكم قد ورد فى القرآن العظيم ، أو منشئا لذلك استقلالا .

والاحكام الشرعية بكل اقسامها الاصلية منها والفرعية : الاعتقادية والعملية ، التكليفية والوضعية كلها قد استمدت فى حياة

رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من هذين الأصلين : الكتاب والسنة .

٣- وأما الاجتهاد فقد كان يقع من النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن أهل النظر من اصحابه - رضوان الله عليهم .

اما اجتهاد النبي - صلى الله عليه وسلم - فاحيانا يقره القرآن الكريم ، و احيانا لا يقره ، ويبين له ان الاولى غير ماذهب اليه .

واما اجتهاد اصحابه - رضوان الله عليهم - فقد كانوا يجتهدون فيما يعرض لهم من وقائع ، فاذا لقوا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عرضوا عليه اجتهاداتهم فاحيانا يقرهم عليها فتكون تلك الاحكام ثابتة بالسنة و احيانا لا يقرهم على ذلك ، ويبين لهم فيكون بيانه عليه الصلاة والسلام هو المعتمد .

ومن هنا فان من الممكن القول بأن التشريع في هذا الدور اعتمد على الوحي بقسميه : المتلو المعجز ، وهو القرآن وغير المتلو وهو السنة واما الاجتهاد منه (٣) عليه الصلاة والسلام - فهو سنة سنّها - صلى الله عليه وسلم - ليبين لهم ولمن بعدهم مشروعية الاجتهاد ، وأن عليهم وعلى من بعدهم من المسلمين أن يفزعوا اليه عندما لا يجدون في الكتاب أو السنة دليلا يدل على الحكم .

وربما لتأكيد هذا المعنى وترسيخه كان عليه الصلاة والسلام يأمر بعض اصحابه بالاجتهاد في بعض المسائل بمحض منه - صلى الله عليه وسلم ، فيصوب المصيب ، ويخطئ المخطئ .

طريقة استقاء الاحكام من هذه المصادر :

اما الكتاب الكريم فقد كانوا يتلقونه ، ويفهمون المراد منه دون حاجة الى شئ من قواعد النحو أو غيرها ، كما كانوا يدركون مقاصد

الشارع وحكمة التشريع لما اصاروا به من صفاء الخاطر وحدة  
الذهن ، وجودة القرينة .

وكذلك كانوا قليلا ما يسألون رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم .

عن شئ قبل أن يبدأهم به عن ابن عباس رضى الله عنهما - انه قال  
« ما رأيت قوما كانوا خيرا من اصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله  
وسلم ما سألوهم الا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض ، كلهن فى القرآن ،  
منهن » يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه « (٣) ، ( يسألونك عن  
المحيض (٤) ) ...

قال : ما كانوا يسألون الا عما ينفعهم (٥) .

وقال ابن عمر : « لا تسأل عما لم يكن فانى سمعت عمر بن

الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن » (٦) .

وقال القاسم : « انكم تسألون عن اشياء ما كنا نسأل عنها ،

وتتقرون عن اشياء ما كنا ننقر عنها ، تسألون عن اشياء ما ادرى ماهى ،

ولو علمناها ما حل لنا أن نكتمها » (٧) .

وعن ابن اسحاق قال : « ادركت من اصحاب رسول الله - صلى الله

عليه وسلم اكثر ممن سبقنى فما رأيت قوما ايسر سيرة ، ولا أقل تشديدا (٨) :

وعن عبادة بن نسي الكندى قال : « ادركت قوما ما كانوا يشددون

تشديدكم ولا يسألون مسائلكم (٩) .

وقال ابو عبيدة فى كتابه « مجاز القرآن » : « لم ينقل أن أحدا من

الصحابة رجع فى معرفة شئ من القرآن الى رسول الله - صلى الله عليه

وسلم (١٠) .

واما السنة - فان كانت قولية فهى - ايضا - بلغتهم يعرفون معناها

ويفهمون منطوقها وفحواها .

وان كانت فعلية شاهدها وتناقلوها كما شاهدها : فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يتوضأ فيشاهد المئات منهم وضوءه ، فيأخذون به من غير استفصال عما فعله باعتباره ركناً أو فرضاً أو واجباً أو مندوباً أو مباحاً ، وكذلك شاهدوا حجه وصلاته ، وغير ذلك من عباداته .

كما سمعوا الناس يستفتون في الوقائع فيفتيهم وترفع اليه قضاياهم فيقضى فيها ، وتنزل به النوازل فيبیت فيها سواء أكانت في المعاملات أو السير أو السياسة المختلفة . شاهدوا ذلك كله وعرفوه ، وأدركوا مغازيه ومرامييه .

كما شاهدوه عليه الصلاة والسلام ، وهو يلاحظ تعرفات اصحابه وغيرهم فيمدح بعضها فيدركون أنه من المعروف ، وينكر البعض الآخر فيدركون انه من المنكر وكل ما أثر من قضاياهم وفتاواه واقاراره وانكاره كان بين الناس ، وبمراى من الكثيرين منهم . فكما ان جلساء الطبيب يعرفون مقاصد الأدوية التى يأمر بها بطول المخالطة والممارسة (١١) . كان اصحاب رسول الله يعرفون ذلك .

وأما الاجتهاد - فالادلة على مشروعيته ، والأخذ به فى هذا العصر كثيرة جدا - منها حديث معاذ لما بعثه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الى اليمن قال : كيف تصنع اذا عرض لك قضاء ؟ قال : اقضى بكتاب الله قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : معاذ قلت : اجتهد رأيى ولا آلو .

» فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى ثم قال : الحمد لله ، الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله ، واجتهاد الرأى فى

حديث معاذ يفسره مافى عهد عمر رضى الله عنه - لأبى موسى حين ولاء القضاء فقد جاء فيه قوله : « القضاء فريضة محكمة ، او سنة متبعة ، ثم قال : « الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرى مما ليس فى كتاب ولا سنة ، فاعرف الاشباه والامثال ، وقس الامور عند ذلك ، واعمد الى اقربها الى الله أشبهها بالحق » (١٢) .

ولذلك فسر الامام الشافعى الرأى بالاجتهاد ، ثم فسر الاجتهاد بالقياس ، وقال : « هما اسمان لمعنى واحد » (١٣) .

أما أبو بكر الصديق رضى الله عنه - فقد قال ان الرأى انما كان من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - مصيبا أن الله كان يريه ، وانما هو منا الظن والتكلف » (١٤) .

ويمكن القول بأن مفهوم « الاجتهاد » أو « الرأى » فى هذا الدور لا يعدو أن يكون واحدا من الامور التالية .

( أ ) حمل ما يحتمل من الكلام - محملين أو اكثر على احدهما  
كما فى امره صلى الله عليه وسلم . لهم بالصلاة فى بنى قريظة (١٥) .  
( ب ) قياس تمثيلى تلحق فيه واقعة وقعت وحدت بواقعة مماثلة  
لها تعرض لها الكتاب او السنة . كما فى قياس عمار التيمم من  
الجنابة على الاغتسال منها ، وتمعه بالتراب (١٦) .

( ج ) الاجتهاد فى ملاحظة مصلحة ، او سد ذريعة ، أو تخصيص  
عموم أو أخذ بمفهوم او نحو ذلك .

ولقد بلغ من حرص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حملهم على ممارسة الاجتهاد ، والدربة عليه أن قال : الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران واذا أخطأ فله اجر » (١٧) .

ولقد بلغ من دقة اجتهاد الكثيرين منهم أن « القرآن العظيم كان

كثيرا ما ينزل موافقا لاجتهاداتهم ، ويوافقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - اتاحت لهم من الاطلاع على مقاصد الشارع الحكيم والادراك لاسرار التشريع والمعرفة بمعانى النصوص ما لم يتح لسواهم ممن جاء بعدهم .  
أصحاب الفتيا - من الصحابة فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم :

كان الذين يفتون فى زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصحابة ابوبكر وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وابى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وابو الدرداء وابوموسى الاشعري ، وسلمان الفارسي رضى الله عنهم أجمعين .

وفيه المكثر والمقل : فالمكثرون رضى الله عنهم - عائشة أم المؤمنين ، وعمر بن الخطاب ، وابنه عبدالله ، وعلى بن ابى طالب ، وعبد الله بن عباس ، وزيد بن ثابت وهؤلاء سبعة يمكن أن يجمع من فتاوى كل واحد - منهم - سفر ضخم . وقد جمع ابوبكر محمد بن موسى بن يعقوب بن الخليفة المأمون فتاوى ابن عباس فى عشرين كتابا .

وأما المتوسطون منهم - فيماروى عنهم من الفتيا - فهم : أم سلمة أم المؤمنين وانس بن مالك ، وابوسعيد الخدرى ، وابو هريرة ، وعثمان بن عفان ، وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن الزبير ، وابو موسى الاشعري ، وسعد بن ابى وقاص ، وسلمان الفارسي ، وجابر بن عبدالله ، ومعاذ بن جبل وابوبكر الصديق : فهم ثلاثة عشر فقط يمكن ان يجمع من فتاوى كل منهم جزء صغير جدا .



ويضاف اليهم طلحة والزبير ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعمران بن الحصين ، وابوبكرة ، وعادة بن الصامت ، ومعاوية بن ابي سفيان والباقون - منهم - مقلون فى الفتيا لا يروى عن الواحد منهم الا المسألة والمسألان والزيادة اليسيرة على ذلك فقط ، ويمكن ان يجمع من فتاوى جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصى والبحث (١٨) .

وكانوا - رضوان الله تعالى عليهم - فى فتاواهم يردون الوقائع الجزئية الحادثة الى النصوص الجزئية التى تدل على احكامها - من الكتاب أو السنة اما بطريق الظاهر - الذى يسفتاد فيه المعنى والمدلول فيها من مفهوم اللفظ وايحائه وسائر القرائن المرتبطة به ، فكانوا يذكرون الحكم الذى اهتموا اليه بطريق اللفظ ، او بطريق الدلالة للناس ، والناس تأخذ عنهم وكانوا ، لا يدعون البحث فى المسألة قبل الوصول الى برد اليقين فيها ، والاحساس بأنهم قد بذلوا فى البحث فيها مالا يزيد عليه .

### عصر كبار الصحابة :

بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - جاء عصر كبار اصحابه والخلفاء الراشدين من بعده ، وهو عصر قد امتد منذ سنة احدى عشرة هـ الى سنة اربعين هـ ، وكان أهل الفقه والفتوى - من الصحابة - فيه يلقبون « بالقراء » .

أبوبكر الصديق رضى الله عنه .

يلخص ميمون بن مهران طريقة الصديق - رضى الله عنه فى الحصول على الاحكام الشرعية فيقول : « كان أبوبكر اذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وان لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك

الأمر سنة قضى بها ، فان أعياء خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فيه قضاء فيقول ابوبكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا فان أعياء أن يجد سنة من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- جمع وجوه الناس وخيارهم فاستشارهم ، فاذا اجتمع رأيهم على امر قضى به (١٩٣) وهو-رضى الله-عنه- اذا استنفذ كل ما تقدم اجتهد رأييه سواء كان في تفسير نص ، ومعرفة دلالة او في اجتهاد محض فمن الاول قوله- لما سئل عن الكلالة :- « اقول فيها برأىي ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان : الكلالة ما عدا الوالد والولد » .

ومنه - ايضا - قوله : « والزكاة من حقها » حين أورد عليه عمر- رضي الله عنه حديث « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله » وذلك عندما هم بقتال مانعي الزكاة فسيدينا عمر قد استدل بالحديث على عدم جواز قتالهم وذلك لان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال فيه : « .. فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها » وحقها في نظر سيدنا عمر « الزنا بعد احصان ، وقتل النفس والردة ومنع الزكاة فقط ليس واحدا مما ذكر ، ولكن الصديق قال له : « والزكاة من حقها ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليه » .

ومن الثاني : أنه ورث ام الأم ، ولم يورث أم الاب ، فقال له بعض الانصار : « لقد ورثت امرأة من ميت لو كانت هي الميتة لم يرثها ، وتركت امرأة لو كانت هي الميتة ورث جميع ما تركت فرجع الى التشريك بينهما في السدس ».

ومن ذلك حكمه فى التسوية فى العطاء حتى قال له عمر :  
 كيف تجعل من ترك دياره و امواله وهاجر الى رسول الله كمن دخل فى  
 الاسلام كرها ؟ فقال ابوبكر : انما اسلموا لله وأجورهم على الله ، وانما  
 الدنيا بلاغ . ( ولما انتهت الخلافة ) الى عمر فرق بينهم فاعطى على  
 البلاء والسابقة والهجرة

ومن ذلك قياسه تعيين الامام بالعهد على تعيينه بعقد البيعة ، حتى  
 انه عهد الى عمر بالخلافة - ووافقه على ذلك الصحابة .

وكتب اليه خالد بن الوليد : انه وجد فى بعض نواحي العرب رجلا  
 ينكح كما تنكح المرأة ، فاستشار-رضى الله عنه - اصحاب رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم- وفيهم على-رضى الله عنهم اجمعين- وكان  
 اشدهم قولا فقال : ان هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم الا واحدة ،  
 فصنع الله فيهم ماقد علمتم ، أرى : ان يحرقوا بالنار ، فكتب ابوبكر الى  
 خالد أن يحرقوا فحرقوهم (٢٠) .

والملاحم الفقهية التى يمكن ملاحظتها فى هذا العهد .

( أ ) اتساع الأخذ بالقياس فى الوقائع التى لانص فيها من غير  
 أنكار من أحد من الصحابة .

( ب ) ظهور الاجماع بصورة واضحة كدليل من ادلة الاحكام وساعد  
 على ذلك كون الصحابة قلة لا يتعذر اجتماعهم ولا اتفاقهم . وقد  
 ظهر اجماعهم فى أمور كثيرة - منها اجماعهم على وجوب نصب  
 امام للمسلمين واجماعهم على قتال أهل الردة بعد اختلافهم فيه ،  
 واجماعهم على أن المرتد لايسى واجماعهم على جمع القرآن  
 وكتابة المصحف وغير ذلك .



عهد عمر-رضى الله عنه:-

عهد عمر رضى الله عنه لقاضيه شريح الذى قدمنا ذكره يبرز طريقته رضى الله عنه-فى استقاء الاحكام من ادلتها ، ولكن الملاحظ عليه أنه كان كثير المشاورة للصحابة-رضوان الله عليهم ، كثير المناظرة لهم حتى يحصل على أفضل فهم ، وأحسن سبيل للتطبيق . لقد كان- رضى الله عنه-فى نظره للمسائل التشريعية كصيدلانى حكيم يحاول أن يركب الدواء-الذى يشفى من الداء من غير اية اعراض جانبية .

ولذلك فقد ترك نهما فقهيا متميزا ، وثروة فقهية هائلة وقد قال :  
ابراهيم النخعي لما استشهد رضى الله عنه : « ذهب تسعة اعشار العلم »  
(٢١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه - : « كان عمر اذا سلك طريقا وجدناه سهلا (٢٢) .

لقد كان رضى الله عنه ذا عقلية كلية وحس عام سرعان مايربط الجزئيات بالكليات ، ويرد الفروع الى الاصول والضوابط العامة ، كان هذا شأنه فى عهد رسول الله ثم فى عهد خليفته من بعده ، ولم يخرج عن ذلك حين آل الأمر اليه .

لقد تعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم-وتعلمذ عليه ، فلقد كان كثيرا مايسمعه عليه الصلاة والسلام - يتوقف عن الأمر بشئ حسن يود أن يأمرهم به لولا اشفاقه عليهم وخوفه المشقة عليهم ، فكثيرا ماكان يقول : لولا أن اشق على أمتى لأمرتهم بكذا .... واحيانا« كان ينهاهم عن أمور، ثم يرى عليه الصلاة والسلام ان الداعى الى النهى قد زال فيرخص لهم ، واحيانا يهم بتحريم شئ فيخبرونه عليه الصلاة والسلام بالمشقة التى تلحقهم بتحريمه فيرخص لهم بما يدرأ عنهم المشقة والحرَج ، ويراه عليه الصلاة والسلام - كيف يختار أبسر

الأمرين كلما خير بين أمرين ، فأثر ذلك كله فيه رضى الله عنه فأدرك ان لهذه الشريعة مقاصد واهدافا وغايات لا بد من استهدافها وتوحيها ، ومحاولة استكشافها ، وان لتلك الاحكام عللا صرحت النصوص ببعضها وأومأت الى البعض الآخر وعلى أهل العلم استنباط علله - مالم يصرح به او يوم اليه لادراج الحوادث المستجدة ، والنوازل الحادثة تحت احكام الله لكى لا يخرج شى عن حاكمية الله - تعالى - ولكى لا يألف الناس البحث عن معالجات أو احكام لقضاياهم خارج دائرة سرع الله .

ولذلك تجد فى اجتهاداته-رضى الله-عنه-طرق استنباط واضحة فان المتتبع لفتاوه.رضوان الله-عليه لا يعجزه ان يجد التعليل بالمصلحة ، والاخذ بسد الذرائع ، ودفع المفسد ، والسياسة الشرعية وايقاف العمل ببعض الاحكام لزوال عللها ، أو لفقدان بعض شرائط تطبيقها فمن ذلك : طلبه من رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-قتل اسرى بدر ، واقتراحه الحجاب واقتراحه ان لا يحدث الناس بأن من قال : لا اله الا الله دخل الجنة ، لئلا يتكلموا .

واقتراحه على ابي بكر الغاء سهم المؤلفة قلوبهم وانه،فه قسمة الاراضى المفتوحة بين الغانمين .  
عهد عثمان رضى الله عنه :

حين بويع عثمان رضى الله عنه بالخلافة ، « بويع على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده » وعاهد على ذلك . أما على فقد أبدى استعداداه لأن يعاهد على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ثم أن يعمل بمبلغ علمه وطاقته ، ولاعلان عثمان استعداداه للعمل بسيرة الشيخين دون تحفظ بايعه عبدالرحمن فكان هناك مصدرا

ثالثا قد أضيف فى عهد الخليفة الثالث ، وأقره وهو سياسات الشيخين أو سيرهم ، وهذا ماتحفظ عليه على-رضى الله عنهم أجمعين ولذلك رأيناه حين آل الامر اليه حاول أن يعمل باجتهاده فى مسائل اجتهد فيها من سبقه ، كمسألة بيع امهات الاولاد .

لقد كان سيدنا عثمان بن عفان من المتوسطين فى الفتيا ، ربما لأن معظم القضايا التى عرضت له كان للشيخين قبله فيها فقه أثر أن يأخذ به . ولكنه اجتهد كما اجتهد من سبقه ، سأل عمر رضى الله عنه فى واقعة فقال : « ان تتبع رأيك فأنت سديد ، وان تتبع رأى الشيخ قبلك فنعم ذو رأى كان » كما اجتهد وصلى فى منى أربعاً بدلاً من اثنتين قصرأ ، وذلك بتأويلين : أحدهما : أنه قد تزوج بمكة فظن أنه لايجوز لاهل مكة القصر فى منى ، وثانيهما : أنه خشى أن يتوهم الاعراب بأن تمام الصلاة ركعتان .

كما اجتهد فى حمل الناس على قراءة زيد ، ورأى أن ذلك أسلم وأبعد عن وقوع الاختلاف .  
عهد على :

كان رضى الله عنه-أشبه الناس بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى طرق فهمه للنصوص ، وسبل تفهمه لتطبيقاتها ، وحرصه الشديد على ربط الجزئيات بالكليات ، كان يعتبر أقضى أهل المدينة ، ولاء رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-قضاء اليمن ، ودعا له : « اللهم ثبت لسانه واهد قلبه » ، فكان موفقا فى قضايه ، حلالا لمعضلاتها ، يصف علمه فيقول : « والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلام نزلت ان ربي وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا » . وكان يقضى اذا عرض له قضاء ، ويفتى اذا استفتى بكتاب الله ، وقد علمت مدى علمه

به . ثم بسنة رسول الله<sup>ﷺ</sup> وتقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: « أما انه لا علم الناس بالسنة » .

ثم يجتهد رأيه فيقيس ، ويستصحب الحال ، وقد يستحسن ، ويستصلح مستفيدا فى كل ذلك من مقاصد الشرع : قاس السكر على القذف حين استشير بزيادة حد شارب الخمر مقيما لمظنة القذف الذى هو السكر مقامه .

واستشاره أمير المؤمنين عمر فى القصاص من الجماعة اذا اشتركت فى قتل الواحد ، فقال : أرأيت يا أمير المؤمنين لو أن نفرا اشتركوا فى سرقة أكنت تقطعهم ؟ قال : نعم . قال على : فكذلك هؤلاء . فقال عمر قوله المشهور : « لو اجتمع أهل صنعاء على قتل رجل واحد لقتلتهم به جميعا » .

وفى هذا قاس القتل على السرقة بجامع تحقق القصد الجنائى فى كل منهما لدى مرتكبى الجريمتين مما يقتضى الزجر والردع . واستحسن تحريق المرتدين الزنادقة الذين ألوهوه ، وهو يعلم السنة فى قتل الكافر والمرد ، ولكنه أراد أن يحقق أقصى أنواع الزجر . لا عنى أنواع الردة -لانه رأى أمرا عظيما جعل عقوبته من أعظم العقوبات لينزجر الناس عن مثله -ولذلك قال مرتجزا : لما رأيت الامر أمرا منكرا ، أجمعت نارى ودعوت قبرا . ويرسل عمر الى امرأة زوجها فى غزاة ، وبلغه أن هناك من يدخل منزلها ، فأراد أن ينهيها الى أن دخول غرباء الى منزلها فى غيبة زوجها أمر ليس لها أن تفعله ، وكانت المرأة حاملا ، فلما أخبرت بأن أمير المؤمنين يدعوها فزعت ، وكانت حاملا فأجهضت وهى فى الطريق اليه ووضعت غلاما صوت ومات فشاور الصحابة رضوان الله عليهم - فقال قوم فيهم عثمان بن عفان ،

وعبدالرحمن بن عوف : انما أنت مؤدب ولاشى عليك . فالتفت الى على ، وقال : ماتقول يا أبا الحسن ؟ فقال : « قد قال هؤلاء ، فان يك هذا جهد رأيهم فقد قضاوا ما عليهم ، وان كانوا قاريوك فقد غشوك ، أما الاثم فأرجو أن يضعه الله عنك بنيتك وما يعلم منك . وأما الغلام فقد والله عزمت . فقال له : « أنت والله - صدقتنى ، أقسمت عليك أن لاتجلس حتى تقسمها على بنى أبيك » .

عصر الفقهاء ( من الصحابة والتابعين ) :

تعتبر بداية هذا العهد من نهاية العهد الذى سبقه ، أى من سنة أربعين للهجرة - التى بها ختم عهد الخلفاء الراشدين ، وعهد قراء الصحابة ، ليبدأ عهد فقهاء الصحابة وكبار التابعين . وكان التشريع فى هذا الدور - يسير على نحو ما سبق فى الدور الذى سبقه من حيث كون مصادر التشريع فيه هى نفس المصادر التى كانت فى ذلك الدور ، وهى الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولكنه يختلف عنه بأمور عدة ، منها :

١- أصبح الناس فى هذا العهد أكثر رغبة فى الفوص على المعانى والتعمق فيما وراء النصوص .

٢- اختلفت طرقهم فى الاخذ بالسنة ، فانه نتيجة للاختلافات السياسية وظهور الفرق المذهبية والكلامية : من شيعة وخوارج ، اختلفت مواقفهم من السنة فالشيعة رفضوا الاخذ بسائر الاحاديث التى رويت من غير الائمة المعتبرين عندهم والخوارج رفضوا الاحتجاج بأخبار الآحاد عموما ، وبكل خبر ليس له معضد من الكتاب .

٣- أما الاجماع . فلم يعد تحققه بالامر الممكن ، لحدوث الفرقة ، ولان كل فرقة سحبت ثقتها من سائر علماء الفرق الاخرى ، فلم تعد تعتد بشئ من قولهم وافقوا أو خالفوا .



يضاف الى ذلك أن فقهاء الصحابة قد تفرقوا فى الامصار الاسلامية المختلفة وانتشروا فيها - فلم يعد اجتماعهم لتدارس المسائل ممكنا .

٤- شاعت فى هذا الدور رواية الاحاديث والسنن بعد ان لم تكن كذلك .

٥- ظهرت حركة وضع الاحاديث لاسباب كثيرة معروفة-لامجال لتفصيلها - أخرج مسلم عن ابن عباس-رضى الله عنه-قوله : « انا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم-اذ لم يكن يكذب عليه ، فلما ركب الناس الصعبة والذلول تركنا الحديث عنه » .  
التشريع بعد عهد الصحابة :

انقرض عهد الصحابة ما بين تسعين ومائة من الهجرة ، وجاء عهد التابعين والى علمائهم آل أمر الفقه والفتيا ، فان آخر من مات بالكوفة- من الصحابة توفى سنة ( ٨٦ هـ ) ، وآخر من مات-منهم بالمدينة سهل بن سعد الساعدي ، توفى سنة ( ٩١ هـ ) ، وآخر من مات - منهم- بالبصرة أنس بن مالك ، توفى سنة ( ٩١ هـ ) ، وقيل : ( ٩٣ هـ ) ، وآخر من مات بالشام عبد الله بن يسر ، توفى سنة ( ٨٨ هـ ) ، وآخر من مات - منهم - عامر بن واثلة بن عبد الله ( أبو الطفيل ) توفى سنة ( ١٠٠ هـ ) والذين آل اليهم أمر الفتيا - فى هذا العهد - هم الموالى الذين كان معظمهم يعيش مع فقهاء الصحابة ، أمثال : نافع مولى ابن عمر ، وخرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن رباح فقيه مكة ، وطاؤوس فقيه أهل اليمن ، ويحيى ابن كثير فقيه اليمامة ، وابراهيم النخعي فقيه الكوفة ، والحسن البصرى فقيه البصرة ، وابن سيرين فى البصرة-أيضا ، وعطاء الخراسانى فى خراسان وغيرهم ، وخصت المدينة بفتيها

القرشى ، سعيد بن المسيب - رحمهم الله جميعا - وهؤلاء التابعون ماكانوا يتجاوزون فتاوى من تلقوا عنه العلم من الصحابة الا فى السير النادر ، ولذلك فان من العسير العثور على كبير فرق بين مناهجهم فى استنباط الاحكام الشرعية ، ومناهج من سبقهم من الصحابة ، ولكن مناهج الاستنباط فى هذا العهد قد بدأت تظهر وتتضح أكثر من قبل ، عن الحسن بن عبيدالله النخعى قال : قلت لابراهيم النخعى : ما أكل ما أسمعك تفتى به سمعته « فقال : « لا » فقلت : « تفتى بما لم تسمع » فقال : « سمعت الذى سمعت ، وجاءنى مالم أسمع فقصته بالذى سمعت » (٢٣) .

واذا كان - هناك- ما يمكن ملاحظته فى هذا العهد فهو ظهور الاختلافات فى الرأى بين المفتين فى مسائل كثيرة . وقيام الامام عمر بن عبدالعزيز-رضى الله عنه - بأمرين لهما دلالتهما فى هذا السبيل .  
الاول : أمره بجمع السنن وكتابتها فكان أهل كل بلد يكتبون ما عند علمائهم من السنن فى دفاتر (٢٤) .  
والثانى :

والثانى : جعله أمر الفتيا فى كثير من البلدان الى أناس يعينهم كما فعل بالنسبة لمصر حيث جعل أمر الفتيا فيها الى ثلاثة رجال : اثنين من الموالى هما : يزيد بن ابي حبيب ، وعبدالله بن أبى جعفر ، وواحد من العرب ، وهو جعفر بن ربيعة . وقد عوتب-رضى الله عنه فى هذا ، فقال : « ماذنبى اذا كانت الموالى تسمو بأنفسها صعدا وأنتم لاتسمون » (٢٥) .

أما سبب أمره بالتدوين - فقد صرح به فى كتابه الى ابي بكر محمد بن عمرو بن حزم الانصارى ، حيث قال :... انظر ماكان من

حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو سنة أو حديث أو نحو هذا  
فاكتبه لى فانى خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء ... » (٢٦) .

### عصر اتباع التابعين والائمة المجتهدين :

يقول ولى الله الدهلوى فى هذا العصر : « ان فقهاء هذا العصر  
أخذوا حديث النبى- صلى الله عليه وسلم - وقضايا القضاة واجتهاد  
المجتهدين عن سبقهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ثم اجتهدوا  
أيضا » وكان صنيع العلماء فى هذه الطبقة متشابهها ، فان حاصل  
صنيعهم أن تمسك كل منهم بالمسند من حديث رسول الله- صلى الله  
عليه وسلم والمرسل جميعا ، واستدل بأقوال الصحابة والتابعين ، لانها  
اما أحاديث منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفوها عند  
روايتها الى أحد من الصحابة والتابعين تخرجوا من نسبتها الى النبى  
واحتمياطا وورعا عن الرواية عنه خوف الزيادة أو النقصان فى العبارة .  
واما أن تكون أقوالهم هذه انما قالوها استنباطا من النصوص ، أو  
اجتهاد - منهم - بأرائهم ، وهم أحسن فى كل ذلك ممن يجى بعدهم ،  
وأكثر اصابة ، وأقدم زمانا وأوعى علما : فتعين العمل بها الا اذا اختلفوا .  
وكان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- يخالف قولهم مخالفة  
ظاهرة . أما اذا اختلفت الاحاديث نفسها فالمرجع أقوال الصحابة فان  
قالوا بنسخ بعضها ، أو يصرفه عن ظاهره ، أو لم يصرحوا بذلك ، ولكن  
اتفقوا على تركه ، وعدم القول بموجبه ، فانه كابداء علة فيه ، أو الحكم  
بنسخه أو تأويله - اتبعوهم فى كل ذلك . فانه اختلفت مذاهب الصحابة  
والتابعين فى مسألة فالمختار عند كل فقيه مذاهب أهل بلده ، وشيوخه ،  
لانه أعرف بصحيح أقاويلهم من السقيم ، وأوعى للاصول المناهبة  
لها ... فمذهب عمر وعثمان وابن عمر وعائشة وابن عباس ، وزيد بن

ثابت ، وأصحابهم من التابعين ، مثل سعيد بن المسيب ( ت ٩٣هـ ) وعروة بن الزبير ( ٩٤هـ ) ، وسالم ( ت ١٠٦ ) وعطاء ابن يسار ( ت ١٠٣هـ ) ، وقاسم بن محمد ( ت ١٠٨هـ ) ، وعبيد الله بن عبد الله ( ت ٩٩هـ ) ، والزهرى ( ت ١٢٤هـ ) ، ويحيى بن سعيد ( ت ١٤٣هـ ) ، وزيد بن أسلم ( ت ١٣٦هـ ) ، وربيعه الرأى ( ت ١٣٦هـ ) كان مذهب هؤلاء من الصحابة والتابعين - أحق بالقبول من مذهب غيرهم عند أهل المدينة . ولذلك ترى مالكا يلزم محجتهم .

ومذهب عبد الله بن مسعود وأصحابه ، وقضايا أمير المؤمنين على وشريح ( ت ٧٨ هـ ) والشعبي ( ت ١٠٤ هـ ) وفتاوى ابراهيم النخعي ( ت ٩٦ هـ ) أحق بالاخذ عند أهل الكوفة .

يقول الدهلوى : ... وحين مال مسروق ( ت ٦٣ هـ ) الى قول زيد بن ثابت -رضى الله عنه- فى التشريك ( أى بين الجد والاخوة فى الميراث ) قال له علقمة ( ت ٦٢ هـ ) : هل أحد منكم أثبت من عبد الله ( يريد ابن مسعود ) فقال مسروق : لا ، ولكن رأيت زيد بن ثابت وأهل المدينة يشركون ( أى بين الجد والاخوة ) .

يقول الدهلوى : فان اتفق أهل البلد ( أى المدينة ) على شئ أخذوا بنواجزه . وهو الذى يقول فى مثله مالك : السنة التى لا اختلاف فيها عندنا ( أى فى المدينة ) كذا وكذا .

وان اختلفوا أخذوا بأقواها وأرجحها : أما بكثرة القائلين به ، أو لموافقته لقياس قوى ، أو تخريج من الكتاب والسنة ، وهو الذى يقول فى مثله مالك : هذا أحسن ما سمعت . فاذا لم يجدوا فيما حفظوا منهم جواب المسألة خرجوا من كلامهم ، وتبعوا الايماء والاقتضاء .

قال : والهموا فى هذه الطبقة - التدوين ، فدون مالك ( ١٧٩ هـ ) .

وابن أبي ذئب ( ت ١٥٨ هـ ) وابن جريح ( ت ١٥٠ هـ ) ، وابن عيينة ( ت ١٩٦ هـ ) في مكة والثوري ( ت ١٦١ هـ ) بالكوفة ، وربيع بن الصبيح ( ت ١٦٠ هـ ) بالبصرة . قال : وكلهم مشوا على هذا النهج الذي ذكرته .

ولما حج المنصور ، ولقى مالكا قال : قد عزمت أن أمر بكتيبك هذه التي ضفتها ، فتتسخ ، ثم أبعث في كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وأمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره . فقال مالكا : يا أمير المؤمنين لاتفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ، وأتوا به من اختلاف الناس فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لانفسهم ، وتحكى هذه القصة منسوبة الى الرشيد ، وانه أراد أن يحمل الناس على ما في الموطأ ، فقال له مالكا : لاتفعل ، فان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان ، وكل سنة مضت .

قال الدهلوي : وكان مالكا من أثبتهم في حديث المدنيين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأوثقهم اسنادا ، وأعلمهم بقضايا عمر ، وأقاويل عبدالله بن عمر وعائشة وأصحابهم من الفقهاء والشيعه ، وبه وبأمثاله الى علم الرواية والفتوى .

وكان أبو حنيفة - رضي الله عنه - ألزمهم بمذهب ابراهيم وأقرانه لا يجاوزه الا ماشاء الله ، وكان عظيم الشأن في التخريج على مذهبه ، دقيق النظر في وجوه التخريجات مقبلا على الفروع أتم اقبال .

وان شئت أن تعلم حقيقة ماقلنا فلخص أقوال ابراهيم وأقرانه من كتاب ( الآثار ) لمحمد و ( جامع ) عبدالرزاق و ( مصنف ) ابن ابي

شبية ، ثم قايسه بمذهبه تجده لايفارق تلك المحجة الافي مواضع يسيرة ، وهو فى تلك اليسيرة - أيضا - لا يخرج عما ذهب اليه فقهاء الكوفة (١٧) .

والحق أن فيما ذكره الامام الدهلوى نظرا ، فانه-رحمه الله-حريص على أن يؤكد أن الأئمة مالكا وأبا حنيفة وأصحابهما كانوا مقلدين أو شبه مقلدين لمن سبقهم من التابعين والصحابة ، وأنهم ماتجاوزوا فقه من سبقهم وهذا أمر من العسير موافقته-رحمه الله-عليه ، فان من المعروف-أن-هناك-طرقا للفقه قد أخذ بها كل منهما-ليس من السهل ادعاء أنها أخذت عن الصحابة أو التابعين - مثل ذهاب مالک الى الاخذ بعمل أهل المدينة وذهاب أبى حنيفة الى الاخذ بالاستحسان والعرف ، كما أن أيا لم يحتج بفتاوى التابعين ، بل زاحموهم وقالوا : هم رجال ونحن رجال .

كما أن كل - منهما-قد وضع لقبول الاحاديث شروطا لم يشترطها من سبقهم .

وشيوخ الرواية فى هذا العصر ، وظهر أحاديث لم تكن قد ظهرت وانتشرت أدى الى الذهاب فى بعض الامور الى مذاهب مغايرة لمذاهب بعض الصحابة .

أهل الرأى وأهل الحديث :

ولعل مما يزيد هذه الحقيقة وضوحا ظهور مدرستى أهل الرأى وأهل الحديث وبروز الاختلافات بينهما فى بعض الاصول ، وكذلك فى الفروع ، صحيح أن لكل من المدرستين جزورا فى العصرين السابقين ، لكن الاختلاف لم يبرز بوضوح فى مسائل الفقه الا فى هذا العصر ، ولم يتميز الناس تبعا لاختلاف مناهجهم فى الاستنباط الا فى

هذا العصر كذلك .

ان الكاتبيين فى تاريخ التشريع يؤكدون أن مدرسة أهل الرأى ، هى امتداد لمدرسة عمر وعبدالله بن مسعو- رضى الله-عنهما-الذين كانا أكثر الصحابة توسعا فى الرأى فتأثر بهما علقمة النخعى ( ت ٦٠ هـ ) أو ( ٧٠ هـ ) استاذ ابراهيم النخعى وخاله ، و ابراهيم هو الذى تتلمذ عليه حماد بن ابى سليمان ( ت ١٢٠ هـ ) شيخ ابى حنيفة .

كما يؤكدون : أن مدرسة أهل الحديث هى امتداد لمدرسة أولئك الصحابة الذين كان يحملهم الخوف والحذر من مخالفة النصوص على الوقوف عندها أمثال : عبد الله بن عمر الخطاب ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، والزبير وعبدالله ابن عباس فى الكثير الغالب-رضى الله عنهم أجمعين .

ولقد شاع مذهب " أهل الحديث " فى الحجاز لاسباب كثيرة ، قد يكون من أبرزها :

كثرة ما بأيديهم من الاحاديث والآثار ، وقلة النوازل التى كانت تعرض لانتقال الخلافة ، ومعظم وجوه النشاط الى الشام ، ثم الى بغداد . فامام أهل المدينة سعيد بن المسيب ( ت ٩٤ هـ ) رحمه الله كان يرى أن أهل الحرمين لم يفهم من الحديث والفقه شئ كثير ، فلديهم فتاوى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى قبل الخلافة ، وعائشة وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وابى هريرة ومروياتهم-رضى الله عنهم أجمعين-وفى هذا ما يغنى عن استعمال الرأى .

أما مذهب " أهل الرأى " فقد شاع وانتشر فى العراق ، وكان علماء هذا الفريق يرون أن أحكام الشرع معقولة المعنى ، مشتملة على مصالح راجعة للعباد وحكم شرعت لاجلها تلك الاحكام ، وأن على

أهل العلم البحث عن تلك الحكم والعلل الضابطة ، وربط الاحكام بها ، وجعلها تدور وجودا وعدما معها ، فاذا عثروا على تلك العلل فربما قدموا الاقيسة القائمة عليها على بعض أنواع الاحاديث اذا عارضتها .

ولقد ساعد على انتشار هذا المنهج في العراق كثرة الصحابة المتأثرين بمنهج عمر رضى الله عنه فيه أمثال ابن مسعود وأبى موسى الاشعري وعمران بن الحصين ، وأنس بن مالك وابن عباس وغيرهم . ثم انتقل الخلافة اليها واقامة على وأنصاره رضى الله عنهم فيها .

ولما ظهرت فيها الفرق من الشيعة والخوارج ، واحتدمت الصراعات ، وفشت حركة الوضع في الحديث اضطر علماؤها لوضع شروط في قبول الحديث لم يسلم معها من المروى لهم الا القليل من مرويات الصحابة الذين أقاموا في العراق . كما أن النوازل والحوادث في تلك البيئة كانت أكثر من أن تواجه في ذلك العدد من المروى .

وهكذا انقسم جمهور الامة الذين لم يدخلوا فيما دخل فيه الخوارج ، أو الشيعة الى « أهل حديث » و « أهل رأى » ويبدو أن التناثر بين الفريقين قد اشتد فصار « أهل الرأى » كثيرا ما ينزون .

« أهل الحديث » بعدم الفقه وقلة الفهم ، وأهل الحديث ينزون « أهل الرأى » بالاخذ في دينهم بالظن ، وبالبعد عن التثبت الواجب في أمور الدين والذي لا يتأتى بغير الاتباع والاخذ بالنصوص .

والحق أن « أهل الرأى » يتفقون مع سائر المسلمين في أن من استبانت له السنة فليس له أن يدعها لقول ، وكل ما أخذ عليهم مما اعتبر من مخالفاتهم للسنة فعذرهم فيه أنه لم يصلهم فيه حديث ، أو وصلهم ولم يثقوا به لضعف راويه ، ولوجود قاذح آخر لا يراه غيرهم قاذحا ، أولانه ثبت عندهم حديث آخر معارض لما أخذ به سواهم .



كما أن « أهل الحديث » يتفقون مع « أهل الرأي » في وجوب اللجوء إليه حين لا يكون في المسألة نص ، ومع ذلك فقد كان التناوب والتعابر بين الفريقين على أشده .

- ١- المحصول : ( ٩٤/١ )
- ٢- مذكرة اساتذه كلية الشريعة لسنة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م في اصول الفقه ( ٢٢ ) .
- ٣- البقرة ( ٢٦٧ )
- ٤- الآية ( ٢٢٢ )
- ٥- انظر سنن الدارمي ( ٥١٩١ )
- ٦- انظر سنن الدارمي ( ٥٠/١ )
- ٧- انظر سنن الدارمي ( ٤٩/١ )
- ٨- انظر سنن الدارمي ( ٥١/١ )
- ٩- المرجع نفسه
- ١٠- راجع تهذيب لتاريخ الفلسفة ( ١٥٢ )
- ١١- راجع حجة الله البالغة ( ٢٨٩/١ )
- ١٢- انظر الكتاب بكامله في اعلام الموقعين
- ١٣- انظر الرسالة ( ٥٦ )
- ١٤- انظر اعلام الموقعين ( ٥٤/١ ) وجامع بيان العلم ( ١٣٤/٢ )
- ١٥- الحديث
- ١٦- الحديث
- ١٧- الحديث
- ١٨- راجع الاحكام لابن حزم ( ٩٣/٩٢٥ )
- ١٩- راجع حجة الله البالغة ( ٣١٥/١ )
- ٢٠- راجع اعلام الموقعين
- ٢١- حجة الله البالغة ( ٦٨٨/١ )
- ٢٢- المرجع نفسه .
- ٢٣- انظر الاصابة ( ١١٣/٤ ) وبهامشها الاستيعاب ( ٤١٥ )
- ٢٤- جامع بيان العلم ( ٣٣/١ )
- ٢٥- خطط المقرئ ( ١٤٣/٤ )
- ٢٦- علقه البخاري ، ورواه مالك في الموطأ ، فانظره بشرح الزرقاني ( ١٠/١ ) - ملخصها  
يشي من التصرف من كتاب « حجة الله البالغة » ( ٣/٨/٢٠٥/١ ) ط مصر ، ت سيد سابق .

# اسلامية المعرفة

د . عبدالحميد احمد ابوسليمان

مقدمة :

سأحاول فى هذا البحث ان أتعرض لقضية أزمة المعرفة فى واقع الامة الاسلامية كسبب اساسى وجوهري ومسبق لازمة وجود الامة الاسلامية فى العصر الحديث واسباب ضعفها وتخلفها .  
وسأحاول ان أوضح فكرة المعهد العالمى للفكر الاسلامى والدور المأمول له فى علاج هذه الازمة .

القضية : اسلامية المعرفة :

لماذا نطرح فكرة اسلامية المعرفة للبحث ، هل هو بحث نظر وترف عقلى أم ان هناك قضية .  
من الواضح لكل من له صلة ودراية بواقع الامة الاسلامية ان هناك قضية .

ولكن هذه القضية تأخذ أشكالاً ومظاهر واهتمامات متعددة بحسب موقع الناظر والمتأمل .

فهناك قضية تخلف الامة  
وهناك قضية ضعف الامة  
وهناك قضية جمود فكر الامة  
وهناك قضية الاجتهاد لدى الامة  
وهناك قضية الغياب الثقافى للامة  
وهناك قضية الغياب الحضارى للامة

كل هذه القضايا والازمات والمشاكل تعبر بشكل أو آخر عن قضية المعرفة الاسلامية او المعرفة لدى الامة الاسلامية .

لاشك ان انحطاط المعرفة وجمودها وتخلفها لدى الامة الاسلامية فى الوقت الذى يمثل مظهرها فهو يمثل ايضا سببا اساسيا لضعف وجود الامة وانحطاطها وغيابها الثقافى والحضارى فى عالم اليوم وما يتبع ذلك من مأس وأزمات سياسية واقتصادية وعسكرية .  
اننا حين نتحدث عن أزمة الاجتهاد فى الفكر الاسلامى ،  
وحيث نتحدث عن أزمة الهوية بين ماضى المسلمين وحاضرهم ،  
وحيث نتحدث عن أزمة الهوية بين القيم والواقع ،  
وحيث نتحدث عن أزمة ضعف وضمور واضمحلال الوجود والشخصية الاسلامية ،

حين نتحدث عن ذلك فاننا نتحدث ضمنا عن أزمة المعرفة الاسلامية ( لدى الامة ) كسبب اساسى مسبق لكل هذه العلل وشرط جوهرى لاي محاولة جادة لاصلاحها والخروج بالامة من متاهاتها .  
الصورة الكبرى :

من السهل دائما ادارة الحوار السفسطائى انطلاقا من الجزئيات والتفاصيل فى غيبة الوعى عن الصورة العامة للمواقف والقضايا .  
والمدرک للصورة الكبرى لتاريخ الامة وتجاربها يسهل عليه ادراك موضع قضية المعرفة فى أزمة واصلاحها .

فالامة الاسلامية على مدى القرون فى تخلفها ،  
لم يكن تنقصها الامكانات المادية ،  
ولم تكن تنقصها الامكانات البشرية ،  
ولم يكن ينقصها التاريخ ————— ،

ولم تكن تنقصها القيم فالوحي والرسالة بقيمها ومبادئها الخالدة كانت ولا تزال بين يديها موثقة أفضل ما يكون توثيق المتن .

كذلك فان الامة الاسلامية على مدى قرون تدهورها وتخلفها حاولت الاصلاح على أسس تقليدية ، حاولت فى محدودية اعادة الصورة التاريخية ماديا على النحو الذى وعاه العقل التقليدى وقد تكرر ذلك على مدى القرون فى بلاد المغرب والسودان والجزيرة العربية وبلاد السند وسواها من البلاد الاسلامية .

وانتهت كل تلك المحاولات الى تحريك مبدئى لابناء الامة فى الصحارى والبادى ولكن يقصر نفهم وينقطع حبلهم ويقصر عطاؤهم فى حواضر الامة الاسلامية وامام قضايا الوجود الاسلامى المتحضر الضال المريض فى الامصار الاسلامية الكبرى وامام القوى الثقافية والحضارية والفكرية والتنظيمية المعادية المناجزة .

كذلك حاولت الامة الاسلامية فى تجارب عديدة مريرة أخرى ان تستلهم التجارب الاجنبية غير الاسلامية على غير جدوى ، منها التجربة العثمانية التركية منذ عهد سليم الثالث وهى أقدمها وأشملها ، ومنها التجربة المصرية منذ عهد محمد على وسواها من التجارب .

فجربت المحاكاة الفنية والتنظيمية والفكرية المتحررة والدستورية السياسية والقومية والعلمانية وسيطرة الدولة وتدخلها مما هو معروف . وانتهت حتى الان الى الفشل وبقيت تركيا وبقيت مصر أشد عجزا ومرضا .

واذا كان اسلوب المحاكاة التقليدى التاريخى و اسلوب المحاكاة الاجنبى لم يسفر اى واحد منهما على مدى القرون عن الغاية المرجوة فان من الواضح ان الاصلاح ما يزال يكمن فى تحديد أصيل مبدع

لقوى الامة الفكرية والثقافية والحضارية على اساس من قيمها ومبادئها ومنطلقاتها ودوافعها ونفسياتها وعلاقاتها وتاريخها ، وتكمن قضية المعرفة وتحديددها فى اساس ذلك كله .

**كيف بدأت أزمة المعرفة :**

من المهم ان نعلم كيف كانت المعرفة سببا فى ازدهار واصلاح حال الامة . فالاسلام منذ ظهوره كان يعنى ببناء كيان الامة الاسلامية وشخصيتها على اساس سليم من المعرفة التى تركز على هدى وتوجيه الوحي وعلى قدرة فاعلية العقل .

وكانت حياة الرسول عليه السلام فى الوقت الذى يوجهها الوحي ويرسم خطوطها وتصوراتها وغاياتها ويهدى توجهها وخطواتها فانها تركز الى العقل والتدبير والتخطيط والتفكير السديد وآيات القرآن الكريم فى تكريم العلم والمعرفة والخبرة اكبر دليل على ذلك و أول لفظ أنزل من الوحي هو دعوة الى العلم والمعرفة على اساس الغاية والهدى الربانى ( اقرأ باسم ربك الذى خلق ) .

ولم يكن احدا كفاً قيادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم استشارة لاصحابه ولا تخطيطا ولا تدبيرا لامره وأمر جماعة المسلمين فى كل أمر وفى كل حال من سلم وحرب .

والغرب حين داهمته هجمة العثمانيين لم يتمكن من صد هجماتهم والتغلب عليهم الا بعد ان حقق نهضة فكرية ثقافية سميت بعصر التنوير كانت أساس اعادة تنظيم قوى الغرب وتفجير طاقاته .

واذا كان لنا من مقارنة فاننا نستطيع ان نقول ان الامة الاسلامية حين دهمها تغير موازين القوى بالغرب ودهمتها هجماته منذ عدة قرون فان رد فعل المسلمين كان فى جوهره عسكريا وسياسيا

ولم يكن ينقص الكثير من ابناء المسلمين الاخلاص والتضحية فى الدفاع عن الامة ومقدساتها ولكن باءت كل تلك الجهود وحتى اليوم بالفشل ولم تمثل سوى مزيد من الاستنزاف والتدهور والضعف والتمكين لاعدائهم فى رقابهم ومقدراتهم ومقدساتهم ولا يجد الدارسون فى جوهر تطور العلاقة الا اتساع الهوة فى خط بياني لا يزيد الوقت الا تدنى اتجاهه لغير مصلحة الامة الاسلامية . وخلال هذه المسيرة يستطيع الناظر الموضوعى ان يرى فى اساس هذه المواجهة بين المسلمين ومناجزهم واعدائهم تدهور المعرفة وضمورها وانحطاط النموذج المسلم وانحطاط نوعية ومصادر قدراته الفكرية والتنظيمية والثقافية والحضارية ويظل النموذج المسلم وان كان لم ينقصه عنصر الاخلاص والتضحية الا انه تنقصه قاعدة المعرفة والقدرة وتبدى فيه ضмор الشخصية والفكر والثقافة .

ولكن أين ذهبت تلك القدرة والطاقة والتألق والمبادرة وانطلاقة الفكر وحسن المأخذ الذى عرفته الامة الاسلامية على عهد الصدر الاول الذى حققت به تكوين الامة وهزيمة قوى الهمجية والفوضى وقوى الظلم والفساد وكسبت به قلوب العرب وابناء الامم وحققت من الانجازات فى أقل من نصف قرن وأرست دعائم مجتمع وحضارة غطت جل سطح الارض فى زمانها وحقبا طويلة من التاريخ من بعدها ما يزال الدارسون فى حيرة من أمره وانبهار بمدها وانجازاته

- أين ذهبت تلك القدرة .
- وكيف تبددت تلك الطاقة .
- وكيف انحسرت تلك الموجة .

وكيف تضععت تلك الشخصية .

وكيف انهار ذلك النظام .

انقسام القيادة الى فكرية و سياسية :

ان النقطة الاولى لبداية التحول والسبب المادى المباشر كان هو انهيار دولة الخلافة الراشدة طامها فى المدينة المنورة على يد جند القبائل العربية التى تغفلت واستولت على الجيش فى تطورات حركة الدفاع والفتح الاسلامى .

ولما لم يكن لرجال القبائل تربية وفكر جيش الاصحاب الذين بنوا دولة المدينة ونصامها ،

لذلك كان لابد لجيش القبائل العربية ان ينقلب على نظام الخلافة الراشدة وان يقيم نظاما جديدا هو خليط من القبلية والجاهلية والاسلام كان بدءا لعصور الانحراف والتحول .

ورغم ان الهيئة الحاكمة بقى لها ذات الانتماء القبلى القرشى فان الحجاز الذى يمثل القاعدة والعناصر الاسلامية الواعية لم تسلم للنظام الجديد بل ثارت وقاومت بالسلاح هذا الانحراف فى ثورات وحروب أهلية طاحنة متوالية على عهد الحسين بن على وعبدالله ابن الزبير محمد ذوالنفس الزكية وزيد بن على وسواهم .

ولضعف التربية الاسلامية فى جمهور المسلمين الجدد فى الامصار وبتوالى انطواء الامم تحت مظلة الاسلام بكل رواسيها الجاهلية كان لابد ان تنحصر الثورة والمقاومة المسلحة فى الحجاز ولكن انتهت القيادة الفكرية الاسلامية الى العزلة عن القيادة السياسية ومعارضتها ولذلك نجد اباحيفة يموت فى السجن ولا يقبل تولى القضاء ويضرب مالك بن انس صاحب فتوى طلاق المكروه

والشافعي الذي ترك بغداد الى مصر هربا من بطش السلطة السياسية وابن حنبل صاحب المحنة وسواهم من اعلام الاسلام الذين بقوا على مر العصور سنداً للحق والعدل ومعارضة لجور السلطة السياسية واستبدادها وعسفها ومظالمها .

وهذا الانفصام بين القيادة الفكرية والسياسية كانت له اضراره على القيادة السياسية وغشمها وعسفها وتدهور النظام الاجتماعي للامة .

الا انه هو السبب المبدئى لضمور فكر الامة وقيادتها الفكرية حيث انفصل الفكر عن الممارسة والخبرة والتجربة والتفاعل وكان لابد ان يصبح بالمعنى السلبي مجردا ونظريا .

هذا الضمور والعجز والاسلوب النظرى للفكر الاسلامى كان لابد ان يزيد ويتفاقم بمرضى الوقت وكان لابد لمحصلة الفكر الاسلامى التاريخية ان تفقد صلتها ودالاتها المباشرة مع واقع الامة وصور حياتها المادية المتطورة ومواقفها ومواجهاتها واحتياجاتها الامنية المتفاعلة المتغيرة .

ومن ناحية أخرى فان انحراف القيادة السياسية وفقد الثقة المفقودة بينها وبين القيادة الفكرية صعب مهمة القيادة الفكرية فى اقرار مبادرة فكرية من القيادة السياسية ومن اتباعها لما تخشاه من غايات واهداف القيادة السياسية مما أدى وبشكل مفهوم الى تصلب مواقف القيادة الفكرية دون اهتمام كبير بمخاطر السلبية النظرية فى الفكر خوفا من تاصيل الانحراف والظلم مما كان من اسباب ما عرف باقفال باب الاجتهاد واختزلت مهمة العلماء الى المحافظة على التراث والمتابعة النظرية على مر القرون للنصوص والمتون .



ولكن هناك معركة اخرى كان لها أبعاد الاثر - فيما أرى - فى تحديد مسار المعرفة والثقافة الاسلامية فى العصور المتأخرة أدت الى قطع شرايين الامداد الفكرى لشجرة المعرفة والشخصية الحضارية الاسلامية وبتر جذور النماء فى أصولها .

وهذه المعركة هى علاقة العقل بالنقل فى اصول المعرفة والثقافة والحضارة الاسلامية .

فالدارس لعصر الصدر الاول لا يصعب عليه ملاحظة روح المبادرة والتفاعل وحسن المآخذ فى فكر الصدر الاول .

ولذلك نجد شجاعة الرأى وسداده والمبادرات والاجتهادات الكبرى تصدر من الأصحاب والخلفاء فى الصدر الاول عن روح الاسلام وغاياته بدءا بمفهوم ابى بكر عن معنى اسلام رجال قبائل العرب واستيعابهم لاركان الاسلام وواجباته ومن ذلك خضوعهم لولى الامر وأداء الزكاة اليه ومنها اجتهادات عمر فى الخراج وفى الطلاق وتمسك على رضى الله عنه بحق الاجتهاد ورغم انهم امتداد مباشر لعهد الرسول عليه السلام الا ان ملامح عصرهم وادارتهم كانت تنم عن الفهم الواعى المدرك لتوجيهات الوحى والشريعة وغاياتها والتزام هذه الروح فى مواجهة الاحداث والقضايا والتغيرات التى كانوا يواجهونها .

اما روح القبولية الشكلية القانونية والانغماسات الاكاديمية المدرسية فتلك ظاهرة لم تكن معهودة فيهم ولكنها أخذت تتضح وتنمو بظهور العزلة بين القيادة الفكرية والقيادة السياسية .

ولم يكن عجبيا ان تخبو روح المبادرة والاجتهادات والتشريعات والسياسات الاسلامية الكبرى بمضى الزمن بفعل تراكم عوامل العجز

الفكرى الاسلامى بدل ان تتوقد وتثرى بفعل توالى الاحداث وغنى الخبرات وتباعد الزمن .

ففى ظل الخلافة الراشدة كانت القيادة ملتزمة بالقيم والغاية الاسلامية الكبرى وكانت موضع ثقة الامة .

لذلك كانت حصيلتها من التجربة والفكر مجندة فى خدمة المجتمع وتنظيماته المختلفة ، ولم يكن هناك مجال للتناقض بين العقل والوحى حيث ان العقل يصدر اصلا عن التزام وفى حدود هذا الالتزام وفى خدمته .

اما بعد انقسام القيادتين فان عنصر الالتزام لم يعد لدى القيادة السياسية قائما بالمعنى السابق واصبح العقل والتجربة لا يصدران بالضرورة عن غايات الالتزام وفى خدمته .

ومن الناحية الاخرى فان خضوع أمم الارض المتحضرة للامة الاسلامية العربية واتصالها بها فى مصر و فارس وبلاد اليونان والرومان والهند . كل ذلك ادى الى انبهار عقلى وحضارى غير كامل الالتزام لدى المسلمين خاصة فى دوائر بلاطات الحكام والقيادات السياسية .

ولذلك نجد الترجمات والدراسات والمناظرات والاهتمامات لم تلتزم حدود الغاية والشخصية الاسلامية ووجدنا من ذلك ظهور بل رواج مباحث الكلام والفلسفة الالهية والنزعات الباطنية والصوفية وقرب الحكام الفلاسفة والمتكلمين والمعتزلة وظهرت حركة اخوان الصفا والحركات الباطنية والصوفية المتطرفة .

وكان من الواضح ان الحركة الفكرية واستخدام العقل فى هذه المرحلة ليس ملتزما بالشخصية الاسلامية ومن أوضح الامثلة ان البحث

فى الذات الالهية ليس له مكان فى الفكر الاسلامى لان تعريف الذات الالهية وفقا لمفهوم الالتزام ليس لها مثال ( ليس كمثله شئ ) .. ( الشورى ٤٢ : ١١ ) ولا يخضع لقانون السببية البشرى ( لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ) ... الاخلاص ١١٢: ٣ .

ولذلك كان رد الفعل ضد هذه الحركة العقلية غير الملتزمة عنيفا من علماء الاسلام مثل حجة الاسلام ابي حامد الغزالى وشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية الذين أفنوا جهدهم فى الرد على هذه الفرق والضلالات .

كانت حصيلة هذه التجربة الخاسرة مع الثقافة والعقل الوافد غير الملتزم ان يقف العلماء والمفكرون الاسلاميون الملتزمون موقف الشك والعداء من العقل فى صور الفلسفة والمنطق وان تميل المعرفة والدراسات الاسلامية على علوم النصوص الشرعية واللغة العربية والتراث الفقهى مما يؤدى الى مزيد من فكر المتابعة والقولية النصية القانونية الجزئية التاريخية وان تعجز وتغلق حلقات الدراسة الاسلامية امام الاجتهاد وتدور فى بطون المتون وترديدها والشرح النظرى تلو الشرح عليها .

وبذلك أصبحت الارهاصات والمبادئ وأساليب البحث العلمى التى قامت فى أصول الفكر الاسلامى مثل الضرورة والمصلحة والاستحسان أقرب الى التعطيل بما فرض عليها من ممارسات وقيود نظرية لا تتفاعل مع حصيلة الممارسة والحاجة السياسية الاجتماعية .

أزمة الفكر الاسلامى المعاصرة :

هى اليوم أعظم ما تكون ليس بسبب العزلة الطويلة التى أورثت هذا الفكر عجزا وضمورا .

ولكن التفكير فى سبل اصلاح هذا الفكر لم تبين التغير الذى طرأ على ميدان المعرفة والثقافة فى العالم المعاصر ولم تدرك نقاط القوة فى أصول المعرفة الاسلامية ولم تبين الدروس من تجارب الماضى .

ولذلك كثر التاكيد على الحاجة الى فتح باب الاجتهاد او التاكيد عليها انه لم يغلّق قط ومع ذلك يظلّ الفكر عاجزا والاجتهاد مفقودا وان بدت قبسات تظلّ استثناءات تلتصق بمصادفات التكوينات الخاصة باصحابها دون ان تتحول الى مدارس ومناهج فى المعرفة والثقافة والفكر .

ان الازمة تكمن فى انفصام العقل والنقل فى أصل المعرفة لدى الامة الاسلامية .

الازمة تكمن فى طبيعة منهاج الدراسة الاسلامية التى تتركز فى علوم النصوص واللغة والمتون الفقهية الموروثة .

الازمة تكمن فى ان العقلية الاسلامية تتجه نحو الفقيه بمفهومه التاريخى لكى يحلّ أزمة المعرفة والثقافة الاسلامية ويقدم الاجتهادات والحلول والبدايل الاسلامية الحضارية للامة فى مواجهة اعدائها .

**أسس الاصلاح :**

ان أسس الاصلاح الفكرى الاسلامى الذى يكون قاعدة المعرفة والثقافة والحضارة والمنطلق لتصحيح سير الحركة الاسلامية فى التاريخ والخطوة الاولى فى تقويم اسخضية وخطط العمل للدعوة الاسلامية يكمن فيما يلى :

**أولا :** تصحيح علاقة العقل بالوحى فى الفكر الاسلامى .

ثانيا : إعادة رسم وفهم مجال المعرفة والاجتهاد ودور الفقيه في الصورة الجديدة للمعرفة والتفرقة بين الاجتهاد والافتاء في الفكر الاسلامي المعاصر .

ثالثا : إعادة بناء خطة منهج التربية والتعليم الاسلامي بحيث تنتهى ازدواجية المعرفة العقلية والاجتماعية والذبذبة القانونية ، وازدواجية القيادة السياسية والفكرية .  
وفيما يلي توضيح ما سبق اجماله .

أولا : تصحيح علاقة العقل بالوحي في الفكر الاسلامي :

من الواضح ان المعرفة والفكر والثقافة الغربية المعاصرة المتفوقة هي معرفة وفكر وثقافة عقلية بحتة لاصلة لها بالوحي حيث ان الفكر الغربي ليس وسيلة للمعرفة الربانية بسبب ما أصاب الوحي في الرسالة اليهودية والمسيحية من تحريف وما لابس الممارسات اللاهوتية من انحراف .

ورغم النجاح الكبير الذي حققه الفكر الغربي في المجال العلمي التجريبي الا ان علماءه لا يسمعون ان ينكروا التخبط الذي يعيشه المجتمع والفكر الاجتماعي الغربي وذلك لصعوبة العمل التجريبي الناجح في المجال الاجتماعي الانساني بل واستحالته في اغلب الاحوال من ناحية ولتحكم الهوى واللذة من ناحية اخرى ولان العقل الانساني ليس له ان يحقق الصواب والادراك الكلي الاجتماعي بمفرده ومن ها كان التخبط والتناقض والنظريات المتلاحقة التي لا تسمر ولا تنقطع ولا تقطع في أمر .

اما مصادر المعرفة الاسلامية فهي الوحي والعقل .

وليس في القول بان الوحي او العمل هما مصدر للمعرفة

الاسلامية مشكلة ولكن المشكلة فى تحديد العلاقة بينهما وضبطها .  
فلاشك ان الوحى فى الاسلام يمثل الغايات والضوابط ضد  
انحراف العقل وهوى النفس . ولكن القضية المهمة معرفة انه دون  
العقل يحدث سوء فهم الوحى نفسه .

ولذلك فان قصور العقل فى المعرفة الاسلامية لا يعنى ضياع  
العقل فقط بل ضياع الوحى معه واذا كان يخشى على غير  
المسلمين من ضلال العقل احيانا فان المسلمين اذا لم ينتفعوا من  
العقل فى مجال المعرفة عندهم فهم لايفقدون الفائدة المرجوة من  
الوحى فى تحديد الغاية وضبط مسيرة العقل فقط بل انهم قد  
يستطيعون ايضا فهم الوحى على غير ما يقصد منه وقد يكون ذلك  
مصدرا اضافيا للضرر بدلا من النفع .

وأمثلة ممارسات العلماء من منطلق الجهل وغيبة التحربة والعقل  
فى بعض الامور كثيرا ما ينتهى بهم الى مواقف مؤسفة غير معقولة ولا  
مقبولة ، ضررها اكثر من نفعها وقد تصد عن سبيل الله .  
فالمشكلة اذا تكمن فى فهم معنى علاقة العقل بالوحى ومن  
الواضح انها علاقة تلازم بالضرورة ، فلا وحى دون عقل ولا عقل اذا  
انحرف عن التزام جادة الوحى .

فالمشكلة تتلخص فى كيفية استخدام العقل لافى ضرورة العقل  
من عدمها .

لا بد من العقل كمصدر للمعرفة والفكر والثقافة الاسلامية  
ولكن لا بد من استخدامه بوعى فى اطار الوحى وغايته اى لا بد من  
انضباط والتزام فى استخدام العقل بحيث لايجرى ضد الغاية  
الاسلامية او الاطار الاسلامى بما لا يضيف معرفة ولا نفعاً ولكن

يضيف تحوطا وممارسات نظرية ضالة كما حدث فى ماضى الامة والتاريخ الاسلامى .

ومعنى هذا هو استخدام العقل فى مجال المعرفة الاسلامية بوعى وخطئة وليس تخبطا وعشوائية وتناقضا وجهلا .

فليس من الاسلام البحث او الحديث فى اى امر من منطلق الجهل ، وليس من الاسلام اعنات الناس فى غير فهم ولارحمة باسم الاسلام .

وليس من الاسلام تجاهل الآثار والنتائج وحاجات الناس .  
وليس من الاسلام العجز فى أمر المسلمين او فى لقاء مناجزهم وأعدائهم .

كذلك ليس من العقل الاسلامى فى شئ جهل غايات الاسلام وفيه الاسلام وحدود الاسلام .

ولعل فى المنالين التاليين ما يوضح هذا المعنى :

**المثال الاول : مسألة التسعير :**

فالحس المسلم لم يسمح للعلماء بالاصرار على عدم التسعير عملا بظاهر النصوص حين رأوا ما يقع على الناس من الظلم والغبن فليس قبول الظلم من العقل ولا من الاسلام فى شئ ، ولذلك كان العقل الاسلامى هو فى التزام قيمة العدل وغاية العدل فى العلاقة الاسلامية الاجتماعية .

واذا كان العقل الاسلامى فى هذا الموضع من القدرة بحيث تبين أولوية قيمة العدل الا انه للأسف لم يتمكن من تحليل الظاهرة وفهمها بما يكفى لاعادة بناء السوق والتعامل الاقتصادى بما يعيد التوازن العادل فى التعامل واكتفى بالاجراءات الاستثنائية الوقائية لدرء الظلم

والغبين الظاهر فى التعامل .

**المثل الثانى : الطهارة من نجاسة الكلب :**

ما أورده صاحب " سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الاحكام " الامام محمد بن اسماعيل الصنعانى المتوفى سنة ١١٨٢ هـ فى مناقشته نجاسة لعاب الكلب والسبل الشرعية لازالتها حيث اخضع الموضوع للنظر العقلى وتوصل الى النتيجة العقلية الممكنة لادراك وعلوم زمانه فى ان لعاب الكلب ليس اشد نجاسة من العذرة ولذلك ازالنها هى الفسل ثلاثا كباقي النجاسات ، ولكن العقل الاسلامى لا يمكنه ان يقف عند النظر المجرد من ضوابط الوحي .

ولذلك كانت نتيجة بحثه انه لا بد من غسل لعاب الكلب سبعا احداهن بالتراب انصياعا للامر الشرعى حيث لا حكمة ولا مصلحة انسانية او اسلامية فى تجاهل امر الشارع .

• وكان لا بد من مضى القرون ليتعرف العقل والعلوم على انواع من النجاسات آثارها ابعد وأسوأ من الروائح والمناظر الكريهة تسمى الجراثيم والفيروسات والمكروبات وان من اسهل وافعل الوسائل لازالتها الدلك وجريان الماء بقدر كاف عليها كاسلوب صحى وقائى فى ميسور كافة الناس فى كل الظروف .

وهكذا يكون الجمع الواعى المنضبط بين حكمة الشرع والعقل فى كل حالة بما يناسبها دون تعنت وشطط او تفسخ وفساد .

لذلك لا بد ان يستقر بوضوح فى الضمير والثقافة والمعرفة الاسلامية تلازم العقل والوحي ، وان اى تعارض او اضطراب فى هذه العلاقة يمثل ظاهرة مرضية خطيرة فى جسد الفكر الاسلامى يجب تمحيصها وعلاجها ولايستريح الضمير والفكر المسلم قبل ان يجد



المخرج العملى الواعى القادر السليم الذى يوفق ويلازم بين مسيرة العقل ودفعة وفاعليته وبين غاية الوعى وتوجيهه وهدايته بعيدا عن حصيلة التجارب المتميزة المريضة والافعال الطائشة والعشوائية وردود الفعل التلقائية المضادة .

ثانيا : اعادة رسم وفهم مجال المعرفة فى مصادر الاجتهاد ، ومعرفة حدود دور الفقيه وامكاناته فى تركيب دواليب عجلة المعرفة فى العالم المعاصر ، والتفرقة بين عمليات الافتاء والاجتهاد ومصادرها فى الفكر الاسلامى فى عالم اليوم .

من الاخطاء التى يقع فيها الدارسون الاسلاميون نتيجة سيطرة التجربة التاريخية على اسلوب نظرهم انهم ما يزالون ينظرون الى الفقهاء من دارس العلوم الشرعية فى اطارها التاريخى من علوم النصوص ومتون الفقه وتراكيب اللغة على انهم هم المسؤولون عن تجديد المعرفة الاسلامية وتقديم الفكر والاجتهاد المطلوب لتنظيم ومواكبة الحياة المسلمة المعاصرة والاستجابة للتحديات التى تواجهها وتقديم البدائل الاسلامية لها فى مواجهة التنظيمات الاجتماعية والحضارية المناجزة .

وهذا التصور خاطئ اساسه حيث انه يقوم على فرضية اساسية لاجود لها فى عالم المعرفة اليوم وهى ان الفقيه يملك المعرفة اللازمة فى كل قضايا المجتمع وبذلك يكون قادرا على الفكر والنظر والاجتهاد وتقديم البدائل الاسلامية .

وهذا التصور كان الى حد كبير صحيحا تاريخيا حين كان الفقيه تاجرا وفيلسوبا رياضيا وطبيا وكيميائيا وملما بكل علوم عصره بل مبرزا فيها او فى معظمها كما ان كثيرا من الفلاسفة والعلماء دارسون

متمكنون للفقه والشرعية .

ولذلك كان منهج الدراسة الاسلامية شاملا وكان الفقيه مفكرا ايضا تنهل قدراته ومعارفه القانونية من قدراته ومعارفه العلمية الشاملة لمعطيات عصره الاجتماعية والعلمية والفنية .

ولكن الامر المهم الذى يجب ان نتنبه له اليوم هو ان المعارف الانسانية والاجتماعية والفنية قد اتسعت حتى ليصعب على الفرد الواحد الاحاطة بها بفروع العلم الواحد وان القدرة المطلوبة للنظر المجتهد فى اى باب من هذه الابواب تحتاج الى النظر المتخصص . ولذلك فالمطاء والاجتهاد والتصورات والحلول والبدائل فى اى مجال من مجالات المعرفة الاجتماعية او العلمية لايمكن ان تأتى وتصدر عن المختص بالدراسات القانونية وحده .

فمن المشاهد ان القانونيين وان كانوا هم الذين يصوغون ويوبون القوانين والتعليمات الخاصة بالاقتصاد او السياسة او الاعلام او الصناعة او البحث العلمى او المرور فان الفكر الذى تصدر عنه هذه القوانين والتعليمات لايرجع الى القانونيين .

ولذلك فاننا بحاجة الى فهم خارطة المعرفة وتطوراتها المعاصرة فلا بد لمجال المعرفة الاسلامية من اقتصاديين وتربويين واعلاميين ومن سياسيين واداريين وسواهم من اصحاب الاختصاص والمعرفة فى شئون الحياة الاجتماعية والفنية كافة .

ولا بد لهؤلاء المتخصصين من وعى و ادراك مناسب للنصوص والغاية والقيم الاسلامية حتى يأتى نظرهم وممارستهم بتوجيه اسلامى وحتى يكونوا مصدرا للفكر والتصورات والممارسات الاسلامية كل فى اختصاصه وموقعه .

ومن حصيلة فكر هؤلاء واجتهاداتهم ونظراتهم وما يطرحون من تصورات وبدائل تكوين التراكمات التى يستقى منها القانونين اعمالهم القانونية والفقهية التى يتطلبها تنظيم الممارسة الحياتية والاجتماعية والفنية للمجتمع المسلم .

وبذلك نعرف موضع الافتاء والاختصاص القانونى فى خارطة المعرفة والاداء الاجتماعى فى عالم اليوم ولا نحملة فوق طاقته وبعيدا عن غايته .

وبذلك يكون التوجه الصحيح لحل معضل الاجتهاد والفكر الاصيل والحلول والتصورات الاسلامية البديلة ليس بالنداء الضائع الى الفقهاء لتقديم التصور التاريخى ولا الى اصحاب اختصاص المعرفة والصياغة القانونية .

ولكن بالتوجه الى اعادة رسم خارطة المعرفة على اساس الوجهة الاسلامية وبناء الكوادر العلمية والفنية القادرة على العطاء الاجتهادى . وكذلك تنظيم هذه الكوادر فى نظام يتكامل ويتساند ليوفر المعرفة ودليل العمل للمجتمع المسلم عن قناعة وقدرة وهى مهمة تتوزعها باكثر من صورة ونظام المجامع العلمية العليا والمؤسسات النيابية التشريعية فى النطق المسؤول الموثق بما تحتاج اليه سير حياة الامة ونظامها الاجتماعى وبذلك تتضح صورة الحياة الفكرية الزاخرة فى المجتمع وما تعج به من الخواطر والتأملات والاراء والاجتهادات وما يجمع عليه جمهور الامة ويعتمده من الفتوى والقانون اللازم للممارسة الاسلامية فى حياة الفرد والجماعة .

ثالثا : بناء منهج التربية والتعليم الاسلامى بحيث تنتهى ازدواجية المعرفة الاجتماعية والدينية القانونية وازدواجية القيادة

## السياسية والقيادة الفكرية .

من الواضح ان ازدواجية القيادة السياسية والفكرية تاريخيا كانت خلف ضعف المعرفة والثقافة فى المجتمع الاسلامى وخلف غشم وجهالة واستبداد القيادة السياسية .

وفى العصر الراهن بتأثير السيطرة العسكرية والسياسية والثقافية الاستعمارية الغربية ونتيجة للفراغ التاريخى قامت ايضا ازدواجية فى المعرفة .

فهناك معرفة دينية اسلامية قانونية محدودة لايزيد الزمن دائرتها الا انحسارا حتى ان بعض دول المسلمين العلمانية لم تعد تستثنى حتى قانون الاسرة والاحوال الشخصية من التغيير والتحوير .

وهناك معرفة علمانية اجتماعية فنية مستوردة تطفى وتمتد الى جوانب الحياة كافة وتستجيب لمحاكاة العصر ومظاهر تطوره وتحدياته وتقوم على خدمتها ونشرها المعاهد والجامعات والمؤسسات .

ومن الواضح ان كلا الشجرتين عاجزة عن النمو ، لانعدام اسباب النمو للاولى ولغربة الثانية عن ارض وشعب الاسلام وغاياته ودوافعه .

ولذلك فان اصلاح منطلقات المعرفة والثقافة الاسلامية واعادة بناء كيائها انما يقصد منه اعادة قدرتها على العطاء والنماء . ولكى يكون لهذه القدرة ثمرة ومعنى فلا بد من اعادة بناء مناهج التربية والتعليم .

فالكوادر الملتزمة اسلاميا القادرة فنيا هى الجواب العملى الوحيد لامكانية اعادة وحدة القيادات ووحدة المعارف .

لابد من التزام الشخصية والقيم والغاية الاسلامية فى تربية

الكوادر الشبابية .

ولا بد من تزويدها بالاساس من النصوص والمعرفة الاسلامية وكيفية فهمها والتعامل معها بعد اعادة تبويبها وتبسيط وتسهيل مناهج دراستها .

ولا بد من توفير القدر الضروري من النصوص والمعرفة الدينية لكل اختصاص ليكون الموجه والمكون لعقلية الدارس ثم بعد ذلك لا بد من اقامة مختلف دراسات المعرفة والخبرة في كل الفروع الاجتماعية والفنية على أسس وغايات اسلامية وكاجزاء متكاملة متناسقة في وحدة المعرفة والثقافة الاسلامية فلامجال بعد هذا الى جامعة اسلامية وجامعة علمانية ، ولامجال لاقتصار الغاية والفكر والمنهج الاسلامي على دراسات قانونية لغوية بل هي دراسات اسلامية الغاية والضوابط والمنهج في العلوم الاجتماعية والانسانية والطبيعية ... الخ .

وهذا يشمل المنهج الفني والخلق والالتزام المهني والغاية الاجتماعية في كل حقل بما يلائمه ويتطلبه الاسلام في المجتمع المسلم .

**الأصول : المنهج التاريخي للفكر الاسلامي :**

من الضروري عند الحديث عن اسس الاصلاح التعرض لمنهج الاصول في الدراسات الاسلامية ومعرفة موقعه المحدود من عملية الاصلاح .

فقد لاتتضح الصورة للدارس بين كل ما سبق ان ذكرناه عن المعرفة واعادة بناء كيائها ومنهجها وبين الاصول بمفهومها التاريخي والاصلاحات التي لا بد ان تشملها .

فالاصول القصد منها بشكل عام هو المصادر والمنهج للدراسات الاسلامية .

ومن الواضح مما سبق ان ذكرناه ان منطلق الاصلاح لا يبدأ من قضية الاصول بل يسبق ذلك الى البدء بمصادر المعرفة الاساسية وهي الوحي والعقل وتوضيح العلاقة العضوية بينهما كمنطلق للمعرفة الاسلامية .

كما سبق ان بينا شمولية المعرفة والفكر والاجتهاد الاسلامى الى كافة مناحى الحياة ورفض محدودية المعرفة والفكر وازدواجيته فى المجتمع الاسلامى فى معرفة قانونية لغوية تاريخية ومعرفة علمانية اجتماعية فنية .

ولكى نتعرف على التوجهات اللازمة لاصلاح منهج الفكر الاسلامى لابد من التعرض لعلم الاصول وتحليل مكوناته ومفاهيمه الرئيسية ومعرفة مجالات الاصلاح فى ميدانه .

والاصول هى كلمة شاملة تجمع العديد من القضايا المتباعدة التى سمحت الظروف التاريخية بجمعها فى وعاء واحد ، أصبحت فى تصورى اليوم مصدرا للتعقيد الفكرى والمنهجى .

فالاصول تضم مادة الوحي والرسالة الالهية والتطبيقات والتوجيهات النبوية القيادية ، وهما القرآن والسنة .

كما تضم الاجماع وهو مادة تشريعية فكرية تمثل الاجماع التى تنتهى اليها الامة وهو منهج واسلوب فى الوصول الى المادة التشريعية والفكرية .

كما تضم مناهج واساليب فى الدراسة والبحث للوصول الى المادة والفكر الاسلامى كالمقياس ..

كما تضم مقاييس وضوابط للمنهج كالضرورة والمصلحة والاستصحاب والاستحسان .

ولابد من دراسة متأنية موضوعية لهذا الاطار وتتبع نموه والمؤثرات المختلفة فى تكوينه حتى يمكن تطويره الى الوضع الذى يخدم المعرفة والثقافة والتشريع الاسلامى بشكل فعال .

ورغم ضئالة بل انعدام الدراسات المتخصصة فى المنهج الذى صدر عنه فكر الصدر الاول الا ان من السهل لمس الفارق فى الحيوية والمبادرة والشجاعة والنفاز فى فكر ذلك الجيل .

ومن السهل ملاحظة لمسة الركود والجمود والشكلية المدرسية التى أخذت تزحف على المنهج الاسلامى ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح فى مفهوم الاجماع عند الاصوليين .

ومن المهم ادراك ان الاصول بمفهومها الحاضر قدمت بلورتها فى فترة مبكرة وانها بذلك قد استجابت للحاجة القائمة فى ذلك العصر .

اما اليوم فيجب اعادة التبويب وملاحظة التطورات والتغيرات فى الواقع الاسلامى لمعرفة التعديلات التى لابد من ادخالها على منهج دراسة الوحي وخوض غمار المعرفة .

ومن اهم ما نلاحظه انه نتيجة للتغيرات والتطورات الهائلة من صور الحياة الانسانية وامكاناتها فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والاعلام والتعليم والتربية والمواصلات والانتاج وسوى ذلك لابد من ملاحظة عنصرى الزمان والمكان وتأثيرها على فهم كل نص على حده ومجموع النصوص ذات العلاقة وفى اطار غايات الرسالة والوحي .

فعلى سبيل المثال اذا حفلت الاحاديث النبوية والكتب الفقهية

بتفاصيل دقيقة لكيفية جمع الزكاة من النبات والحيوان حيث كانت مصدر الثروة في الجزيرة العربية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم التي يؤخذ منها حقوق الضعفاء والمحرومين وحاجات المحتاجين ونجد فيها الاعفاء والتجاوز للصناعة والتعدين والعقار لما كانت عليه حالة الثروة والانتاج على عهد الرسول عليه السلام .

فاننا نجد اليوم ثروة الجزيرة في التعدين ( البترول ) بشكل غير معهود في التاريخ ومصادر ثروة الاثرياء من العقار ومستقبل الامة يكمن في الصناعة .

وكل هذه التطورات لابد ان تلقى عناية وتركيزا واهتماما جديدا بما يحقق ذات الغايات السامية رعاية للمحرومين واصحاب الحاجة في كل زمان ومكان .

ان تأثير الزمان والمكان لابد ان ينعكس على دراسات المنهج خاصة في فهم جملة السنة النبوية المتعلقة بتوجيهات وتدبيرات الرسول عليه السلام لمجتمع المسلمين ودولتهم على عهده .

ولابد ان تتطور دراسات السنة النبوية بوجه خاص على هذا الاساس الى دراسات شاملة متكاملة لنصوص السنة في كل موضوع وفي علاقات المواضيع المختلفة بعضها ببعض في ضوء الغايات التي هدفت الى تحقيقها في مجتمع المدينة والجزيرة على عهد الرسول عليه السلام ، ولعل مقدمة الدراسة لنظرية الاسلام الاقتصادية التي نشرت ضمن مطبوعات اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة

وكندا باللغة الانجليزية Contemporary Aspects of Economic & Social Thinking in Islam وهو وقائع المؤتمر الثالث لمنطقة الساحل الشرقي عام ١٩٦٨ م تمثل نموذجا للدراسة المتكاملة لمجموعة من



الاحاديث فى الموضوع الواحد وهو هنا موضوع الربا وكيف تتضح الحكمة والغاية والسياسات النبوية التى قصدت اليها ولا يبقى نص من النصوص قلقلًا او مهملاً لقصور الدراسة .

كما ان تأثير الزمان والمكان وضرورة شمولية الدراسة للنصوص ذات العلاقة والموضوع فى اطارها الزمانى والمكانى سيجعل اهمية خاصة لاسلوب القياس الشامل للقضايا والصور المتكاملة باعتبار الغاية التى هى فوق اعتبارات الزمان والمكان وذلك فى فهم ودراسة السنة النبوية والاستفادة منها .

وسيضع حدا للمعارك المستديمة للاستدلال الجزئى بالنصوص الجزئية والمتفرقة فى غيبة الصورة الكاملة والمؤثرات المختلفة للواقع الحى المعاصر للنصوص والذى يمزق الامة ويعيد طرح القضايا الثانوية والجزئية عودا على بدء لعجز المنهج ان يقول كلمته فى مواجهة هذا المأخذ القاصر والضار فى الدراسة والتوجيه .

ان القضية الجزئية مهما كان توثيقها ليست بالضرورة هى القضية الصحيحة وقد تكون النقيض لصحة القضية الكلية اذا لم تلاحظ الكليات ومن مؤثرات الزمان والمكان على تلك القضية ومفهومها والغاية المطلوبة منها .

ان الامل عندى كبير فى اعادة النظر فى منهج المعرفة والدراسة الاسلامية بحيث يأخذ العقل موضعه السليم الى جانب الوحي وفى خدمته وتوجيه منه وبتكامل الاستنباط والاستقراء فى خدمة المعرفة الاسلامية وبحيث يأخذ القياس الكلى والنظر الشامل وعنصر الزمان والمكان مكانه فى منهج الدراسة الاسلامية حينئذ يعاد بناء منهج التربية والتعليم بحيث تتوحد القيادة وتتوحد المعرفة .

## اسلامية العلوم الاجتماعية :

واحدى الخطوات نحو الاصلاح الاجتماعى واحدى الثمار  
لاصلاح بناء المعرفة والمنهج الاسلامى فى المعرفة هو اصلاح  
العلوم والدراسات الاجتماعية والانسانية .

والى جانب كل ما سبق ذكره من الجهود المطلوبة لاصلاح بناء  
المعرفة والثقافة الاسلامية . فان هناك جهودا اضافية محددة لتحقيق  
تلك الغاية وهى جهود أسلمة العلوم الاجتماعية .

وحين ناديت باقامة جمعية علماء الاجتماع المسلمين فى اطار  
نشاطات اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا كان ذلك  
امتدادا لاهتمامى بامر تجديد المعرفة والثقافة الاسلامية فى جهود  
الاتحاد ونشاطاته ومطبوعاته الفكرية والثقافية .

وكانت من أهم الغايات عندى لاقامة تلك الجمعية هى تجديد  
الاسلاميين الملتزمين من علماء الاجتماع للعمل على اسلامية  
تخصصاتهم فى العلوم الاجتماعية حيث يتوفر لهم الالتزام والخبرة  
والدراسة الفنية بالمنجزات العلمية والمنهجية العقلية ، والمطلوب هو  
تجديد جهودهم وتنسيقها وتعميق معلوماتهم والتزامهم الاسلامى  
وتوفرهم للعمل والدراسة فى حقول تخصصاتهم للبحث والتنقيب والنقد  
والتحليل فيما لديهم من مناهج ومعارف فى ضوء القيم والغايات  
والقواعد الاسلامية .

وحين توليت أمر بناء الامانة العامة للندوة العالمية للشباب  
الاسلامى بقى الجانب الثقافى وترقية نطاق ومناهج المعرفة والتربية  
الاسلامية غاية لى .

واليوم حين ناديت باقامة المعهد العالمى للفكر الاسلامى

وشاركت فيه مع رفاق افاضل يشاركونى عمق الايمان بهذه القضية واهميتها وأولويتها فى هذه المرحلة من مراحل جهاد الامة نحو العطاء والبناء .

فان المأمول ان تثمر هذه الجهود مع ما يمكن ان توفره من اهتمام وتعاون ومشاركة من الرجالات والمؤسسات الاسلامية كافة لتحقيق غاية اثراء وانماء دوحة المعرفة الاسلامية وصقل الشخصية الاسلامية واسلامية العلوم الاجتماعية .

غايات المعهد العالمى للفكر الاسلامى ومنهاجه فى العمل :  
غايات المعهد هى العمل فى المجال الفكرى والثقافى الاسلامى والمساهمة فى انماء المعرفة الاسلامية واعادة بناء كيائها ومناهجها واعطائها الاولوية التى تستحقها فى هذه المرحلة كشرط ضرورى مسبق لانجاح الجهود الاسلامية فى اعادة البناء ومتابعة المسيرة .  
والغاية تقديم تصورات متكاملة للمعرفة ومصادرها ومناهجها الاسلامية .

والغاية تأصيل المنهج السليم فى فهم المبادئ والقيم الإسلامية حتى تستقيم التصورات والعلاقات ومناهج التربية وتصل الشخصية وتنضج النظم تثمر الجهود الاسلامية فكثيرا ما تؤدي جزئية النظرة الى تشوه التصورات والقيم والشخصية الاسلامية وتأتى ثمار الاخلاص والالتزام بعكس ما هو مرغوب او مطلوب للقيادة والاصلاح الاجتماعى والاسلامى .

والغاية تجنيد جهود الباحثين والعلماء الملتزمين والمخلصين وتنسيقها لاعادة بناء كيان المعرفة الاسلامية واسلمة العلوم الاجتماعية على وجه الخصوص وتوفير المادة العلمية والكتب

المدرسية الجامعية المختصة فى هذه المجالات .

والغاية اصدار عدد من الدوريات المعنية للباحثين الاسلاميين  
مثل دوريات التعريف والنقد الموضوعى للكتاب الاسلامى وتلخص  
قضاياها الاساسية للقراء .

والغاية اصدار الدوريات والموسوعات المختصرة لتقديم الجديد  
فى باب المعرفة والمنهج الاسلامى .

والغاية التدريب والندوات واللقاءات العلمية بين العلماء  
والمفكرين والكوادر القيادية الاسلامية فى سبيل مجتمع مسلم أفضل .  
والغاية هى ان تصبح المعرفة والاجتهاد والقدرة الاسلامية منهجا  
ومدرسة وليست استثناءات عملاقة تباعد بين أفرادها الاجيال والقرون .  
والنشرة التعريفية بالمعهد متوفرة باللغتين العربية والانجليزية  
وفيهما تعريف بالمعهد وغاياته ومهامه بمزيد من التفصيل فى  
الموضوع لمن أراد المزيد .

اتنا لانريد للاسلام ان يقبع منظويا فى الزوايا والاروقة ولا نريد  
للاسلام وهدى الاسلام ان ينحسر كلما امتد من الصحراء الى ميدان  
الحواضر وتحدياتها .

ولانريد للاسلام ان يظل معزولا خلف حجب الزمان والمكان .  
ان هذه الغايات اكبر من المعهد ومن اية مؤسسة لوحدها مهما  
كانت ... الا بالاخلاص والتعاون بين العاملين المخلصين الاسلاميين  
ومؤسساتهم حيثما كانوا فى ارجاء الارض .

فبالاخلاص والتعاون بين المخلصين العاملين المستنيرين وبين  
مؤسسات الريادة العلمية الاسلامية كل فى موقعه ، وكل فى اختصاصه ،

وكل حسب امكانيته يصبح كل ذلك ممكنا ويصبح كل ذلك سهلا  
 باذن الله .

وان هذه الندوة ما هي الا احدى النماذج التجريبية التي نأمل ، أن  
 تنمو وجوه التعاون على غرارها ، بين مؤسسات التعليم والثقافة  
 الاسلامية ، ونتنظر من ورائها الخير كل الخير ان شاء الله .



## نظرية التقادم فى الشريعة الاسلاميه

ساجد الرحمن الصديقى الكاندهلوى

طلع القرن الخامس عشر من الهجرة النبوية - على صاحبها الف الف صلاة و تحية - بتباشير صحوة اسلامية كبيرة ، وجهود جبارة فى سبيل تطبيق الشريعة الاسلاميه ، فى جميع ميادين الحياة ، ونرى معالم هذه الصحوة واضحة فى اهتمامات الشباب المسلمين الذين زالت عن أعينهم غشاوة الجاهلية الحديثة . وأخذ المسلمون المثقفون فى كل مكان يفهمون فهما جيدا أن الاسلام وحده ، هو الدين الكامل للانسان وأن تطبيقه تطبيقا جديا فى جميع نواحي الحياة يحل المشاكل الاجتماعية التى يعانى منها الانسان المعاصر . والمسلمون المثقفون فى جميع انحاء العالم عامة وفى باكستان خاصة جعلوا يدركون أن أهداف الاسلام ومقاصده ، موقع ثقتهم بقدرة الاسلام على التكيف من واقع العصر فى كل مجالاته العلمية والسياسية والاقتصادية بل وأكثر من ذلك قدرته الكاملة على انقاذ البشرية مما تتردى فيه اليوم من أزمات مادية وروحية يأخذ بعضها بخناق بعض . ونحن على يقين واثق وإيمان كامل أن الارض ستشرق بنور ربها وتنعكس الأضواء الربانية من مغربها ، وأن فجر الاسلام سيطلع من قريب ، وينفجر فى الكون نور جديد ، وستنهار جيوش الظلام ، ويهبط من السماء ملائكة السلام ، وتلجأ الانسانية الى كنف الاسلام عن طواعيتها ، وتكون كلمة الله هى العليا -

وقد ظهرت ، والحمد لله ، تباشير هذا الفجر الجديد فى الجمهورية الاسلامية الباكستانية بعد الحركة الجماهيرية التى قام بها الشعب الباكستانى والحكومة الباكستانية لتطبيق الشريعة الاسلامية فى عام ١٩٧٧ م .

وفعلا أصدر الرئيس الباكستانى مراسيم رئاسية تحتوى أحكام الحدود طبقا للشريعة الاسلامية فى ١٢ ربيع الاول ١٣٩٩ هـ . الموافق ٩ فبراير ١٩٧٩ م . وتضم جميع أحكام الحدود المتعلقة بجرائم الزنا والسرقه والحراة والقذف وشرب الخمر .

وبعد هذه الخطوات الجبارة فى سبيل تطبيق الشريعة فى البلاد تخطت هذه البلاد خطوة كبيرة فى هذا الطريق ، وأنشئت المحكمة الشرعية العليا . وبدأت هذه المحكمة تسمع المرافعات المتعلقة بالحدود و على الأخص الدعاوى التى تتعلق بجريمة الزنا . وهنا ظهرت نظرية التقادم فى العقوبة على هذه الجريمة ، وفكرت المحكمة الشرعية ان كان هناك أى تأثير لتأخير الشهادة على اجراء حكم فى قضايا الحدود .

فأردت أن أكتب نبذة قليلة فى نظرية التقادم فى الشريعة الاسلامية ، عسى أن تكون هذه الكتابة فتحا لباب مزيد من البحوث والدراسات فى هذا الموضوع ، ولعل الله يوفق بعد ذلك علمائنا وفقهائنا أن يدرسوا هذا الموضوع دراسة منقحة .

معنى التقادم فى الفقه الاسلامى أن تمضى فترة من الوقت بعد ارتكاب الجريمة دون أن تترتب الشهادة القائمة على هذه الجريمة ، أو البنية الثابتة لها أمام القضاء ، أو تمضى مدة من الزمان بعد الحكم بالعقوبة دون أن تنفذ على المحكوم عليه (١) .

وقد اعتبر فقهاء الأحناف فى ضؤ الحديث النبوى ( صلى الله عليه وسلم ) (( ادرؤوا الحدود بالشبهات ما استطعتم )) تأخير الاثبات فى جرائم الحدود شبهة ساقطة فى الحدود الثلاثة - حد الزنا ، والسرقه ، وشرب الخمر (٢).

وهنا تفاصيل نجدها فى كتب الفقه حول موضوع التأخير فى تقديم الشهادة أمام محكمة القضاء وتأثيره فى تنفيذ الحد وأن عدم التقادم شرط فى الحدود الثلاثة المذكورة وفى جميع التعزيرات مالم يكن هناك حق العبد ، فاذا جاء حق العبد فى الحدود والتعزيرات لم يبق عدم التقادم شرطاً لتنفيذ الحكم .

ونحن نجد اختلافاً فقهيها فى هذا الموضوع يجب علينا أن نوضحه ، فقد لخص الامام الحنفى الكبير ابن الهمام هذا الخلاف فى أربعة أقوال . وقد أورد فقيه العصر الامام محمد أبو زهرة هذه الاقوال كمايلى : (٣)

الاول : رد الشهادة بمضى مدة معلومة كان يمكن أن يقوم بها فيها ، ولم يقم فى كل الحدود ، ويقبل الاقرار فى غير حد الشرب ، وهذا رأى محمد بن الحسن ، فهو يقوم على رد الشهادة ، وقبول الاقرار فيما عدا الشرب .

الثانى : ردها وقبول الاقرار فى جميعها حتى فى الشرب ، وهو قول ابى حنيفة وأبى يوسف ، لان الاقرار لاشبهة فيه ، وتأخيره لا ينقص من قيمته فى الاثبات به قوة لانه يكون بعد تردد ثم اقدام .

الثالث : أن التأخير فى الشهادة والاقرار لا يمنع قبولها اذ لاشبهة فى ذلك لأن تأخير قول الحق لا يدل على بطلانه ، وهذا قول جمهور الفقهاء ، ومنهم مالك والشافعى وأحمد رضى الله تعالى



عنهم أجمعين .

الرابع : أن التأخير فى الاقرار والشهادة يكون شبهة فى الالبات فى كل الاحوال فى جرائم السرقة والزنا والشرب .

ونستطيع أن نلخص هذه الاقوال الاربعة فى نظريتين :

النظرية الاولى التى تقوم على أساس مذهب الامام مالك (١) والشافعى وأحمد بن حنبل ( رضى الله عنهم ) أن عقوبة الحد لا تسقط مهما مضى عليها من الزمن دون تقديم الشهادة أمام محكمة القضاء ، وأومهما مضى من الوقت دون تنفيذ الحد بعد القضاء بها على المحكوم عليه به ، وأن الجريمة ايضا لا تسقط ، وان مضى عليها مدة طويلة دون الشروع فى المحاكمة .

ولكن اذا كانت المصالح الملكية والمصالح العامة تقتضى تقرير التقادم شبهة دائرة لعقوبات التعازير ولجرائم التعازير فيمكن للمحاكم أن تسقط جريمة التعزير وعقوبتها وفقا لهذه المصالح . وأصحاب هذه النظرية يقولون أنه ليس هناك دليل شرعى يؤيد نظرية التقادم أو يرجع أن الشهادة فى جرائم القصاص والحدود اذا تأخرت وقتاماتؤثر فى اثبات الجريمة وتكون التأخير شبهة دائرة للحد ، لأنه ليس هناك أى نص شرعى من القرآن والسنة ( عدا ماروى عن عمر ) يقتضى اسقاط الجريمة أو العقوبة بالتقادم أو المضى بمدة معلومة . أو اسقاطها بأى حال ، لان عقوبات الحدود حق الله تعالى ، ولا يستطيع أو لو الامر أو المحاكم أو المحبنى عليه أن يعفو هذه العقوبة أو يسقط الجريمة .

أما عقوبات التعازير فتتطبق عليها القواعد الفقهية العامة وفيها مجال كبير لاولى الامر وللمحاكم للزيادة فى التعزير أو النقص فيها أو للعفو عن الجريمة أو اسقاط عقوبتها كاملة . لان لولى الامر حق

العفو عن الجريمة و العقوبة فى جرائم التعازير . واذا كان لولى الامر أن يعفو عن العقوبة فيسقطها فورا فان له أن يعلق سقوطها على مضى مدة معينة ان رأى فى ذلك ما يحقق مصلحة عامه أو يدفع مضرة (٥).

والنظرية الثانية التى تقوم على أساس تفكير الامام العبقري ابوحنيفة وأصحابه توضح أن التقادم أو تأخير الشهادة فى اثبات الجريمة ليس لهما أى أثر فى العقوبات المقررة لجرائم القصاص والدية وفى جريمة القذف .

أما بقية جرائم الحدود أعنى حد الزنا وحد السرقة وحد الخمر فيؤثر فيها التقادم كما يؤثر فى جميع عقوبات التعازير أيضا . والتقادم غير مانع من حقوق العباد ، ولذلك لا يمنع حد القذف لما فيه من حق العبد ، وهو دفع العار عنه ، ولان الدعوى فيه شرط فيحمل تأخير الشهود فى أداء الشهادة على انعدام الدعوى (٦).

أما زفر من فقهاء الحنفية فانه لا يؤيد هذه النظرية ويرى رأى الائمة الثلاثة - الامام مالک والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل .

يقول الامام الكاسانى ان من شرائط البيئة القائمة على الحد عدم التقادم وانه شرط فى حد الزنا والسرقة وشرب الخمر، وليس بشرط فى حد القذف . والفرق أن الشاهد اذا عاين الجريمة فهو مخير بين أداء الشهادة حسبة لله تعالى ، لقوله عزوجل : وأقيموا الشهادة لله ، وبين التستر على أخيه المسلم ، لقوله عليه الصلوة والسلام : من ستر على أخيه المسلم ستر الله عليه فى الآخرة ، فلما لم يشهد على فور المعانية حتى تقادم العهد دل ذلك على اختيار جهة التستر ، فاذا شهد بعد ذلك دل على أن الضغينة حملته على ذلك فلا تقبل شهادته لما روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه قال : أيما قوم شهدوا

على حد لم يشهدوا عند حضرته فانما شهدوا عن ضعف ولا شهادة لهم . ولم ينقل أنه أنكر عليه منكر فيكون اجماعاً فدل قول سيدنا عمر رضى الله عنه على أن مثل هذه الشهادة شهادة ضغينة ، وأنها غير مقبولة ، ولأن التأخير والحالة هذه يورث تهمة ولا شهادة للمتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخلاف حد القذف ، لأن التأخير ثمة لا يدل على الضغينة والتهمة ، لأن الدعوى هناك شرط ، فاحتمل أن التأخير كان لتأخير الدعوى من المدعى ، والدعوى ليست بشرط فى الحدود الثلاثة فكان التأخير لما قلنا ،... ثم التقادم انما يمنع قبول الشهادة فى الحدود الثلاثة اذا كان التقادم فى التأخير من غير عذر ظاهر ، فأما اذا كان لعذر ظاهر بأن كان المشهود عليه فى موضع ليس فيه حاكم ، فحمل الى بلد فيه حاكم ، فشهدوا عليه ، جازت شهادتهم ، وان تأخرت ، لأن هذا موضع العذر فلا يكون التقادم فيه مانعاً (٧)

وقد أوضح نظرية التقادم مع أدلتها بشئ من البسط والتفصيل فقيد العلم والاسلام الاستاذ الامام محمد أبو زهرة . وقال ان القول باسقاط الشهادة بسبب تأخيرها أمام محكمة القضاء تعتبر شبهة دائرة للحد ولكن لا تعتبر تأخير الاقرار شبهة .

ودليل هذا القول يقوم على شطرين ، شطر يعتبر تأخير الشهادة أمام محكمة القضاء ومضى المدة دون أدائها شبهة دائرة للحد ، وشرط يفرق بين الشهادة والاقرار .

حجة الشطر الاول : أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بأداء الشهادة ، فقال : وأقيموا الشهادة لله ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فأشهدوا عليهن اربعة منكم . وستر المسلم أيضا مطلوب لان

الله سبحانه وتعالى لا يحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ولان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : من ستر على مسلم ستر الله تعالى عليه فى الدنيا والآخرة .

فالشاهد متردد بين امرين : أن يؤدى الشهادة رفعا للفساد واقامة الفضيلة وتنفيذ حدود الله ، وبين أن يستر على مسلم ، فعليه أن يوازن بين أكثر الواجبين نفعاً: أداء الشهادة أم الستر ، فان الشاهد يكون مخير بين هذين الامرين ، وهو أمين على حق الله تعالى وحق المجتمع ، أن يقدم الشهادة أمام القضاء يحمى المجتمع من شر الجانى الآثم ، وأن يستتر على عثرة المسلم .

والواجب أن يختار بين هذين الامرين فوراً ، فان تأخر مدة لم يكن فيها عذر ولم يكن هناك حارج مادي أو معنوي فى سبيل تقديم الشهادة كان تقديم الشهادة بعد مضي مدة طويلة يعتبر مظنة اشارة العداوة أو حقد طارئى . ولا يعتبر شهادة الظنين فى الاسلام ، كما قال الرسول عليه الصلوة والتسليم . فان سكوته عن أداء الشهادة قد يجعله متهما . وقد صرح عمر رضى الله عنه بذلك فيما رواه الامام محمد عنه : « إنما شهود شهدوا على حد لم يشهدوا عند حضرته فانما شهدوا على ضغن فلا شهادة لهم » .

لاشك أن السكوت عن الشهادة لا يخلو من مظنة ضغن أو فسق ، وهذه المظنة كافية لايجاد شبهة فى اثبات الجريمة التى تدرئ بها الحدود .

والمظنة فى تأخير الشهادة ظاهرة . أما الفسق فلقوله تعالى : لا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ، فيكون الشاهد فاسقا لكتمانه الشهادة .

وبهذا يتقرر أن حدود السرقة والزنا والشرب يسقطها تأخير الشهادة ، أما الاقرار فتثبت به جرائم الحدود ، مهما مضى على الاقرار زمان ، ولا يضر التأخير فيه شيئا لانه لا يوجد فى الاقرار مظنة ضغينة ، لان الانسان لا يعدو نفسه ، لاسيما اذا كان الاقرار يثبت جريمة ذا عقوبة قاسية .

وقال محمد بن الحسن : ان التأخير فى الاقرار فى جريمة الشرب يؤثر فى اثبات الجريمة ، ولا يقبل هذا الاقرار ، لان الصحابة اجتمعوا على حد شرب الخمر اذا كانت رائحة الخمر تنبعث من فم الشارب ، لان عبد الله بن مسعود ( رضى الله عنه ) اشترط لاقامة الحد أن يؤتى بالشارب وأثر الخمر لا يزال قائما ولا شك أن التأخير فى الاقرار فى جريمة الشرب يذهب بكل أثر للخمر فى عقله وجسمه (٨).

ومن المناسب هنا أن نبين رأى الفقيه القاضى ابن أبى ليلى وهو يرى أن التأخير فى اثبات الجريمة ومضى المدة على اتيان الشهادة على الجريمة والاعتراف بها يسقط الحدود ، لان هذه العقوبات القاسية قد شرعت فى الاسلام للانزجار والردع . وهذا المقصود يحصل عند وقوع الجريمة على الفور ، ولا يحصل هذا المطلوب بالتأخير فى الشهادة والاعتراف ، وانه من الممكن أن يتوب الجانى ويقر على نفسه لتطهير قلبه من الذنوب ويتوب الى الله توبة نصوحا . ولهذا القول مكانة من الفقه ، لان الفقهاء قرروا أن التوبة مانعة من اقامة الحد (٩)

وكل ما بيناه حتى الآن كان نوعا من التقادم الذى يظهر من طريق تأخير الاثبات لجريمة الحد ، أما نوع التقادم الذى يظهر من طريق تأخير تنفيذ عقوبة الحد بعد اثباتها فيقول الامام الاعظم أبو حنيفة

وصاحبه أبو يوسف ومحمد ( رضى الله تعالى عنهم أجمعين ) ان التأخير فى نفاذ الحد على المحكوم عليه يجعل تقادما مانعا من اقامة الحد .

وقال ابن الهمام :» ثم التقادم كما يمنع قبول الشهادة فى الابتداء يمنع الاقامة بعد القضاء خلافا لزفر ، حتى لوهرب بعد ماضرب بعض الحد ثم أخذ بعد ما تقادم الزمان لايقام عليه الحد ، وقول زفر هو قول الائمة الثلاثة « (١٠).

اختلفت آراء الفقهاء الحنفية فى تعيين مدة التقادم ، فقد ذكر فى الجامع الصغير أن مدة التقادم ستة شهور ، وروى عن محمد أيضا تقديره بشهر ، وهو مروى عن أبى حنيفة وأبى يوسف أيضا . وذكر قاضى خان أن الشهر وما فوقه متقادم .

والراجع عن أبى حنيفة أنه لم يقدر مدة معينة للتقادم وأنه فوض ذلك الى تقدير القاضى فى كل عصر . وقدروى عن أبى يوسف رحمه الله أنه قال : كان أبوحنيفة رحمه الله لا يوقت فى التقادم شيئا وجهدنا به أن يوقت فأبى (١١).

وقد احتج أبو حنيفة فى عدم التقدير لمدة التقادم بأن التأخير قد يكون لعذر والاعذار فى اقتضاء التأخير مختلفة ، فتعذر التوقيت فيه ، وفوض الى اجتهاد القاضى فيما يعد ابطاءً ومالا يعد ذلك (١٢) ويتعين مدة التقادم فى شرب الخمر بزوال رائحتها (١٣).

وفى الاختتام أود أن أخص ماورد فى هذا المقال المتواضع من النقاط الهامة :

١- ليس هناك نص قاطع من الكتاب التى يوضح كون تأخير الأثبات فى جريمة الحد أو جريمة التعزير شبهة دائرة للحد والتعزير

عدا ماروى عن عمر رضى الله تعالى عنه من قوله : « أيما شهود شهدوا بحد لم يشهدوا بحضرته فانما هم شهود ضغن » . ولكن هذا الاثر مرسل مروي من الحسن ، ومراسيل الحسن ليست بالقوية (١٤).

٢- ان جمهور الفقهاء مع اختلافهم فى اثر التقادم على جرائم الحدود وعقوباتها متفقون على أن التقادم فى التعزير يجوز أن يسقط الجريمة وأن يسقط العقوبة اذا رأتها المحكمة وفقا للمصالح العامة .

٣- ان التقادم أو التأخير فى اثبات الجريمة لا يقسط الجريمة أو عقوبتها ابتداءً بل يكون شبهة فى الاثبات . والحدود تندرى بالشبهات ، يعنى ان كان هناك تأخير فى الاثبات فى بعض الجرائم والقاضى لا يتصور هذا التأخير من ضغينة الشاهد ، ولا يتصور هذا التأخير شبهة فى اثبات الجريمة ، فانه من الممكن أن تمضى المحكمة فى القضاء وتحكم على الجانى مهما كان الحكم . يعنى ان قبول التقادم شبهة دائرة للحد وليس بلازم على المحكمة .

٤- ان التأخير الذى يحدث شبهة فى الاثبات يشترط أن يكون بغير عذر كمرض الشاهد أو كونه فى سفر طويل أو كونه مقيماً فى جهة نائية من محكمة القضاء ، أو كونه تحت سطوة جائرة من جانب الجانى أو غير ذلك من الاعذار التى تقرر عنها المحكمة أنها أعذار صالحة للقبول .

٥- التقادم ليس له أثر فى حد القذف ، لان فيه حق العبد عند جمهور الفقهاء ، وقال الشافعى انه حق خالص للعبد ، وان التأخير فى حقوق العباد لا يسقط الدعوى .

والشريعة الاسلامية قد لاحظت هذه القاعدة فى جريمة السرقة أيضاً ، يعنى اذا اندرأ حد السرقة بسبب نوع الشبهة فلا يسقط بهذه

الشبهة أداء المال الذى أخذه السارق ، بل يجب عليه رد المال .  
وفى حد القذف لا ينفصل حق العبد عن حق الله تعالى ، ولذلك  
تقبل الشهادة والاقرار مع التأخير أيضا ، لان من حق العبد سلامة  
عرضه ونفى التهمة عن نفسه ، وذلك لا يكون الا بالعقاب الذى قرره  
السارح الحكيم (١٥).

٦- يمكن للسلطات التشريعية والمحاكم العدلية أن تقرر مدة  
التقادم فى الحدود والتعزيرات التى يتصور أداء الشهادة بعدها . وينبغى  
ان تكون هذه المدة التى تقررها المحاكم والسلطات متناسبة من حيث  
الطول والقصر مع الجريمة ومع العقوبة . ويعتبر انقضاء هذه المدة  
تقادما وتأخيرا فى الدعوى واثبات الجريمة . ومن الممكن أيضا أن  
لاتعين هذه المدة وتنظر المحكمة القضائية فى كل قضية جنائية تقادم  
عهدا وتقدر هل وقع فيها أى تأخير مؤثر فى الاثبات أم لا (١٦).

وفى الختام أريد أن أشير الى أمر هام ، وهو أن نظرية التقادم فى  
الشريعة الاسلامية أشمل وأجمع وأوسع من القانون الوضع الذى  
يحدد مدة الدعاوى ( Law of limitations ) ويقرر أن بعد انقضاء هذه  
المدة المعينه لا يسمح للمدعى أن يرفع الدعوى أمام المحكمة فان  
نظرية التقادم أوضح بكثير من ذلك .





## المراجع

- (١) الدكتور عبدالعزيز عامر: التعزير فى الشريعة الاسلامية، ص ٥٢٠، طبع مصر.
- (٢) الكاسانى: بدائع الصانع فى ترتيب الشرائع، ج ٧، ص ٤٦، طبع مصر.
- (٣) الامام ابن الهمام: فتح القدير، ح ٤، ص ١٦٢، طبع مصر.
- (٤) تمطع اليد عد مالك فى جريمة السرقة وان تقادم العهد وتأخرت شهادتها. الامام مالك - المدونة الكبرى، ج ١٦، ص ٨٦، طبع مصر.
- (٥) التشريع الحائى الاسلامى، لعبد القادر عودة، ج ١، ص ٧٧٨، طبع مصر.
- (٦) اللباب للميدانى، ج ٣، ص ٥٨، حاشية ابن عابدين، ج ٣، ص ١٧٢ - ١٧٣ البدائع للكاسانى، ج ٧، ص ٤٦، ص عبدالعزيز العامر: التعزير فى الشريعة الاسلامية.
- (٧) الكاسانى: كتاب بدائع الصانع فى ترتيب الشرائع ج ٧، ص ٤٦ - ٤٧ مصر.
- (٨) بدائع الصانع، ج ٧، ص ٥١، ٦١، مصر فتح القدير، ج ٤٢، ص ١١٢، ١٦٢، مصر، الزيلعى، تبیین الحقائق، ح ٣، ص ١٨٨، وما بعدها، ابرزهرة، العقوبة فى الفقه الاسلامى، ص ٤٤ وما بعدها، مصر.
- (٩) ابرزهرة، العقوبة فى الفقه الاسلامى، ص ٤٨.
- (١٠) كمال الدين بن الهمام، فتح القدير، ج ٤، ص ١٦٤، مصر.
- (١١) أحمد فتحى بهسى، العقوبة فى الفقه الاسلامى، ص ٢٢٣، مصر.
- (١٢) التحرير فى الشريعة الاسلامية، ص ٥٢٥ - البدائع ج ٧، ص ٥٧.
- (١٣) أحمد فتحى بهسى: العقوبة فى الفقه الاسلامى ص ٢٢٣ - مصر.
- (١٤) اوبىلى: الاحكام السلطانية، ص ٢٤٨.
- (١٥) أورهره. الجريمة والعقوبة فى الفقه الاسلامى ص ٥٤.
- (١٦) التحرير فى الشريعة الاسلامية، ص ٥٢٧.



## هـ واجع

مها غريب

رباه يا واهب الانسان دنياه  
 جئناك نرجو الهدى والعفو رباه  
 كيف السبيل الى المنجاة يا صمدا  
 وآخر الليل للمكلم أشقاه  
 يارب علمتنا أن التقى وهمج  
 لا يوشك المرء فى الظلماء الا  
 وأن يسرك صحو فى ضمائرنا  
 وأنك المرتجى والخلد والجاه  
 وأنك العالم الأسرار ، أيقنها  
 وأنك الواحد المعبود والله  
 وأنك الرب رب العزة أنتلقت  
 فى العرش نورا ، تعالى فى مزاياه  
 وأنك الواحد الباقي فلا أزل  
 الا ضياؤك يوم الحشر نلقاه



يارب علمتنا ديننا يوحدنا  
 فكل حى بما حاكته نسواياه

وخير حى من الايمان مشسر به  
 وخيرنا من زكت فيه سجايه  
 وأن أكرم خلق الله أصدقهم  
 وجوهر المؤمن الصديق تقواه  
 يارب علمتنا أن التقى ورع  
 وأن ايماننا فى القلب مثواه  
 وأن صلب التقى عقل نميز به  
 عظيم خيرك من شر أمناه  
 علمتنا فنسينا ما أمرت به  
 وبئس عبد من الشيطان أنساه  
 ناءت خطانا بوزر العيش فاحتملت  
 من الذنوب غشاء ساء مرعاه  
 صرنا على ديننا عيبا ومشأمة  
 ويلاه من ذكوهـا يارب...ويلاه  
 هذى الخطايا جبال كيف نحملها ؟  
 ما أتعس المرء أن تربو خطاياها  
 رباه رباه هذا الجرح فى كبدي  
 نزيفه الصـمـبر والآلام والاه  
 ماذا أقول ؟ وسرى أنت تعلمه  
 وأوجع السريا رباه أخفاه  
 لى ألف ألف حديث عن هواجعنا  
 وأنت وحدك تدري مرفحـوا

تناسلت فى دمي الأوصاب واشتعلت  
 طى الضلوع شجون من حمياها  
 فليس من لجة للنور ترفعنى  
 وليس من شاطئ يدنى ذراعاه  
 كأنما الريح تدنينى وتبعدنى  
 من الضياء فلا أجلو مرآياه  
 ★ ★ ★

اسائل النفس والتسأل يسحقنسى  
 أيقهر الليل الا من تحدهاه؟  
 أيصر النور قلب شفه سقم  
 ويدرك الحق من ابليس أغواه؟  
 أيبلغ المجد قوم سادهم شغب  
 هذا جحود، وذاك المال أعماه؟  
 أيبلغ المجد قوم بينهم حجب  
 من الظلام ، وبغض جاز أقصاه؟  
 أنطلب العز والاحقاد تأكلنا  
 والمسلم الحق من للخير مسماه  
 أنجعل الحق والبغضاء ديدتنا  
 والمسلم الحق هذا ان عدواه  
 أمسلم كاذب كلاويا عجبى  
 من مسلم أصبح البهتان مأواه؟  
 أمسلم من له من دون خالقه  
 أرباب عز وأما الله فالجاء؟

أمسلم من اذا ناداه بـكارئه  
الى الجهاد تولى وهو ينمىاه؟

أمسلم من اذا وافاه مبتسس  
أضناه زجرا وتعذيبا و آذاه؟

★ ★ ★ ★

ماذا أقول وحزنى فيض ملحمة  
أواه ما بصدري ألسف أواه

يارب علمتنا معنى الاخاء فما  
بالمسلم الحق من ساءت نواياه

ألست يارب موصيه بأمنسه  
خيـرا ، فان مسلم ناداه ، لباه؟

أما جعلت نبيا للهدى بشـرا  
ما عابرفاء ، الا فيك آخاه

سميته الصادق المحمود فافتخرت  
به الشماثل يحيىها وتحيىها

هو الأمين وخير المسلمين هو  
من عاهدوا الله واستوفوا وصاياه

★ ★ ★ ★

ونحن ياربنا ضلت سفينتنا  
وهال أربابها قيس وعزاه

مثل الذى استوقد النيران فى غلس  
واذ أضاءت ، أتى ليل ففشاه

مناة واللات والعزى له وثن  
وكل شئ سـواها ليس يخشاه

ونحن ركبائها جبن يعاضده  
 جهل ، فما واحد يشتف مسراه  
 كل تبرأ من ايمانه فمضى  
 كهائم فى الدجى يشدو لليلاه  
 فلا وفاء بهمد لا ولا عمل  
 وَاك يخلد بعد الموت ذكراه  
 تفاقم الشرحتى لا خصوم له  
 فما يفكر مخلوق بأخسراه  
 هذا يسبح باسم المال يعبده  
 وذاك باسم العجى قدساء عقباه  
 يهيم بالزيف لا علما ومعرفة  
 لكنما بهرج يفرى ضحاياه  
 سطحية أعمت الاجيال فانطلقت  
 سكرى تجر فلول الغزى جراره  
 ★ ★ ★ ★

اين العفاف يصون النفس عزتها  
 أين الحياء واين الفضل نلقاه  
 انى لأعجب كيف البعض تبهرهم  
 أضواء من نظروا للمرء دنياه  
 ألا يرون الى القرآن يلهمهم  
 ان الحداثة فى التمدين مغزاه  
 هو الأصول التى تبنى بحكمتها  
 خير الفروع فكيف اليوم ننساه؟

هو المنظم للأخلاق بيتهها

ونعم مرة اله العرش ربا

★ ★ ★ ★

قد كان للمسلم الصديق تجربة .

عبر العصور أضاءت من حنايا

فعلم الناس أن الصديق ماثرة

والحق نور بعين العلم معيا

قد صير الفكر جنات مفتحة

والخلق في حضنها ظل وأموا

فتح تأتي بأذن الله فانبجست

منه الحضارة ، تروى من عطايا

واليوم ماذا جرى ؟ ربا قل لهم

ويلاه مما يقومى ألف ويلاه

★ ★ ★ ★

سئمت يارب تشيتا وتفرقة

وظلمة تسلب الانسان معناه

سئمت قولا بلا فعل يصدقه

ودعوة لجهاد ما أظنناه

كأنما الظلم طوفان ألم بنا

فمن رأى الحق أراد و واره

هى الجهالة قد أعمت بصائرنا

ومعظم الخلق فى أحلاكها تاهوا

والجاهلية أمست طوع همتنا

فما أتت باطلا الا آتينا

بعض يكيّد لبعض دونما حـرج  
 كأنما حبه ، للظلم أعمـاه  
 هذا يقتل قوما دونما سبب  
 وذاك يثبت بالبطلان دعـواه  
 والقدس قابضة في ظل غاصبها  
 تبكى الجهاد وقد شلت مطاياها  
 تبكى المذلة ، تبكى جرح مقدسها  
 كالنار ترفض اطفاءً او تأبـاه  
 غنساء تشكو لصخر ذل علتها  
 وأين صخر غداة الروع تلقاه  
 وأين صخر من الخذلان ينقذها  
 وصخرها اليوم سيف كل حداه ؟  
 وأين أبناؤها يرعون حرمتها  
 ويسفكون هوانا كم شربناه  
 لاشئى ، لاشئى غير القهوف انتحبي  
 أيا غنـاس على عز أضعناه  
 دمي فداؤك عند البيت أسفحه  
 لاعـاش من يرتضى في الذل محياه  
 لاعاش قوم اذا ما الذل دنسهم  
 فلم يشوروا على عار أبنـاه  
 لاعاش قوم أذلوا في ديارهم  
 ولم يغيروا على الباغي وطفـواه



ها قد جمعنا ليوم الفصل عدتنا  
 يارب ، فاحذ الهدى ، وابعث سراياه  
 تأبى الكرامة فى الاسلام مسكنة  
 فشمخة الحر فى الاسلام تفسواه  
 وشمخة الحر حق يستعزبه  
 ومن رعى الحق فى الاسلام ، أعلاه  
 من يطلب المجد لا يحصى خسائره  
 وأئمن المجد أعلاه واغسله  
 فجاهدوا فى سبيل الحق فى أنفس  
 فالسيف أصدق من وعد ستمناه  
 ان تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا  
 هيهات يزهد حق صانته الله



# مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية باللغة العربية

الرسائل القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري  
تحقيق : الدكتور بير محمد حسن (مع الترجمة الأُرديه)



معدن الجواهر في تاريخ بصرة والجزائر للشيخ نعمان  
تحقيق : البجائه الدكتور محمد حميد الله



الكندی وآراؤه الفلسفيه  
للدكتور عبدالرحمن شاه ولي



مقصود المؤمنین لبایزید الانصارى  
تحقيق : الدكتور ميرولى خان



كتاب الانفعال للإمام الصغاني  
تحقيق : الأستاذ أحمد خان



**AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYA**

**ARABIC JOURNAL**

OF THE

**ISLAMIC RESEARCH INSTITUTE, ISLAMABAD, PAKISTAN**

Vol. XVII No. 3

May-June 1982

\* \* \* \* \*

	Inside Pakistan	Outside Pakistan
<i>Annual Subscription</i>	Rs. 30 00	\$15.00 or £7.50
<i>Single Copy</i>	Rs. 6.00	\$3.00     £1.50

(Rates applicable from 1st July 1982)

\* \* \* \* \*

*All business correspondence  
should be addressed to :*

The Circulation Manager

**Islamic Research Institute  
ISLAMIC UNIVERSITY  
ISLAMABAD - PAKISTAN**

---

Printed at Islamic Research Institute Press,  
Published by Muhammad Sami'ullah for the Islamic Research Institute, Islamabad

# الدراسات الإسلامية

مجلة اسلامية علمية

تصدر بعد كل شهرين  
وتبحث في الدين والشقافة والتاريخ والآداب

EXCHANGE



رمضان - شوال ١٤٠٢ هـ

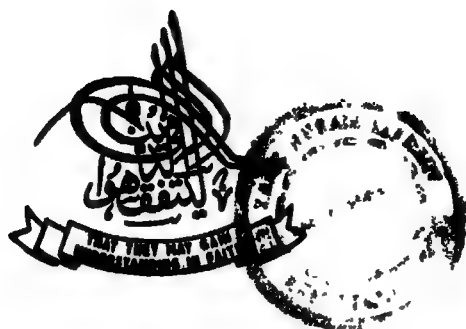
يوليو - أغسطس ١٩٨٢ م

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان





# الدراسات الإسلامية

مجلة مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان

رمضان - شوال ١٤٠٢ هـ

يوليو - أغسطس ١٩٨٢ م

المجلد السابع عشر

العدد الرابع

## هيئة التحرير

★ الأستاذ الدكتور عبدالواحد هالى بوتنا \*

مدير مجمع البحوث الاسلامية ،  
الجامعة الاسلامية اسلام آباد



★ الأستاذ الشيخ عبدالقدوس الهاشمى \*

أستاذ بمجمع البحوث الاسلامية



★ الأستاذ الدكتور محمد صغير حسن المعصومى \*

أستاذ الشريعة بالجامعة الاسلامية ، اسلام آباد



★ الأستاذ الدكتور أحمد حسن \*

أستاذ منارک بمجمع البحوث الاسلامية



★ الأستاذ الدكتور نور محمد الغفارى \*

أستاذ منارک بمجمع البحوث الاسلامية



★ الأستاذ محمد طفيل \*

أستاذ مساعد بمجمع البحوث الاسلامية



رئيس التحرير

محمود أحمد غازى

## المحتوى

كلمة العدد

رئيس التحرير

ص ٥

★★★

على ضوء منعطف قرن جديد  
خطوط عريضة في منهج الدعوة الى الاسلام  
دكتور محمد سعيد رمضان البوطي

ص ١٣

★★★

تقرير حول أوضاع الجاليات الاسلامية  
ومشاكلها واحتياجاتها  
في امريكا الوسطى والجنوبية وبلاد الكريبيين  
الاستاذ محمد سميع الله

ص ٤٤

★★★



## ضيوف العدد

\*\*\*

★ الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ★

رئيس قسم الفقه الاسلامي بكلية الشريعة ، جامعة دمشق ، وصاحب  
مؤلفات عديدة في الفقه والشريعة والفكر الاسلامية ، أحد كبار  
الدعاة .

\*\*\*

★ الأستاذ محمد سميع الله ★

أحد الكتاب المعروفين والدعاة البارزين في باكستان ، ووكيل مجمع  
البحوث الاسلامية ، وطابع مجلتكم المتواضعة

\*\*\*

ليس من الضروري ان تتفق ادارة المجمع مع جميع  
الآراء والبحوث التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة



## كلمة العدد

ان أهم ميزة تمتاز بها الدعوة الاسلامية انها انتشرت بالاقناع والافهام ، ولم تنتشر بالترغيبات المادية ، ولم يكن فى انتشارها دور لاجبار الحكومات ولا لاكراه السلاطين والملوك . ولاشك أن هذه الميزة سابقة لاتجارى ، وان هذا الفضل حمى لا يظأه سوى الاسلام من الملل والنحل . وأنى يدرك الظالم شأو الضليع .

وأما النظريات والملل والنحل الأخرى فقد انتشرت وراجت اما تحت تأثير ترغيبات مادية ، أو باجبار الحكام واكراه الملوك . فتدين النظرية الشيوعية لانتشارها الى تأثير الحكومات الشيوعية ونفوذها فى سياسات العالم وانظمة البلاد . ولم يتمكن التبشير المسيحى من التقدم والازدهار الا من أجل مساعدة الحكومات المسيحية وتعاونها . ولم تنتشر الدعوة العلمانية الانحت تأثير الثقافة الاوربية السائدة فى العالم والحضارة الغربية المسيطرة على الانسان المعاصر . ولم يتجه الانسان المعاصر الى الانحراف الفكرى والالحاد الثقافى الا بجهود الحكومات والقوى الكبيرة العالمية .

وانظر على العكس من ذلك الى النظرية الاسلامية ، فنجد ها لم

تنتشر فى يوم من الأيام الا بالدعوة والافتناع والتبليغ والافهام . ويعلم كل مطلع خبير أن تاريخ الاسلام الزاهر لشاهد عدل وصدق على هذه الحقيقة . فمن ذا الذى لايعرف حياة الصحابة وكيف تحملوا الشدائد والمشاق والمتاعب فى سبيل دعوة الاسلام وكيف تهافت الصحابة على دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تهافت العطشان على الماء ؟ ومن ذا الذى لايعرف أن الصحابة رضى الله عنهم ضحوا بنفسم ونفيسهم من أجل الاسلام ؟ هل كان هذا كله من أجل الترغيبات المادية أم كان منبعه الايمان الصافى الوائق والافتناع التام بالمبادئ الاسلامية ؟ هل جاهدوا بأموالهم وانفسم لحفظ الانفس وكسب الاموال ؟ أم كان جهادهم من أجل الحب فى الله والبغض فى الله والتفانى فى سبيله والتبتل اليه تبتلا كاملا ؟ بل هم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

★ ★ ★ ★ ★

ولعل أحسن مثال وأروع نظير لقوة الاسلام الروحية وفعالتيه الافتناعية وسرعة تغلغله وسريانه فى روح الانسان وأعضاءه وجوارحه هو دخول التتار فى دين الله أفواجا ، وتحولهم من ألد أعداء الاسلام الى المجاهدين فى سبيله .

كان قوم التتار بادئ ذى بدء من أشد أعداء الاسلام وألد خصومه ، واجتاحوا العالم الاسلامى كالسيل المتدفق وجاءوا عليه كالجراد لايبقى ولايذر ، فاطاحوا بالحكم الاسلامى فى كثير من البلاد ، وقتلوا ملايين المسلمين الابرياء وشردوا الملايين ، وكانت قلوبهم لاتعرف اللين ، ولم تأخذهم بالمؤمنين رافة ولم تكن فى صدورهم للمسلمين رحمة . وهم الذين زعزعوا الخلافة الاسلامية فى بغداد ، وهم الذين

مزقوا وحدة الاسلام وجعلوا الأمة عروة عروة . وضاعت على أيديهم آلاف المكتبات وملايين الكتب ، حتى اسودت مياه الآبار والانهار .  
وهنا وقعت معجزة الاسلام ، فسرعان ماتم انتصارهم العسكرى ضد العالم الاسلامى بدأ انهزامهم الفكرى واستسلامهم الثقافى وتضعفهم الحضارى أمام المسلمين ، ولم يستطيعوا القيام أمام الفكر الاسلامى ، ولم يقدروا على مقاومة الثقافة الاسلامية ولم تكن حضارتهم توازى حضارة الاسلام ، فاعترفوا بهزيمتهم أمام هذه القوى الروحية والثقافية ودخلوا فى دين الله أفواجا ، وأقبلوا على بكره أبيهم فاع عن الاسلام واستعدوا قضا وقضيضا للذب عن بيضة المسلمين .

ومع أن التاريخ لم يسجل اسماء المجاهدين الكرام البررة الذين لعبوا دورا رائدا فى اقناع التتار بحقانية الاسلام وادخلوهم فى الاسلام ، ولكن الحادث العظيم ان دل على شئ فانما يدل على قوة فكر الاسلام ومنعة ثقافته وتماسك حضارته ، ولعل هذا هو الحادث الوحيد فى تاريخ الاسلام ، بل فى تاريخ البشرية ، أن الذين أوقعوا على غيرهم هزيمة قصماء فى ساحة القتال ونضال السلاح انهزموا فى مضمار الفكر والثقافة ونضال العلم والحضارة

★ ★ ★ ★ ★

وما يوم الشرق الاقصى يبعيد ، فان الاسلام دخل هذه المنطقة بمجرد قوته وفعاليتة وحيويته . وهذه المنطقة التى تضم اليوم أكثر من مأتى مليون نسمة من أبناء الاسلام وبناته كانت مسكن الهنود ومأوى البوذيين . وكان يحكم جزر هذه المنطقة الكثيرة وارخبيلاتا العديدة

مئات من الحكام والراجاوات الهندكة ، وكانت لهم صلات تاريخية وثقافية بالديانة الهندوكية الأم في الهند ، اذا جاز التعبير . واستمرت السيطرة الهندوكية على هذه البلاد وأهلها وذويها حتى نهاية القرن الثامن الهجرى ( الرابع عشر الميلادى ) ، ولم يكن للاسلام أى تأثير كبير أو دور ملموس فى حياة أهل هذه المنطقة قبل نهاية القرن التاسع الهجرى ( الخامس عشر الميلادى ) .

ولاشك أن الدعاة المسلمين الذين بلغوا دعوة الاسلام الى هذه البقعة النائية من أرض الله الواسعة لم تكن لديهم قوة سياسية ، ولم يكونوا يتمتعون بنفوذ عسكرى أو دبلوماسى ، ولم يكن بعضهم حكومة قوية ، ولا يؤيدهم جيش عرمرم . كلا انه لم يكن عندهم شئ من ذلك . بل كل ما قاموا به من الدعوة الى الله قاموا به متوكلين على ربهم ، مستندين الى بساطة الاسلام ، معتمدين على سداجة رسالته ، واثقين بجزالة انظمتهم .

وسرعان ما رأى التاريخ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، وأصبحت جزر شرق الهند وملايا جزءا من دارالاسلام - ولما تجول الرحالة ابن بطوطة فى هذه البلاد فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى رأى أن الاسلام قد انتشر انتشارا كبيرا فى جزر سماطره وملايا ، وتأسست فى مناطقها الساحلية عدة دويلات اسلامية . وهذا الانتشار السلمى التلقائى للاسلام فى هذه البقعة من الارض ان دل على شئ فانما يدل على قوة الاسلام وحيوية رسالته .

والتبليغ والارشاد ما نراه اليوم من انتشار دعوة الاسلام فى بلاد افريقيا وأوروبا وأمريكا - فان الأحوال هنا غير مساعدة للدعاة المسلمين ، والاجواء غير موافقة لدعوة الاسلام ، والأزمة بالنسبة للعيشة الاسلامية مظلمة حالكة ، والبيئات التى يسكن فيها المسلمون قاتلة فاتكة . ولكن على الرغم من ذلك نرى دعاة الاسلام يعملون فى بلاد هذه القارات المختلفة ، ويكافحون من أجل دينهم ، يهدون الى الحق وبه يعدلون .

فماهى القوة التى يزداد من أجلها عدد المسلمين فى افريقيا الوسطى وافريقيا الجنوبية ؟ ولماذا يتضاعف عدد المسلمين فى بلاد اوربا المختلفة ؟ هل أكرههم أحد على اعتناق الاسلام ؟ أم هل دخلوا فى الاسلام لنيل أهدافهم المادية ؟ كلا ، انهم لم يسلموا الا لأنهم رضوا بالله ربا ، وبالاسلام ديننا ، وبمحمد ( صلى الله عليه وسلم ) رسولا ، واطمنوا اليه ، واقتنعوا بحقانية الاسلام وصدق مبادئه وأبديته أحكامه وآخريه شريعته .

★ ★ ★ ★ ★

ان الدعوة الى الله وتبليغ دينه الى كافة البشر لم يكن فى يوم من الايام بل وفى لحظة من اللحظات عبر التاريخ الاسلامى الطويل مهنة من المهن يمارسها الناس ويتفرغوا لها مقابل أجر يأخذونه ، بل كانت الدعوة الى الله وتبليغ دينه الى الناس فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة يقومون بها أينما كانوا واينما حلوا ، فان الاسلام لا يتصور مسلما لا يكون داعية ومؤمنا لا يكون مبلغا . ولذلك كان سلوك دعاة الاسلام مختلفا عن سلوك الدعاة فى سائر الملل والنحل . فان

التبشير عند المسيحيين مهنة من المهن يتخذها الطالب ويختارها الشاب لنفسه كما يتخذ الناس مهنا أخرى . وهم لا يتفرغون لعمل التبشير الا مقابل أجور ضخمة وتسهيلات رائعة ، ولا يقومون بالتبشير الا كما يقوم التاجر بتجارته وصاحب المهنة بمهنته بل الموظف الادارى بوظيفته لاذوق عنده ولاحب لما يقوم به ، فلا يتفانى فى سبيله ولا يهيم من أجله ، وليست حياته الفردية والاجتماعية نموذجا لعمله ، ولا تتجلى فى شخصيته النظرية التى يعمل من اجلها ، ولا ينعكس فى حياته الهدف التى يقتات منه القوت .

ولذلك لم نر فى التاريخ الاسلامى الطويل أن حكومة من الحكومات الاسلامية خلال هذا التاريخ فتحت معاهد لتربية الدعاة ، ولا حاكما من الحكام المسلمين أسس مجامع لاعداد المبلغين . نعم ، انهم فتحوا معاهد لتربية العلماء ، وأسسوا مجامع لتدريب الأجيال ، وبنوا مدارس لتعليم الاطفال ، وانشأوا زوايا لتزكية النفوس وتطهير الأرواح ، وشادوا مراكز لاعداد المجاهدين وتدريب المقاتلين . وبذلك ربوا جماعات من علماء كانوا دعاة الى الله ، ودربوا أجيالا عملت لنشر الاسلام ، وعلموا أطفالا كرسوا حياتهم لبث رسالة الله وزكوا نفوسا ضحت بنفسها ونفيسها فى سبيل دين الله ، وطهروا ارواحا فدت نفسها لاعلاء كلمة الحق ، وأعدوا مجاهدين جاهدوا فى الله بأموالهم وانفسهم لا يخافون فيه لومة لائم ، ودربوا مقاتلين يقاتلون أئمة الكفر ويقاومون أساطين الضلال ويكسرون شوكة الطواغيت .



ان من طبيعة الانسان أن لا يبادر الى الاقتناع بنظرية جديدة والايمان

بمبدأ جديد بمجرد سماعه وعلمه ، لأن الانسان العادى لا يملك عقلا يدرك به أبعاد هذه النظرية وحكمة هذا المبدأ . فاذا سمع شيئا جديدا يختلف عما كان يسمعه ، أو دعى الى شئ جديد لم يعتده ، أو رآه بديهية ، هابه وكان ردفعله الابتدائى عبارة عن مخالفة عنيفة ، لأنه لا يعرفه ، والناس اعداء لما جهلوا . ولكن اذا خالطه معرفة يأنسه ويألفه . نرى هذه الحقيقة واضحة جلية فى تاريخ انتشار الاسلام فى العهد النبوى . فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قومه الى ربه لمدة تنيف على عشر سنين ، وواصل ليله بنهاره يكافح من أجل ارشادهم وهدايتهم الى سواء السبيل . ولكن الذين اقتنعوا بحقانية الاسلام وصدق رسالته وصلاح نظامه وعدل شريعته خلال هذه المدة الطويلة لا يبلغ عددهم ألفا — رجالا ونساء ، أطفالا وشيوخا — وأما الاغلبية الغالبة من الناس فبقوا على كفرهم وأصروا واستكبروا ، استكبارا .

ولكن تغيرت هذه الحالة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، حيث شكل مجتمعا اسلاميا فى صورته الحقيقية ، وأرسى دعائم دولة اسلامية ، وبدأ يطبق نظام الاسلام ويعلى شريعته الفراء ، فلما رأوا الحقيقة بأم أعينهم وشاهدوا النظام الاسلامى فى صورته العملية وعاشوا فى المجتمع الاسلامى تغير سلوكهم وبادروا الى قبول هذه الدعوة وبدأوا يدخلون فى دين الله أفواجا حتى بلغ عدد من دخل الاسلام قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مليون نسمة ، وتوسعت ثغور الدولة الاسلامية الى آفاق الجزيرة العربية بل والى خارجها ، وانتشرت الدعوة الاسلامية خارج البلاد



وبلغت الى الهند وافريقيا وبلاد أوربا و غيرها من البلاد النائية . فرب  
حال أفصح من مائة لسان .

فاذا أراد المسلمون أن يقوموا بواجب الدعوة الاسلامية حق قيام  
فيجب عليهم قبل كل شئ أن يشكلوا مجتمعهم على قواعد اسلامية  
صالحة ، وأن يرسوا دعائم دولتهم على أسس اسلامية صحيحة ، وأن  
يطبقوا النظام الاسلامى بصورته الحقيقية ، وأن يعملوا لاعلاء شريعة  
الاسلام سلوكا ومنهجاً ونظاماً للحياة . هذا هو السبيل الوحيد للدعوة  
الى الاسلام ، وهو أسهل طريق وأسرع وانفعه ، وأجدى من الغيث  
فى أوانه .

محمود أحمد غازى

★★★★★

## على ضوء منعطف قرن جديد خطوط عريضة فى منهج الدعوة الى الاسلام

د . محمد سعيد رمضان البوطى

نحمد الله ونستعينه ونستهديه ، ونستلهمه الصواب فى الفكر والقول وبعد : لعل سائر مظاهر التخلف التى رانت على العالم الاسلامى ، خلال النصف الأول من هذا القرن الذى نشهد اليوم اختفائه فى مغرب التاريخ ، تتلاقى تحت سلطان عاملين اثنين : أولهما : الانبهار الذى غشيت له أعين الأمة الاسلامية ، من مظهر النهضة الأوربية التى تحققت فى أعقاب تحرر أوربا من سلطان الكنيسة ، وانطلاقها فى ميادين البحث والعلم ، فقد أورث المسلمين هذا الانبهار شعورا بالنقص ، وريبة فى حقيقة الدين ، ورغبة فى أن يعامل الاسلام هنا كما عوملت النصرانية هناك .

ثانيهما : بقايا الثورة الهائجة ، على قيود الكنيسة وآثارها ، فى نفوس الغربيين عموما . وهو الأمر الذى جعلهم يتبرمون بحقيقة الدين ، ويلوذون منه بالنعيم المحسوس والحياة المادية ، جامدين كل ماقد يلوح للذهن أو الخيال وراءهما .

وقد أورث الغربيين ذلك التبرم بجواهر الدين وهذا الاقبال على قول المادة ونعيمها نظرة ازدراء الى الاسلام وأهله ، ثم راحوا يقومون سائر مبادئه وأحكامه من خلال هذه النظرة ، فكمن من مبادئ شوهوها ،

وكم من قيم وأحكام زيفوها ، وكم من حقائق تاريخية نكسوها ... .  
 وكان طبيعيا أن تنعكس نظرتهم هذه الى الاسلام ، على نفوس  
 المسلمين آنذاك بالتأثر أولا ثم القبول والرضا بتلك النظرة ثانيا ،  
 وعذرهم ذلك الانبهار الذى كانت تعاني منه أبصارهم ، ومشاعر النقص  
 التى كانت تهين على نفوسهم فازدادوا رية بالدين وأحكامه ، وتطلعا  
 الى حركة اصلاحية تسرى الى جملة أسسه وبنياته .

ولقد كان من آثار هذا الانعكاس أن استشرى المد الاستعماري  
 فى أقطار كثيرة من العالم العربى والاسلامى . وأخذ كثير من  
 المسلمين يتعلمون من التبعية الحقيقية للاسلام ونظامه . واتخذ هذا  
 التملل أشكالا وتعايير مختلفة . فاتخذ شكل المجابهة الصريحة  
 للاسلام جملة وتفصيلا عند كثير من الناس ، كما اتخذ شكل القبول  
 له ظاهرا واستبطان الكفر به حقيقة عند آخرين ، أما عند فئة نالته فقد  
 اتخذ مظهر الرغبة فى اصلاحه والاهتمام بتطويره ، تأسيسا بما فعله  
 الغرب بنصرانيته فى بلاده .

هذه الفئات الثلاث من المسلمين ظلت تسير على خطوط مستقلة  
 متوازية ردها من الزمن . ولكن ما ان تبين أن شعار الرغبة فى  
 الاصلاح والتطوير هو الذى بدأ يروج ويتغلب ، حتى انضوى الجميع  
 تحت لوائه . الا أنهم لم يلتقوا تحت هذا الشعار ، الا فى ظاهر الأمر ،  
 فلا جرم أن كلا منهم أسر من وراء ذلك الفكر الذى يتبناه ، والهدف  
 الذى يسمى اليه .

وتحت هذا الشعار أصاب الاسلام كثير من التشويه والتغيير ، بدءا  
 من حقائقه الاعتقادية الى الكثير من أحكامه العملية وآدابه السلوكية .

الى التشكيك بصلاحيته للحكم واتساعه لمقومات الدولة .  
 تلك بارقة سريعة من صورة الواقع الاسلامى الذى نما واشتد  
 فى ظل أحداث وظروف عالمية ، لامجال للخوض فى تفصيلاتها فى  
 هذا المقام .

ولكن فما الذى طرأ على ذلك الواقع من بعد ؟  
 لقد طرأ امران رئيسيان أعقبتهما اتجاهات ايجابية جديدة لم تكن  
 فى الحسبان . أما الأمران الرئيسيان فهما .

١- زوال الانبهار الذى كان قد غشى على أبصار الأمة الاسلامية  
 فى اعقاب النهضة الغربية . فقد عادت مقاييس الضياء متسقة مع طاقة  
 الابصار . وأخذ الشراب يتميز عن السراب . وتجلت فوارق ما بين الحق  
 والباطل ، والاصيل والدخيل .

٢- سكنت بقايا تلك الثورة المعتلجة فى صدور الغربيين على  
 الكنيسة والدين ، فتهيات من ذلك الفرصة لفحص سمات الحياة  
 المادية عندما تكون اليها القيادة ويدها وحدها الزمام . وأمكن رصد  
 الحناظل المشقية بل المميتة من بين تلك الثمار ... فقد عاد أكثر  
 منجزات المدنية والعلوم ، بسببها ، الى مصائب وأمراض تجاوزت  
 هيكل الجسم الى طوايا النفس والروح ... الروح التى طالما نسيها بل  
 أنكرها المتمتعون بها ، أيام كانت سكرة النعيم هى السائدة ، وسلطان  
 المادة هو الحاكم الغلاب .

ولكن السكرة لاتدوم ، والعرض - كما يقولون - لا يستقر . فقد  
 انحسر ذلك النعيم كله عن نفوس كثيرة تتشهى الموت وتترامى بين  
 أذياله ، على الرغم من بوارق المدنية ومغرياتها ، وعن صدور ران عليها

الكرب الخائق . فهي تبحث عن متنفس بعيدا عن دنيا هذا الصخب ودخانها ، وعن قلوب لم تعد - كما كانت من قبل - تنبع برحيق الحب والرحمة ... ذلك الرحيق الذى كان محورا للدائرة الأسرة ، وحبلا يصل ما بين ذوى القرابة والرحم ، ونسبا يشد صوة الانسان الى أخيه الانسان ، لقد أحالها صقيع الحياة المادية الى قطع صخرية متجمدة ، لانبعث منها صدى ، اللهم الا ان يكون صدى ما قد ينقر عليها من درهم أو دينار .

أجل ... هما صحتان ، احدهما أدركت العالم الاسلامى ، والثانية ظهرت فى ربوع الغرب . ومن خلالهما وعلى أعقابهما تبدلت أمور كثيرة ، وتحققت اتجاهات هامة جديدة ، لم تكن فى الحسبان . أما فى العالم الاسلامى ، فقد ذهب عصر الرية بالاسلام . فأصبح جل المسلمين اليوم يعتنقونه عن يقين علمى بجوهره ، وقناعة عامة بصلاحيته ، وانقضت أو ابتعدت تلك المقارنة التقليدية الجاهلة بين العلم والدين ( وهونها الاسلام ) فى ظل ذلك الانبهار الذى ران ردحا من الزمن على النفوس . وأقلت زمام العلم من أيدي المتلاعبين . بالفاظه ، وعادبرهانا يملأ عقول الباحثين يقينا بصدق كل ما يتضمنه الاسلام من حقائق الايمان وأنظمة الحياة والسلوك . فكان من آثار ذلك أن اتجهت الآمال الصادقة ، فى معظم الاقطار الاسلامية الى اليوم الذى يهيمن فيه الاسلام نظاما للحكم ومنهجيا للحياة .

وأما فى الغرب ، فقد أخذ تيار الاشتمزاز من الدين تخف حدته ، نم لم تزل تخف ، حتى ارتفعت الأصوات من كل جهة ، تشكو من شقاء المادة التى أنست الانسان الغربى نفسه ، وأحالاته الى ما يشبه

قطعة صغيرة فى آلة كبيرة فتسحق فى حركة لا وعى لها . وأخذت الأفكار تتجه الى نوافذ الفرار والخلاص ... فكان الاسلام - ولا ريب - واحدة من هذه النوافذ التى وقفت عندها أنظار وأفكار كثيرة ... وأما هذه المشاعر والآمال الجديدة ، تحول الحديث عن الاسلام ، على كثير من الألسن ، الى رغبة جادة فى تفهمه ودراسته ، بعد أن كان مجرد افئئات عليه وتشويه له وسخرية منه .

واتجهت تطلعات كثيرة الى المناقشة والحوار ، والى البحث عن جذور توحيد الأديان وتعقد بينهما صلحا حقيقيا يمكن الاعتماد عليه فى حل مشكلة الحضارة والتخلص من أوضاعها . وفى ظل هذه الرغبة أصبح احتكاك الغربيين بملايين المسلمين الوافدين عاملا على تهدئة الصرع القديم ، بعد أن كان عاملا على تقويته ، وموجبا لمزيد من التفهم للاسلام بعد أن كان سببا فى مزيد من كراهيته .

واننا لنستطيع أن نتبين بعد ما بين الصورتين ، من موففين متناقضين وفتتهما الكنيسة الانكليكانية من الاسلام ، خلال هذا القرن الهجرى الذى تصرم .

أما الموقف الأول فملئى بماشتت من دلائل السخرية والازدراء بالاسلام ونظمه . وكان عقب الحرب العالمية الأولى ، وبعد أن استولت بريطانيا على استانبول عام ١٩١٨ م . فقد وجهت هذه الكنيسة ستة أسئلة الى المشيخة الاسلامية ، تتضمن فى جملتها اثارا لمشاعر المسلمين انتقاصا للاسلام ، وطلبت الكنيسة ، فى صلف وكبرياء ، أن يأتيتها الجواب فيما لايزيد على ستمائة كلمة .. وقد كان طبيعيا أن تفعل الاثارة فعلها المتوقع فى صدور أولئك الذين

وجهت اليهم هذه الأسئلة . فكان الجواب عليها هو : « أن هذه الأسئلة لايجاب عليها بستمائة كلمة ، ولا بست كلمات ، ولا بكلمة واحدة ، بل ببصقة واحدة على أفواه السائلين » (١) .

وأما الموقف الثانى ، فيفيض بماشتت من معانى التنويه بأهمية الاسلام . وسعة سلطانه فقد وقف المطران الانكليكانسى فى العام الماضى يقول مشيدا بالاسلام وما يلقى من قبول لدى الأوربيين عموما والبريطانيين خصوصا : « الاسلام اليوم دين يعتنقه مليون شخص من مواطنينا البريطانيين » . . .

ان بعد ما بين هذين الموقفين ، ناتج والا ريب من فرق ما بين الواقعيين ... وهى مساحة اعتبارية هامة تجاوزها العالم كله خلال قرن من الزمن .

على أن هذا التحول لم يكن محصورا فى نطاق العالم الغربى الذى آمن بالمادة ايمانا نفسيا أعزل ، أى قفزا من فوق قرارات العلم والعقل وأسوارهما بل تعداه أيضا الى الأقطار الشيوعية ، حيث لا يزال يكره كل من العقل والعلم على جحود الدين ونكران الخالق ، وعلى اليقين بأن المادة هى محور الاشياء كلها ، وحيث يحمل كل منهما حملا على الافرار بذلك عن طريق صياغة فلسفية علمية راسخة .

فقد عادت هذه الأقطار ذاتها تخفى - مضطرة - فدرا كبيرا من عدائها للأديان عامة ، وللاسلام خاصة ، وتتخذ لمواجهة سياسة جديدة ، بعيدة عن أسلوب السحق والمحق الذى قامت الثورات الاستراكية على أساسه .

وانما سبب ذلك ما تلاقت عليه التقارير الخفية المختلفة ، من أن

الاسلام لم يعد كما كان يظن : طاقة بائدة . بل انه اليوم عنفوان مقبل ، وطاقة مستشرية ، وظاهرة كهذه لاجدوى من مواجهتها بعنف ، مهما كان الموقف الحقيقى تجاهها ، بل لابد من مصانعتها والالتفاف حولها .

ومعلوم أن الزعيم الشيوعى الايطالى « تولياتى » الذى توفى فى أوائل الستينات ، ضمن وصيته الاخيرة كشفنا عن هذه الحقيقة ، وتحذيرا لسائر الرفاق من الاستمرار فى سياسة المواجهة والعنف ، بل حتى من الاستمرار فى السياسة السلبية تجاه الأديان عامة والاسلام خاصة . وأهاب باستغلال الطاقات الدينية والاسلامية . بدلا من أن يعادوها فيخسروها فتتألب عليهم .

ولقد لقيت هذه الوصية أصداء ايجابية لدى سائر زعماء المادية الماركسية ، سرعان ماتغلبت على تلك المعارضات الضعيفة التى كانت لاتزال متمسكة بالتعاليم اللينينية العتيقة .

هذا وقد كان لابد أن تنعكس آثار هذه التحولات ، جملة ، على واقع القارة الافريقية التى طالما اشتدت عليها قبضة الاستعمار صنوفا وألوانا ، واتجهت ، اليها مكائد التبشير متسرلة بأردية الترغيب والاغراء آنا ، ومقنعة التهيب والعدوان آنا آخر .

فلقد أريقت على عرض تلك القارة السوداء وطولها أموال لاتحصى ، وجهود لانكاد تصدق . ولقد ظهر من وراء ذلك بعض الثمار التى أيقظت آمالا جسيمة فى نفوس المتربصين بالاسلام وأهله . ولدى قادة الاستعمار والمتخصصين بنهب الخيرات والثروات . ولكن سرعان ماهبت رياح الايمان فى كثير من جنباتها ، فاعتصفت الثمار



وبددت معظم الآمال ... واستيقظت نوازع الفطرة الاسلامية فى كثير من النفوس ، تغالب أغشية الجهل وأقنعة الخرافة حتى غلبتها . وبعد ، فليس المهم لنا فى هذا المقام أن نرصد موقف العالم من الاسلام اليوم ، وأن نضبط مؤشرات درجة الاقبال اليه أو الاعراض عنه . انما المهم أن نملك من خلال هذا التحليل الموجز الذى عرضناه ، تصورا سليما ، يخولنا القدرة على اجابة سديدة عن السؤال التالى :

ترى هل لهذه التحولات التى تبدت واضحة خلال هذا القرن الذى نعيش الآن أيام توديعه ، من أثر على تقويم حقيقة الدعوة الاسلامية ، سواء من حيث أهميتها الذاتية أو من حيث ما قد يجب أن تتعبد به من منهج وأسلوب ؟ وأقول فى الاجابة على ذلك :

اما الأهمية الذاتية للدعوة الاسلامية ، فلا ريب أنها قد تضاعفت ، وأن واجب النهوض بها فى أعناق المسلمين أصبح أشد أهمية وأكثر اتساعا ، فلقد كان القيام بهذه المهمة من المفروض الكفائية فى أكثر الأحقاب التى خلت ، أما اليوم فلا نبعد عن الحق ان قلنا : ان القيام بهذا الأمر غدا اليوم من الفرائض العينية التى يتوجه الخطاب التكليفى بها الى كل مسلم وعى الحقائق الايمانية والواجبات السلوكية للاسلام على نحو سليم ، ولم يعد خاصا بفئة أو جماعة من المسلمين ، وذلك للسببين التالين :

السبب الأول : أن واقع الصحتين اللتين أدركتا العالم الاسلامى وأمم الغرب والشرق معا ، مما سبق الحديث عنه ، لم يبدل

من حال الأعداء التقليديين للإسلام شيئا ( وانما نقصد بأعدائه التقليديين ، أولئك الذين يتبوأون مراكز القيادة والحكم فى ربوع الغرب على اختلافها ، ولا يزالون يحلمون بآمال سيادة الرجل الأبيض على بقاع المعمورة ، ان لم يكن بأساليب الاستعمار القديم فبوسائل جديدة أشد ذكاء وأعلى خطورة وأوغل خفاء ) كل مافى الأمر أنهم أداروا الأشرعة نحو مسرى الرياح ، وركبوا الموجة المقبلة ، وأروا أن يخادعوا العقول ويغاملوا النفوس ، بدلا من أن يعاندوها ، فيزيدوا الى الوعى الذى استيقظ ضدهم ، الكراهية التى قد تقطع سبيل الحوار منهم .

ولارىب أن هذا الأسلوب الجديد أحرى أن تبذل الجهود للوقوف فى وجهه ، وأن ينبه اليه ويحذر منه ، على السنة الداعين الى الاسلام، من المسلمين عموما ، وقادة المسلمين بوجه خاص ، من ذلك الأسلوب التقليدى العتيق الذى لم يعد يفيد أربابه شيئا .

السبب الثانى : أن العهد الذى يقبل الناس الى الاسلام تمسكا به أو تفهما له ، أحوج ال المرشدين والدعاة ، من العهد الذى يدبر فيه معظم الناس عن الاسلام . ذلك لأن أثر الدعوة الى الاسلام فى صفوف المقبلين اليه ، أسرع ظهورا وأقرب جدوى وأهم فائدة ، منه فى صفوف المتأبين عليه والمحجوبين عنه .

وقد تكاثر اليوم عدد المقبلين الى الاسلام داخل ربوعه . كما تضاعف عدد الراغبين فى فهمه خارج بلاده . وأن بهؤلاء وأولئك لحاجة ماسة الى من يعرض حقائق هذا الدين لهم بأسلوب علمى مبسط ، ويزيح عن طريقهم اليه الغشاوات المصطفعة والشبهات

المختلفة . فان لم يسرح من المسلمين الصادقين من ينهض بمسؤولية هذا الشرح والبيان على أتم وجه ، أوشك أن يسبق اليهم من اولئك الأعداء التقليديين وجنودهم ، من يجهض لديهم تلك الرغبة ، بابتداع صور منسوبة كاذبة عن الاسلام يضعونها نصب أعينهم ، ثم يتسللون بها الى ممكن الوعي من نفوسهم . فاما أن يعرضوا بعد ذلك عن الاسلام ويرجعوا الى شر من الحالة التي كانوا عليها من قبل . واما أن يعتنقوا اسلاما باطلا مزيفا ، لا يصلح فسادا ولا يتفق مع علم ولا عمل ، كما آل اليه حال كثير ممن دخلوا في الاسلام في كثير من جهات أورباء وأنحاء أمريكا ، ثم لم يجدوا من يبصرهم بحقيقة ما هم عليه وبعده عن الاسلام الذي يطمحون اليه .

واننا لنسمع اليوم نداءات ، بل استغاثات ، تتوارد الى مختلف الأقطار العربية والاسلامية مقبلة اليهم من شتى أنحاء آسيا وأورباء وأفريقيا ، تهيب بالمسلمين أن ينجدوهم بمن يعلمونهم مبادئ الاسلام وأحكامه ، وان يتداركهم بالكتب والنشرات الاسلامية المبسطة ، التي تصلح أن تكون معتمدا كافيا بين أيديهم لتتعلم أسرهم وأولادهم كل ما يجب أن يتعلموه من مبادئ هذا الدين .

غير أن ما يلقاه أصحاب هذه النداءات من الاستجابة ، لا يبلغ الا النزر القليل من الحاجة الكبيرة التي يعانون منها .

فبناء على هذين السببين ، لانشك في أن النهوض بأعباء الدعوة الاسلامية قد غدا اليوم واجبا عينا ، يتحمل تبعته كل مسلم أخلص لله في اسلامه ، وان كانت دائرة هذا الواجب تتسع وتضيق ، حسب تفاوت الامكانات والقدرات الثقافية والعلمية ما بين فرد وآخر .

نعم ، لقد كانت مهمة الدعوة الاسلامية من الفروض الكفائية ، قبل هذا العصر ، كما قال علماء الشريعة الاسلامية آنذاك ، ولكن المجتمعات الاسلامية والانسانية كانت تسير يومها فى طريق الاسلام ، دون أن يكون على متنه أو عن يمينه أو يساره من يتربص بها الدوائر ويختلق لها العقبات ، ويصد ها عن الوصول الى الغاية بفنون عجيبة من التلبيس والتشويه والاغراء ، أما اليوم وقد جندت كل امكانات الدنيا ، وجميع شهواتها وأهوائها فى سبيل الصد عن صراط الله والخضوع لأحكامه ، فقد أصبحت مهمة الدعوة الاسلامية فرضا من الفروض العينية يخاطب به كل مسلم ، ولم تعد مقتصرة على ثلة من الناس مهما بلغ شأنها وكانت أهميتها .

صحيح ان دعائم أحقية الاسلام ، لم تتجلى للابصار والبصائر ، كما تجلت فى هذا العصر ، لا لأقوام من الناس بأعيانهم ، بل لأهل الأرض جميعا . الا اننا مع ذلك نعيش فى عصر تحاول فيه نيران الأهواء والشهوات والمغريات ( وهى الأسلحة الحديثة فى أيدي محترفى الغزو الفكرى اليوم ) أن تلتهم بنيان الاسلام بأكمله ، وفرق الاطفاء قليلة عاجزة عن الوقوف وحدها فى وجه هذه النيران . اذن لابد من أن ينهض الكل على اختلاف قدراتهم ، لصد هذه النيران عن بنيان الحقائق الاسلامية ، ولفتح السبل اليه أمام الملايين التى تسعى جاهدة لفهمه ، او تعزم صادقة على الرجوع اليه والاستمسك به .

\*\*\*\*\*

ذلك هو مايجب ان نعلمه عن الأهمية الذاتية لمهمة الدعوة

الاسلامية فى هذا العصر . أما عن المنهج الأمثل للدعوة ، على ضوء هذا المنعطف الزمنى الذى سيسلمنا عما قريب الى قرن جديد ، فان الحديث عنه متشعب الأطراف ، طويل الذيل . وانه لجدير أن يعالج فى كتاب جامع مستقل .

غير أن من الممكن فى هذا البحث ، أن نرسم خطوطا عريضة لهذا المنهج . ولعل هذه الخطوط أن تدل الباحث المتدبر على الفروع الجزئية التى تنبثق عنها ، فىكون فى هذا التلخيص غناء عن التفصيل والتطويل .

ان أهم الدعائم الكلية الهامة ، لنجاح المسلمين فى القيام بأعباء الدعوة الاسلامية ، على ضوء الوقائع والتطورات التى أوضحنا تحليلا موجزا لها ، يتمثل فى اتباع الشروط التالية .

الشرط الاول : أن يكون الداعى على بينة ، قبل كل شىء ، من حقيقة الاسلام الذى كلفه الله أن يصطبغ به ، وأن يعرف الناس ، ويدعوهم اليه .

ترى أهو مذهب فكرى أو سلوكى يقارع غيره من المذاهب المماثلة ؟ أم هو نظام ينافس الانظمة الأخرى ؟ أم هو جملة تشريعات وفوانين تنسخ بها بقية التشريعات ؟ أم هو يمين فى مواجهة يسار ، أم يسار فى مواجهة يمين ؟

ان على الداعى أن يكون على بينة تامة ، قبل كل شىء بأن الاسلام ليس شيئا من هذا ولا ذاك . ولكنه كما يدل عليه اسمه : استسلام مطلق لألوهية الله وحده ، ثم الصياع لأمره ونهييه وقضائه . ولا يرتكز هذا الاستسلام الا على يقين كامل فى القلب ، ولا يعمر

الايان الحقيقى المقلب الا بعد خلوه عن الأغيار وتزكيتة عن الأوضار،  
وانقطاعه عن علائق المحرمات من الشهوات والأهواء .

واذا استقام الايمان على هذا النحو فى الفؤاد ، خاليا عن الزغل ،  
نقيا عن الدرك ، تحققت مظاهر الاستسلام كلها فى كيان الانسان  
لأوامر الله ونواهيه وسائر أحكامه وتشريعاته بدون عظيم جهد ولا  
طويل نقاش أو عناء .

زارنى فى العام الماضى ثلة من الرجال والنساء الأوربيين  
والأمريكيين ، قد اعتنقوا الاسلام . وقد لفت نظرى التزامهم الدقيق  
بالسلوك والمظهر الاسلامى رجالا ونساء ... فهل تتصورون أنهم قد  
وصلوا الى الالتزام بتلك الأحكام السلوكية من خلال اجتياز مرحلة  
طويلة من النقاش تمت فى أعقابها القناعة بها واكتشاف وجوه الفائدة  
والمصلحة فيها ؟ .

معاذ الله .. لقد تحولوا من منتهى التفلت والتحرر ، الى الالتزام  
الكامل بالسلوك الاسلامى خلال أيام قليلة . وكان الجسر الوحيد  
الذى نقلهم من ذلك التحرر الى هذا الالتزام ، اكتشافهم بأنهم عبيد  
مملوكون لله عزوجل ، ويقينهم المطلق بالوهمية الله وحكمته التى  
لاريب فيها ، فى كل ما يأمر به وينهى عنه .

ولو أخذت تناقشهم دهرًا طويلًا فى الدفاع عن تلك الأحكام ،  
قبل رسوخ هذا اليقين العظيم فى قلوبهم ، لما اقتنعوا من ذلك كله  
شى .

ومن هنا كان قوام الدين الحق الذى ألزم الله به عباده مكونا من  
ثلاثة أركان : ايمان ، واسلام ، واحسان ، فمغرس الايمان فى القلب ،

ومكان الاسلام الجسم كله ، ومستقر الاحسان صلة ما بين القلب الذى آمن والجسد الذى استسلم . ولا ينفرد واحد من هذه الأركان الثلاثة بوجود مستقل مفيد . بل الدين انما يتكون من تألف هذه الأركان الثلاثة التى لاتعدو أن تكون جذورا وفروعا وشرابين تنقل الحياة من هنا الى هناك .

والمسلم اذا عاش فلهذا الدين يعيش ، وان دعا الناس فالى هذا الدين يدعو .

ومعاذ الله أن يكون دين هذا شأنه وجوهره مجرد نظام بين الأنظمة أو مجرد مذهب من المذاهب .

ليس للأنظمة التى يتطاحن أهلها عليها اليوم الا وجود خارجى يبدأ وينتهى فى ساحة المشاهدات والمحسوسات . وانه لوجود ما أيسر أن يكون قناعا يستتر خلفه النفاق الوانا ، ويكمن وراءه الكيد والخداع أشكالا .

أما الاسلام فوجوده شعاع يمتد فى كينونة الانسان كله ، بدءا من باطن القلب الى ظاهر الجوارح ، من شأنه أن يحرر الانسان من أنانيته وآفات نفسه ، ثم يخضعه لأحكام ربه .

واذا تشبع الداعى الى الله تعالى بهذه الحقيقة ، وتمثل هذا المعنى الكلى للاسلام ، ثم اتجه الى الناس يذكرهم بهذا الحق ، ويوقظ فيهم مشاعر عبوديتهم لله عزوجل ، مستعينا بلواعج الصديق والاخلاص لله فى قلبه ، وبدلائل المنطق والعلم على لسانه :- أشرق من كلامه قيس وهاج فى طوايا قلوبهم ( ان هم اصغوا الى الحق بموضوعية وتجرد ) واستطاع أن يسير بهم من أقرب طريق الى

الخضوع لسائر الأحكام والشرائع الإسلامية التي ليست في حقيقتها الا ثمرات وفروعا لذلك المعنى الكلى العظيم ، وان لنا في قصة أولئك الأجانب الذين حدثتكم عنهم آنفا أبين شاهد على ما أقول .

ولكن اذا حصر المسلم نفسه من الاسلام في منشورات فروع وأحكامه وتشريعاته ، ثم راح ينبه الناس من الاسلام كله الى هذه الفروع ، وأخذ يبذل كل جهده في اقناعهم بمزايا هذه الأنظمة والتشريعات وأفضليتها على ما سواها ، فان دعوته هذا لن تثمر شيئا لأنه يقدم لهم هذه الأنظمة والأحكام منفصلة عن منبتها وجذورها . فهو كمن يقدم اليك غصنا أخضر يانعا ، بعد أن اقتطعه من شجرته الراسخة الباسقة ، هل تنتظر به الا عاقبة الذبول والانمحاق .

وهي حتى لو أثمرت فأيقن المخاطبون بمزايا التشريع الاسلامي وأفضليته ثم انصاعوا له نظرا الى ما فيه من المزايا القانونية التي ترجحه على غيره ، فان هذا الانصياع لا يمت بحد ذاته الى جوهر الاسلام بشئ ، ولا يقربهم الى الله شئوى نقيير ، اذ هو ليس انصياعا دينيا منبعثا عن الخضوع لحكم الله تعالى وسلطانه ، ولكنه مجرد اختيار له من بين سائر الشرائع الأخرى من حيث المرجحات المصلحية في نطاق الأهداف الدنيوية المجردة ... ولذلك كان من اليسير أن تجد سرعة الرضى والقبول بأعتماد فقرة : ( الفقه الاسلامي مصدر للتشريع ) في صلب أكثر الدساتير القائمة اليوم في أكثر البلاد العربية والاسلامية ، ولكن ليس من اليسير أبدا أن تحصل على مثل هذا الرضاء لاعتماد فقرة أصغر منها ، وهي : ( الاسلام دين الدولة ) ذلك لأن هذه الفقرة تعبير موجز عن الخضوع الكلى والاستسلام



المطلق لربوبية الله وحكمه . أما الفقرة الأولى فمجرد التزام بجانب قانوني من بنية الاسلام . وما أيسر أن يتلاقى عليه المسلمون وغيرهم . ومع هذا ، فإن أكثر مظاهر الدعوة الاسلامية اليوم انما يتحرك ضمن هذه الأجزاء الجانبية أو الدوائر الفوقية . وهى قلما تثمر الا مشادة حاقدة من نوع تلك المشادات التى تقوم بين أصحاب المذاهب الفكرية والسياسية المتناحرة . ذلك لأن الاسلام الذى يعرض فى هذه الخصومة انما هو اسلام فكرة ونظام مجتئين من كلى الحقيقة الاسلامية المنزل من لدن رب العالمين الى الناس أجمعين ، يقارع بهما الأفكار والانظمة الأخرى مقارعة مقايضة ومباهاة ، فى مشادة لايمكن أن تنتهى الا مثل ماتنتهى اليه خصومة أى نظامين أو مذهبين متكافئين فى أن كلامهما ليس فى حقيقة أكثر من نظام يوازن بنظيره من الأنظمة الأخرى .

ومن شأن الذى يدعو الى الاسلام بوصفه مجرد فكرة ونظام بين مختلف الانظمة ، ان يفقد من بين جوانحه مشاعر الشفقة على أولئك الذين يدعوهم ، ودوافع الغيرة على سعادتهم الاجلة والعاجلة ، وهو المعنى الانسانى الذى اتصف به الانبياء والربانيون ، فكان سر نجاحهم واقبال الناس عليهم ، والتأثر بكلامهم .

فلماذا يفقد هذا الصنف من الدعاة تلك المشاعر والمعانى الربانية الشفوقة ؟ لأن الذى يهيم فى طريق الدعوة الى الاسلام ، بعيدا عن المثول فى محراب التبتل ومعانى العبودية لله عزوجل ، مندفعاً بالأسباب ذاتها التى تدفع صاحب أى مذهب أو مبدأ الى الدفاع عن مذهبه ودعوة الناس اليه ، لا بد ان ينسى الله تعالى فى غمار

دعوته تلك . ولا بد أن ينجرف فى تيار الأنانية ورغبة الانتصار للذات شأن سائر الدعاة الى مختلف المذاهب والأحزاب . وهيهات حينئذ أن يتأثر بدعوته أحد ، اللهم الا أن يكون تأثرا مصلحيا قائما على مناورة أو على الرغبة فى الوصول الى أمان ومصالح دينوية . ذلك لأن الناس لا يصعب عليهم أن يشموا رائحة حب الانتصار للذات ، من خلال هذه الطريقة فى الدعوة . وانما انتبهوا لذلك ، فلا بد من تغيير فى هذا السلوك للحصول على التفاهم والوثام .

انتى أستطيع أن أقرر أن جهد هذا النوع من المسلمين جهد صنائع ، مقضى عليه بالخيبة وان تراءت له بعض الثمار والآثار السطحية السريعة ، لان صورة الاسلام فى أذهان هؤلاء الناس ، لاتتناول أكثر من أنظمة فوقية مبتورة عن أصولها مجتثة عن تربتها ، فهم انما يقومون ويقعدون بالحديث عنها والموازنة بينها وبين غيرها . وما أكثر ما يجلس أحدهم ليتكلم متحمسا فى هذه الأمور أو ليناقدش فى أمور الدعوة ومناهجها ، فينسى فى غمار حديثه ونقاشه أهم الواجبات الدينية التى أناطها الله فى عنقه ، كالقيام الى الصلاة فى اوقاتها مثلا ، ولعله لا يصحو اليها الا فى آخر الوقت ، ثم لا ينهض اليها الا متاثلا ويؤديها بسرعة خاطفة شأن من يريد أن يسرع فيتخلص من عبء يلزمه .

والخلاصة أنه لاقيمة لدعوة الناس الى اختيار منهج معين فى السلوك ، أو نظام متميز للحياة ، الا أن تكون آتية من وراء دعوتهم الى الاصطباغ التام بالعبودية المطلقة لفاطر السماوات والأرض ، وإيقاظهم الى الحقائق الكبرى الكامنة فى قول الله عزوجل :

( قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين .  
لا شريك له . وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين ) ( الأنعام : ١٦٢ -  
١٦٣ )

الشرط الثانى : أن تشيع الدعوة أولا فى صفوف المسلمين  
أنفسهم ، حتى اذا استقام أمرهم على النهج السليم ، وتجسدت فى  
حياتهم حقائق الاسلام وفطرته وأخلاقه ، انبثق لهم من ذلك لسان  
مبين يدعو الأمم الأخرى الى اتباع دين الله عزوجل ، وتجلي ، من  
سلوكهم أمام تلك الأمم خط مضيئ يشق سبيله وسط أمواج الظلام  
وعكر المذاهب والأفكار المنحرفة . فكان من ذلك أهم عامل يحمل  
تلك الأمم على مزيد من الاهتمام بفهم الاسلام أولا ، ثم الاعتناق له  
والانصباع به ثانيا .

وان من أكبر الأخطاء التى يقع فيها بعض المسلمين ، انصرافهم - فى  
غمرة فرحهم باقبال كثير من الغربيين الى دراسة الاسلام - عن  
النظر فى اصلاح أنفسهم ومن حولهم من عامة المسلمين .  
مستعيزين عن ذلك بالاتجاه الى الأمم الأخرى ، يدعونهم فيما  
يزعمون الى الله ويرشدونهم الى الاسلام والتمسك به . ذلك لأن  
تلك الأمم محجوبة عن الاسلام وحقيقته وحب الاقبال اليه ؛ بما تراه  
من واقع المسلمين وسوء حالهم ، أكثر من أن تكون محجوبة عنه  
بالجهل أو لسوء الفهم له .

يعرف هذه الحقيقة جيدا ، رؤساء تلك الأمم وقادتها ، وهم الذين  
ما زالوا يتربصون بالاسلام وأهله الدوائر ، لذا تراهم يسلكون الى حجز  
الاسلام عن شعوبهم أقصر الطرق وأيسرها ، الا وهو الامعان فى

حمل المسلمين أنفسهم على التنكر لاسلامهم ، بالوسائل المتنوعة وفى مقدمتها اغراقهم بشتى صنوف الملهيات والمنسيات ، وتقطيع سبيل ماينهم الى التشاور والتناصح والتضامن . حتى اذا رأوا بأعينهم سوء حال المسكين فى أخلاقهم وسائر أوضاعهم ، ووقوفهم - فى الجملة - على طرف النقيض مما يعرفون به ويدعون اليه ، فعدوا مطمئنين الى واقع شعوبهم ، ولم يبالوا عندئذ أن يقوم فيما بينهم آحاد المسلمين يدعونهم الى الاسلام أو يشيدون على أراضيهم المساجد ، أو ينشرون بينهم كتباً ونشرات تعرف بالاسلام فانهم يعلمون جيداً أن هؤلاء المسلمين مهما نجحوا فى إبراز جوهر الاسلام ناصعاً قوياً أمام أنكار شعوبهم ، فإن فى ذلك الواقع السيئ المؤلم الذى يرزحون تحته ما يضمن الا تكون لتلك الجهود الكلامية أو الكتابية أى تأثير خطير . فمن هذا الذى سيصغى بتأثير واعجاب الى ذلك الذى يتحدث عن كنوزه وأمواله الوفيرة ، والناس جميعاً يرون ما يعانيه من بؤس وضنك ، ويرون يده الممتدة بذل المسألة الى القادين والرائحين ؟

ولعل من أبرز المظاهر التى تؤكد هذه الحقيقة ، ماتراه من سياسة دولة كأمريكا تجاه مسألة الحريات ، فى كل من داخل بلادها وخارجها فمن المعلوم أنها تذهب فى تقديس الحريات الانسانية داخل بلادها الى ابعد مدى ممكن . وبموجب ذلك يحق لكل انسان أن يمارس نشاطه الدينى على النحو الذى يشاء ، كما يحق للمسلمين أن ينشطوا فى دعوة الناس الى الاسلام وتعريفهم عليه بالطريقة التى يحبونها .

الا أنها ترقب النشاطات الاسلامية للمسلمين فى بلادهم بمنظار آخر ... فهى لاتبالي أن تنسف شعار الحرية التى تعتز به فى بلادها ،

من أساسه ، اذا رأت حرية الدعوة الاسلامية قائمة فى جهة ما من بلاد المسلمين ، بجد وعلى قدم وساق ... وربما استعانت بجهود من قد نراهم أعداء لها من أجل القضاء على تلك الحرية ، واغلاق أو تضيق السبل أمام الدعوة الاسلامية الجادة ، أن تبلغ مداها الأخير .

وواضح أن السبب فى اتخاذها هذين المؤقفين المتعارضين ، أنها تخشى من الاسلام اذا تحرك ونشط بجد فى بلاد المسلمين ، أكثر مما تخشاه اذا نشط على أيدي آحاد المسلمين داخل بلادها .

نعم ، قد نرى - على الرغم من هذا الذى نقره - أناسا فى ربوع أوروبا وأمريكا ، يقبلون الى الاسلام ويعتقونه ، دون ان يصطدموا بالسوء الذى يعانى منه المسلمين . الا أن هذه الظاهرة لابد أن تعود الى أحد سببين :

فاما أنهم لحسن حفظهم احتكوا بأشخاص مسلمين صادقين مع الله فى اسلامهم ، فتنسموا فيهم عبير الفطرة الانسانية الصافية ، وأنسوا فيهم الخلق الاسلامى الكريم ، وأحسوا بنور الهداية الربانية يعمر قلوبهم ، فيرتفع بها صعدا عن الشهوات الأهواء الجانحة . فوجدوا فى ذلك الضياء والأنس أعظم ملاذلهم من ظلمات حياتهم الخائقة ، فدخلوا فى دين الله تعالى من هذا الطريق . وهذا السبب يؤكد الحقيقة التى نحن بصدد بيانها وتقريرها .

واما أنهم أقبلوا الى دراسات فكرية حرة عن الاسلام وحقيقته . فوجدوا حقائقه الناصعة وبراهينه العلمية والعقلية القاطعة ، فازدادت كراهيتهم للباطل الذى يتقبلون فيه ، وتلاقى لديهم من اشتمزازهم مما هم تائهون فيه ، ومن يقينهم الفكرى بالحق الذى وقعوا عليه ، عامل

حررهم من أسر شهواتهم وأهوائهم ، ثم وضعهم على رأس الطريق الى صراط الله عزوجل الهادى الى السعادتين الدنيوية والأخروية .  
وايا كان السبب : هذا أو ذاك ، فهى على كل حال حالات نادرة لاتشكل تيارا ، ثم لا علاقة لأمر الدعوة الاسلامية بها .

انما المهم على كل حال ، أن يعلم المسلمون أينما كانوا ، أنهم فى اليوم الذى يتحققون فيه بمعانى الاسلام على وجهه الصحيح ، بدءا من أعماق أفئدتهم الى ظواهر أحوالهم : ستفتح أبواب الاسلام على مصاريعها أمام شعوب أوربا وأمريكا وغيرها . وسوف يدخلون فى دين الله افواجا كما دخلوا فيه من قبل افواجا .

فأما ، والمسلمون على هذه الحالة التى هم عليها ، فان جهود الدعوة كلها يجب أن تنصرف الى اصلاح حالهم . وكل حديث يصطنع التباكى قبل ذلك ، على الاسلام خارج بلاد المسلمين ، دون التفات جاد الى واقع المسلمين أنفسهم ، لابد أن يكون مرده اما الى سذاجة متناهية فى معالجة الأمور المترابطة بعضها ببعض ، واما الى كيد خبيث يستهدف شغل المسلمين عن البلاد المستشرى فيما بينهم ، وصرف طاقاتهم لتتبدد فى الفضاء ثم لاتعود الى أصحابها بشئ .

الشرط الثالث : أن تتلاقى متناسقة على طريق الدعوة الاسلامية ، جهود الأفراد والشعوب مع الطاقات التنفيذية التى يملكها القادة والحكام .

فلا قيمة لما قد تنفرد به فئات أو أفراد من المسلمين ، فى نطاق العمل الاسلامى ، اذا لم يكن للدولة الحاكمة فى ذلك دور أساسى فعال . ولئن ظهر بعض الفوائد والآثار ، فهى لاتعدو أن تكون آثارا

جزئية ، ويغلب أن تكون مع ذلك سطحية وموقوتة .

ويتجلى دور الدولة الحاكمة على صعيد العمل الاسلامى ، فى النهوض بجانبين اثنين ، ان هى تهاونت فيهما ، لم يصلح أن ينوب عنها فى النهوض بهما أحد .

أحدهما جانب داخلى يتعلق بحال المسلمين أنفسهم ، ثانيهما جانب خارجى يتناول علاقة المسلمين مع غيرهم .

أما بيان الجانب الأول ، فيتلخص فى أن نجاح الدعوة الاسلامية فى صفوف المسلمين ، فى ظل الواقع الذى أوضاعناه يتطلب مع وسائل الارشاد والبيان قوة التنفيذ والحماية وتهيبوالمناخ المناسب .

ومعلوم ان الارشاد والبيان وتوابعهما ، من وظيفة الأفراد والجماعات الذين أوتوا القدرة على النهوض بهذا الواجب . على أن جميع المسلمين المتبصرين بحقيقة الاسلام ، يتساوون فى واجب النهوض بقاسم مشترك من هذه الوظيفة وهو ما قد تساوا فى معرفته من حقائق هذا الدين وأحكامه .

ولكن الذين يرشدون ويوجهون ، انما يجتازون بالناس عقبة نظرية فقط . وتبقى من بعدها مرحلة السعى الى التنفيذ . وهى مليئة بالعقبات والمعوقات التى تصد السالكين عن بلوغ الغايات ، بل تقطعهم حتى عن مواصلة السير فى الطريق . ولا يقوى على تذليل تلك العقبات وازاحة المعوقات ، الا قادة المسلمين وأولو الأمر فيهم . فان هم أعرضوا عن القيام بهذا الواجب ، لم ينب عنهم فى النهوض به أحد .

رب انسان أيقن منه الفكر واللب بحقائق الاسلام وأحكامه ،

ولكنه مشدود بحبال نفسية الى الانحراف وسلوك مسالك الضياع بسبب المناخ الذى يحيط به ... فمن ذا الذى يملك أن يطهر هذا الجو الذى يعانى به ، من الملهيّات والمهيّجات ، غير الحاكم المسلم الذى اليه تصريف الشؤون وإدارة أحوال البلاد ؟ .

ورب أناس يصغون الى كلمة الحق مفعمة بالروح والبرهان ، فتستقر فى عقولهم وتشرق فى قلوبهم ، ولكنهم ما يكادون يشعرون بنعيم الهداية والعرفان ، حتى تنتصب أمام أعينهم ، وتتساقط فى أيديهم ، وتسرى الى آذانهم ، كلمات الختل والتشويه والدس والخداع ، تأخذ طريقها اليهم من خلال المنشورات والمجلات والأندية والاذاعة ، فمن ذا الذى يملك أن يحرس الكلمة ( مكتوبة كانت أو مسموعة ) أن لاتجعل مطية للدس والافتراء غير الحاكم الذى بيده تدبير ذلك كله ؟ .

ورب مؤتمرات وندوات عقدت على عرض البلاد الاسلامية وطولها ، لخدمة الاسلام وإبلاغ دعوته ، طرحت الآراء السديدة ، ثم انتهى المؤتمر الى قرارات أو توصيات هامة ومفيدة ، فلما انفض الوفود ، بقيت تلك التوصيات الفاظا مسطرة وأوراقا مطوية .

ولاشك أن المسؤولية ليست مسؤولية الذين قرروا ثم انصرفوا ، لأنهم لا يملكون أكثر مما فعلوا . ولكنها مسؤولية من قد عهد اليهم بأمر التنفيذ ، ممن يملكون أسباب ذلك ثم لم يفعلوا ولم ينفذوا .

وما أظن الا أن هذه المسؤولية هى التى يجسدها ويعبر عنها الأثر القاتل : ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وأنا لست أعنى بهذه المهام الداخلية التى يجب أن ينهض بها



قادة المسلمين ( كما قد أصبح واضحا من الأمثلة التى ذكرتها ) مجرد تلك المسؤولية التقليدية التى تتمثل فى رسم القوانين الاسلامية ، ثم اعتمادها فى نطاق السلطة القضائية ، فهذا جزء يسير جدا من مجموع الحقيقة الاسلامية التى يجب على الناس أن يأخذوا أنفسهم بها أفرادا وجماعات ، بل ربما كان موقع هذا الجزء من الأجزاء والجوانب الأخرى موقع النتائج من الأسباب والمقدمات . بل رب حاكم خبيث الطوية عميق المكيدة ، يتشاغل بوضع القوانين الاسلامية فى نطاق الحكم والقضاء ، ليصرف نفسه ، وليصرف انظار الناس معه ، عن واجب النهوض بالحقيقة الاسلامية المتكاملة ، والمتمثلة فى اليقين الذى يجب أن يستحوذ على العقل ، والخلق الذى يجب أن يصطبغ به السلوك والنظام الذى يجب أن تنضبط به أصول المعاش والحياة كلها .

فأنا انما أعنى بمهام الحاكم المسلم هذه الجوانب المتلازمة كلها ، وأما بيان الجانب الثانى ، فيتلخص فى أن شطرا كبيرا من مهام الدعوة الاسلامية ، يجب صرفه الى مقاومة ذلك العدوان الخفى المتسلل من خارج حدود البلاد الاسلامية ، والذى يمارسه أولئك الأعداء التقليديون الذين سبق الحديث عنهم فهؤلاء يكيدون للاسلام والمسلمين خارج بلاده . ولا يعجزهم بطبيعة الحال أن يسخروا لذلك كل الطاقات الفكرية والنفسية ، وأن يجندوا له سائر رسل التبشير والاستشراق ، وأن ينفقوا فى سبيله الأموال الطائلة وأن يستعينوا حتى للعمليات العسكرية اذا اقتضى الأمر ذلك . فمنذا الذى يملك أن يجابه عدوانهم هذا بوسائلهم هذه ، غير قادة المسلمين ، وأولى السطوة والسلطان فيهم ؟ ...

نعم ان للشعوب الاسلامية دورا كبيرا فى صد العدوان الخارجى على الاسلام والمسلمين ، ولكن لابد أن يكون ذلك بوساطة قادتهم وأولى الأمر فيهم ، اذ انهم دون غيرهم ، الذين يشكلون أداة الاتصال بين شعوبهم وقادة الغزو الفكرى .

فاذا تبين من خلال هذا الكلام مدى أهمية الدور الذى يتحمله قادة المسلمين فى نطاق العمل الاسلامى والدعوة الاسلامية ، فلا مناص من أن نقرر بكل صراحة ، ومع قدر كبير من الأسف ، بأن هذا الشرط الثالث لم يتحقق منه شئ الى هذا اليوم ، على وجهه السليم ، اللهم الا فى أضيق الحالات ، وعلى مستوى سطحى ، لا يكاد يعطى ثمرة مفيدة .

فالدعوة الاسلامية انما تمارس الى الآن ، من قبل فئات وهيات شعبية فقط ، دون أن تشد من أزرها ، بشكل متناسق وبالمعنى الذى أوضحنا ، أى سلطة حكومية . فلا ريب أن عمل هذه الفئات الشعبية يشبه الى حد كبيرة راحة يد واحدة تسعى جاهدة أن تتلاقى على نفسها لتصفق بمفردها ، أو يشبه حالة من قد فتح صنبور ماء على حوض كبير ، فتفتحت فى أسفله ثغوب واسعة كثيرة ، دون أن يجد من حوله من يعينه فى سدها . فأخذ الماء ينهمر فى الحوض ، وظلت الثغوب تبتلعه ، وبقي الحوض فارغا لم يصبه من الماء الا الرشاش والبلبل .

ولعل من الخير أن نبحث عن السبب الذى أفقد روح التعاون الحقيقى بين المتحرقين على الدعوة الاسلامية من احاد المسلمين ، والقائمين على أمرهم من القادة والحكام ...

ان السبب ، بكلمة جامعة مختصرة ، هو السياسة ... نعم السياسية

بطبيعتها الجديدة ، ومفهومها الذى يفرض نفسه على كل من قضى عليه أن يدخل فى غمارها ، ويستسلم لتيارها ...

لقد كانت كلمة « السياسية » تعنى فيما مضى ، سلوك سبيل الحكمة والتعقل الى الهدف المنشود . فكانت مطية ذلولا وسبيلا معبدة الى بلوغ الغايات السامية ، ولما كان اقامة سلطان الدين على المجتمع وفى النفوس أسمى الغايات وأنبليها ، فلا غرو ان تكون السياسة هى الخادم الأمين لتحقيق هذه الغاية .

ولكن هذه الكلمة غدت اليوم عنوانا على الوان معقدة من المناورات والمحاولات ووجوه التعامل بين القادة والحكام بعضهم مع بعض . وفى ظل هذا المعنى المتشابك المعقد ، الذى آلت اليه الكلمة ، أخذت السياسة تتحول شيئا فشيئا من وضعها السابق الذى كانت فيه مجرد وسيلة وطريق ، الى أن أصبحت فى أكثر الأحوال والظروف غاية بحد ذاتها ، أو بتعبير أدق - غاية ووسيلة بآن واحد ...

وما ينبغى أن نستغرب هذا ، فان الطريق اذا كثرت تضاريسه ، وتعقدت منافذه ، واشتدت عقباته ، يوشك ان يتحول الجهد الدائب للتغلب عليها أخيرا ، الى حركة مستمرة ضمن نطاق محدود ، لاتهدف بمجموعها الى شى آخر غير ذاتها .

على ان الأمر لم يقف عند هذا الحد فقط . بل غدت السياسة هى المحور الثابت ، وتحولت الأهداف والغايات الأساسية الى وسائط تدور فى فلكها وتقوم على خدمتها .

ونظرنا ، فاذا الدين ذاته واحد من هذه الوسائط الخادمة ... فما أكثر ما يستنطق الدين بما تهواه السياسة أو يقتضيه أسلوبها . وما أكثر

ماتسخر الفتاوى لتوسيع مواقفها عندما تعوزها البراهين والمؤيدات ...  
بل لقد نظرنا ، فاذا للدين الحق الذى تؤمن جميعا به ، أحكام  
متناقضة ومواقف متعارضة ما بين سياسة وأخرى :

ان عليه ان يدافع عن مواقف الرضاء والاستسلام للعدو الغاصب  
المنكل ، وعن مديد الموالاة والتعاون اليه ، بكل وجه وعلى أى حال  
... وعليه أيضا أن يتحول فيصبح نصيرا لكل ما تقترحه أو تخطط له  
رعونات الثأر والانتقام ، ويتطلبه غليل القلوب الحاقدة ورغبات  
النفوس الهائجة ، دون أى تفريق بين ما شرعه الله من ضرورات  
الحرب والجهاد ، وما حذر منه من لوااعج الثأر والانتقام ...

ثم على الدين أن لا يتخلى عن وظيفة التأيد لكل ما يقتضيه الوضع  
السياسى ، من أتباع مذاهب معينة تتعلق بمبادئ الملكية والاقتصاد ، أو  
قضايا الاخلاق والاجتماع .

هذا كله ، مع العلم بأن الله جل شأنه ، ما أنزل الدين الحق على  
عباده الا كبعا لجماح الرعونات ، وجمعا لشتات الآراء ، واذابة  
لاحقاد القلوب وسخائم النفوس . فمعاذ الله أن تكون له وجوه متعددة  
يصانع بها أرباب السياسة وأبطال الكروالفر ، ليفوز برضوان الجميع ...  
وان المصيبة هنا لم تعد واقفة عند مشكلة انصراف القادة عن  
رعاية الدين واهمال مبادئه . فذلك أمر يسير بالنظر الى ما هو أدهى  
وأمر .

اذ ان امر الدين عندما يصبح مسخرا بيد السياسة وأربابها ،  
ويتجلى ذلك لكل متأمل ومتدبر ، يتكون من ذلك برهان وأى برهان ،  
لأولئك الذين ظلوا يقررون بأن الدين فى جوهره ، ليس أكثر

من مؤيدات ذات قداسة مصطنعة ، ابتدعها على مر التاريخ الانساني أولئك الذين يبالغون فى الاعتداد باتجاهاتهم وآرائهم ، ويسعون الى فرض أفكارهم على أكثر قدر من الناس خلال أطول حقبة من التاريخ ... أجل فما أيسر أن يردد أولئك المبطلون هذا الكلام ، ويجعلون من هذه المظاهر المؤسفة أبين شاهد عملى على مايقولون .

ونحن وان كنا على يقين بأن هذا اللغو فى تفسير الدين الحق وتصوره ، لايمكن أن يعلق بذهن أى انسان عاقل يريد أن يتعرف على هذا الدين من داخله ، ومن خلال التعرف على جوهره ومصادره ، الا أننا على يقين أيضا بأن كثيرين هم أولئك الذين يستعيزون عن دراسته بالقاء نظرة على بنيانه الخارجى وبالأصغاء الى مايقوله عنه هؤلاء المبطلون ، ثم من خلال هذه المشاهد السياسية التى تجعل - فى كثير من الأحيان - من الدين مطايا لتحقيق المآرب والمطامع الشخصية والنفسية ذات الدوافع المتنوعة .

فاذا أضفنا الى هذا أن كثيرا من الرعونات التى تشتمز منها الموازين الانسانية الصافية ، والتى تهيج فى نطاق المدافعات السياسية ، ترتدى فى كثير من الأحيان كسوة الاسلام وتنطق بلسانه - فان بإمكاننا أن نتصور مدى النكسة التى يصاب بها كثير ممن تفتحت عقولهم ونفوسهم لدراسة الاسلام وفهمه ، فى مختلف الأقطار والبلاد ، اذ ماتكاد تواجههم هذه المشاهد حاملة راية الاسلام ، حتى ينكفئوا على أعقابهم ، وقد تعقدت نفوسهم تجاه الاسلام بجملته وتفصيله وعادوا فى كراهيتهم له واشتمزازهم منه الى شرما كانوا عليه من قبل . فما تكاد آذانهم تفتح بعدها لسماع كلمة عن الاسلام وما

يتعلق به ...

وهكذا ، فان بوسعنا أن نتصور بعد الفجوة الفاصلة بين ماينهمك فيه كثير من أفراد المسلمين وفئاتهم فى سبيل العمل الاسلامى وتقريب الاسلام الى عقول الناس وتحبيبه الى قلوبهم ، وما قد ينحرف فيه كثير من الساسة من قادة المسلمين وأولى الأمر فيهم . وليتها ظلت مجرد فجوة ... انها تتحول فى كثير من الحالات الى تشاكس فى السعى وتناقض بين عملية البناء والهدم والتقريب والتباعد...

#### ★★★★★

على أن من الحق أن أعود فأقول : لعل « السياسة » بمعناها الذى يفرض نفسه اليوم تحمل تأثيرا يشبه أن يكون سحريا ، على كل من قد ينحرف فى تيارها . فهى تعدمه القدرة على تمييز الوسائل عن الغايات ، كما تعدمه القدرة على اعطاء كل منهما حقه من الرعاية والاهتمام . ومن يدري ؟ ... لعل ناقدًا مثلى ، لو ابتلى - والعياذ بالله - بالوقوع فى دوامة العمل السياسى ، لنسى كل هذا الكلام التوجيهى ، ولأعجزته المشكلات المتسارعة عن ان يعالجها بصفاء ذهنى وقدرة ذاتية على تسخير سلسلة الأحداث كلها فى سبيل رعاية الحق الذى يتمثل فى الاسلام عقيدة وأخلاقا وحكما ، ولتمزيق بين المتطلبات المختلفة التى تفرض نفسها عليه من كل صوب .

ولكن مهما يكن ، فان المسألة لاتعدو أن تكون مشكلة تحتاج الى حل . ولا ريب أن على قادة المسلمين أن يبذلوا كل جهودهم ماداموا صادقين فى الاسلامهم ، لحل هذه المشكلة ، ولضبط النشاطات

السياسية ضمن حدود الوسائل والأسباب ، كما أن عليهم أن يفعلوا كل مايمكنهم للتحرر من دوامها ، وامتلاك ناصيتها ، ثم السير بها فى الطريق الى خدمة هذا الدين ورفع مناره وترسيخ سلطانه .

ان علينا جميعا أن ندرك بأن العمل السياسى فى أيدي قادة الأمة الاسلامية ، ليس الا سلاحا لخدمة الاسلام واقامة المجتمع الاسلامى فوق أرفع ذرى الأرض . فان هم عجزوا أن يتخذوا من السياسة والحكم سلاحا لذلك فقد تحول كل منهما فى أيديهم الى باطل من السعى وعيث من الجهد والعمل ...

ودعوني أيها الاخوة أضع بين أيديكم وصية توجه بها السلطان محمد الفاتح رحمه الله الى ابنه أورخان ، عندما شعر بدنو أجله ، متمنيا أن يعدها كل واحد من قادة المسلمين اليوم ، تطرق سمعه ، وصية موجهة اليه ، عساها توقظنا جميعا من دوامة هذا التخبط الذى نعانيه :

(هاأنذا أموت ، ولكنى غير آسف ، لأنى تارك خلفا مثلك . كن عادلا صالحا رحيما بالناس جميعا . وابسط على الرعية حمايتك بدون تمييز ، واعمل على نشر الدين الاسلامى ، فان هذه هى واجبات الملوك على الأرض ... قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شى ، ولا تغتر فى المواظبة عليه ، ولا تستخدم الاشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين ولا يجتنبون الكبائر وينغمسون فى الفحش ، وجانب البدع المضرة ، وباعد الذين يعرضونك على الحقد والظلم ... وسع للمعوزين قوتهم ، ولا تمد يدك الى مال أحد من رعيتك ، وابذل عطفك واكرامك للمستحقين ... وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبتوثة فى جسم الدولة

فاعطف عليهم وشجعهم. حذار حذار ، لا يفرنك المال ولا الجند ، ولا تبعد أهل الشريعة عن بابك ، ولا تمل الى عمل يخالف أحكام الشريعة فان الدين غايته والهداية منهجنا ... خذ منى هذه العبرة : حضرت الى هذه البلاد كنملة ضعيفة فأعطاني الله هذه النعم الجليلة . فالزم مسلكى واحذ حذوى ، واعمل على مسعى تعزيز هذا الدين المحمدى وتوقير أهله مع سائر رعيته المطيعة ، ولا تصرف أموال الدولة أكثر من اللزوم ولا تضن على أخلافك بنصائحك .. (١)

وبعد ، فتلک خطوط عريضة ثلاثة فى طريق الدعوة الى الله عزوجل . بسطت الحديث عنها بالقدر الممكن ، وتحت كل واحد من هذه الخطوط ملاحظات وآداب تفصيلية . لا ضرر فى طى الحديث عنها ، لوضعنا سلامة العمل بخطوطها الرئيسية العريضة . فاذا تذكرنا أن واجبنا الذى شرفنا الله تعالى به ، قادة وشعوبا ، انه - هو اقامة دينه وتنفيذ شرعه ، وارتداء جلباب العبودية له وان اليه المرجع والمآب : علمنا مدى ضرورة النهوض بهذا الذى ذكرناه ، والله المستعان فى الهداية والتوفيق .

## المراجع

(١) من كتاب : العاهل العثمانى أبو الفتح السلطان محمد الثانى . تأليف على همت ، ترجمة محمد

احسان عبدالعزيز ، ص ١٤٢ - ١٤٦ .





تقرير  
حول  
أوضاع الجاليات الاسلامية  
ومشاكلها و احتياجاتها في  
امريكا الوسطى والجنوبية وبلاد  
الكريبيين

محمد سميع الله

ان امريكا اللاتينية تبرز أمام العالم كقوة  
عظيمة في وقت تميل كتلات القوى الناشئة بعد  
الحرب الى الانهيار والانكسار . ونجد اليوم هذه  
القارة على استعداد لتلقى الرسالة السماية التي  
جاء بها القرآن ويمكن أن نعتبرها مثل القارة  
الافريقية في كونها رصيذا ثمينا لمعتنقى الاسلام .  
ومع وجود عوائق متعددة فان هناك الآلاف من النفوس  
المتعطشة التي تتطلع الى دين الله تطلعا حقيقيا ويكادون  
ان ينضموا الى صفوفه اذا ما دعوا اليه بالحكمة  
والموعظة الحسنة . ولكنه مع الاسف لمأساة  
للمسلمين انهم من ناحية لا يقومون بواجبهم الدينى في  
الدعوة الى الله عزوجل وينقصهم أيضا التمثل في

حياتهم الفردية العملية بسيرة الاسلام النقية الجليلة  
من ناحية أخرى وبذلك انهم يرتكبون اثماً عظيماً  
وتغافلاً خطيراً عما فرض الله عليهم من واجب -

ولا يوجد أى نشاط للدعوة الى الاسلام فى  
امريكا اللاتينية الذى يجدر بالذكر غير أن هناك بعض  
المجموعات من الأشخاص يقومون بعمل مفيد فى  
مجال التبليغ فى البلاد الناطقة بالانكليزية مثل باربادوس  
وترينداد وكيانا (GUYANA) وبانامه . ولكن العمل على  
نشر الدعوة الاسلامية على نطاق واسع أمر مهم جداً .  
وهناك حاجة ماسة الى ترسيخ أنشطة الدعوة بين الطلبة  
المسلمين والمعتنقين الجدد للاسلام من خلال زيارات  
متتالية تتم الى هذه البلاد من قبل العلماء المخلصين  
الداعين الى الله من مختلف البلاد الاسلامية وهذا سوف  
يحث المهاجرين المسلمين والطلبة الدارسين هناك  
على تفقه دينهم وتطبيق أحكامه وهم يعيشون فى  
هذه البنية الاجنبية ، ويجب فى نفس الوقت أن  
تكون هناك متابعة مستمرة واهتمام بالغ من الدول  
الاسلامية لتقوية حماس هؤلاء الطلبة والعاملين  
المسلمين .

وكذلك ومع الأسف الشديد ينقص بعض البلاد  
امريكا الوسطى والجنوبية النشاط اللازم للدعوة

والارشاد فى الحياة اليومية ولا تتحسن هذه  
الأوضاع المحزنة الا بتوفير عدد كاف من الأئمة  
المتفرغين للجاليات المسلمة فى عواصم الدول  
على الأقل حتى يمكن للمسلمين أن يرجعوا اليهم عند  
الحاجة .

وينبغى ايفاء متطلبات الشباب المسلم بادخال  
وسيلة مخيمات الشباب فى أمريكا اللاتينية حيث يدعى  
مجموعة من الشباب المسلم وتلقى دروس ومحاضرات  
تغطى مختلف جوانب المنهج الاسلامى للحياة وتشرح لهم  
مقومات الحياة الاسلامية . ويجب أن يكون الهدف  
الرئيسى لهذه النشاطات تحسين اوضاع سبابنا الدينية  
وتكييفها تكييفاً اسلامياً ليكونوا شباباً مسلمين حقاً فى  
عقيدتهم وسيرتهم فخوريين بدينهم وبانتماءهم اليه  
وغيورين على ايمانهم به . وبهذه الطريقة يمكن لمسلمى  
امريكا اللاتينية أن يحافظوا على مستقبلهم الاسلامى .

ولابد هنا من الاشارة الى أهمية اللغة  
الأسبانية لعمل الدعوة ومدى ارتباطها بالتاريخ  
الاسلامى المجيد لأسبانيا خلال الحكم الاسلامى فيها  
الذى دام سبعة قرون وهذه اللغة مع كونها احدى  
اللغات الخمسة لهيئة الامم المتحدة فهى لغة ذات  
أهمية عالمية تنافس الفرنسية والألمانية ولا يقل عدد

الناطقين بها عن ٣٠٠ مليون شخص فى ٢٠ دولة فى أمريكا الوسطى والجنوبية علاوة على أسبانيا . ومع الأسف الشديد لاتوجد أى كتب حول الاسلام فى الأسبانية وهناك ضرورة ملحة لترجمة أسبانية للقرآن الكريم التى تكون موثوقة بها حتى تجد الأقليات المسلمة فى أمريكا اللاتينية الى معانى الذكر الحكيم سيلا .

ومما ييشر بالخير أنه قام أخ مسلم من أسبانيا المسمى بالييرو ماجوردوم كومنس ( أحمد عبدالله ) بترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة الأسبانية وسوف تكون هذه الترجمة فى عدة مجلدات . ولكن المجلد الأول الذى يحتوى الى نهاية سورة آل عمران قد طبع بدون النص العربى ولم تأت الى الآن مرحلة طبع المجلدات الأخرى لعدم توفر الامكانيات المالية حسب ما أخبرنا الأخ المترجم . وان المترجم لا يتمتع بسمعة طيبة لدى المسلمين فى أسبانيا لسببين (١) . أنه ليس بمسلم عامل بنفسه وان معرفته للغة العربية وادراكه لروح القرآن ليسا بالدرجة المطلوبة فلماً هذا الفراغ بادرت الجالية الاسلامية بفرنطة التى هى عبارة عن معتقى الاسلام الجدد الذين يتبعون السلالة الزرقاوية الصوفية ،

بتشكيل لجنة تضم أربعة أشخاص وكلفت اللجنة بترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة الأسبانية . وهذه اللجنة تريد طبع الترجمة فى اسبانيا مع النص العربى . وان امامهم الشيخ محمد دل بوزو الأندلسى هو المشرف على هذا المشروع . وان اللجنة المذكورة قد ترجمت الى الآن معانى نصف المصحف الشريف وانها تزاوّل عملها فى الوقت الحاضر . وقيل لنا أن أعضاء اللجنة على اتصال بجامعة القرويين فى فاس ( المغرب ) لمراجعة ترجمتهم . ولاتنكر أهمية هذه المراجعة نظرا الى أن هؤلاء الاخوة المسلمين حديث عهد بالاسلام ولم يضطلعوا بعد بالشرعية الاسلامية واللغة العربية حق الاضطلاع فلا ينبغى لهم أن يتحملوا هذه المسئولية المهمة بأنفسهم .

وبالاضافة الى ترجمة القرآن الكريم الى الاسبانية نقترح أيضا تولية الاهتمام البالغ بترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة البرتغالية أيضا التى يبلغ عدد الناطقين بها الى ١٥٠ مليون نسمة تقريباً ١٢٠ مليوناً فى برازيل ، و ٣٠ مليوناً فى البرتغال ، وانجولا وموزمبيق ، وغينى بساؤ وكيبه وردى . وان التراجم المتوفرة حالياً للقرآن الكريم فى اللغة البرتغالية ( وعددها خمسة ) كلها باقلام غير المسلمين فلا تكاد توثق بها اما لنقصها أو لكونها مشوهة وان

مترجميهاهم من المستشرقين أو رجال الكنيسة المسيحية . فأدرك الدكتور حلمى نصر المصرى الذى يشغل منذ ١٩٦٢ م كأستاذ اللغة العربية والدراسات الاسلامية بجامعة ساؤبولو ( برازيل ) هذا الوضع المحزن وأخذ على نفسه العمل على ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة البرتغالية . وان الدكتور حلمى نصر مسلم متدين قد درس فى الأزهر تسع سنوات ثم أخذ شهادة الدكتوراة من جامعة سوربون بباريس . ويرجى أنه يوفق فى تكميل ترجمته مع انتهاء عام ١٩٨٣ م ويؤمل أن الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سوف تلتزم بطبعها ونشرها ان شاء الله تعالى .

ولا ينكر أهمية اخراج تراجم صحيحة وموثوقة بها للقرآن الكريم بجميع اللغات المهمة الرائجة فى العالم حتى يمكن لكل من المسلمين وغير المسلمين الاستفادة والاستنارة من رسالة الله الخالدة التى يحملها القرآن الكريم للبشرية جمعاء . وان هنا الكتاب هو أصل العلم مطلقا وهو الذى يضمن الهداية للانسان ليخرجه من الظلمات الى النور . وما أحسن ماكتبه الدكتور اسرار أحمد فى تفسير سورة العصر أن القرآن يطالب من كل مسلم خمسة أمور تالية :

- ١- يطلب من المسلم الايمان بكون القرآن وحيا من عند الله وكلاما الهيا .

٢- يطلب منه تلاوته يوميا بانتظام .

٣- يطلب منه أن يفهمه حق فهمه .

٤- يطلب منه أن يطبق تعاليمه حسب وسعه وطاقته .

٥- يطلب منه أن يبلغ تعاليمه الى الآخرين .

وعلى هذا المعنى يدل أمر الرسول عليه الصلوة والسلام  
 فى قوله : بلسوا عنى ولو آية فثبت من هذا أنه لم يستثنى أحد من  
 مسئولية نشر تعاليم القرآن الكريم وان هذا الواجب ( أى واجب نشر  
 الدعوة الاسلامية فى كل بقعة من بقاع المعمورة الذى الزمت الأمة  
 الاسلامية بأداءه الى الابد ) يختلف بالنسبة لكل شخص فان هذا  
 الواجب على أهل العلم والمعرفة يكون حسب علمهم وعلى عامة  
 الناس حسب المستطاع والمطاق . فاذا قدر أحد على قراءة القرآن  
 فحسب فعليه أن يعلمه الآخرين والذى حفظ القرآن كله عليه أن  
 يساعد الآخرين فى حفظه فالذى يقدر على ترجمة معانيه وشرحه عليه  
 أن يعمل للآخرين فالذى أوّتى العلم بمعانيه ومعارفه عليه أن يفسرها  
 للآخرين وكذلك الذى عرف معنى سورة من سورة وشرحها  
 للآخرين فقد أدى واجب نشر القرآن وتعليمه حسب وسعه ولكن  
 المسئولية الاجتماعية للأمة الاسلامية قاطبة لن تؤدى الا بنشر نص  
 القرآن الكريم ومعانيه وتعاليمه ومحتوياته الى العالم أجمع وإلى كافة  
 الناس فى مشارق الأرض ومغاربها .

ونقدم فى الصفحات التالية استعراضا موجزا لوضع كل دولة  
 من دول أمريكا اللاتينية حتى يمكن لنا تقييم الأوضاع والامكانيات  
 المتوفرة للدعوة الاسلامية واختيار السبل والوسائل المناسبة لهذه  
 الدعوة فى البيئة الغير اسلامية .  
 برازيل :

ان برازيل دولة ذات جوانب قارية يبلغ عدد سكانها الى  
 ١٢٠ مليوناً فينتمى أكثرهم الى المذهب الكاثوليكي ويوجد فيها أيضا

مسلمون من أصل عربى يبلغ عددهم الى مليون واحد . ويسكن أكثرهم فى ولاية ساؤبولو حيث بنى أول مسجد فى برازيل فى بداية الخمسينات وبنى بعد هذا اثنا عشر مسجدا ومنها المسجد الذى بنى فى ريودى جنريو المدينة التى كانت عاصمة برازيل حتى عام ١٩٦٠ م وهذا المسجد الى الآن تحت البناء .

والمسلمون العرب فى برازيل منذ جيلين أو ثلاثة أجيال بعدوا عن الاسلام بعدا . فبالإضافة الى الجهل عن المبادئ الاساسية للدين ( فلا يقدر بعضهم حتى على تلاوة البسمة ) فقد بدأ الجيل الناشئ يندمج فى المجتمع البرازيلى الغير اسلامى بالزواج ( حتى الفتيات المسلمات يتزوجن بغير المسلمين ) فتنقطع بذلك صلتهم بالعالم الاسلامى . وشرب الخمر والاختلاط الحريين الجنسنيين كانا ضربا قاسيا على المجتمع الاسلامى . وتأثرت الحياة الاجتماعية للمسلمين بالتقاليد والعادات الغربية وانتشر هذا التأثير الغربى بسرعة بين أبناء الاسلام فقلما يراعى الاحتشام فى السلوك والملابس . ومع وجود جهود شخصية من قبل بعض المتدينين فان هناك حاجة ماسة الى احياء التقاليد والقيم الاسلامية وتمكين الروح الدينية فى نفوس المسلمين فى هذا البلد .

والمسلمون العرب فى برازيل يشكلون طبقة متخلفة نسبيا وتنحصر نشاطاتهم فى مجال التجارة والصناعة بدون أى تمثيل لهم فى البرلمان أو فى الجهاز الحكومى بينما المسيحيون من العرب البالغون عددا الى ٤ ملايين طبقة ثرية يحسب لها الحساب فى الحياة السياسية والاقتصادية لبrazil . فبالإضافة الى ٣٨ عضوا من أصل



عربى فى البرلمان الفيدرالى ، هناك وزيران فى مجلس الوزراء الفيدرالى وحاكم فى إحدى الولايات ورئيس القضاء الأعلى للدولة كلهم من أصل عربى ولانذكرهنا عدیدا من الأطباء والمهندسين والأساتذة الذين هم من أصل مسيحي عربى أيضا . ويقال أيضا أن تسعة من عشرة مليونيرات الذين هم من كبار أقطاب الصناعة فى برازيل أيضا مسيحيون عرب فانهم يمتلكون مراكز الاذاعة المسموعة والمريئة والصحف الأسبوعية . كما يعيش منهم فى برازيل بعض الكتاب ورجال العلم والصحافة .

ومع أن عدد اليهود فى برازيل لايزيد على ٤٥٠,٠٠٠ فان نفوذهم كبير وخاصة فى وسائل الاعلام . فانهم يمتلكون أهم الصحف البرازيلية وحتى فى المؤسسات الصحفية المسيحية فاليهود يمارسون تأثيرا بالغا فى نشر الأخبار وعرض الأفكار . والهنادكة تغفلوا أخيرا فى المجتمع البرازيلي مع عددهم الضئيل الذى لايتجاوز مائة وذلك بواسطة فرق اليوغا وهري كرشنا التى تمكنت خلال السنوات الأخيرة من اخراج مايزيد على ٢٤ كتابا فى اللغة البرتغالية .

وان انتشار هذه الطوائف الروحانية فى برازيل ان دل على شيء فانما يدل على فشل المذهب الكاثوليكي فى مواجهة التحدى الذى تمثله الأوضاع الفوضوية والتدهور الاخلاقى الذى استحوذ على المجتمع البرازيلي والذى يزداد خطورة بمرور الأيام . ولايختلف من هذا حال الدول الناطقة بالاسبانية فى هذه القارة . ومن أجل هذا الاضطراب العقلى والانحطاط الأخلاقى تبحث مجتمعات هذه القارة عن ملجأ ومأوى روحى لا يوجد الا عند الاسلام وهذا يحملنا مسئولية

تقديم تعاليم ديننا الحنيف أمام هذه النفوس المتعطشة . وادراكا لهذه الأوضاع ولاستعادة الرصيد الاسلامى الموجود فى هذه البلاد المتمثل فى الجالية العربية المسلمة ولصيانة أجيالهم القادمة من التغرب والانحراف والاندماج فى المجتمع الغير اسلامى وضعت رابطة العالم الاسلامى خطة لاحياء عمل الدعوة فى بلاد أمريكا اللاتينية فعقدت الرابطة مؤتمرها المحلى بترينيداد فى عام ١٩٨٧ م الذى توصل الى وضع مشروع انشاء اتحاد للجمعيات الاسلامية وبناء مساجد ومدارس ومراكز اسلامية حيث تتوفر أيضا تسهيلات الألعاب الرياضية للشباب التى تعنى أيضا باقامة مخيمات للشباب وتنظيم ارسال الطلبة المسلمين للدراسة فى الدول الاسلامية وبالحصول على مدرسين للعلوم الاسلامية . ولكن لم يبرز حتى الآن أى شئ من هذه المشاريع الى حيز التنفيذ .

وهناك مشروع آخر بالغ الأهمية يستحق العناية وهو اعداد وتوزيع الكتب الاسلامية باللغتين الأسبانية والبرتغالية . وفى برازيل بالذات هناك مليون مسلم بأشد الحاجة الى هذا نظرا لتغرب أجيالهم الناشئة من الاسلام ولخطر اندماجهم فى المجتمع الغير اسلامى كما أسلفنا . ويجب توفير الكتب الاسلامية والمجلات الدينية الى هؤلاء المسلمين باللغة الاسبانية والبرتغالية لتقوية صلاتهم الروحية والفكرية بالدين . فاذا بقيت هذه الجاليات الاسلامية الكائنة فى الدول الكبرى مثل ارجنتين وبرازيل غير قادرة على استيفاء هذه المتطلبات الدينية فكيف يتوقع منها أن تساعد وترشد أخواتها من الجاليات الاسلامية الصغيرة فى أماكن أخرى وهذا ما يؤكد ضرورة

توفير عدد مناسب من العلماء والائمة الى المسلمين فى برازيل و  
أرجنتين و يجب لهؤلاء الأئمة والعلماء أن يكونوا مضطلعين بعلم  
الشريعة ومقارنة الأديان المعاصرة كما ينبغى لهم أيضا أن يجيدوا  
اللغة الاسبانية البرتغالية بمستوى عملى على الأقل .

وان الفرض والامكانيات الموجوده لنشر دعوة الاسلام فى  
أمريكا الجنوبية ليست بأقل من أى مكان فى العالم الغربى . فان  
معظم الكنائس أصبحت خالية من أتباعها والناس كلهم يمرون بمرحلة  
الفراغ الروحى وكما يقول الكاتبان سيرل بيتس وباك فى كتابهما  
» امكانيات للمسيحة فى العالم « ( المطبوع فى نيويورك ، ص ١٧٤ )  
أن الانسان الأمريكى اللاتينى لا يتوجه الى الكنيسة لحل مشاكلة  
الروحية والمادية ، فان أغلبية سكان أمريكا اللاتينية مسيحيون  
بالتقليد فقط لا بالاعتناق والايمان فملايين من سكان هذه المنطقة  
يتيهون فى ظلمات الضلال الروحى فان لم نحمل الى هؤلاء دعوة  
الاسلام فسوف نكون مجرمين أمام الله تعالى . فان رغبة الناس قد  
اشتدت وازدادت فى التطلع الى الدين الحق خاصة بعد أن ظهر فشل  
الكنيسة المسيحية فى مكافحة الجرائم والقضاء على الانحلال  
الأخلاقى فى برازيل والدول الأخرى الناطقة بالاسبانية . كما يدل  
على ذلك اهتمام جامعة برازيليا بعقد ندوة عالمية حول » الحضارة  
الاسلامية « فى أكتوبر ١٩٨٠ م التى دعيت لمشاركتها جميع  
السفارات الاسلامية .

ان برازيل هى الدولة الوحيدة الناطقة باللغة البرتغالية فى  
أمريكا الجنوبية ولكنها بحجمها وعدد سكانها تساوى سائر الدول

الأخرى بمجموعها فى أمريكا الجنوبية . فمن الضرورى جدا أن نتخذ من هذه البلاد الواسعة معقلا للدعوة الاسلامية . ومع كونها بلدا كاثوليكية فانها لاتعيق منح التأشيرات الى المبلغين الغير كاثوليكين بشرط مراعاة الأنظمة واللوائح المحلية . فيجب علينا أن ننتهز هذه الفرصة وأن لا نفقدها .

وأما الوضع العام الذى يعيش فيه أهل الاسلام فى برازيل فليس على ما يرام من وجهة النظر الاسلامية . مع أن اخواننا يكسبون أموالا كثيرة ولكنهم قلما يلتفتون الى الجانب الدينى أو الثقافى للحياة . فباستثناء قليل من المساجد والمدارس لاتتوفر التسهيلات والامكانيات لتربية الأولاد الدينية . (فالأجيال الخديثة للمسلمين العرب تتلقى دراستها فى المدارس الحكومية ولا تتكلم اللغة العربية) . وغفل عن هذا الجانب الأساسى الآباء والأمهات لانهماكهم فى كسب الأموال وجلب المنافع المادية . فما أحوج هؤلاء المسلمين والمسلمات الى عناية العالم الاسلامى ومساعدته لاصلاح أحوالهم الدينية . وقد تم ابادة الجالية المسلمة الافريقية التى كانت معروفة فى التاريخ منذ عهد قديم فى اقليم باهية ولكننا علمنا من المصادر المطلعة أنه يمكن احياء هذه الجالية الاسلامية من جديد بالعمل التدريجى المخطط فالحاجة ماسة الى وجود بعض الشيوخ المسلمين الأفارقة من نائيجريا أو مالى ليقوموا باستعادة هذه الجالية السوداء فى باهية التى بلغت الآن الى حالة غفلة تامة عن الاسلام فاذا ما ذكر هؤلاء الناس بأن آباءهم وأجدادهم لم يكونوا مسلمين فحسب بل كانوا حملة لواء هذا الدين الحنيف فانهم ان شاء الله تعالى سوف يعودون الى

الاسلام مرة أخرى . ويجب انشاء مسجد مركز اسلامى فى باهية على الفور ليبدأ فى هذه العملية . فاذا عاد شعور هؤلاء الناس بالاسلام فهذا سوف يودى ان شاء الله الى احياء المسلمين فى الأقاليم ( الولايات ) المجاورة حيث يواجه المسلمون مشكلة قلة المرشدين والدعاة الاسلاميين .

وكان الجزء الشرقى الشمالى لبرازيل قاعدة للاسلام فى نصف الكرة الغربية فى مرة من المرات . وكان تجار العبيد الأوربيون يأتون بالعبيد الافارقة ليعملوا لهم فى حقول قارتى جنوب أمريكا وشمال أمريكا . وان كثيرا من هؤلاء الأفارقة كانوا مسلمين لما جاءوا أوجيئى بهم هنا فعملوا كل ما فى وسعهم للاحتفاظ بدينهم ولكن اضطهاد سادتهم كان مفرطاً لهم وكانت عيشتهم ضيقة ولم يكاد يتحملون هذا السلوك اللا انسانى فبمرور الوقت اندثرت فيهم آثار العقيدة الاسلامية لأنه لم يعد بالامكان نقل التراث الدينى من جيل سابق الى جيل لاحق . فمن هذه الدفعة (٢) الثانية من القادمين المسلمين لاترى الآن الا قلة ضئيلة فالمجموعة من المسلمين التى حافظت على اسلامها لمدة أطول نسبياً هى تلك التى اشتملت على المسلمين الأفارقة الذين جيئى بهم الى برازيل . فان هؤلاء المسلمين احتفظوا بدينهم طوال قرون عديدة وقد ثاروا على سادتهم عدة مرات خلال القرن التاسع عشر . ولكن الاضطهاد والتعذيب العنيفين من قبل السلطات البرازيلية قضت على هذه الثورات وعلى كل مؤسسة اسلامية فى البلاد وبالتالي أدت الى قطع صلات هذه المجموعات ، تدريجياً بالاسلام وتعاليمه . ولكنه مع كل هذا لا يفوت

أى زائر لباهية حتى اليوم الملاحظة أن بعضا من العائلات السوداء لازالت باقية على اسلامها . وان هذه العائلات المسلمة تتمتع بوضع اقتصادى جيد ولكنها تستنجد المسلمين للمساعدة والمساندة لتقوية وضعها الدينى . فان تلقت هذه المساعدة بدون فقد مزيد من الوقت فعسى أن يصبح أعضاءها حملة نور الاسلام فى قارة جنوب أمريكا مرة أخرى . وان من واجب المسلمين الذين يعيشون فى بلاد الاسلام الحرة أن يبادروا الى امدادهم وانقاذهم فان هؤلاء المسلمين السود فى باهية بلغوا مرحلة الانحلال والاندماج الى درجة أنه يستبعد بقاء الاسلام فيهم بدون المدد والسند من الخارج .  
أرجنتينا :

ان أرجنتينا هى أكبر دولة ناطقة بالاسبانية فى قارة جنوب أمريكا . وهى تجاور المحيط الأطلسى وجبال انديس (Andes) ويوروغوائى وباراغوائى من الجهات الأربعة . وان اقتصادها زراعى الى حد كبير ولكنها تملك رصيدا صناعيا كبيرا وتنتج فعلا كل الحاجيات التى تستهلكها . وسكان أرجنتينا عامة ، أناس أقوياء مفرمون بالرياضة . (٣)

ومساحة أرجنتينا ١٠٩٩٩٥ ميل مربع كما يبلغ عدد سكانها ٣٠ مليون نسمة نصف مليون منها مسلمون من أصل عربى . ( كما يوجد فى أرجنتينا مليون و نصف مسيحي عربى الذين يحتلون مراكز جيدة فى مجالات مختلفة . مع أنه يوجد فى برازيل فى مختلف مدنها ١٢ مسجدا ولكن أرجنتينا بأشد الحاجة الى المساجد . فلا يوجد هناك مسجد واحد فى أرجنتينا كلها ويوجد اقتراح بناء مسجد فى بوينوس

آنرس ( العاصمة ) وقد تم الحصول لهذا الغرض على قطعة من الأرض قبل سنوات عديدة ولكن مجلس الادارة ليس جديا فى الموضوع . ويقابل هذا وضع اليهود فى أرجنتين الذين لايزيد عددهم على عدد المسلمين ولكن مع ذلك فان لهم مالا يقل عن ٦٠ كنيسا و ٩٠ مدرسة مستقلة .

والمسلمون فى أرجنتين - ومعظمهم من المهاجرين من بلاد لبنان و الشام وفلسطين - قد اختاروا سنة الحياة الغربية ومعرفة كثير منهم بدينهم قليلة جدا وكذلك نسبة الملمين منهم باللغة العربية والناطقين بها ضئيلة وهكذا لا يوجد فى أرجنتين شئ من الأدب الدينى الا نادرا . والترجمة الاسبانية لمعانى القرآن الكريم الذى قام بها رافائيل كاستيتانوس أحد المسيحيين بالاشتراك مع أحمد عبود أحد المسلمين الشيعيين خطوة جيدة نحو هذا الاتجاه . وقد صدرت أخيرا طبعتها الثالثة ولكنها لا تحتوى على النص الاصلى وتقول المصادر المطلعة أن هذه الترجمة تحتاج الى مراجعة دقيقة قبل أن تقترح مطالعتها وتعرض على القراء المسلمين وغير المسلمين . وان خمس أهم مدن أرجنتين - بوئنوس آنرس ، وروزاديو وقرطبة وميندوسا وتكومان تحتاج على الفور الى العلماء المسلمين ليقوموا بتربية المسلمين تربية دينية وخاصة فى العقائد الاسلامية وأحكام الشريعة الضرورية حتى يميزوا بين الحلال والحرام ويعيشوا عيشة سالحة اسلامية حسب ماتقتضيه الشريعة . ان للمسلمين فى أرجنتين مبنى كبير للمركز الاسلامى ولكن لا يوجد لهذا المركز أى نشاط اسلامى تقريبا ماعدا اقامة

صلوة الجمعة التي لا يحضرها أكثر من (٣) ٣٠ أو ٤٠ شخصا . كما يحضر هذا المركز ٣٠ - ٤٠ من الاولاد الصغار ( ومعظمهم مسيحيون ) لتعلم اللغة العربية . ان الامام الحالى لهذا المركز الاستاذ ارشاد الاعظمى المنتدب من دار الافتاء أخ مسلم طيب من لكتو ( الهند ) ولكنه مع الاسف لا يعرف اللغة الاسبانية وهذا ينقص صلاحيته للعمل الاسلامى .

فالوضع الدينى لمسلمى أرجنتيننا لوضع خطير فعلا . وانهم مع وضعهم الاقتصادى الجيد متخلفون جدا من الناحية الدينية ويحتاجون الى اهتمام بالغ وارسال عدد كاف من الائمة والمدرسين والواعظين والدعاة المؤهلين من حيث معرفتهم بالاسلام من ناحية وبمقارنة الأديان المعاصرة والشئون الدولية العامة من ناحية أخرى . كما يجب أن يكون هؤلاء الدعاة مضطلعين باللغة الاسبانية حتى يكونوا قادرين جيدا على الاتصال والارتباط بالجالية التى يقومون بخدمتها .

ولا توجد فى بلاد أمريكا اللاتينية عامة أى تسهيلات لتوفير اللحم الحلال لاستهلاك المسلمين هناك . وان أرجنتيننا وبرازيل تصدران لحومهما بكميات هائلة الى الدول العربية وتضعان عليها علامة الحلال بدون أن تهتما بمراعاة أحكام الشريعة فى ذبح الحيوانات ولا توظفان أى جزار مسلم لهذا الغرض ونرى من ناحية أخرى أن اليهود يضمنون توفير لحم كوشر حيثما وجد منهم عدد ولو قليل . ولكن المسلمين الذين يعيشون فى مئات الالوف فى أرجنتيننا وبرازيل وكولمبيا وبيرو وتشيلي ووينيزويلا والمكسيك لا يبالون مع الأسف ، بتوفير اللحم الحلال لأنفسهم لقلّة غيرتهم الدينية ولبعدهم



عن الاسلام على مر العصور وكر الدهور وهذه الظاهرة ولو كانت تبدو أمرا بسيطا تمثل الصلات المتضعضعة لأهل الاسلام بأحكا. الشريعة وتشير الى تأثرهم بالحضارة الغربية . فهذه القضية أيضا من ضمن الأمور التي تدعو الى الاهتمام والعناية من الدول الاسلامية . ويجب علينا أن ننظم جهودنا ونضع خطة العمل للارشاد والدعوة لنكسب هؤلاء المسلمين المفقودين فى المجتمع الأرجنتينى ونأتى بهم مرة أخرى الى مخيم المسلمين ليلعبوا دورهم فى نشر الاسلام فى أمريكا اللاتينية حيث لم تعرض الى الآن رسالة الاسلام الخالدة التى هى رسالة السلام والسعادة على الوجه المطلوب لغفلة الحكومات والمنظمات الاسلامية .

وهناك أماكن كبيرة لنشر الاسلام فى أرجنتينا أيضا مثل أى مكان آخر فى فارة أمريكا الجنوبية . ولكن يجب قبل كل شى معالجة المسلمين الذين أصبحوا غرباء عن دينهم حتى لايقول الناس أن " الأولى بالطبيب أن يعالج نفسه أولا " فالاحصائيات التى طبعتها الحكومة السعودية عن الحج خلال عام ١٤٠٠ هـ ( ١٩٨٠ م ) تفيد بأنه لم يأت من أرجنتينا أحد لأداء فريضة الحج وأما من برازيل فلم يحضر الاثمانية حجاج فقط . فتجاوب هؤلاء المسلمين مع هذا الركن الأساسى للاسلام يكفى دليلا على بعدهم عن تطبيق أحكام الشريعة واقامة سعاتر الدين . فلذلك يجب أن لانضيع مزيدا من الوقت ونعمل فورا على اعادة تنظيم شئون المسلمين على الوجه السرى الأمثل و أن نضع خططا بعيدة المدى للدعوة والارشاد فى هذه المنطقة وأن نعتبر هذا الامر فى أعلى قائمة أولياتنا .

وهناك حاجة ملحة على فتح مراكز الدعوة فى جميع مدن أرجنتينا الرئيسية لنشر معرفة الاسلام . فان المسلمين من سكان أرجنتينا لا يشعرون اطلاقا بأهمية هذه الضرورة وهذا هو السبب وراء كون الاسلام غريبا فى هذه البلاد . فان من واجب كل انسان مسلم أن يتعاون مع اخوته المسلمين فى كل مكان على عمل الدعوة الى الاسلام وتعليمه وتبليغ كل آية تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالسنة النبوية ، على صاحبها ألف ألف صلوة وتحية التى أصبحت مجهولة ، يجب على كل مسلم احياءها ونشرها وتلقينها للآخرين فالالتزام بسنته عليه الصلوة والسلام هو الذى يقوى ايماننا بالله وريزينه .

ان حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها قضيت فى عمل دعوة الناس الى الاسلام وبعد أن ذهب عليه السلام الى الرفيق الأعلى أصبح عمل الدعوة مسئولية كل انسان مسلم على وجه الأرض وهذه المسئولية لا بد من أدائها على كل حال وعلينا أن نتبع فى أدائها خطواته عليه السلام . فان أول عمل قام به عند قدومه الى المدينة هو بناء مسجد والمسجد فى الاسلام ليس مركزا للصلوة والعبادة فحسب ( لان الأرض كلها جعلت مسجدا ) . بل انه فى نفس الوقت مركزا للتعليم والتنقيف و مركز للفلاح الاجتماعى ولتدبير كل أمر يتعلق بفلاح الأمة وصلاحها . فيجب علينا من حيث المسلمين أن نبذل جهودنا لتحقيق أمنية المسلمين فى بناء المسجد المقترح فى بوئنوس آئرس ، فهو المشروع الذى مضت عليها سنوات عديدة دون أن يدخل مرحلة التنفيذ . وننظر أيضا بعد بناء المسجد فى استعماله

لخدمة الدين على الوجه المطلوب ليؤدي المسجد دوره المأمول بمعناه  
الواسع كما ذكرنا آنفا حتى يكون هذا المسجد وسيلة حقيقية لتطبيق  
تعاليم الاسلام فى حياة المسلم الأرجنتيني ولدعوة الناس الآخرين  
الى الدين الخالص . ونؤيد هنا على ضرورة توحيد صفوف المسلمين  
فى أرجنتيننا ليقوموا بأداء مسئولياتهم الدينية بالتعاون والتناسق وانهم  
سوف يحققون هذه الغايات النبيلة ان شاء بتوفيق الله ونصرته اذا  
جمعوا شملهم وتعاونوا على البر والتقوى من خلال هذا المركز  
الاسلامى المقترح انشاءه فى أرجنتيننا التى هى مركز الاعصاب  
للقارة الأمريكية الأسبانية .

وينزويلا :

هى خامس أكبر دولة منتجة للزيت فى العالم . وهى عضو  
بارز فى منظمة ١٣ دولة مصدرة للنفط ( الاوبيك ) ومساحتها  
٣٥٠,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها يزيد على ١٤ مليون نسمة .  
دخل الاسلام هذه البلاد على أيدي المهاجرين العرب  
خلال النصف الاول من القرن العشرين . ويبلغ عدد سكانها  
المسلمين الى ٥٠,٠٠٠ معظمهم من أصل شامى وفلسطينى كما يوجد  
بينهم بعض المسلمين من شبه القارة الهندية . الباكستانية . ويسكن  
المسلمون غالبا فى كارا كاس ( العاصمة ) وفى المدن التالية :ماراكى  
ووالينسيا وماراكابو ومورون وما غاريتا . وقد أنشئ المركز  
الاسلامى لوينزويلا ( Centro Islamico de Venezuela ) فى عام  
١٩٧٢ م وهذا المركز عبارة عن كوخ اشترته الجالية الاسلامية  
ليستخدم كمصلى ومدرسة للأطفال المسلمين ( وفى الوقت الحاضر

هناك ٦٤ طفلا مسلما يدرسون على النحو التالي : خمس ساعات للمواد العادية وساعتين للغة العربية والدراسات الاسلامية ) ويعمل فى هذا المركز أيضا شيخ مصرى اسمه الشيخ مصطفى الحشرى من خريجي الازهر . وهو رجل صالح مخلص يتقن اللغتين العربية والفرنسية ومنذ خمس سنوات الماضية هو يعمل فى المركز كامام ويهتم بالسُّنن الدينية الأخرى . ويجدر هنا أيضا بالذكر شخصية اسلامية أخرى وهو الشيخ اسماعيل الرئيس الحالى للجمعية الاسلامية الذى اهتم بفتح دكان للحوم والبقالة حرصا منه على توفير اللحم الحلال للمسلمين كى لا يضطروا الى أكل مالم يذكر اسم الله عليه . فان هذا الشيخ يذهب بنفسه الى مركز الجزارة بعد منتصف الليل ليذبح البقرات والخرفان والدجاجات وان هذه التضحية الشخصية التى يقدمها الشيخ فى سبيل الاسلام لهو أمر يسر النفوس .

ان المركز الاسلامى ( Centro Islamico ) مؤسسة وحيدة تعمل فى كاراكاس . وهناك حاجة ماسة الى ايجاد مراكز مماثلة لتنظيم المسلمين هناك ولمساعدتهم على حماية الناشئة المسلمة من الانحطاط الدينى المزيد والتغرب التام عن الاسلام .

ان حكومة وينزويلا قد خصصت قطعة من الأرض بمساحة ٧٦٠٠ متر مربع لبناء مسجد فى مدينة كاراكاس منذ أكثر من أربع سنوات . ووضع حجر أساسى للمسجد فى ربيع الثانى ١٣٩٩هـ (الموافق مارس ١٩٧٩ م ) ولكنه لم يبدأ الى الآن بناء المسجد . وقد عوضت حكومة وينزويلا الساكنين الذين كانوا يحتلون هذه القطعة (التي خصصت الآن للمسجد ) تعويضا مناسباً ولكن بما أن المسلمين

لم يبادروا الى بناء المسجد على الفور لم يعد هؤلاء الناس مستعدين لمغادرة المكان ومازالوا يحتلونه . فنتيجة لهذا الوضع أصبح مشروع بناء المسجد أمرا غير مونوق به لكسل المسلمين المحليين ولا مبالاتهم . ونحن نناشد البعثات الاسلامية المفيمة فى كاراكاس أن تعمل سينا على الفور لازالة هذا التعطل القائم حتى يتم بناء المسجد المنتظر فى هذه البلاد النائية .

### سرينام

سرينام - التى كانت تسمى سابها بغيانا الهولديه . تقع على الساحل الشرقى الشمالى لأمريكا الجنوبية وهى تتوسط غيبسين آخرين . فعلى غربها تقع غيانا التى كانت تسمى سابها بالغيانا البريطانية كما تقع على سرفها الغيانا الفرنسية . وهى مجاور برازيل على حدودها الجنوبية كما تطل من الشمال على البحر الأطلسى . وهى تتسع على مساحة ١٦٠,٠٠٠ كلومتر مربع وتمتاز المنطقة بجمال طبيعى خاص وبمناخ استوائى . واستقلت سرينام فى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٥ م

. ويعارب عدد سكانها نصف مليون نسمة تقريبا . ونسبة المهاجرين الهنود فيها هى ٣٦٪ وهى تشكل أغلبية خفيفة بالنسبة الى الأفارقة الذين يشكلون نسبة ٣٤٪ كما تبلغ نسبة الأندونيسيين الى ١٨٪ ونسبة زواج الأدغال والهنود الأمريكيين الى ١٢٪ وأما البقية من سكان سرينام فهم صينيون وأوروبيون وأمريكيون ويهود .

وهناك مائة ألف مسلم فى سرينام ٣٠٪ منهم من أصل هندى و ٧٠٪ البقية من أصل أندونيسى . وفى السنوات الأخيرة أثار

الفاديانيون ( الاحمدية ) اضطرابا فى اذهان المسلمين وسوشوا  
فلوبهم بدعايتهم الخبيثة فالمسلمون فى هذا البلد يتمون غالبا الى  
طبقات متوسطة أو فقيره من الناحيه الاقتصادية . والمشكله الكبرى  
التى يواجهها أبناء الاسلام فى سريلام أيضا هو عدم وجود العلماء  
المطلعين والأئمة المؤهلين كما لاتوجد عندهم مكبات اسلامية أو دور  
العلوم الدينيه أو مراكز اسلامية . وهماك مايقارب ٧٠ مسجدا فى باراما  
ديبو ومناطق أخرى وهى نحت اشراف المسلمين من الجاليين  
الأندونيسية والهنديه . ومع شديد أسفنا نرى أنه لا يوجد بين هانين  
المجموعين أى اتحاد أو تناسق وقلما يفوم بينهما أى اتصال أو  
ارتباط وهذا يضر بمصلحة الاسلام ويتعارض مع مبدأ الأخوه  
والوحدة الاسلاميه . ولابد من تحسين هذا الوضع فان كثيرا من  
المساجد أصبحت خالية أو متعطلة للانساق الطائفى المؤسف بين  
فرقتى الديوبندية والبريلويه من المسلمين . ولا يوجد مسجد فى  
سريلام كلها غير واحد أو اثنين حيث تفام الصلوات الخمسة اليومية  
كلها بالجماعة . وهناك سبب آخر لعله حضور المصلين فى المساجد  
وهو أن كثيرا من العائلات المسلمة غادرت الى هولندا قبل استقلال  
سريلام مباشرة خوفا من التعسف والاضطهاد على أيدي الزوج  
الأفارقة كما حصل خلال مرحلة الاستقلال فى غيانا . فهناك حاجة  
ماسة الى جهود مكثفة للتبليغ حتى يمكن اعادة هذه المساجد الى  
وضعها الطبيعى السابق . ويمكن ملأ هذا الفراغ بارسال بعثات  
البدعوة الاسلاميه من الهند وباكستان وأندونيسيا .

ومع أن المسلمين فى هذا البلد ربع سكانها ولكنهم

لا يتمتعون بمكانة النفوذ على المسرح الوطنى بحكم نسبتهم القوية فلا يوجد لهم تمثيل كاف فى وظائف الحكومة ولا فى المؤسسات الأخرى . ويحتفل بعيد الفطر كعطلة وطنية ويحاول المسلمون أن يكون يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم أيضا عطلة رسمية . ويذهب من سريام كل سنة عشرون حاجا تقريبا لأداء فريضة الحج .

ان اتباع جميع الديانات يتمتعون بحرية العبادة فى سرينام . وتزداد رغبة الناس فى الاطلاع على الاسلام أكثر فأكثر وخاصة بين الأفاروه الذين ينتمون الى طوائف مسيحية مختلفة . ولكن الحاجة ماسة الى مساعدة الدول التى فيها أغلبية المسلمين ودعمها الفورى لحمايه العقيدة الاسلامية ولنسرها بين المتطلعين اليها . وهذه المساعدة مطلوبة فى صورة علماء الدين ومدرسين أكفاء فى مجال الشريعة ليميموا فى سريام مدة يدربوا خلالها الناس المحليين ويعدهم للقيام بوظائف الائمة فى المساجد ومدرسى القرآن الكريم واللغة العربية وأيضا بالتوجيه والارشاد فى الشؤون الدينية الخ .

فوضع السباب المسلم فى سرينام لوضع محزون للأسباب التى ذكر آنفا وأهمها نقص العلماء والكتب الدينية وقلة الوسائل المالية لتنظيم التربية الدينية للسباب والناشئة فى المساجد . ولابد من وفاية الشباب من تأسير النظريات الأجنبية والطوائف الهندوكية النشيطة فى هذا البلد . ومن ناحية أخرى نجد أن المبشرين المسيحيين يقومون بساط كبير فى سرينام ووراءهم فى هذا العمل كل عون ومدد من حكومتى هولندا والولايات المتحدة الأمريكية .

فجمهورية سرينام التى يسكن على ترابها أكبر مجموعة

- السكان المسلمين فى فارة أمريكا الجنوبية بأسد الحاجة الى مايلى :
- ١- العلماء والائمة ، والأشخاص المتدربون فى الشئون الدينية .
  - ٢- جامعة اسلامية مع مكتبة مزودة بجميع الكتب الضرورية فى المواد الاسلامية ومدارس تابعة لها تقوم بنسر النفاة والتربية الاسلامية وخاصة بتعليم العفيدة وأحكام السريعة .
  - ٣- مطبعة تعنى بطبع الأدب الدينى .
  - ٤- دعم مالى لانساء مركز لتدريب الدعاة فى باراماريو العاصمة .
  - ٥- فتح السفارات والفنصليات والبعثات التجارية للدول الاسلامية ( ولا توجد حاليا لآى دولة مسلمة بعة مقيمة فى سرينام ماعدا أندونيسا ) .
  - ٦- اتصال وارتباط دائم بالمنظمات الاسلامية فى الدول الاسلامية .
- د- نسيات اسلامية باللغة الهولندية ( وقد تفيد أيضا كتب وكتيبات دينية باللغتين الانكليزية والأردية لأنه يمكن ترجمتها الى الهولندية من قبل بعض المسلمين المحليين ) وباللغة — الاندونسية .
- وعدم توفر المواد المذكورة أعلاه يجعل عمل الدعوة والتربية الدينية صعبا للغاية . اذا لم نقل محالا واستيفاء هذه المتطلبات أمر يدعو الى الاهتمام الفورى بدون تضييع مزيد من الوقت وفى الوقت الحاضر يعمل فى سرينام منتدبان أندونسيان خريجا الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة بين مسلمى جاوا الذين يسكنون فى سرينام . ولا بد من وجود عدد أكبر من العلماء أمنالهما لرفع مستوى مسلمى سرينام الدينى . وتوجد هناك ثلاث تراجم هولندية للقرآن الكريم . انتان



منهما للأحمديين المنتمين الى الفرقتين للاهورية والربوية والترجمة الباله هي لأحد المستشرقين البروفيسور ج . اينس . كريمرز (J. H Kramers) فلا يوجد هنا أى أدب دينى ذوفيمة فى اللغة الهولنديه .

وهناك فى سرينام عدة طوائف هندوكية تعمل تحت سعارات الحركات الروحية الاجتماعية والحكومة الهندية تساعدوا وتساندها كما تسجع أيضا نشاط المراكز الثقافية الهندوكية كما يوجد للأحمديين أيضا نشاط فى الدعاية وهم يحتلون مراكز مهمة فى البلد فهناك شخص أحمدى يمتلك محطة مستقلة للاذاعة. فمن واجبنا نحن المسلمين أن نحى مسلمى سرينام من خطر النظريات الهدامة للاسلام . ولذلك نرى أن ضرورة انشاء مركز لتدريب الدعاة على الفور حاجة ملحة لمسلمى سرينام ويجب انجازة فى أسرع وقت ممكن قبل أن تتأخر كثيرا .

غيانا:

هناك ما يقارب مائة ألف مسلم فى غيانا . وهم يشكلون ١٠٪ من مجموع سكانها . وتوجد هناك أيضا جماعة للمعادينيين . فلهم جمعية ( باسم أحمديية أنجمن اشاعت اسلام ص . ب . ١٠٦٩٢ . جورج تاؤن ) فعالة جدا فى شبكة دعايتها .

ويوجد هناك ١٢٠ مسجدا . ٦٥٪ منها تقريبا بنيت بالقبة والمنارات وهذه المساجد منتشرة على طول الساحل الأطلسى لغيانا . وتوجد منها ستة مساجد فى مدينة جورج تاؤن العاصمة وتجاور بعض هذه المساجد مدارس دينية حيث تعلم قراءة القرآن الكريم والأحكام

## الشرعية الأساسية .

ويسكن المسلمون فى جميع مناطق الساحل الأطلسى لغيانا .  
ويشتغلون غالبا بالمهن التالية : الزراعة وصناعة السكر ( بالمصنع  
والمزرع ) والتجارة والوظائف الحكومية . ويحج من مسلميها كل سنة  
١٥ شخصا تقريبا . والاجراءات الحكومية التى تتخذ على طلبات  
الحج من المسلمين هى معقدة وطويلة الى درجة أنها تساوى الحظر  
بالفعل . ولكن المسلمين فى غيانا فخورون بدينهم وغيورون على  
عقيدتهم ويحاولون بكل اخلاص الدفاع عن دينهم وعن شخصية  
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد دعاية الأعداء الكفار الذين  
يحاولون دوما أن يشوهوا وجه الاسلام الصافى بأكاذيبهم وهفواتهم  
كى يضلوا الناس عن سواء السبيل .

يسمح للمسلمين فى غيانا الاحتفال بعطلتين وطنيتين فى  
يومى عيدالاضحى ومولد النبى عليه السلام . كما تمنح للعاملين  
المسلمين الرخصة لأداء صلوة الجمعة بناء على طلبهم ولكنه لا تتوفر  
فى المدارس أى تربية دينية رسمية ويتعرض الطالب المسلم للهجوم  
على عقيدته من قبل القوى المعادية للاسلام طوال أربع وعشرين  
ساعة من يومه . ولذلك هناك ضرورة ملحة على تنظيم التربية  
الاسلامية الخاصة للطلبة المسلمين من خلال تقوية المدارس  
الموجودة التابعة للمساجد التى ذكرناها آنفا . وتظهر فى هذا البلد  
منظمات اسلامية من حين وتتكامل مثل الفطر بدون أن تكون عندها  
أى جدية تجاه الاسلام وفضاياه وانه لمن ضرورات الساعة أن تقضى  
على خلافاتها وتتحد تحت لواء واحد لخدمة قضايا الاسلام

والمسلمين فى غيانا بفعالية ونشاط مجمع تحتاج اليهما الجالية الاسلامية أيضا احتياج .

ان المهاجرين الافارقة ( الذين جاء بهم المستعمرون البريطانيون لاستغلالهم كعمال زراعيين ) يشكلون ٤٠ ٪ من مجموع سكان غيانا . وانهم الآن بدأوا يتحررون من أوهام المسيحية ومن اباطيل الاستراكية اللتين فرضتا عليهم فرضا .

والاسلام هو دين أسلاف الأفارقة سواء أكانوا فى افريقيا أو خارجها فى الكيريبين أو فى شمال أمريكا أو فى جنوبها (٤) وعندما ما بعث الله تعالى رسوله بالهدى ابتداء دعوته بالعرب والأفارقة الموجودين فى الجزيرة العربية حتى انه لم تأت السنة الخامسة من بعثته عليه الصلوة والسلام الا وقد دخل الاسلام بلاد الحبشة فى افريقيا . وبفضل عزائم المسلمين الأفارقة وهمهم وتعاونهم مع اخوانهم العرب انتشر الاسلام عبر القارة الافريقى وفى انحاء العالم الأخرى خلال مدة قصيرة فى التاريخ . وأود الإشارة بهذا الصدد الى ما قاله الشيخ الحاج صلاح الدين بى . تاو أحمد العلماء المشاهير من غانا ان الاسلام هو أفضل دين للأفارقة فى كيريبين وبلاد أمريكا الشمالية والجنوبية لأنه ، هو الدين الوحيد الذى تمكنوا بفضلهم ومن أجله من استعادة تراثهم المفقود وكيانهم المجهول . فعسى أن يوفقه الله تعالى للعودة الى أصلهم الاسلام ، دين الانسانية جمعاء (٥) .

كولمبيا :

كولمبيا دولة واسعة تجاور برازيل ووينزويلا وايكوادور

وبانامه . وعدد سكانها ٢٥ مليونا ومنها مايزيد على ١٠٠,٠٠٠ مسلم وهم غالبا من مهاجرى الشام وفلسطين وجنوب لبنان . وقد جاء اللبنانيون الى كولمبيا قبل الناس الآخرين فى سنة ١٨٩١ م . وبعد ذلك كانت الهجرة انر انتهاء الحرب العالمية الأولى لما تدهورت الحالة الاقتصادية فى بلاد الشرق الأوسط هاجر كثير من الناس الى كولمبيا بحثا عن مصادر كسب الزرق . كما يعيش فى كولمبيا ٢٥٠,٠٠٠ مسيحيون عرب وهم فى وضع اقتصادى أحسن بالنسبة للعرب المسلمين .

ولكن الحالة الدينية لمسلمى كولمبيا سيئة جدا مع الأسف . فانه لا يوجد فى كولمبيا كلها أى مسجد أو أمام مؤهل . وتوجد فى ماكوربونا ونتورا غرفة أو غرفتان للصلوة ولكن لا توجد هنا أى ترتيبات لاقامة صلوة الجمعة . وما أحوجت الجالية المسلمة هناك الى هذه التسهيلات والترتيبات لتحسين أحوالها الدينية . وان المسلمين ناسدوا عدة مرات فى الماضى المنظمات الاسلامية الدولية المسئولة فى هذا الصدد ولكن كل هذه المناشدات لم تلق الا آذانا صماء عند المسئولين عن هذه المنظمات . ويجب على المسلمين أن يعملوا شيئا لأداء هذا الواجب الدينى فى الوقت الراهن قبل أن يطفأ نور الاسلام فى هذه البلاد .

ويجب هنا أن نعترف بفضل المسلمين المهاجرين من الهند والتزامهم بالدين فى دول أمريكا الجنوبية مثل سرينام ، وغيانا وترينيداد الخ . فان هؤلاء المهاجرين الهنديين بنوا مساجد يذكر فيها اسم الله وأنشأوا مدارس دينية حيثما ذهبوا واستوطنوا . فهناك

مائة ألف مسلم فى غيانا ( مثل عدد المسلمين العرب فى كولمبيا ) ولكن لهم مالا يقل عن ١٢٠ مسجد فى مختلف مناطق غيانا حيث تقام الصلوات الخمسة بالجماعة ولكن يقابل هذا وضع المسلمين فى كولمبيا الذين لا يملكون مسجدا واحدا فى كولمبيا كلها . وهذا يسير الى ابتعاد المسلمين العرب عن الاسلام ورغبتهم المفرطة فى جلب المنافع الاقتصادية . ومع الأسف الشديد يظل هذا الوضع قائما باستمرار فى كولمبيا ويقتضى أن يعالج فى أقرب وقت ممكن حتى يضئ نور الايمان فلوب جميع المسلمين من كل عرف ، ولون وخلفية تاريخية .

ومع أن كولمبيا دولة فقيرة ولكنها معروفة فى أمريكا اللاتينية للتهرب وتجارة المخدرات وقطع الطريق ومهربوا الحشيش يملكون مصانعهم و طائراتهم الخاصة وكل هذا نتيجة للنفوذ الصهيونى فى هذه البلاد . وهناك سفارتان مسلمتان فقط هما السفارة اللبنانية والسفارة المصرية . والمسلمون يعيشون غالبا فى جنوب كولمبيا . وفى بوجوتا ( العاصمة ) عددهم قليل . وهنا معظمهم تزوجوا بنساء كولمبيات ويوجد فى العاصمة نادى عربى - كولمبى . وكما يظهر من اسمه لا يعنى هذا النادى بالاسلام . وانشاء اتحاد وجمعية للمسلمين بدون أى أساس اسلامى لا يكون مجديا فالحاجة ماسة الى توحيد المسلمين فى كولمبيا على أساس كتاب الله تعالى وسنة رسوله .

تتسلى :

مع تتسلى على نهاية الطرف الجنوبى لغارة أمريكا الجنوبية و يبلغ عدد سكانها ١٢ مليون نسمة ويسكن فيها ٢٠٠٠ مسلم الذين

هاجروا من الشام وفلسطين ولبنان خلال العقدين الأولين من هذا القرن . وكثير منهم جاءوا وحدهم وتزوجوا بنساء تنشيلي المسيحيات . وكان هؤلاء المسلمون فى غفلة وجهل عن دينهم فاندمجوا فى المجتمع التنشيلي ولو لم يفقد المسلمون كيانهم الدينى بالزواج بالمسيحيات وبالارتداد لكان عدد المسلمين اليوم أكبر من خمسة آلاف .

وتوجد هناك جمعية اسلامية باسم ,, الاتحاد الاجتماعى لمسلمى تشيلي ,, ( Social Union Musulmana de Chile ). ويرأس هذه الجمعية الأخ توفيق رومية من سوريا . وهو يتلقى معونة رمزية رابطة العالم الاسلامى بمكة لدفع أجرة المبنى الذى يستعمل كمكتب وبيت للأخ المذكور . وتقام صلوة الجمعة فى حجرة سكنه ويقوم الدكتور عبدالسلام من مصر بالامامة . والدكتور المذكور يدرس اللغة العربية فى جامعة سانتياجو . ويتطلع الناس فى تشيلي الى معرفة شئى عن الاسلام ويقوم الأخ توفيق رومية بشرح بعض نواحي الدين والحضارة الاسلامية ويوفر لهم بعض المطبوعات عن الاسلام فى حدود امكانياته الضئيلة ..... ويهم بعض المسلمين الجديدين مستقبل أولادهم الدينى . وهناك مشروع لبناء مسجد ومدرسة لأطفال المسلمين ولكنه يحتاج الى معونة من الخارج . ويخشى أن هذه الجالية الاسلامية الصغيرة سوف تزول من الوجود ان لم يول اهتمام مناسب وفورى بالتربية الدينية للمسلمين وتعليمهم مبادئ منهج الحياة الاسلامى . وهذا مما يخشى حدوثها مع نهاية القرن الجارى . ويجب على السفارات الاسلامية الثلاثة المقيمة للسعودية ومصر وسوريا فى تشيلي أن تقوم بكل ما أمكن من عمل

بصورة فعالة للحيلولة دون هذا الزوال المستمر قبل أن يفوت الأوان .

بيرو :

ان بيرو بلد غنى و جميل يقع فى وسط أمريكا الجنوبية  
تقريبا ويجاور برازيل وتشيلي وبولوفيا وايكوادور . ويزيد عدد  
سكانه على ١٤ مليون نسمة .

والمسلمون فى بيرو أكثر من خمسة آلاف نسمة وهم ليسوا  
فى وضع جيد لانهم تنقصهم الوحدة كما تنقصهم الرغبة فى الدين .  
ومع أن حكومة بيرو حكومة كاثوليكية ولكن المسلمين يتمتعون  
بالحرية والاحترام مع كونهم أقلية . وهم غالبا مهاجرون من فلسطين  
ولبنان وسوريا واستوطنوا فى بيرو فى بداية القرن العشرين . وكان  
من هؤلاء المهاجرين الأوائل بعض المسلمين المخلصين الذين قاموا  
بجهود لنشر الاسلام فاعتنق كثير من السكان المحليين الاسلام  
نتيجة لجهودهم . ولكن وضع الجبل الجديد الدينى سيئ جدا . فلا  
يوجد مسجد أو مكان للصلاة فى بيرو كلها . كما لا توجد هناك أى  
تسهيلات لتعليم مبادئ الدين الاسلامى للأطفال المسلمين . ولا توجد  
أى ترتيبات حتى لأداء صلوة الجمعة وصلوة العيدين . ويوجد هناك  
نادى فلسطينى ( يضم العرب المسيحيين والمسلمين ) ولكنه يعنى  
بالدعاية السياسية فقط . وبالإضافة الى ذلك تتقوى الحركة البهائية  
نتيجة للحياة الغير اسلامية للمسلمين . والحاجة ملحة على اضاءة نور  
الايمان بين المسلمين كى لا ينطفئ تماما .

ويعتقد الأخ محمد على لوئيس ، أحد معتنقى الاسلام من  
بيرو والذى يدرس حاليا فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة أن

حاجة المسلمين فى بيرو أمس الى المدرسين والدعاة الاسلاميين من غير العرب ليعملوا على اعادة المسلمين الضالين الى الصراط المستقيم وعلى تنظيم عمل الدعوة الاسلامية بين سكان بيرو . وهناك ١١ مليون هنود حمر يفتحون على أى عقيدة تعرض عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة وهم يحتاجون الى من يهديهم الى طريق الاسلام وينبغى أن تهتم دار الافتاء بالرياض بالموضوع وتعتبره فى أوليات أعمالها وترسل فوراً مجموعة مخصصة من خريجي الجامعات الاسلامية لا الى بيرو فحسب بل الى دول أمريكا اللاتينية كلها حيث لم تفرس الى الآن شجرة الاسلام بين أهلها . ولا بد من انشاء مسجد أو مركز اسلامى على الأقل بأسرع وقت فى لاما لتنظيم شئون المسلمين على أساس الكتاب والسنة .

بولوويا :

هناك عشر عائلات عربية مسلمة فى لاباس العاصمة . كما يسكن فى سانتا كروث ، احدى المدن الرئيسية لبولويا ، بعض المسلمين . ولكن لا يوجد مسجد أو أى نشاط اسلامى من أى نوع . الأخ بياب خليل ( ص ب ٢١٦ ، لاباس ) شاب مسلم يحب أن يعمل شيئاً للاسلام فى هذا البلد . فنأمل من العاملين المسلمين والمنظمات الاسلامية المخلصة للاسلام أن تتصل بالأخ المذكور .

بيليث :

هناك مائة مسلم من أصل أفريقى وحوالى خمسين مسلماً عرباً ( وهم غالباً تجار من لبنان و سوريا ) فى هذه الدولة الواقعة فى



أمريكا الوسطى . والانكليزية هي اللغة الرسمية لأنها كانت مستعمرة بريطانية سابقا ولكن الأسبانية أيضا تنطق فى المناطق المجاورة لجوئتى مالا ومكسيك . وتوجد ترتيبات فى مدينة بيليث العاصمة لأداء صلوة الجمعة ويوجد هناك مشروع لبناء مركز اسلامى ايضا .

ويشكو الأخ محمد رئيس أحد معتقى الاسلام الشباب من بيليث أن الناس عندما يتحدثون عن المسلمين فى بلاد الكرييين ينسون بيليث مع أنها دولة ناطقة بالانكليزية مثل ترينداد وغيانا ومسلموها يستاقون الى الاتصال بسائر أبناء الأمة لتقوية التضامن الاسلامى وصلات الأخوة الاسلامية بهم . وأرسل الأخ نوري محمد امام البعة الاسلامية ( ص ب ٧٤٥ مدينة بيليث العاصمة ) الى كاتب هذه السطور رسالة يطلب فيها نسخا من خطبات رسول الله صلى الله عليه وسلم التى فمنها بطبعها مع ترجمتها الانكليزية كما يقول امام الجالية الاسلامية بناسانت فى رسالة أخرى تلقاها الكاتب أيضا :

« اننا بأشد الحاجة الى أى مواد مطبوعة تتوفر لديكم والتى

تساعدنا على كسب مزيد من المعرفة عن الاسلام ونرجوا أنكم لا تترددون فى ارسالها الينا » . وناسانت هى كانت تسمى سابقا بهندوراس البريطانية وهى لازالت شبه معتمدة على بريطانيا . وهذه المنطقة تمتاز بأ مطار غزيرة وغابات استوائية ومواصلات ناقصة . وعدد سكانها يزيد على نصف مليون نسمة .

فى كامبيناس بولاية ساؤ بولو ( بيرازيل ) فى ١ - ١٠ فبراير ١٩٨١ م قد برز جانب جديد للنشاط الاسلامى واذا توبع هذا العمل على خطوط سليمة فانه بالامكان مواجهة التحدى الذى ظهر بالوعى

الاسلامى الملموس فى بلاد أمريكا الجنوبية الوسطى . فان هذا المخيم الذى قامت ندوة الشباب الاسلامى العالمى بعقده قد أحدث وعيادينيا بين الشباب المسلم الذى كان يزداد غرابة عن الاسلام لتعرضه لأخطار المجتمع المسيحى الذى يحيط به وكان يخشى اندماج هذا الشباب فى المجتمع الغير اسلامى . ونحن نقترح انشاء مكتب دائم لندوة الشباب العالمى فى أرجنتيننا أو برازيل أو سرينام التى توجد فيها أكبر مجموعات السكان المسلمين فى أمريكا اللاتينية حتى يسهل تدريب الشباب المسلم للدعوة الاسلامية . وانشاء مؤسسة اسلامية مستقلة فى هذه البلاد سوف يكون مفيدا لثلاثة أغراض خاصة : هى ترجمة الكتب من العربية والانكليزية الى الاسبانية والبرتغالية . البحوث الاسلامية وتدريب الشباب المسلم للعمل فى مجال الدعوة . واذا تم انشاء هذه المؤسسة المقترحة ولو كان على نطاق متواضع فى البداية فى الدول الصغيرة مثل بيليث يكون بإمكان هذه المؤسسة تنسيق النشاطات الاسلامية مثل مخيمات الشباب والندوات العلمية والعروض وسوف تصبح المؤسسة نقطة الانطلاق لاهياء المسلمين فى هذه القارة .

جوتتى مالا :

ان جوتتى مالا هى أكثر الدول تقدما فى الصناعة والزراعة فى أمريكا الوسطى . وعدد سكانها ٧٢٠,٠٠٠ نسمة . وخمسون بالمائة من الناس المحليين هنود حمر ولكن الهنود الحمر المحليين لا يتمتعون بحقوق اقتصادية واجتماعية كاملة ولذلك هم ليسوا مقتنعين بوضعهم . وبين جاليات الهنود الحمر تعمل أربع طوائف عصابات

## ضد الحكومة بنجاح .

وتوجد لدينا شهادة وجود المسلمين العرب فى جوئى مالا ولكن لم يستعرض هذا الوجود الى الآن . وليت جماعة التبليغ الاسلامى تعد برنامجا للدعوة وترسيل بعثة من أعضاءها بطريق الشارع التى تبدأ رحلتها من ميكسيكو الى تشيلى حتى تغطى بهذا السفر جميع دول أمريكا اللاتينية وسوف تتوفر لهم فى هذه الرحلة فرصة دراسة أوضاع المسلمين وأحوالهم ومشاكلهم وامكانيات الدعوة الاسلامية فى هذه المناطق . وهذه البعثة سوف تلعب دورا مهما فى تخطيط مشروع لنشر دعوة الاسلام فى أمريكا اللاتينية. والمسلمون الأوائل الذين جاءوا الى هذا العالم الجديد ربما كانوا ملاحين مسلمين من لسبن فى برتغال الحديثة حسب ماقاله العالم الجغرافى الكبير الادريسى . كما عبر المحيط الأطلسى كثير من الحرفيين المسلمين المغلوبين على أمرهم والذين دخلوا فى فنانة أسبانيا الكاثوليكية مع اخوانهم الأندلسيين الذين أجبروا على الارتداد الى المسيحية . ومعظم هذه الرحلات ، كما يلاحظ الدكتورسى بى ارونج ، أحد الكتاب الكبار حول أسبانيا المسلمة ، تمت بصفة سرية وقام بها المسلمون باسماء خرافية غير اسلامية . ولم يكن يسمح عادة ( للمهاجرين أن يصحبوا أزواجهم ولكن مع ذلك فانهم — يمثلون السكان الأساسيين للمسلمين فى العالم الجديد وخاصة فى بلاد الكريبين والأندية .

ونحن نعتقد أنه لا بد لهؤلاء المسلمين العائشين فى هذه البلاد النائية أن يبادروا الى العمل الاسلامى بأنفسهم قبل أن

تساعدهم حكومة اسلامية ما أو مؤسسة تعليمية ما . ويجب أن يكون لكل مدينة من مدن أمريكا اللاتينية مسجد حيث يعبدوا الناس ربهم تضرعا وخفية . كما يجب بناء مقابر خاصة للمسلمين فى كل مدينة يسكنها المسلمون . ولا بد أيضا أن يتحرر نظام المدارس ومناهجها من اشراف حكومة فاتيكان .

ان مجموع سكان بلاد أمريكا اللاتينية يشتمل على ذرية الناس القادمين من افريقيا الوسطى وأسبانيا والشرق الأوسط الذين كانوا مسلمين من قبل لما كانوا فى أوطانهم وما أحوج علماء الاسلام اليوم الى أن يقوموا بدراسة أمريكا اللاتينية وكل دولة منها على حدة . حتى يعرفوا كل ٢٤ منها ويعيدوا كتابة تاريخها من جديد منذ الوقت الذى يسمى " باكتشاف " أمريكا على يد كولمبس وحتى قبل ذلك العهد . فالأخوة المغاربة الذين يعرفون الأسبانية سوف يشكلون كتية خاصة فى جند هؤلاء العاملين العلماء ويجب علينا أن لاننسى أن الأسبانية ليست لغة أسبانيا فقط بل انها لغة أمريكا الجنوبية والوسطى كلها باستثناء برازيل التى تتكلم البرتغالية . فاذا أريد كسب هذه البقعة من الأرض للاسلام فلا سبيل الى ذلك الا بواسطة الكتب حول تعاليم ديننا الحنيف التى نقدر على تقديمها اليهم بلغتهم حتى نخاطبهم بلسانهم لنبين لهم .

كوستاريكا :

كوستاريكا دولة ديموقراطية حقيقية بدون جيش لها . فالدولة لها أساتذة أكثر من رجال الشرطة وليست فيها أى مشاكل عرقية أو دينية . وهى تجاور نكاراجوا من الشمال وباناما من جنوب

الشرق . وعدد سكانها أكثر من مليونين . ومعظم سكانها من أصل أسباني . وواحد بالمائة منهم هنودو ٢٪ من أصل جيميكاوى .  
وصادراتها الرئيسية هى البن والموز ولحم البقر .

وهناك بعض المسلمين العرب ولكن عددهم الصحيح ليس  
بمعلوم على وجه الدقة وفى مدينة سان خوسى يوجد مركز اسلامى  
ويقوم امامه الأخ مصطفى محمد بجهود متواضعة لنشر تعاليم الاسلام

بانامه :

مساحتها ٢٨.٥٧٥ ميل مربع وعدد سكانها مليون ونصف  
وهى بلاد جبلية جميلة تنزل فيها الأمطار بغزارة . ومناخها  
حار ورطب طول السنة . ووسائل المواصلات فيها متقدمة . وقد زادت  
أهميتها لكونها ممرا مائيا دوليا يعتبر ( قناة باناما ) أحسن طريق  
للسفن الدولية من الناحية الاقتصادية منذ ظهوره فى عام ١٩١٣ م .  
وقد اكتمل مشروعه التذكارى الضخم بتكاليف ٣٨٧ مليون دولار  
أمريكى .

وطول قناة بانامه خمسون ميلا من المياه العميقة للمحيط  
الأطلسى الى المياه العميقة للمحيط الباسيفيكي . والسفينة العادية  
تعبرها فى تسع ساعات وتقوم لجنة قناة بانامه التى هى مؤسسة  
أمريكية حكومية ، بتشغيل القناة . ويتشغل فى اللجنة ٨٠٠٠ موظف  
طبقا لبنود اتفاقية قناة باناما ( التى تمت فى أكتوبر ١٩٧٩ م . وتعهدت  
الولايات المتحدة بتسليم القناة الى باناما فى ٣١ ديسمبر ١٩٩٩ م .

وبانامه دولة صغيرة جدا ولكن توجد فيها أربع مجموعات

عرفية متميزة من الهندود ( الحمر ) . وكان اكتشاف بانامه مقدمة له الهجرة اليها من خمس دول ونتيجة لهذه الهجرة أصبحت بانامه على حد تعبير أحد كتاب القصص من بانامه « بوتقة العروق » وأصبحت بانامه جمهورية مستقلة في عام ١٩٠٣ م وكانت قبل ذلك جزءا من كولمبيا . ويقول بعض الناس أن بانامه دولة اخترعت للاحتياج الى القناة . واليهود متغلبون على التجارة في بانامه . والبهاثيون أيضا ناشطون جدا . ولهم فيها معبد كبير . وهم يحاولون للتغلغل في أمريكا الوسطى والجنوبية وللتمكن في أرضها .

وقد وضع حجر أساس أول المساجد في أمريكا الوسطى في مدينة بانامة في شهر رمضان المبارك ١٤٠٠ هـ ( الموافق أغسطس ١٩٨٠ م ) وكان انشاء هذا المسجد نتيجة لجهود أحد التجار المسلمين المعروفين ( سليمان بهيكو من ولاية غجرات بالهند ) الذي يعيش هنا منذ خمسين سنة الماضية . وقد قدرت تكاليف بناء المسجد بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ دولار أمريكي وسوف يتسع المسجد لجلوس ٣٠٠٠ مصلى . وسوف يكتمل بناء المسجد خلال سنة وعندئذ سيكون لمسلمي بانامة الذين عددهم (٦) ١٥٠٠ مركزا دائما للعبادة بحول الله تعالى . وقد تقدم هذا المشروع الى الامام بمساهمة البعثة الدبلوماسية الليبية التي فتحت في بانامة أخيرا . فاشتركت هذه البعثة في تحمل تكاليف شراء الأرض وبناء المسجد مع الأخ سليمان - ١ - بهيكو المذكور الذي يمتلك عدة مؤسسات سياحية في بانامة .

وان مؤسسة الدعوة الاسلامية التي أنشئت في بانامة لنشر تعاليم الدين الحنيف ولتوحيد كلمة أهل الاسلام في هذا البلد تنتظر

التعاون من العاملين المخلصين فى حقل الدعوة فى أنحاء العالم الأخرى . وان أمير هذه المؤسسة ( أحمدى ف . بهيكو ، ص . ب . ٢٥٠٨ ، زونا ٣ ، بانامه ر - ب - ) مستعد للقيام بأى خدمة للإسلام فى هذه المنطقة .

ان ابتناس شعب بانامه من المؤسسات الدينية التقليدية ( المسيحية ) قد سبب تفرقا وتشتتا بين أبنائه وخيبة أمالهم . فانهم لذلك يميلون بالقوة الى اعتناق الاسلام فعلىنا أن ندعوهم اليه بالحكمة والموعظة الحسنة . فانهم يبحثون فى اضطرابهم عن دين يضمن لهم السلام والسكينة والارتياح . فنجاح الدعوة الاسلامية فى هذا البلد مرهون بالوقت . وامكانيات العمل فى حقل الدعوة تتسع فى القرن الخامس عشر .

وهذا ليس أمرا جديدا فى تاريخ الاسلام . فكان ٩٠٪ من سكان اندونيسيا بوذيون قبل ٥٠٠ سنة تقريبا ولكن الآن ٩٥٪ منهم مسلمون . كيف حدث هذا ؟ لقد حدث بفضل سبحانه وتعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام . وفى أمريكا اللاتينية أكثر من ٩٥٪ من سكانها مازالوا مسيحيين ولكن هل يتصور أنه يأتى يوم تدخل فيه أغلبية أهل القارة فى السلم كافة ؟ وما ذلك على الله بعزيز .

واذا بينا للناس فى أمريكا اللاتينية المنافع والمحسن الأخلاقية والروحية والاجتماعية لاعتناق الاسلام وعضوية الأمة الاسلامية العالمية سيكون تجاوبهم عظيما وسوف يصبحون وسيلة ذات أهمية استراتيجية كبيرة فى ادخال جموع من الناس فى الأخوة الاسلامية الكروية . والاقبال العام على الدين الحق سوف

يكون حتمية تاريخية بمرور الزمن انشاء الله تعالى .  
المكسيك :

المكسيك هي دولة ناطقة بالأسبانية تقع فى قارة أمريكا الشمالية ولها حد طوله ٢٠٠٠ ميل مع الولايات المتحدة الأمريكية . وقد فقدت المكسيك نصف أراضيها الى الولايات المتحدة فى ١٨٤٨م ولا زالت فى ذاكرة الشعب المكسيكى التجربة المرة لاستغلال الشركات الأمريكية للعمال الرخيصين وللموارد الغزيرة الأخرى . ولكنه منذ عام ١٩٧٢ م لما ظهرت خزائن الثروة البترولية واحدة بعد الأخرى فى المكسيك حاولت الولايات المتحدة مغازلة الصداقة العميقة مع هذه الدولة الغنية لتضمن توفر « الذهب الاسود » (البترول ) بثمان بخس لبقى اقتصادها « صحيحا » و « غنيا » و « حكيما » .

وهناك عدد قليل من المسلمين ( ٣٠٠ - ٢٠٠ ) فى المكسيك يشتملون غالبا على الدبلوماسيين من الدول الاسلامية . وتوجد هناك فى الوقت الحاضر تسع سفارات للدول الاسلامية فى المكسيك بما فيها سفارة نائيجريا أيضا ولكن المؤسف المؤلم أنه لا يوجد أية ترتيبات حتى لأداء صلاة الجمعة فى العاصمة . ولا بد هنا من وجود اسلامى منظم لأهمية هذه المنطقة . وينبغى أن لا ننسى أن المكسيك هي ثالث أكبر دولة فى القارة الأمريكية من حيث عدد السكان ( ٧٠ مليون ) . وينبغى انشاء مركز اسلامى فعال هنا ليعمل على توحيد الجالية الاسلامية ولتنشر دعوة الاسلام بين شعب المكسيك الذى ينتظر دعوته لاشعوريا .



وبعد مضي سنوات على الاهمال الخجل للهنود الحمر البالغين عددا الى عشرة ملايين ، بدأت المكسيك فى محاولاتها لتحسين حالتهم البائسة وسوف تساعد البترودولارات العائدة من صناعة النفط المؤممة على هذه العملية . ولكن المسئلة هى فى جوهرها مشكلة الاحتفاظ بهوية كل من الحضارات المختلفة الموجودة فى البلاد فللناظرين السائحين يشكل الهنود الحمر جزءا رائعا من التاريخ المكسيكى . ولكنهم فى أعين المكسيكيين ليسوا أكثر من أناس حمقاء وانجاس وكسالى . ولكن الواقع أنها قضية شعب بدائى أغارت عليه الحضارة الغربية ودمرته ففى الاسلام ودعوته جاذبية كبيرة لهؤلاء البائسين المضطهدين وأسرع ما نتحرك فى تبليغ الدعوة اليهم ليكون أحسن وأيقن لنجاحنا ولنجاتهم .

ترينداد :

هناك مايقرب من ١١٥,٠٠٠ مسلم فى جمهورية ترينداد وتاباجويلهم ٧٠ مسجدا . ولكن المسلمين أقلية فى ترينداد (ونسبتهم فى سكانها ١٠ ٪ ) وأما نسبة الجماعات الدينية الأخرى فهى على النحو التالى : المسيحيون الكاثوليك ( ٣٠ ٪ ) والهنداكة ( ٣٠ ٪ ) الانجليكية والطوائف المسيحية الأخرى ( ٢٠ ٪ ) . وبالإضافة الى الجماعات الدينية المذكورة هناك بعض المنظمات التى تنبت من حين لآخر وتجد فى هذه الجزيرة أرضا خصبة لنموها أمثال سائى بابا وحركة هرى كرشنا التى جلبت اهتمام بعض الجبهة من المسلمين فالتفوا حولها .

وهناك حاجة شديدة الى نشر معرفة الاسلام الصحيحة

وترسيخ عقيدته وسلوكه فى حياة المسلمين . كما يفقد مسلمى ترينداد كأخوتهم المسلمين فى بلاد الكريبيين الأخرى الاتصال الدائم مع العالم الاسلامى ليستفيدوا من العلماء والدعاة الخبراء من أجل توجيههم وجهة اسلامية صحيحة فى القيام بمسئولياتهم الدينية تجاه الجالية الاسلامية فى ترينداد .

كما تحتاج الجالية الاسلامية فى ترينداد الى العلماء المضطلمين باللغتين العربية والانكليزية بالاضافة الى معرفتهم وخبرتهم فى مجال الدعوة . ويجب أن لا يكون هؤلاء العلماء من أتباع أية منظمة وأن يؤكدوا فى عملهم على نشر عقيدة التوحيد وتمكينها فى نفوس المسلمين وازالة أوهام البدع والضلالات التى سممت أفكار بعضهم ويستحسن لهؤلاء الدعاة أن يعرفوا كيف يختلطوا مع عامة الناس وأن يكونوا متواضعين فى سلوكهم . ومن الأفضل محاولة ايجاد الدعاة من نفس الدول التى يعملون فيها ولذلك يجب أن تخصص لطلبة الأقليات المسلمة مقاعد ومنح أكثر فى الجامعات الاسلامية وخاصة السعودية وتقدم لهم المعونات المالية بحيث أنها تكفى لهم ولعائلاتهم ( أى تكفى لتسديد نفقات كل طالب وزوجه وأولاده ) .

وجمهورية ترينداد بلاد غنية بكميات هائلة من الزيت الذى يصدر الى الخارج مع الأسفلت والنجيل ويشكل السود من الأصل الافريقى مجموعة كبرى فيها . فنسبتهم تبلغ الى ٥٠ ٪ وتليها المجموعة الهندية الأصل ( ٤٣ ٪ ) وأما نسبة البيض والمخلوطين فهى ٧ ٪ . ومعظم الأفارقة مسيحيون لأن ثقافتهم الاسلامية دمرت من قبل

القوة الاستعمارية . وجيئى بالهنود هنا لاستغلالهم كعمال وكانت رتبهم دون العبيد بقليل وكان يسمح لهم بالبقاء على تراثهم الدينى والثقافى . وتاباجو متنزه سياحى . وفيها ٢٠٠ - ١٥٠ مسلم ولكن لا يوجد لهم مسجد . وهناك مشروع لبناء مسجد / مركز اسلامى وقد تم له شراء قطعة أرض من قبل الجالية الاسلامية هناك .

ان السفارة الوحيدة المتواجدة للسعودية فى جميع بلاد أمريكا الوسطى والكيريبيين لمنح تأشيرات الحج هى فى وينزويلا . فالمسلمون من جزيرة ترينداد وغيانا والآخرى من سرينام يضطرون كل عام الى السفر الى وينزويلا للحصول على تأشيرة الحج كى يسافروا الى الحجاز . وبعض المسلمين السريناميين يسافرون حتى الهولندا للحصول على تأشيرة السعودية . كما أن بعض المسلمين الآخرين من غيانا وجزر ترينداد وتوباجو يسافرون عبر لندن حيث يأخذون التأشيرة فى طريقهم الى السعودية . ( لاحظنا أن المسلمين فى المناطق الريفية أكثر تواضعا وتصبغا بالنسبة للمسلمين العائشين فى المدن ) .

• باهاماس :

ان باهاماس مجموعة ٧٠٠ جزيرة تمتد من جنوب شرق فلوريدا ( الولايات المتحدة ) الى شمال غرب كوبا وعدد سكانها ٢٥٠,٠٠٠ نسمة تقريبا . ومدينة ناساو ، عاصمة باهاماس ، هى مركز جميع النشاطات فى باهاماس . وهى من أكبر مراكز السياحة فى نصف الكرة الغربية و ٧٥ ٪ من الدخل القومى يحصل من السياحة بعد التجارة المصرفية .

وبعد ٣٠٠ سنة من الحكم الاستعماري نالت باهاماس استقلالها في يوليو ١٩٧٣ م . ويشتمل اليوم ٨٥ ٪ من السكان على ذرية العبيد الأفارقة المسيحيين وهم المستولون على الحكم .

ودخل الاسلام باهاماس قبل ١٢ سنة على أغلب الظن وعدد المسلمين الآن أقل من مائة ولكن هذه الفئة القليلة من أبناء الاسلام تحتاج الى دعم كبير لتقوية ايمانها وترسيخ عقيدتها وتوحيد صفوفها للعمل على تعليم الدين الحق . « وجماعة الاسلام » هي المنظمة الاسلامية الوحيدة في باهاماس التي تم انشائها قبل ثلاث سنوات وهذه الجماعة تكافح لاعلاء كلمة الله في هذه البلاد النائية وتستحق من المسلمين كل عون ومسد في صورة النشريات الاسلامية والمدرسين والدعاة . واذا تلقت جماعة الاسلام المساعدة المطلوبة فانها ستكون أقدر على نشر دعوة الاسلام في كومنويلث باهاماس كلها .

باربادوس :

أن عدد السكان المسلمين في هذه الجزيرة الواقعة في غرب الهند ١٠٠٠ نسمة فقط بينما تبلغ مجموعة سكانها الى ٣٥٠,٠٠٠ نسمة و كثير من هؤلاء المسلمين من أصل هندي كما ينتمى بعضهم الى جزر الكيريبين المجاورة . وقد اعتنق ٣٠ شخصا من السكان الاصليين الاسلام أخيرا . و ٩٩ ٪ من السكان تحتوى على أناس من أصل أفريقي الذين جاء بأبائهم الاستعمار الغربي من افريقيا كعبيد خلال العهد الاستعماري .

هناك مسجدان في مدينة برج تاؤن اللذان بنيا قبل ٢٠ عاما.

وفيه نشاط لا بأس به لجماعة التبليغ التي يشرف عليها أميرها الشيخ محمد يوسف الهندي ( رقم الهاتف : ٦٨٧ ٦٧ ) وترسل الجماعة بعثات المبلغين الى الجزر المجاورة مرة كل سنة . وبتوسع الجالية الاسلامية مست الحاجة الى ايجاد مركز اجتماعي للجالية ليهتم بالتعليم الاسلامي والنشاطات الرياضية والاحتفالات الأخرى . فأنشأ في يناير ١٩٨١ م مركز اسلامي في كرائست تشرش (( Church Christ ) قرب مدينة برج تاؤن . وتحقق هذا بالدعم المالي من قبل الحكومة السعودية وبعض الأشخاص السعوديين وبعض الشخصيات الاسلامية في ترينداد وباربادوس . ونرجو أن هذه الجهود المخلصة سوف تثمر بنتائج طيبة وسوف تؤدي الى انشاء أول مدرسة أو كلية اسلامية في باربادوس .

جيميك :

دولة جيميك التي استقلت من بريطانيا في ١٩٦٢ م تشتمل على مساحة ٤٤١١ ميل مربع وعدد سكانها مليون . وانها تعتبر لؤلؤة الكيريبين بأرضها الخصبة ومناظرها الطبيعية الجميلة وهي تجلب أنظار السائحين من كل مكان .

وتهب الرياح السياسية في الكيريبين يمينا وشمالا . وقد ظهرت في هذه السنة أو استمرت في سبعة أقاليم التي هي عبارة عن جزر حكومات تتراوح اتجاهاتها من الاعتدال الى المحافظة . وقد وقع تغيير جوهرى في جيميك عندما صوت المواطنون لعزل حكومة الوزير الأول اليسارى الموالى لكوبا ميتشيل مانلى التي دامت ثمانى سنوات بعد أن أشرفت هذه الجزيرة الرافهة على الافلاس .

وقد خلف مانلى ادوارد سيجا الذى هو اقتصادى وقائد حزب العمال فى جيمىكا . وهو وعد شعبه بعد تسلمه زمام الحكم بأنه يوطد العلاقات مع الولايات المتحدة لاعادة بناء اقتصاد الجزيرة . وان انتاج الموز هو من أهم مصادر كسب العملة الأجنبية ويليهِ انتاج كوكوا وقصب السكر . والحكومة الجديدة اتخذت قرارا تعتبر بموجبها العملة الأجنبية العائدة من تجارة ماريخوانا شرعية وتقدر عائداتها الى بليون دولار أمريكى (٨).

ويزيد عدد المسلمين فى جيمىكا على ٢٥٠٠ وهم بأشد الحاجة الى المساعدة للمبادرة فى عمل الدعوة وتنظيمها فى هذه المنطقة . وهناك مسجدان أحدهما فى سينت كاثرين والآخر فى ويست مورلاند . وتمس الحاجة الى انشاء مساجد أخرى لاستيفاء المتطلبات الدينية والروحية للجالية الاسلامية .

كوراكوا :

وتقع هذه الجزيرة الجميلة ، التى هى لازالت مستعمرة هولندية ، فى الكيريبين قرب الساحل الشمالى لوينزويلا . ومن أهم مصادر دخلها مصفاة الزيت ، والملاحة والفوسفيت والملح والبرتقال . ومساحتها ٢١٠ ميل مربع وعدد سكانها ربع مليون .

وهناك ٢٠٠ مسلم فى كوراكوا ومعظمهم من أصل لبنانى . ولهم مسجد جميل فيه امام جيد من خريجى الأزهر ولكنه لا يوجد مع الأسف ، نشاط اسلامى بالمستوى المطلوب فى هذه الجزيرة . ويمكن للدعاة المسلمين من الخارج أن يوقفوا هؤلاء المسلمين من سباتهم .

### برمودا :

وهى مجموعة جزر بريطانية وتقع فى شرق جنوب كيرولائنا بالولايات المتحدة وهى تعتبر متنزه محبوب لدى الأمريكيين خلال موسم الشتاء .

ويوجد حسب معلوماتنا ٣٠٠ - ٤٠٠ مسلم فى برمودا . ويوجد مسجد - مركز اسلامى أيضا فيها . وهناك حاجة الى تدريب عملى أكثر على الحياة الاسلامية لمسلمى برمودا الذين أكثرهم معتنقون جدد للاسلام .

### غرناطة ( Grenada ) :

وهى جزيرة صغيرة ولكنها من أجمل الجزر الواقعة فى الكيريبين . ولها مساحة ١٣٣ ميل مربع وهى كلها مغطاة بغابات مكثفة وجبال ومن أهم انتاجاتها الزراعية الفواكه وكوكوا والتوابل . وعاصمتها سينت جورج . واستقلت غرناطة التى كانت مستعمرة بريطانية من قبل فى مارس ١٩٦٧ م . ومعظم سكانها البالغ عددهم الى ١٠٠,٠٠٠ من أصل زنجى غالبا .

### دومينكا :

ان كومنلوث دومينكا تقع فى غرب الهند وهى منتشرة فى مساحة ٣٥٠ ميل مربع وعدد سكانها ٩٠,٠٠٠ نسمة . ونالت استقلالها فى ٣ نوفمبر ١٩٧٨ م ودخلت فى هيئة الأمم المتحدة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٧٨ م وأهم انتاجاتها الفواكه والتوابل والسكر . ومدينة روزو هى العاصمة .

وهناك خمسون مسلما فى هذه الجزيرة التى أغلبية سكانها

مسيحيون ( ٩٩٪ ) والمسلمون هم الذين اعتنقوا الاسلام خلال ٦-٧ سنوات الماضية . ومعظم هؤلاء المسلمين يجتمعون للصلوات اليومية وصلوة الجمعة فى بيت أحد الأخوة . وهذه الجماعة القليلة من المسلمين تحاول فى حدود امكانياتها المحدودة لنشر دعوة الاسلام بين السكان المحليين وهم بحاجة الى أى نوع ممكن من الدعم الخارجى . فانهم يريدون انشاء مركز اسلامى لينشروا من خلاله تعاليم الدين الحنيف بين الأوساط الشعبية بعمل منظم . وليس بين هذه الجماعة أى عالم ولا مسجد ويتوفر لديهم قليل من الأدب الاسلامى ولا يتزودون بالمعرفة أساسية بالاسلام فجل زادهم التقوى والايمان بالآخرة . ويمكن تنظيم العمل فى مجال الدعوة هنا بإقامة مركز اسلامى يديره ، ويسهر عليه اخوة متفرغون تحت اشراف وتوجيه من العلماء طبقا لتعاليم الكتاب والسنة .

سينت وينسنت ( St. Vincent ) :

ان هذه الجزيرة الواقعة فى غرب الهند لازالت مستعمرة بريطانية وهناك ٣٠٠ مسلم تقريبا حسب معلوماتنا ويوجد هناك مسجد ولكن تنعدم التسهيلات الدينية الأخرى . وبعض من المسلمين ملتزمون بالاسلام ولكن بعض الآخرين يتطلع الى معرفة أكثر والاهتداء بنور الاسلام . و ٩٥٪ من المسلمين من أصل أفريقى ومجموع سكان الجزيرة يبلغ ١٠٠.٠٠٠ والانتاجات الرئيسية هى السكر والقطن والفول السودانى .

بويرتوريكو :

سلمت أسبانيا هذه الجزيرة الواقعة فى غرب الهند الى



الولايات المتحدة الأمريكية فى ١٨٩٨ م . وهى ترتبط بعلاقات كومنولث الحرة مع الولايات المتحدة الأمريكية منذ ١٩٥٢ م . وأهم انتاجاتها السكر ، والتبغ والأقمشة والحديد والمعدن النفيس والملح والرخام والطين الأبيض الخ . وعاصمتها هى سان خوان .

ومجموع مساحة بويرتوريكو يبلغ الى ٣,٤٢٣ ميل مربع ويزيد عدد سكانها على ثلاثة ملايين نسمة . وهم غالبا من أصل وأروى ويميلون الى الاسلام ميلا ملموسا ويمكن كسبهم وادخالهم فى الاسلام بعمل منظم وجهد متواصل .

أن أمريكا اللاتينية تشهد فى الوقت الحاضر اضطرابا روحيا وسياسيا والناس يعانون من فراغ روحى وفوضى فكرى بالأخص شبابهم . ففى هذه الظروف توجد فرص كبرى لنشر الاسلام فى هذه البقعة من الأرض وينادينا الاسلام فى أمريكا اللاتينية أن تنصره بالرجال والمادة وهناك ركام هائل لانجاز أعمال الداعية المسلم .

والشعب الأمريكى اللاتينى مبتشس وملول من الديانات والفلسفات التافهة التى وضعها الانسان والتى أحله دار البوار . وهو بدأ الآن يبحث عن بديل أحسن لهذه الديانات والفلسفات الذى يضمن له الأمن والاستقرار والسكينة والارتياح . ولا يروى هذا العطش الروحى الا الاسلام . ولكن الواقع المؤسف هو أنه لم يهتم الى الآن أى داع من دعاة الاسلام بهذه البلاد وأهلها اهتماما جادا ولم يتوفر الى حد الساعة أى أدب اسلامى بلسان العصر المقنع باللغتين الأسبانية والبرتغالية لهذا الشعب الحائر الباحث عن طريق الحق .

فنرى من ضروريات الساعة بذل جهود مكثفة لانشاء مراكز اسلامية فى طول أمريكا اللاتينية وعرضها على أن يقوم بإدارتها نخبة من العاملين الصالحين المخلصين فى دعوتهم الى الله فى هذه البلاد النائية فان سعادة الاسلام لم تبلغ الى الآن هؤلاء الناس لمجرد غفلة الدول الاسلامية وكسلها حكومات وشعوبا ومنظمات .

ومما لاشك فيه أن الاسلام هو الحل الوحيد لجميع مشاكل سكان هذه القارة الذين لا ينتمون غالبا الى اية ديانة بصورة رسمية بالرغم من الجهود المنظمة المتواصلة المبذولة من قبل البعثات التبشيرية المسيحية منذ عدة قرون ماضية . ويعلق المراقبون الغير متحيزون الآن أن الكنيسة المسيحية تشن حربا كتبت فيها هزيمتها .

واذا نظرنا الى أمريكا اللاتينية من ناحية حجم نسبة السكان المسلمين ( التى لا تزيد على ثلاثة ملايين فى مجموعة سكان ٣٠٠ مليون ) لوجدنا أن الواقع الحالى ليس فى صالح الاسلام . فترتب على المسلمين مسئولية ضخمة فى نشر دعوة الاسلام وكسب الشعب الأمريكى اللاتينى فى معسكر الاسلام . وأهم وسيلة فى تحقيق هذه الأمنية هى تمثيل المسلمين بالسيره والسلوك الاسلاميين وبدون هذا التطبيق العملى للأخلاق الاسلامية فى حياة المسلمين انفسهم لا يمكننا أن نأمل مستقبلا للاسلام فى هذه المنطقة .

وفى كسب أمريكا اللاتينية للاسلام تترتب على الدول الاسلامية الغنية المسئولية الكبرى فان عليهم أن يبادروا الى تمويل نشاطات الدعوة الاسلامية فى هذه القارة كما تتفق الدول الأوروبية

والولايات المتحدة الأمريكية على عمل التبشير المسيحي واذا نجحنا بتوفيق الله ونصره ، فى تحريك عجلة الدعوة الاسلامية على الخط التقويم فنحن سوف نرى الناس يدخلون فى دين الله افواجا و سوف تكون هذه القارة حصنا منيعا للاسلام فى نصف الكرة الغربية وان شاء الله سوف يأتى هذا اليوم فى حياتنا عندما نرى رؤية الاسلام ترفرف على ربوع أمريكا اللاتينية وسهولها وجبالها وأوديتها ويومئذ تتحقق سعادة كبرى لا للمسلمين فحسب بل للأمة الانسانية قاطبة .

\*\*\*\*\*

## المراجع

١- فأقيم أول مخيم لشباب لأمريكا الجنوبية في ساؤبولو ( برازيل ) في فبراير ١٩٨١ م تحت رعاية كل من ندوة الشباب العالمية والأمانة الاسلامية بجدة .

٢- كانت الموجة الأولى لقدم المسلمين صادفت اكتشاف القارة الأمريكية . وهناك شهادة قوية من التاريخ تدل على أن المسلمين الأندلسيين زاروا القارة الأمريكية قبل الأوروبيين بكثير ( الشبان المغرورين ) ومن المعروف أيضا أن مكتشفى طريق يعرفوا أمريكا من أسبانيا وبرتغال قد استعانوا بالملاحين المسلمين الأندلسيين الذين كانوا يعرفون عروض البحار أكثر من غيرهم وإن بعض المكتشفين كان من أصل اندلسي ( وربما كان مسلما سرا ) كما هو أيضا معلوم تاريخيا أن المهاجرين الأندلسيين المسلمين في الرباط وساله ( Sala ) على الساحل المغربى قادوا الحرب ضد السفن الأسبانية والبرتغالية في المحيط الأطلسي حتى سواحل الكريين . وعندما بدأ استعمار الأوروبيين لأمريكا الجنوبية والشمالية اندفع المسلمون الأندلسيون أفواجا مع الجيوش الأسبانية والبرتغالية الى القارة الجديدة وهم يحملون أسماء مسيحية التي فرضت عليهم . ولكن كثيرا منهم احتفظوا بدينهم الاصلى كما تدل عليه الأحكام القضائية للاستجواب القاسى . الصادرة من الامبراطور البرتغالى للمستعمرات البرازيلية ضد الأندلسيين . والنسب نفذت ضد الأندلسيين في المستعمرات البرازيلية . وهؤلاء المسلمون الأندلسيون وصلوا الى مايسى اليوم بأريزونا وفلوريدا وكاليفورنيا وإن هؤلاء المسلمين قد هاجروا من أوروبا خوفا من الاستجواب القاسى من الأسبانيين والبرتغاليين ولكنهم تعرضوا في أمريكا لنفس الاضطهاد والتعذيب ولم يتمكنوا من ترسيخ عقيدتهم وحماية كيابهم الاسلامى ففشلت بذلك أول خطوة لاقامة دعائم الاسلام في البلاد الأمريكية .

(مالى كتانى - الأقليات الاسلامية - نشره المؤسسة الاسلامية ، لندن ، ص ٢٢ - ٢٣)

٣- ويلاحظ مع الأسف الشديد باستمرار تغيب السفراء المسلمين علانية من صلوة الجمعة ويجب على جميع الحكومات الاسلامية بما فيها حكومة

باكستان أن تولى عنايتها بهذا الأمر لأن هذا الوضع المؤسف المؤلم قائم في معظم عواصم الدول الغربية حيث تنظر الجاليات الاسلامية الى سفراء الدول الاسلامية باشتياق ليشتركوا معهم في صلوة الجمعة . فالقران الكريم ( في سورة الجمعة ) يأمر بكل صراحة تعطيل كل النشاط والأشغال ويأمر بالسعى الى ذكر الله اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة . ولكن السفراء المسلمين يستهترون بهذا الشعار الاسلامي بكل جراءة وبذلك يفضحون المسلمين ويخرجونهم ويسئون بالتالى سمعة بلادهم .

٤- ان جامعة رتجرز بالولايات المتحدة الأمريكية قد طبعت كتابا بقلم آنيوان فان سيرتيما نبت فيه المؤلف أن المسلمين قد اكتشفوا أمريكا واستوطنوا فيها على نطاق واسع قبل أن يصل اليها كولمبس . ان الكتاب الذى سماه « هم جاءوا قبل كولمبس » يلاحظ أن المؤرخ العربى الاسلامى ابن فضل الله العمرى ..... يسجل ذكر بحثين قام بهما المال يون فى بداية القرن الرابع عشر . وكان ملك مالى أبوبكرى الثانى يقود البعثة الثانية التى بدأت من ساحل سيبى غامبيا الذى كان الحد الغربى لسلطنة مالى - السلطنة التى تفرقت على الامبراطورية الرومانية فى قوتها وحجمها وثروتها . فالموجات ، التى تسمى فى الروايات المالية المسموعة ، بالأنهار تتحرك فى وسط البحر مثل خطوط المواصلات المبتدئة من أفريقيا والمنتبهة الى أمريكا . وكان مسلمو مالى يعرفون كيف يستخدموا هذه الموجات ويهتدوا بها للسفر بين القارتين بسهولة

٥- الاسلام والأفارقة ، نقلا عن مجلة رابطة العالم الاسلامى ( الانكليزية ) عدد شوال ١٤٠٠ هـ ( الموافق سبتمبر ١٩٨٠ م ) .

٦- وينقسم المسلمون على النحو التالى :

المسلمون من أصل عربى : ١٠٠٠ ( وهم من الأردن ولبنان الخ )

المسلمون من غجرات ( الهند ) : ٣٠٠ .

المسلمون المحليون : ٢٠٠ .

صحيفة تائم ، ٢٤ نوفمبر ١٩٨٠ م .



# مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية باللغة العربية

الرسائل القشيرية - للإمام أبي القاسم القشيري  
تحقيق : الدكتور بير محمد حسن (مع الترجمة - الأردية)

معدن الجواهر في تاريخ بصرة الجزائر للشيخ نعمان  
تحقيق : الجائه - الدكتور حميد الله



الكندي وآراؤه الفلسفية -  
للدكتور عبدالرحمن شاه ولي



مقصود المؤمنين لبازيد الانصاري  
تحقيق : الدكتور ميرولى خان



كتاب الانفعال للإمام الصغاني  
تحقيق : الأستاذ أحمد خان



**AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYA**

**ARABIC JOURNAL**

**OF THE**

**ISLAMIC RESEARCH INSTITUTE, ISLAMABAD, PAKISTAN**

**Vol. XVII No. 4**

**July-August 1982**

\* \* \* \* \*

	Inside Pakistan	Outside Pakistan
<i>Annual Subscription</i>	Rs. 30 00	\$15.00 or £7.50
<i>Single Copy</i>	Rs. 6 .00	\$3.00      £1 50



\* \* \* \* \*

*All business correspondence  
should be addressed to :*

**The Circulation Manager**

**Islamic Research Institute**

**ISLAMIC UNIVERSITY**

**ISLAMABAD - PAKISTAN**

---

Printed at Islamic Research Institute Press,  
Published by Muhammad Sami'ullah for the Islamic Research Institute, Islamabad

# الدراسات الإسلامية

مجلة اسلامية علمية

تصدر بعد كل شهرين  
وتبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب



EXCHANGE



ذوالقعدة - ذوالحجّة ١٤٠٢ هـ

سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٢ م

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان







# الدراسات الإسلامية

مجلة مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد - باكستان



ذوالقعدة - ذوالحجّة ١٤٠٢ هـ

سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٢ م

المجلد السابع عشر

العدد الخامس

## هيئة التحرير

\* الأستاذ الدكتور عبدالواحد هالى بوتا \*

مدير مجمع البحوث الاسلامية ،  
الجامعة الاسلامية اسلام آباد

\* الأستاذ الشيخ عبدالقدوس الهاشمى \*

أستاذ بمجمع البحوث الاسلامية

\* الأستاذ الدكتور محمد صغير حسن المعصومى \*

أستاذ الشريعة بالجامعة الاسلامية ، اسلام آباد

\* الأستاذ الدكتور أحمد حسن \*

أستاذ مشارك بمجمع البحوث الاسلامية

\* الأستاذ الدكتور نور محمد الغفارى \*

أستاذ مشارك بمجمع البحوث الاسلامية

\* الأستاذ محمد طفيل \*

أستاذ مساعد بمجمع البحوث الاسلامية

رئيس التحرير

محمود أحمد غازى

## المحتوى

كلمة العدد

رئيس التحرير

ص ٥

دور الحنفية فى تدوين علم الأصول

د . طه جابر العلوانى

ص ١١

آفاق الدعوة الاسلامية

د . محمد معروف الدواليبى

ص ٣٠

تأملات فى اسباب سعادة المسلمين وشقائهم

ودور العلم فى النهوض بالأمم

د . احسان حقى

ص ٤١

الاجمال والالباس فى النحو العربى

الأستاذ فؤاد محمود سन्दى

ص ٤٩

الدعوة الاسلامية وآفاق المستقبل

دكتور تهاى نكرة

ص ٥٦

★★★

## ضيوف العدد

★ الأستاذ الدكتور طه جابر العلوانى ★

استاذ الشريعة ، بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية  
الرياض - المملكة العربية السعودية

★★★★★

★ الأستاذ الدكتور محمد معروف الدواليبي ★

أحد كبار علماء العالم الاسلامى المعاصر ورئيس مؤتمر العالم  
الاسلامى

★★★★★

★ الأستاذ الدكتور احسان حقى ★

من أبرز المفكرين فى العالم الاسلامى المعاصر وصاحب مؤلفات  
عديدة فى التاريخ والفكر الاسلامى ومقارنة الاديان

★★★★★

★ الأستاذ فواد محمود سन्दى ★

عالم سعودى ومدرس بأحدى  
المؤسسات التعليمية بمكة المكرمة

★★★★★

★ الأستاذ الدكتور تهاى نقرة ★

مفكر وكاتب اسلامى معروف ، من علماء تونس ورجالات فكرها

ليس من الضروري ان تتفق ادارة المجمع مع جميع  
الآراء والبحوث التى ينشرها الكتاب فى هذه المجلة



## كلمة العدد

ان هذا العصر الذى نعيش فيه هو عصر الطواغيت ، فانه عصر كثرت فيه الطواغيت ، وكثرت فيه أنواع الكفر والطغيان ، وتنوعت فيه أقسام الشرك والعدوان . وزادت خطورة هذه الاقسام ومفاسد تلك الأنواع عن خطورة أخواتها التى تواجدت فيما مضى ، وتضاعفت مفاسدها عن مفاسد أمثالها ونظائرها فى فائت الزمان وغايه .

كانت طواغيت العصور الفائتة قزما بالنسبة لطواغيت العصر الحاضر . فكانت تجول وتصول فى نطاق واحد أو نطاقين اثنين ، وكانت سيئاتها منحصرة فى دائرة نشاطاتها المحدودة . فكان طغيان الفراعنة فى ادعائهم بالالوهية ، وكان طغيان قوم سيدنا لوط - عليه السلام - فى ارتكابهم ذلك المنكر الفاحش الشنيع ، وكان طغيان أصحاب الأيكة فى التطفيف وبخس الناس اشياءهم ، فكانوا اذا اکتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، وقس على هذا طغيان الامم الاخرى وعدوان الشعوب البائدة .

وأما طواغيت هذا العصر فليست جولاتها وصلواتها منحصرة فى دوائر محدودة أو معلومة ، بل انتشر فسادها فى الآفاق كلها ،

واكتسحت العالم كله بمفاسدها وسيئاتها ، وفاقت أسلافها بسعة طغيانها ، وشدة كفرها ، وشناعة عدوانها ، وكثرة تعدادها وأنواعها . ولعل عدد الطواغيت فى عصرنا هذا وعدد أنواعها بلغ مبلغا لم يكن يتصوره أبناء العصور القديمة ، وجادت قريحة عصر العلم والحضارة والتكنولوجيا فى ابتكار انواع الشرک والطغيان واختراع اقسام الکفر والعدوان بما لم تخطر ببال أحد فى عصور الجهل والبداءة .

ففرى طواغيت يطفون على الوحى والديانات ، وطواغيت يطفون على ثروات الناس وأموالهم ، التى اكتسبوها بأيديهم وأنفسهم ، وطواغيت يطفون على حريات الشعوب والدول ، وعلى استقلال البلاد والأمم ، وطواغيت يطفون على الآداب وفضائل الاخلاق ، وطواغيت يطفون على أعراض الناس ودمائهم ---- ،

ولعل أكبر الطواغيت وأخطرها فى عصرنا الحاضر هو الذى طغى على الانسان وانسانيته ، وأنكر كرامة الانسان ، ونادى اتباعه بحيوانية الانسان ، وسعوا فى الأرض فسادا بنظرياتهم الباطلة وأفكارهم المنحرفة ، فجاسوا خلال الديار . ففرى هذا النوع من الطواغيت يحتقرون بأصل الانسان ، ويستصغرون مكانته ، و يتهاونون بكرامته ، ولا يبالون باحترامه .

★ ★ ★ ★ ★

يعتبر الاسلام الحياة الانسانية منحة وموهبة من الله عزوجل منحها الانسان وشرفه بها . وهذه الحياة ليست عبثا كما يقول بعض الفلاسفة ومن تبعهم من أهل الغرب والشرق . فان الله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملا . وليست الحياة تطورا طبيعيا بحتا أوظهورا تلقائيا كما يزعم داروين ومن تلاتلوه ، ولا هى

لعبة من لعب الخالق الاكبر الذى خلقها لهوا ولعبا وتسلية لنفسه كما يعتقد الهندوس .

الحقيقة هى على العكس من ذلك كله تماما ، فاعلن القرآن بصراحة : وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون .

فبما أن الحياة فى هذه الدنيا ليست عبثا ولا لهوا ولا لعبا ، وانما هى امتحان وبلاء ، فمن واجب الانسان أن يحفظ حياة اخوانه ويحميها . ومن حقه بل واجبه أن يحتفظ بحياته . وبما أن الناس كلهم سواسية فى هذا الامتحان والبلاء فلم يكن لأحد مهما كانت مكانته عالية وسلطته قوية أن يغصب هذا الحق الطبيعى من اخيه الانسان . ولذلك اعتبر الاسلام الاعتداء على نفس واحدة اعتداءً على الانسانية جمعاء . فمن قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعا . وذلك لان الجناية على نفس واحدة هى فى الحقيقة جناية على حق الحياة الذى يصون للناس حق حياتهم جميعا . فالاستهتار بهذا الحق استهتار بالحياة الانسانية بأجمعها واستهتار بالكيان البشرى فى العالم كله . وأما المحافظة على هذا الحق فهى محافظة دماء الناس ومحافظة البشرية كلها .



ويتصل بمبدأ حرمة الحياة الانسانية مبدأ كرامة الانسان بل يسبقه . وكل واحد منهما متلازمان ومتوقفان على الآخر . فلا حرمة للحياة الانسانية بدون كرامة الانسان . ولا معنى لكرامة الانسان اذا لم تكن لحاته حرمة .



ويتجلى مبدأ كرامة الانسان فى الاعلان القرآنى : لا اكراه فى الدين قديبين الرشد من الغى . فى هذا الاعلان احترام ارادته وفكره ومشاعره واحساساته وانطباعاته . يترك الاسلام امره لنفسه يختار له مايشاء من هدى وضلال . فانه تعالى خلق النفس الانسانية ، وهو الذى ألهمها فجورها وتقواها .

وليس هناك دين من الاديان أو فلسفة من الفلسفات سبقت الاسلام الى هذه الاعلانات الانسانية العالمية لكرامة البشر وحرمة وعظمته . وهذه الاعلانات وجهت الى البشرية جمعاء لا الى امة من الامم أو طائفة من الطوائف .

وليست المساواة التامة بين أفراد البشر على أساس الشريعة الاسلامية وفى اطار النظام الاسلامى الاضمان كامل لكرامة الانسان . ومن حق كل انسان بل من واجبه أن ينال الكرامة اللازمة من المجتمع وان يعامل معه بما هو مقتضى كونه انسانا . فان الكرامة مضمونة لجميع بنى آدم . ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .



وهناك ناحية أخرى لكرامة الانسان . ان الله تعالى حمل خلافته فى كونه على كل انسان من حيث كونه انسانا . فكل انسان ظهر على وجه الأرض خليفة الله فى ارضه بالقوة لو لم يكن خليفته بالفعل . ولعله هو السر فى أن القرآن الكريم لم يستعمل الخليفة بصيغة المفرد الا للانبياء ، وأما لمن عدا الانبياء من المؤمنين الصالحين والمسلمين فيطلق عليهم كلمة الخلفاء بصيغة الجمع .

وسر هذه الخلافة الالهية للانسان هو العلم الذى شرفه به خالقه

يوم أن خلق أبا البشرء والحكمة التى عبرها بالخير الكثير . فالعلم والحكمة هما المؤهلان للذان يؤهلان الانسان للخلافة الالهية والامانة الكبرى التى عرضها الله سبحانه وتعالى على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان .

ويعتبر الاسلام النيل من كرامة الانسان جاهلية . فروى الأمام البخارى أن أبا ذر تغاضب مع بلال الحبشى ( رضى الله عنه ) مولى أبى بكر رضى الله عنه وتسابا . فقال له أبوذر يا ابن السوداء ، فشكاه بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم لأبى ذر : «أعيرته بأمه ؟ انك امرؤه فيك جاهلية . فمن كرامة الانسان أن لايعير بلونه أو نسبه . فان الناس فى نظر الاسلام سواسية كأسنان المشط ، ولكل فرد من افراد الانسانية حق الكرامة الانسانية . وهم سواء فى ذلك . فقال عليه السلام : كلكم لآدم وآدم من تراب ، لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .

والمساواة من اهم النتائج المنطقية لمبدأ كرامة الانسان . وشهد التاريخ الانسانى مساهد وموافف عظيمه للمساواه الانساويه الى نادى بها الاسلام وعملت بها وطبقتها الامة الاسلامية .

ان المجتمع الانسانى الامثل الذى يقيمه الاسلام بهدى القرآن وفى ضوء سنة نبى الاسلام عليه أفضل صلاة وتحية مجتمع على أعلى مراتب الاخلاق والآداب - له اخلاقه السامية وأدبه الرفيع . يتمتع كل فرد فيه بالكرامة الانسانية . ويتمتع كل واحد فيه بأخلاقه السامية وأدبه الرفيع . ولذلك اعتبر الاسلام انتهاك كرامة واحد منهم انتهاكا لكرامة الجميع ، وانتهاك حرمة الواحد انتهاكا لحرمة الجميع ، كما أن قتل نفس بغير نفس أو فساد فى الأرض كقتل الناس جميعا .

وللحفاظ على هذه الكرامة الانسانية والحرمة الطبيعية للانسان وللحمتع الانسانى يستجيش الاسلام عواطف الاخوة الايمانية والصدقة الاسلامية الوثيقة ، فيحصل على الكثير والكثير فى هذا الاتجاه مالا يمكن الحصول عليها .

وأعلن القرآن الكريم أن من انتهك حرمة أخيه وكرامته فكأنما انتهك حرمة نفسه وكرامة نفسه . فنهانا الكتاب الحكيم ان لانتلمز انفسنا ( ولاتلمزوا أنفسكم ) فالمراد منه لاتلمزوا اخوانكم ، فان أحدا لا بلمز نفسه ، ولكنه اذا لمزأخاه فكأنما لمزنفسه . ويوجب الاسلام أن يكون كل انسان حرا من أن يكون عرضة لظنون الناس السيئة . فان الظن لا يغنى من الحق شيئا ، بل يؤدى الانسان الى احتقار أخيه .

ومن كرامة الانسان أن يحتفظ بأسراره ويحافظ على عوراته ، وأن لا يكون عرضة للتجسس والتتبع بدون أى سبب شرعى . فان كتاب الله الحكيم نهانا عن التجسس . لأن التجسس فى أسرار الناس وتتبع عوراتهم وكشف سوءاتهم اتجاك لثيم ، وعمل دنى يندس المجتمع وينجسه . وكل انسان له حرية وكرامته له عورات من جسده ، وعورات من عاداته ، وعورات من ادوات منزله ، وله الحرية والحق فى أن يبعدها عن أعين الناس . فلا بد من ان تكون هذه الحرية مأمونة من الانتهاك فى أى شكل أو صورة ، ليبقى كل واحد آمنا على نفسه ، آمنا على بيته ، آمنا على عوراته ، آمنا على أسراره . والى هذا المعنى أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت ان تفسدهم . ( رواه ابو داؤد )

محمود أحمد غازى



## دور الحنفية فى تدوين علم الاصول

د . طه جابر العلوانى

ذهب بعض مؤرخى « أصول الفقه » الى أن أبا يوسف القاضى ،  
ومحمد بن الحسن - رحمهما الله - قد كتبا فى الاصول (١) . ولكن هذه  
الدعوى لم تثبت .

وقد نقل صاحب كشف الظنون (٢) عن علاء الدين قوله فى كتابه «  
ميزان الاصول » : اعلم أن « أصول الفقه » فرع لعلم أصول الدين ،  
فكان من الضرورى أن يقع التصنيف فيه على اعتقاد مصنف الكتاب ،  
وأكثر التصنيف فى « أصول الفقه » لاهل الاعتزال المخالفين لنا فى  
الاصول ، ولاهل الحديث المخالفين لنا فى الفروع ولا اعتماد على  
تصانيفهم .

وتصانيف أصحابنا قسمان : قسم وقع فى غاية الاحكام لصدوره  
من جمع الاصول والفروع ، مثل « مأخذ الشرع » و« الجدل » لابی  
الحسن الماترىدى .

وقسم وقع فى نهاية لاثقيق فى المعانى ، وحسن الترتيب  
لصدوره ممن تصدى لاستخراج الفروع من ظواهر المسموع ، غير أنهم  
لما لم يمهروا فى دقائق الاصول ، وقضايا العقول : أفضى رأيهم الى  
رأى المخالفين فى بعض الفصول ، ثم هجر القسم الاول اما لتوحش

الالفاظ والمعانى ، واما لقصور الهمم والتوانى -

وفى هذا القول مجال كبير للنظر وان صدر عن حنفى ، ولكنه قريب الى الواقع فى بيان دور الحنفية فى تطوير - أصول الفقه . . . فى الفترة الاولى انصرف علماؤهم قبل الماتريدى لمناقشة بعض ماورد فى رسالة الامام الشافعى كما فعل عيسى بن أبان وغيره .

أما فى الفترة الثالثة لتلك فان من أبرز ماكتبوا « أصول الكرخى » ( ت ٣٤٠ هـ ) ، وهى صفحات معدودة طبعت مع كتاب ابن زيد الدبوسى « تأسيس النظر » المطبوع فى القاهرة طبعات عدة .

وتلاه الجصاص ( ت ٣٧٠ هـ ) ، فكتب « أصوله » ليكون مقدمة لكتابه « احكام القرآن » ، وقد حققه أحد الباحثين رسالة للدكتوراه ولم يطبع لحد الآن .

ويمكن أن يعتبر بدء التطور فى كتابة « أصول الفقه » عند الحنفية على يد الامام ابى زيد الدبوسى ( ت ٤٣٠ هـ ) ، فقد كتب كتابه « تقويم الادلة » حققه أو بعضه أحد الباحثين ، ولم يطبع لحد الآن ، و « تأسيس النظر » ، وقد استفاد أبو زيد من أصول سابقه خاصة الكرخى والجصاص ، لكنه وسع وفصل ، كما تطرق بإشارات موجزة الى ما اتفق فيه الحنفية مع غيرهم ، وما اختلفوا فيه من الاصول .

ويتبعه فخر الاسلام البزدوى ( ت ٤٨٢ هـ ) فالف كتابه الشهير « كنز الوصول الى معرفة الاصول » فتناول فيه المباحث الاصولية عامة ، وقد اهتم به الحنفية كثيرا وكتبوا عليه شروحا كثيرة أهمها وأحسنها « كشف الاسرار » لعبد العزيز البخارى ( ت ٧٣٠ هـ ) ، وقد طبع فى الاستانة ومصر .

كما كتب شمس الانعة السرخسى ( ت ٤٨٣ هـ ) « أصول السرخسى » المطبوع بجزئين فى مصر ، والكتاب يعتبر نسخة معدلة عن كتاب « تقويم الادلة » للدبوسى وقد استأثر كتابا البزدوى والسرخسى على اهتمام علماء الاصول من الحنفية وعكفوا عليها فترة طويلة .

ومما تقدم يتضح أن « أصول الفقه » بوصفه علما مخصوصا قد تكامل نموه واتضحت مباحثه وانحصرت مسائله فى القرن الخامس ، وفيه دون علماء المذاهب أصولهم بشكل متكامل .  
طريقة الشافعية أو المتكلمين وطريقة الحنفية .

وقد تم تدوين الاصول بطريقتين عرفت احدهما بطريقة الشافعية . أو المتكلمين ، وهى الطريقة التى سار عليها الشافعية والمالكية والحنابلة والمعتزلة (٣) وقد غلب عليها لقب « طريقة المتكلمين » لان الكتب المكتوبة بهذه الطريقة اعتاد أصحابها أن يقدموا لها ببعض المباحث الكلامية كمسائل « الحسن والقبح » و « حكم الاشياء قبل الشرع » و « شكر المنعم » و « الحاكم » .

ولانهم يسلكون فى تقرير قواعد الاصول مسلكا استدلاليا قائما على تقرير القواعد ، والاستدلال على صحتها ، والرد على المخالفين من غير أن يولوا الفروع التى تتدرج تحت هذه القواعد كبير اهتمام ، أو يراعوا تطبيق الفروع عليها .  
طريقة الحنفية :

أما الحنفية فقد سلكوا فى كتابة أصولهم سبيل تقرير القواعد الاصولية على مقتضى الفروع المنقولة عن أئمتهم : فالقاعدة مستنبطة

من الفروع دائرة حولها ، لا العكس ، فالدارس . لاصول الفقه بهذه الطريقة يجمع الفروع التى أفتى بها الائمة ، ويقوم بتحليلها ، وتقريراتهم انما افتوا بها بناء على أصول يتوصل اليها فيقررها قواعد لتلك الفتاوى .

يقول الدهلوى : « ... واعلم أنى وجدت بعضهم يزعم : أن بناء الخلاف بين أبى حنيفة والشافعى - رحمهما الله - على هذه الاصول المذكورة فى كتاب « البزدوى » ونحوه ، وانما الحق أن أكثرها أصول مخرجة على قولهم ، وعندى : أن المسألة القائلة بأن الخاص مبين ، ولا يلحقه البيان ، وأن الزيادة نسخ ، وأن العام قطعى كالخاص ، بأن لا ترجيح بكثرة الرواية ، وأنه لا يجب العمل بحديث غير الفقيه اذا انسد باب الرأى ، وأن لا عبرة بمفهوم الشرط والوصف أصلا ، وأنه موجب الامر - هو الوجوب البتة ، وأمثال ذلك : أصول مخرجة على كلام الائمة ، وأنه لا تصح بها رواية عن أبى حنيفة وصاحبيه ، وأنه ليست المحافظة عليها ، والتكلف فى جواب ما يرد عليها من صنائع المتقدمين فى استنباطاتهم كما يفعله البزدوى وغيره أحق من المحافظة على خلافها والجواب عما يرد عليه « (٤) ، ثم استطرد - رحمه الله - فى ضرب الامثلة على ذلك .

علم أصول الفقه فى القرن السادس وما تلاه .

بعد أن ضمت مباحث هذا العلم ومسانله فى الكتب الاربعة « العهد » و « المعتمد » و « البرهان » و « المستصفى » على طريقة المتكلمين ، قام امامان جليلان من أئمة المتكلمين بتلخيص هذه الكتب الاربعة هما الامام فخر الدين الرازى ( ت ٦٠٦ هـ ) الذى

لخصها بكتابه « المحصول » الذى تشرفت بتحقيقه ، وقامت جامعة الامام بطبعه ونشره .

والامام سيف الدين الآمدى ( ت ٦٣١ هـ ) وقد لخصها فى كتابه « الاحكام فى أصول الاحكام » الذى طبع فى الرياض والقاهرة وغيرهما .

والكتابان من الكتب المبسطة الميسرة بالنسبة الى غيرها ، والمحصل أوضح عبارة وأكثر تفصيلا . وتوالت الاختصارات والشروح والتعليقات على هذين الكتابين فاختصر « المحصول » تاج الدين الارموى ( ت ٦٥٦ هـ ) بكتابه « الحاصل » الذى حقق رسالة للدكتوراه فى الأزهر ، ولم ينشر لحد الآن . واختصره محمود الأرموى ( ت ٦٧٣ هـ ) بكتابه ، التحصيل » وقد حقق ، ولم ينشر كذلك . واختصره الفخر الرازى نفسه بكتاب سماه « المنتخب » يقوم أحد الباحثين بتحقيقه . واختصر « الحاصل » القاضى البيضاوى ( ت ٦٨٥ هـ ) بكتابه « منهاج الوصول الى علم الاصول » اختصارا شديدا بلغ حد الالغاز ، فانبرى لشرحه كثيرون ، وأحسن شروحه شرح الاسنوى ( ت ٧٧٢ هـ ) المسمى ب « نهاية السؤل » وهو الذى عكف عليه المشتغلون بهذا العلم فترة طويلة من الزمن ، ولا يزال الشافعية - من الازهر الاله الازهريين عليه عاكفين .

أما كتاب الآمدى « الاحكام » فقد اختصره ابن الحاجب المالكى ( ت ٦٤٦ هـ ) بكتابه الشهير لدى المالكية « منتهى السؤل والامل فى علمى الاصول والجدل » وأفضل شروحه المتداولة شرح عضد الدين ( ت ٧٥٦ هـ ) ، وعليه حواشى وتعليقات .



وكل هذه الكتب كتبت على « طريقة المتكلمين » تقرر القواعد ،  
وتقام الأدلة عليها ، ويحاول المخالفون لها حتى يستسلم أحد  
الفريقين .

أما الحنفية - فقد شغل أصوليوهم كذلك بالعكوف بالدراسة على  
كتايب « البزدوى والسرخسى » ، وظل الحال كذلك حتى أواخر القرن  
السادس وأوائل القرن السابع حيث اتجه الاصوليون الى طريقة جديدة  
فى كتابة الاصول - هى : طريقة الجمع بين طريقتى المتكلمين  
والحنفية لتخرج كتب تجمع أصول الفريقين ، وتوائم بين الطريقتين .  
فكتب مظفر الدين الساعاتى ( ت ٦٩٤ هـ ) كتابه « بديع النظام  
الجامع بين كتايب البزدوى والاحكام » ، وهو من الكتب المطبوعة  
المتداولة .

وكتب صدر الشريعة ( ت ٧٤٧ هـ ) كتابه « تنقيح الاصول »  
لخص فيه « المحصول وأصول البزدوى ومختصر ابن الحاجب » ، ثم  
شرح كتابه هذا بشرح سماه « التوضيح » كتب عليه التفتازانى ( ت  
٧٩٢ هـ ) حاشية سماها « التلويح » والتنقيح والتوضيح والتلويح كلها  
مطبوعة متداولة . وكتب تاج الدين السبكي - من الشافعية - كتابه  
الشهير « جمع الجوامع » ، ذكر فى مقدمته أنه جمعه من مائة كتاب  
أصولى وقد اهتم الكثيرون بشرحه والتعليق عليه وأهم شروحه وأكثرها  
تداولاً شرح الجلال المحلى الذى بقى عمدة الدراسات الاصولية لدى  
الشافعية خاصة . كما شرحه بدر الدين الزركشى ( ) بشرح سماه  
« تشنيف المسامع » طبعت قطعة منه فى القاهرة مع تعليقات للشيخ  
المطيعى - رحمه الله - ( ) ويقوم أحد الباحثين بجامعة الامام

بتحقيقه رسالة للدكتوراه .

كما كتب الزركشى كتابه « البحر المحيط » جمع فيه أحوال الاصوليين مما يزيد على مائة مصنف . ويقوم أحد الدارسين بتحقيقه مع أحد أساتذة كلية الشريعة بجامعة الامام فى الوقت الحاضر .

وكتب ابن قدامة ( ) من الحنابلة كتابه « روضة الناظر وجنة المناظر » لخص فيه المستصفى للغزالى وضم اليه فوائد أخرى مما خالف فيه الحنابلة غيرهم وقد طبع عدة مرات ، وعنى به الحنابلة ، واستغنوا به عما عداه . وقد اختصر الروضة سليم الطوخى ( ) ، ثم شرح مختصره بمجلدين .

وكتب القرافى ( ) من المالكية كتابه « تنقيح الفصول فى اختصار المحصول » كما شرح المحصول بكتاب ضخم سماه « نفائس الاصول » .

#### مباحث الاجتهاد :

كانت مباحث الاجتهاد فى الكتب الاصولية تأخذ بابا أو كتابا من أبواب أو كتب تلك الكتب ، يتناول فيه الاصوليون تعريف الاجتهاد وبيان شروطه وأنواعه والكلام عن تعبد رسول الله بالاجتهاد ، وعدم تعبد به ، وهل الصحابة غنى عهده متعبدون بالاجتهاد أم لا ؟ وهل المصيب واحد من المجتهدين ، أو يجوز بعدد الصواب ؟ ومايجوز الاجتهاد فيه وما لايجوز . ثم يتناولون « مباحث التقليد » بنفس الاسلوب .

وفى القرن الثامن كتب ابراهيم بن موسى ( ت ٧٩٠ هـ ) كتابه « الموافقات » الذى تكلم فيه عن « الاجتهاد » باعتباره عملية فكرية

تعتمد على دعامتين الدعامة الاولى معرفة تامة بقواعد اللغة العربية ،  
 وأساليب التعبير فيها ، وهذه تركها الرجل للمصنفين فى اللغة العربية ،  
 وللمؤلفين الآخرين فى « أصول الفقه » .

أما الدعامة الاخرى للاجتهاد - فى نظره - فكانت المعرفة  
 بمقاصد الشارع الحكيم مما شرع . هذه المقاصد ماكان الاصوليون  
 الذين سبقوا الشاطبى يولونها الكثير من العناية ، بل كانوا يبحثونها فى  
 ثنايا الكلام عن أقسام « العلة » أما الشاطبى فقد وضع كتابه هذا للكلام  
 فى هذا الموضوع ، وهو بالغ الخطر ، شديد الاهمية ، ضرورى لادراك  
 حكم الشارع ومقاصده . ولكن هذا الكتاب قد لقى من اهمال الباحثين  
 فى الاصول ما لا يستحق ، لما استقر فى أذهان الدارسين : من أن  
 التعليل بالحكم لايجوز ، لانها غير منضبطة ، وما دام الامر كذلك فان  
 البحث فيها - فى نظر الكثيرين - يعد من قبيل الترف العقلى . والكتاب  
 مطبوع متداول ، وليت القائمين على تدريس « أصول الفقه » أو وضع  
 مناهجه يلفتون أنظار الدارسين اليه خاصة أولئك الذين يدرسون  
 مباحث « القياس والتعليل والاجتهاد » .

وألف ابن الهمام (ت ٨٦١ هـ) كتابه « التحرير » ، وشرحه تلميذه  
 ابن أمير الحاج (ت ٨٧٩ هـ) بشرح سماه « التقرير والتخيير »  
 والكتاب وسرجه مطبوعان ، وهو من الكتب التى كتب بطريقة  
 الجمع بين طريقتى « الحنفية والمتكلمين » وله شرح آخر مطبوع  
 لامير بادشاه اسمه « تيسير التحرير » .

وكتب القاضى علاء الدين المرداوى (ت ) مختصرا « لاصول  
 ابن مفلح » (٥) (ت ) سماه « تحرير المنقول وتهذيب علم الاصول »

وقد قام بتحقيقه أحد الباحثين ، ويتوقع نشره قريبا .

وألف بعد ذلك ابن النجار الفتوحى الحنبلى « مختصرا »  
 «لتحرير المرداوى» ثم شرح ذلك المختصر بشرح جيد يعتبر من أجمع  
 الكتب الاصولية المتأخرة وأحسنها وقد طبع فى مصر ناقصا ، ثم حققه  
 استاذان جليلان هما الدكتور نزيه حماد والدكتور محمد الزحيلي ، وقام  
 بنشره مركز البحث العلمى فى كلية الشريعة بمكة المكرمة ، وقد ظهر  
 منه مجلدان ، ومابقى منه تحت الطبع .

وفى القرن الثانى عشر الهجرى كتب محب الله بن عبدالشكور  
 البهارى الحنفى (ت ١١١٩هـ) كتابه الاصولى « مسلم الثبوت » ، وهو  
 من أدق وأجمع ماكتب متأخروا الحنفية ، وقد طبع منفردا ، كما طبع مع  
 شرح له فى الهند ، وطبع مع شرحه المشهور « فواتح الرحمات »  
 بحاشية « مستصفى الغزالى » عدة طبعات .

وهذه الكتب - كلها - قد كتبت بالطرق التى تقدم ذكرنا لها ، وكلها  
 كانت تتركز حول ابراز مذاهب أصحابها ، وأبطال مذاهب المخالفين ،  
 ولم نجد منذ القرن السادس الهجرى حتى يومنا هذا كتبا عنيت بتقديم  
 « أصول الفقه » على أنه منهج بحث للفقيه المسلم يعصم ذهنه من  
 الخطأ فى الاجتهاد الفقهى .

وفى القرن الثالث عشر الهجرى كتب القاضى الشوكانى  
 (ت ١٢٥٥هـ) كتابه الاصولى « ارشاد الفحول » ، وفى هذا الكتاب -  
 على صغر حجمه - عرض جيد لمختلف الآراء الاصولية ، مع ذكر أدلة  
 أصحابها باختصار غير مخل ، مع ترجيح بعض مايراه راجحا ، والكتاب  
 يصلح للدراسة الاصولية المقارنة لدارسى « أصول الفقه » وقد طبع عدة

مرات ، ولم يقرر للدراسة فى أى معهد من معاهد العلم - التى نعرفها - مع صلاحه لذلك .

ولخصه محمد صديق خان (ت ١٣٠٧ هـ) فى مختصره « حصول المأمول من علم الاصول » ، وهو مختصر مطبوع .  
وبعد ذلك نجد أن الدراسات الاصولية قد أخذت اتجاهين :  
الاول : كتابة المذكرات والمداخل والملخصات .

التى يقوم باعدادها الاساتذة المتخصصون لتيسير دراسة هذا العلم على طلابهم فى الكليات المتعددة بعد أن رأوا عزوف طلابهم عنه أو عجزهم عن دراسته وهى مذكرات ودراسات لم تقدم لهذا العلم كثيرا فهى - فى الكثير الغالب - اعادة لكتابة بعض مسائل هذا العلم بلغة عصرية : فكتب الشيوخ المرصفى والمحلاوى والخضرى وعبد الوهاب خلاف والشنقيطى والسايس ومصطفى عبدالخالق وعبدالغنى عبد الخالق وابوزهرة وابو النورزهير ومعروف الدواليبى وعبدالكريم زيدان وزكى الدين شعبان ومحمد سلام مذكور وغيرهم كتب كانت عبارة عن تحرير لمحاضرات القوها على طلابهم فى كليات الحقوق او الشريعة .

والاتجاه الثانى : كان كتابة الرسائل الجامعية فى بعض مباحث هذا العلم ، اوتحقيق كتب قديمة من المخطوطات . ولاشك أن هذا الاتجاه بشقية قد قدم خدمات جلية لهذا العلم ولكن هذه الخدمات - على تقديرنا البالغ لها - لم تزل دون الطموح المطلوب فلا يزال هذا العلم واقفا فى نفس الموضع الذى تركه فيه اسلافنا فى القرن السادس الهجرى .

ومن خلال العرض الذى قدمناه نستطيع ان نستخلص النتائج التالية :-

١- ان هذه القواعد التى عرفت بـ « أصول الفقه » لم يظهر سى منها فى عصر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا فى عصر اصحابه بألفاظه الاصطلاحية ، وان كانت معظم المعالجات الاجتهادية فى العصرين المذكورين يمكن ان تندرج تحت هذه القواعد - وذلك لانهم كانوا يستخلصون الاحكام الفقهية الجزئية من مداركها ومصادرها التفصيلية سليقة ، كما كانوا يتكلمون اللغة العربية سليقة دون ملاحظة قواعد النحو التى ماعرفت الا بعد ذلك .

٢- ان قواعد علم « اصول الفقه » أول من جمعها فى كتاب هو الامام محمد بن ادریس الشافعى المولود سنة ( ١٥٠ هـ ) والمتوفى سنة ( ٢٠٤ هـ ) ، وان اول كتاب جامع فى هذا العلم هو كتابه « الرسالة » التى ألفها بناء على طلب الامام عبدالرحمن بن مهدي ( ١٣٥ - ١٩٨ هـ ) ، وذلك بعد قيام المدرستين الفقهيتين الشهيرتين : مدرسة « أهل الحديث » التى كان مقدمها الامام مالك بن انس ( ٩٣ - ١٧٩ هـ ) ومدرسة « أهل الرأى » التى كان مقدمها الامام ابو حنيفة ( ٨٠ - ١٥٠ هـ ) وبعد أن انتشر فقه المدرستين ، ونشب بين أتباعها ما يمكن تسميته بالصراع الفقهى (٦) . الذى اضيف الى النزاعات السياسية والكلامية والفلسفية التى نشبت فى تلك الفترة .

٣- ان علم « أصول الفقه » هو منهج البحث عند الفقيه (٧) فهو

كالمنطق بالنسبة الى الفلسفة (٨) . ولذلك عرفوه بأنه « مجموع طرق الفقه - على سبيل الاجمال - وكيفية الاستدلال بها ، وكيفية حال المستدل بها » (٩) .

« فأصول الفقه » اذن قانون كلى يعصم ذهن المجتهد من الخطأ فى الاستدلال على الاحكام الشرعية من طرقها المختلفة (١٠) . ولكنه لم يستخدم بهذه الصفة الا عند الشافعى - رحمه الله - فى فقهه الجديد .

٤- ان من الحقائق الهامة - التى لا ينبغى أن تغرب عن البال : ان الناس قد خاضوا فى الفقه ، وقالوا فيه - قبل أن يتكلموا فى اصوله ( الا ما كان من الشافعى فى فقهه الجديد ) ، ولذلك كان « اصول الفقه » قد أخذ عند غيره - دور المبرر للفتاوى الجزئية وقاعدة الجدل والحجاج عما قالوه فيها ، لادور القانون الكلى ومنهج البحث الذى يحكمها : فان الفقهاء درجوا على ان يردوا المسائل والوفائع الى الادلة التفصيلية مباشرة دون احساس بالحاجة الى توسط « القواعد الكلية التى جمعت فى علم « اصول الفقه » . فالامام ابو حنيفة - رحمه الله - قد افتى فيما يقرب من نصف مليون مسألة من المسائل الفقهية (١١) . تناقلها اصحابه ولكن « القواعد الاصولية » التى فرع الامام عنها فتاواه تلك لم تنقل بسند متصل اليه (١٢) . غير عبارات قليلة تعرض - رحمه الله فيها لبعض مصادر استنباطاته واجتهاداته ، منها قوله رحمه الله - « ... آخذ بكتاب الله فان لم اجد فبسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فان لم اجد فى كتاب الله ولا سنة رسوله -

صلى الله عليه وسلم - أخذت بقول اصحابه ، أخذ بقول من شئت منهم ، وأدع من شئت منهم ، ولا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم فاذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب .. فقوم اجتهدوا فاجتهد كما اجتهدوا (١٣) . وحين حاول البعض استعداء الخليفة العباسي المنصور ( ) عليه كتب ابوحنيفة رحمه الله - للمنصور يقول: «..... ليس الأمر كما بلغك يا أمير المؤمنين انما اعمل بكتاب الله ، ثم سنة رسول الله - صلى عليه وسلم - ثم بأقضية أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضى الله عنهم - ثم بأقضية بقية الصحابة ، ثم أقيس - بعد ذلك - اذا اختلفوا وليس بين الله وبين خلقه قرابة » (١٤) .

ولما اتهم - رحمه الله - بتقديم القياس على النص قال : « ... كذب والله وافترى علينا من يقول : اننا نقدم القياس على النص ، وهل يحتاج بعد النص الى قياس » ؟ (١٥) .

٥- ان من الامور المسلمة أنه منذ بداية العهد الأموي الى أن هدمت الخلافة الاسلامية كان أمر السلطان والقيادة في الامة الاسلامية الى غير المؤهلين للاجتهد .. كان أمر الاجتهاد الى علماء لاسلطان لهم ، ومن المتعذر استثناء أية حالة غير الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز - رضى الله عنه حيث رويت عنه اجتهادات فقهية ، وقد كان لهذا أثر بالغ في فصل « الفقه واصوله » عن جوانب هامة من حياة المسلمين العملية ليتجه في كثير من القضايا اتجاها نظريا ومثاليا (١٦) . جعلهما يعبران



عما يطمح ان تكون عليه حياة المسلمين ، لاعما هو واقع فى حياتهم ، اويمكن أن يكون .

٦- أن الكاتبين - فى هذا العلم - والمؤرخين له قد صنفوه ضمن العلوم الشرعية النقلية (١٧) . وان كان بعضهم قد نص على ان مبادئه مأخوذة من العربية وبعض العلوم الشرعية والعقلية (١٨) . كما أن واحداً من أبرز الكاتبين فيه وهو الامام الغزالى قد قال «... وأشرف العلوم ما ازدواج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأى والشرع ، وعلم الفقه واصوله من هذا القبيل فانه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل ، فلا هو تصرف بمحض العقول - بحيث لايتلقاه الشرع بالقبول ولا هو مبنى على محض التقليد الذى لايشهد له العقل بالتأييد والتسديد (١٩) . ولعل ماقاله الامام الغزالى وغيره من الاصولين يتيح لنا أن نقول : بأن طرق الفقه ثلاثة .

أ) الوحى : بشقيه المتلو المعجز ، وهو الكتاب ، وغيره وهو السنة .  
ب) العقل لتفسير النصوص ، والبحث فى سبل تطبيقها وربط الجزئيات بالكليات ، واستنباط العلل ، لما لم يعلل والحكم فيما لم ينص الشارع على حكمه ونحو ذلك مما يمكن تحديده وتفصيله .

ج) التجارب والاعراف والمصالح . وعلى هذه الاسس ، الثلاثة يمكن توزيع سائر « الاصول الفقهية » المتفق عليها ، والمختلف فيها ، وهى : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس ، وكون الاصل فى المنافع الاباحة ، وفى المضار المنع

واستصحاب الحال ، والاستحسان ، وقول الصحابي اذا انسر بين الصحابة ولم يخالفه احد منهم ، والأخذ بأقل ما قيل ، والأخذ بالاخف ، والاستقراء الناقص ، والمصالح المرسلة والعرف ، والاستدلال على عدم الحكم بعدم ما يدل على حكم ، وشرع من قبلنا سد الذرائع .

د ان هناك عوامل فى تاريخنا كالذى اشرنا اليه فى الفقرة ( ب ) - قد فرضت علينا مخاوف أدت الى وضع كثير من القيود نجم عنها تحول العقلية الاسلامية والتوجه الفكرى فيها نحو الامور الجزئية ، والابتعاد عن التفكير الكلى الشمولى - الذى يعتبر طابعا مميزا للتفكير الاسلامى ، وكان لذلك اثره البالغ فى حلولنا ومعالجاتنا الفقهية ، حيث وسمت بهذه السمة ، وأخذت هذا الطابع .

٨- ان من الامور المعروفة : أن فى كل علم أو شأن من شئون الحياة أمورا تقبل التطور وتحتاجه ، وربما لا تتحقق الا به ، وامورا أخرى ثابتة ، والمنطق الاسلامى يوجب أن يكون هناك تكامل بين الاثنين ، ولذلك كان لاصول الفقه قواعد ثابتة لاتقبل تغييرا ، واخرى تعتمد على التطور والتجدد الدائمين ، وذلك واضح فى « مسائل الاجتهاد » .

وعلى هذا فانه - فى الوقت الذى تدعو فيه جميع أهل العلم ان لا يبدأوا من فراغ وان يستفيدوا من اجتهادات من سبقهم من مجتهدى الامة وعلماءها فاننا نؤكد انه لا أحد يستطيع أن يدعى فرصة متابعة أى مجتهد فى أمر اداه اليه اجتهاده فقط ، فان

ذلك اقصى ما يقال فيه : انه رأى والرأى مشترك (٢٠) .

٩- تبين لنا - من خلال الدراسة لمناهج السلف - أن الهدف ليس معرفة الحكم ولا صدور فتوى فيه ، وانما هدفهم دائما اقامة حكم الله في تطبيقه ، وهذا ما يوجب عدم فصل ظروف تطبيق الحكم وشروطه عنه .

اذا تبين ذلك و اردنا أن نعيد هذا العلم الى وضعه الصحيح بين العلوم الاسلامية وتحويله الى منهج بحث فى الأدلة الشرعية لنستفيد منها احكاما ومعالجات وحلولا لسائر قضايانا المعاصرة لتبسط عليها حاكمية الشرع ، لاسواء فاننا نحتاج الى ما يلى :

١- اعادة النظر فى المباحث التى يشتمل عليها هذا العلم وتخليصه مما لا يحتاجه الفقيه الاصولى نحو مباحث « حكم الاشياء قبل الشرع » والنزاع فى مسألة « شكر المنعم » و « مباحث حاكمية » ، والعناية الزائدة بالحدود والتعاريف والانشغال بمناقشتها .

كذلك التخلّى عن المباحث المتعلقة بنزاعهم فى مسائل «القراءات الشاذة » وعربية جميع القرآن » وحسم النزاع الطويل فى « خبر الواحد » بان يعتبر خبر الواحد - اذا استوفى شروط التصحيح ، وثبتت صحته - مقبولا تؤخذ منه الاحكام واعادة النظر فى سائر الشروط التى وضعها بعض الأئمة لظروف خاصة املتها عليهم ككون الحديث غير مخالف لقواعدهم العامة ، أو كونه مرويا من غير فقيه ، أو مخالفا لقياس ، أو مخالفا لما عليه العمل فى المدينة ، اولظاهر القرآن ، أو وارد فيما تعم به البلوى ولم يشتهر،

او غير ذلك من شروط كانت ولا يزال موضع جدل ، ومصدر اختلاف وخصام بين المسلمين ، وشغلا شاغلا للدارسين .

٢- ولا بد من دراسة لغوية فقهية تدرس من خلالها اساليب التعبير لدى العرب فى عصر الرسالة ، وملاحظة التطورات التى مرت بها هذه الاساليب ، ومفاهيم المفردات اللغوية كذلك ليتمكن الفقيه من فهم النصوص الفهم المطلوب .

٣- ايلاء الادلة أو الاصول « الاجتهادية » كالتقاياس والاستحسان والمصلحة وغيرها عناية خاصة ودراستها ودراسة تاريخها والظروف التى املت على المجتهدين القول بها ، ومحاولة تنمية الحس الفقهى بها لدى الباحثين فى مجالات الفقه والاصول .

٤- لابد من ادراك ان من غير الممكن أو الميسور فى عصرنا هذا وجود المجتهد المطلق ومادام الامر كذلك فان «المجامع العلمية » هى البديل للمجتهد المطلق .

ولتتمكن هذه المجامع من تلبية احتياجات الامة فى قضايا التشريع لابد أن تتألف من خبراء تتناول اختصاصاتهم جميع مناحى الحياة ويستطيعون ان يتبينوا اى قضية تعرض من جوانبها المختلفة ، ولهم مع ذلك معرفة تامة بالقواعد والاصول العامة للشريعة الاسلامية ، ويكون من بينهم فقهاء على اعلى مستوى ممكن فى العلوم الشرعية والادلة التفصيلية - ولعل فقهاءنا رحمهم الله - كانوا يشيرون الى هذا المعنى حين طلب بعضهم من الذى يريد الفطر فى رمضان أن يستفتى طبيباً مسلماً عدلاً ، فاذا افتاه ان الصيام يضره جاز له الفطر .

- ٥- وهذا يقتضى فيما يقتضى بتيسير العلوم الشرعية وتسهيل دراسة ما يحتاجه منها أولئك المتخصصون فى علوم أخرى .
- ٦- كما اننا فى حاجة شديدة الى معرفة فقه الصحابة والتابعين ، والقواعد التى استنبطوا منها ما استنبطوه وخاصة فقه الخلفاء الراشدين ومعاصريهم من أهل الفتوى من الصحابة وكبار التابعين ، لتكون هذه الدراسات بين ايدى أولئك الذين يراد منهم ، الاستجابة التشريعية لمتطلبات مجتمع اسلامى معاصر .
- ٧- الاهتمام بمعرفة " مقاصد الشريعة " ، وتنمية دراساتها والعمل على وضع قواعد او ضوابط لها .
- وختاماً فلعل المعهد العالمى للفكر الاسلامى خطوة فى هذا السبيل ان شاء الله تعالى .
- والله ولى التوفيق .. "



## المراجع

- ١- راجع مناقب المكي ( ٢٤٥/٢ ) ومقدمة أصول السرخسى ( ٢/١ ) ، ومفتاح السعادة ( ٢٧٢/٢ ) ، والمهرست لان النديم الذى استند جميع من ادعى ذلك الى عبارته فى ترجمة محمد بن الحسن : " وان له فى الاصول كتاب الصلاة ، الزكاة ، الحج وظاهر أنه يريد بهذا أصول الدين .
- ٢- أنظر ( ١١٠/١ - ١١١ )
- ٣- وكل فريق من هؤلاء كان يزيد علمائه فى كتبهم الاصول التى ينفردون بها عن غيرهم ، ويبينون ما يخالف قواعدهم بنفس الاسلوب الاستدلالي المشار اليه .
- ٤- أنظر حجة الله البالغة ( ٣٣٦/١ - ٣٤١ ) ، وكتابه الانصاف فى بيان سبب الاختلاف ( ٢٨ - ٤٠ ) ط السلفية .

- ٥- الذى حقق أحد الباحثين بجامعة الامام قسما منه لرسالة الماجستير ، ويقوم بتحقيق مابقى منه لرسالة الدكتوراه .
- ٦- أنظر مقدمة ابن خلدون ( ١١٦٢/٣ - ٦٤ ) ط . وافى .
- ٧- راجع مناهج البحث للنشار ( ٥٥ ) .
- ٨- وراجع : مسلم الثبوت وشرحه بحاشية المستقصى ( ٩٨ - ١٠ ) حيث نفى صاحبه أن يكون المنطق كذلك ، وزعم ان نسبة « المنطق الى الفلسفة والاصول الفقه واحدة ولعله بأثر يقول من قال : ان المنطق مخيار العلوم .
- ٩- المحصول ( ١ - ) .
- ١٠- راجع مناقب الشافعى للرازى ( ٩٨ ) ومابعدها ومناهج البحث ( ٥٥ )
- ١١- أنظر كتاب « الامام الشافعى » لمصطفى عبدالرازق ص ( ٤٥ ) .
- ١٢- أنظر الانصاف للدهلوى ( ) وابو حنيفة لايى زهرة ( ٢٢٣ ) ومابعدها .
- ١٣- أنظر تاريخ بغداد ( ٣٦٨/١٣ ) ، والانتقاء ( ١٤٢ ) ، ومشايخ بلخ من الحنفية ( ١٩٠ )
- ١٤- راجع الميزان ( ٥٢/١ ) والطبقات السنية ( ١٤٢/١ ) ، ومشايخ بلخ ( ١٩٣ )
- ١٥- المراجع السابقة .
- ١٦- راجع تاريخ الفقه لمحمد يوسف موسى ( ١٦٠ ) .
- ١٧- راجع مفاتيح العلوم للخوارزمى ( ٨٦ ) والمقدمة ( ١١٢٥/٣ - ١١٢٦ و ١١٦٦ - ١١٦٦ )
- ١٨- راجع مفتاح السعادة .
- ١٩- أنظر المستقصى للفرالى ( ٣/١ ) . وللغزالي غير المستقصى « المتخول » ولاشفاة الغليل مى بيان الشبه والمخيل ومسالك التحليل ، و « تهذيب الاصول » وكلها تعتبر من أهم الكتب الاصولية
- ٢٠- من كلام سيدنا عمر رضى الله عنه .



## آفاق الدعوة الاسلامية فى القرن الخامس عشر الهجرى

د . معروف الدواليبى

(قدم هذا المقال فى ملتقى الفكر الاسلامى المنعقد فى الجزائر فى

١٩٨٠ م )

١- وبعد فاننى عندما ألقيت نظرى على جدول الأعمال الذى ستدور جوله كل المحاضرات والمناقشات فى " الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامى " فى الجزائر العاصمة ، كما شرحه لنا معالى وزير الشؤون الدينية السيد بوعلام باقى فى كتاب دعوته للمساهمة فى أعمال هذه الدورة ، لم أتردد منذ القراءة الاولى فى اختيار الموضوع الثالث من المواضيع الاربعة ، وهو (( آفاق الدعوة الاسلامية فى القرن الخامس عشر الهجرى )) ، معتبرا أنه الاشمل من المواضيع الاسلامية الثلاثة التى كان أولها ( ( الاسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة ) ، وثالثها ( فلسفة التربية فى الاسلام ) ، تاركا الموضوع الأول حول ( النشر يس قلعة من قلاع العلم والنضال ) لأصحاب المعرفة فيه .

٢- غير أن كلمة " آفاق " من عنوان " آفاق الدعوة الاسلامية فى القرن الخامس عشر الهجرى " وقد عرضت أمام نظرى " آفاقا " للدعوة الاسلامية لاحصر لها ، وخاصة وعلى الأقل فى آفاقها العامة

التالية .

أولا ..... العقائدية

ثانيا ..... الاجتماعية

ثالثا ..... الاقتصادية

رابعا ..... الثقافية

خامسا ..... الساسية

سادسا ..... الانسانية

سابعا ..... التشريعية

وكلها آفاق هامة فى الدعوة الاسلامية ، وضرورية ومحبة الى ولا سبيل الى الكتابة فيها كلها ، لانها تخرجنى تماما عن الوقت المحدود بثلاثين دقيقة ، فضلا عن ضيق أوقاتى لاعداد هذه البحوث العلمية المتكاملة ، وهذا مايجعلنى لا أشك فى أن الذين سيختارون معنى هذا الموضوع من الزملاء الكرام سوف لاتكون أبحاثهم فى أفق واحد ، وفى ذلك ان شاء الله تلخير كله ، راجين أن يكون فى بحوثهم المختلفة « الآفاق فى الدعوة الاسلامية » مايجعل منها ثروة علمية فى الموضوع لاغنى لنا عنها .

٣- هذا ولقد طالت حيرتى مدة أسبوع لا أدرى على أى أفق أستقر ، لولا أن ألهمنى الله أخيرا أن أطرق أفقا حيا رأيت أنه الالىق بمطالب عصرنا الجديد ومشكلات الانسانية فيه . وأنه يصلح لأن يكون مدخلا لكل تلك الآفاق المختلفة للدعوة الاسلامية فى هذا العصر ، وذلك من ناحية أن الدعوة الاسلامية هى دعوة الى الحياة على أساس السلام للانسان .



٤- ولما كانت الحياة الانسانية متطورة مع الزمن ، فانه قد يكون لكل طور من أطوار الحياة على مدى العصور مشكلات وتحديات خاصة به مما يستدعى أيضا معالجة خاصة ، ويساعد على « آفاق الدعوة الاسلامية » لمعالجة تلك المشكلات والتحديات فى عصرنا .

فما هى مشكلات عصرنا وتحدياته ؟

وهل للدعوة الاسلامية باعتبارها « دعوة الى الحياة على أساس السلام للانسان » دور للمساهمة فى خدمة الانسانية ؟

٥- وقبل أن أدخل فى الموضوع أريد أن أقول أولا : أن تحديدنا للدعوة الاسلامية . بأنها ، « دعوة الى الحياة على أساس السلام للانسان » ليس فيه تزوير للحقيقة ، أو تضخيم ، وانما هو الحقيقة القرآنية نفسها حينما جهر القرآن الكريم فقال الله سبحانه وتعالى فى دعوته الى الاسلام (( ياأيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم )) وقال (( والله يدعو الى دارالسلام )) وقال (( وان جنحوا للسلم فاجنح لها )) واخيرا جعل الاسلام من كلمة (( السلام )) وحدها شعارا للنحية ايناسا للانسان ، وتذكيراله على الدوام بالالتزام الواجب للسلام .

٦- ولذلك كله فان الدعوة الاسلامية كانت منذ ظهورها حتى اليوم « دعوة الى الحياة والسلام للانسان » لاشك فيها ، غير أنها دعوة الى نوع جديد من « الحياة الانسانية المتقدمة » ولا عهد للمجتمع البشرى فى مفاهيمها الاسلامية لا من قبل ولا من بعد وذلك من خلال : الايمان بالله الذى خلق الانسان على الأرض :

مستولا عن القيام بعمارتها فى ظل السلام للانسان ،

ومكلفا بعبادة الله فيها من أجل سلام الانسان ،  
 وندعوا الى التعاون فيما بين شعوبها على البر والتقوى لاعلى  
 الاثم والعدوان وعلى أساس من الحرية المستولة والكرامة للجميع من  
 غير تمييز بين الاعراق والالوان ، والاجناس ، والأديان ووفقا فى كل  
 ذلك لشريعة الله من أجل سلام الانسان أيضا .

٧ـ وبعد فان تقدم العلوم فى هذه العصور الحديثة وانتشارها السريع  
 اليوم وكذلك تقدم التكنولوجيا المتطورة ، قد كان لهما نتيجتان  
 حتميتان هما :

أولا : شعور كل انسان بوجوده ، وبكرامته وبحقه فى الحياة الكريمة  
 من غير تمايز ما بين انسان وانسان ، لافى القوميات ، ولا فى الاعراق ،  
 ولا فى الاجناس ، ولا فى الاديان .

ثانيا : زوال الحدود بين الامم والشعوب ، ونشأك مصالحها مما لم  
 تعد تصلح معه الحياة فى ظل الانظمة العالمية السائدة والقائمة على  
 التمايز فى الكرامة وفى المصالح الخاصة لدى بنى الانسان .

٨ـ وهكذا فان هذا التقدم السريع فى العلوم وفى التكنولوجيا  
 بنتائج الحتمية المشار اليها قد أوجد مشكلات حيوية حادة فيما بين  
 الأمم والشعوب وقد حرصت منظمة الامم المتحدة على العمل لحلها  
 بكل الوسائل السلمية ، وقد عالجتها معالجة طويلة خلال نحو من  
 خمسة وثلاثين عاما ، أى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ،  
 لكن بدون أن تتقدم خطوة نحو السلام ، وذلك على الرغم من أن  
 سيفة تأليف هذه المنظمة عقب تلك الحرب لم تكن الا وسيلة لحل  
 لمشكلات الانسانية ، ولضمان السلم العالمى ، وفقا لميثاق هذه

المنظمة وملحقاته حتى اليوم .

٩- ولا يسعنا مع ذلك فى هذا المقام الا أن نسجل لمنظمة الأمم المتحدة اهتمامها الشديد الذى أبداه أعضاء المنظمة بالاجماع فى دورتيها الاستثنائيتين فى عامى ١٩٧٤ - ١٩٧٥ م اللتين عقدتا خصيصا للبحث عن حلول سلمية لمشكلات المجتمع الدولى التى أصبحت تنذر بسوء المصير للجميع .

١٠- كما لا يسعنا الا أن نسجل باعجاب قرارهم الاجماعى الذى انتهوا اليه ، وما قد جاء فيه من صراحة جريئة حيث قالوا : ان المشكلات العالمية الحاضرة لا أمل فى ايجاد حل لشيئ منها فى ظلال الانظمة الاجتماعية السائدة اليوم فى العالم ، وخاصة النظام الاقتصادى الخاص بكل شعب ولمصلحته وحده دون مراعاة مصلحة الآخرين فيه .

١١- ولقد أكدوا على ذلك بقولهم : ان البشرية قد تقدمت علميا وثقافيا ، وان التكنولوجيا المتطورة قد ازالَت الحدود فيما بينهم ، وأنه لم يعد يصلحهم ويليق بهم الانظام عالمى جديد يقوم على قواعد انسانية جديدة ، وقد حددتها منظمة « اليونيسكو » بناء على طلب الأمم المتحدة ، وقالت فيها : انها تلك القواعد التى نلخصها فيما يلى ، وهى التى :

تدعو الى « وحدة الأسرة البشرية » من غير تفاضل ،

وتؤمن بحق الجميع فى الحياة الكريمة من غير تمايز وتعتبر مصالحهم الاقتصادية واحدة ، ولا يجوز التفاضل والتمايز فيها لحساب شعوب تعتبر نفسها ممتازة على حساب الشعوب الأخرى .

وأخيرا تدعو هذه القواعد أن نتخذ من « العدل » بين الجميع

القاعدة الحتمية لهذا النظام العالمى الجديد .

١٢- غير أنه يؤسفنا أن هذه الصرخة المدروسة من قبل الأمم المتحدة فى هياتها العامة ، ومن قبل منظماتها العلمية « اليونيسكو » قد ذهبت أدراج الرياح ، وذلك :

لأنها تحتاج أولا الى « الايمان بها ايمانا عقائديا » .

كما تحتاج ثانيا الى « اقامة علم التربية وفلسفتها عليها » .  
اذ لا يكفى مجرد الدعوة اليها سياسيا تحت ضغط الاحداث ، ولا التوصية بها فقط كما كان شأن التوصيات بحقوق الانسان الواردة فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان .

١٣- ولما كنا معشر المسلمين نؤمن بها وحدنا « ايمانا عقائديا » ، عملا بعقيدتنا الاسلامية ، لذلك وجب علينا أن نرحب أولا بهذا اللقاء مع الفكر الاسلامى ، كما وجب علينا أن نكون أولى الناس بتأييد هذه الصرخة العالمية الدولية ، وأن نكون أحق الناس بالدعوة اليها بكل حرارة ، وأن نجعل منها أبرز آفاق الدعوة الاسلامية فى هذا العصر للتعريف بالاسلام عن طريق بعض آفاقه الاجتماعية ، وأن نتخذ منها كقواعد اسلامية القواعد الأساسية لنظام المجتمع الإنسانى الجديد كما اتخذها الاسلام من قبل ، وأن نبحث على ضوئها عن حلول المشكلات الانسانية فى سبيل السلام على الأرض وأن نتقبل التعاون على أساسها مع من يرغب ، وأن نفتح الحوار من أجل ذلك مع أبعد الناس عنا فى الكفر والقيم ، وذلك من أجل سلام المجتمع والانسان .

١٤- واننا اذا تقبلنا الدعوة الى ذلك والحوار فيه فانما نتطلق من

منطلق اسلامى لاشك فيه ، عملا بما جاء فى القرآن الكريم حين دعى أهل الكتاب الى الحوار معهم اعتمادا فى الأصل على نقطة الوفاق معهم رغم أنه على خلاف أساسى معهم فيما عداها ، فقال لهم : « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » وذلك اعتمادا أولا على نقطة الوفاق دون نقاط الخلاف ، لأن الخطر على الانسانية أصبح عظيما ، وأن الحاجة الى دفعه بأسرع ما يمكن واجب لاشك فيه فى مفهوم الدعوة الاسلامية وأن التعاون عليه أوجب واكد .

١٥- هذا ولا يفوتنا فى هذا المقام الذى ندعو فيه الى التعاون فيما بين أبناء البشرية كأسرة واحدة أن ننبه الى خطر التبعية فى الدعوة الاسلامية ، للمذاهب التقليدية الاجتماعية الحديثة التى تسود العالم اليوم ، والتى قد تخطاها الزمن والعلم ، وأعترفت الأمم المتحدة ، وأجهزتها العلمية بعدم صلاحها بعد اليوم لمعالجة مشكلات العالم الانسانى كما مر معنا من قبل .

١٦- ونضيف على ذلك هنا ما جاء فى كتاب « الديمقراطية الفرنسية » الذى وجهه الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان خلال فترة حكمه هذه الى الشعب الفرنسى فقال : (( ان الماركسية والليبرالية التقليدية نظريتان ناقصتان ، وتنتكران للحقيقة الانسانية ، وانهما لم تعودا قادرتين على تفسير الواقع ولا على توجيه العمل وانهما تتفلتان بسهولة من قبضة البحث العلمى ، وأن التحيز يغلب عليها الى اليوم أكثر من العقل ، وانهما لم تعودا تمثلان الوقائع المحسوسة فى مجتمعاتنا الا تمثيلا ضعيفا ، وانهما يتكيفان بصعوبة لايجاد حلول

لمشاكلنا الواقعية ، وأن الموقف الموضوعى يدعو الى ترك هذه النظريات غير المتكاملة ، والى البحث عن صيغة جديدة مقبولة )) .

١٧- وكذلك نضيف لكثير من الفائدة ما قاله حديثا أستاذ علم الاقتصاد فى احدى جامعات فرنسا الأستاذ جاك أو ستروى ، رئيس هيئة علماء الاقتصاد فى فرنسا ، فى كتابه ، « الاسلام أمام التطور الاقتصادى ، فقد قال هذا الباحث : « ليس هناك فى الحقيقة طريقة وحيدة وضرورية لادمنها للتطور الاقتصادى كما تريد أن تقنعنا به المذاهب القصيرة النظر فى النظامين الاقتصاديين السائدين » - (الصفحة ١٦- ١٧ ) ، ثم ألح هذا الباحث الاقتصادى على ضرورة التماس المذهب الثالث فى الاسلام نفسه لأنه ليس فرديا ولا جماعيا ، ولكنه يجمع بين الحسينين .. وكذلك ألح على المسلمين بضرورة العودة الى الاسلام نفسه والى دراسة قواه الكامنة فيه لشق الطريق نحو النهوض عن التقليد الاعمى - الصفحة ٨٠ - وجاهر بعد ذلك بأن الاسلام يتمتع بإمكانات هائلة ، وأنه اذا ما وجد الطريق الصحيح فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية التى ظهر للاقتصاديين تعذر التغلب عليها حتى الآن ، سوف يحلها الاسلام . الصفحة ١١٢ - ثم دعا هذا الباحث المسلمين الى الاسراع قبل فوات الوقت لوضع الطريقة المنبثقة عن خصائصهم وقواهم الكامنة المبدعة الهائلة ، ثم حذرهم بأنهم ان لم يفعلوا ذلك فسوف يجبرون على قبول تغيرات غير سليمة فى نظمهم الأساسية ، وذلك نتيجة لاتباع منهج فى الانماء مفروض عليهم ، وفى هذه الحالة سيقضى على الاسلام كمنهج حضارى مستقل ، ١١٢ - ١١٣ .

١٨- ولذلك كله يتوجب اليوم على الداعية الاسلامى التأكيد على ذاتية الدعوة الاسلامية فى جميع آفاقها ، وعلى استقلالها ، وعلى كمالها ، وعلى التأكيد خاصة على الجديد فيها الذى لا بد منه لتقدم الانسان وسعادته .

١٩- واتماما للفائدة فيها نحن أولا نشير بكل ايجاز الى « الجديد التقدّمى فى جميع آفاق الدعوة الاسلامية التى أعدناها فى مطلع كلمتنا هذه من حيث آفاقها العقائدية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية ، والانسانية ، والتشريعية ، وذلك تأكيد على ذاتية الدعوة الاسلامية وحاجة الانسانية الى الجديد فيها فى كل عصر ، وخاصة فى هذا العصر الذى تقدمت فيه العلوم الكونية والانسانية والاجتماعية ، وأخذ العقل العلمى مكانه فيها فى البحث والحكم كما يريده الاسلام .

٢٠- وايضاها لذلك نقول : أن « الدعوة الاسلامية فى جميع آفاقها المذكورة قد قامت منذ نشأتها على قواعد ومبادئ جديدة ، ولا تزال كذلك فى جذتها بكل ما فيها من معانى الجدة ، وفى جميع آفاقها من وجوه الحياة التالية الشاملة :

ففى آفاقها « العقائدية » أعلنت قبل أية أمة من الأمم الحديثة : حرية العقيدة وعدم جواز الاكراه فيها .

وفى آفاقها « الاجتماعية » أيضا وقبل أية حركة تحريرية فى العالم الحديث ، شجبت بكل قوة أنظمة الطبقات المتفاوتة فى الحقوق والكرامة ، وأعلنت التساوى فى الحرية والكرامة الانسانية من غير تمييز بين انسان وآخر ، لافى الاعراق ولا فى الاجناس ، ولا فى

## الاديان .

وفى آفاقها « الاقتصادية » قد فرضت الدعوة الاسلامية كل القواعد الأساسية للنهوض بالاقتصاد العالمى ، وذلك أولا فى « ايجاب العمل » من حيث هو ، وثانيا فى « ايجاب زيادة الانتاج ، وذلك عملا بكثير من الآيات القرآنية فى ذلك ، وعملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا حين قال : « لو أدرك أحدكم يوم القيامة وفى يده فسيلة - شجيرة - فليزرعها » ، وذلك حرصا على عدم اهمال الزيادة فى الانتاج لمصلحة الجماعة ، حتى فى تلك الساعات الحرجة التى يذهل فيها الانسان عن مصالحه الخاصة فضلا عن العمل لمصالح الجماعة . وأخيرا فقد فرضت الدعوة الاسلامية « العدالة » فى توزيع خيرات هذا الانتاج بحيث لا يكون هناك محروم ، وذلك وفقا لقواعد الاسلام فى العدالة المطلقة فى « الحق بالحياة الكريمة » ومن أجل ذلك أوجب « نظام التكافل فيما بين الجماعة » على أرض الاسلام ، حتى ولو اختلفت بينهم الأديان .

وفى « الآفاق الثقافية » للدعوة الاسلامية قد جعل الاسلام « فريضة العلم » أساسا لهذه الدعوة كما هو معلوم ، وعاقب على تركها ، بينما لا يزال موضوع العلم فى عالمنا الحديث المتقدم فى عدد الوصاية وحقا من حقوق الانسان لا فريضة علمية كما جاء بها الاسلام . وأما فى « الآفاق السياسية » فقد فرض « الشورى فى نظام الحكم من غير تمييز ما بين « أقلية » ولا « أكثرية » فى الشورى ولم يأخذ بالرأى فى هذه الشورى اعتمادا على عدد الأصابع المرفوعة ؛ وانما اعتمادا على التعمق فى الرأى وترجيح الراجح منه وفقا للمصلحة .



وذلك أيضا جديد فى مفهوم الحكم السياسى حتى اليوم .  
 وأما فى « الآفاق الانسانية » للدعوة الاسلامية فقد كان الاسلام ولا يزال أول من أزال الفوارق بين أبناء الانسانية حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لافضل لعربى على عجمى ، ولا لأبيض على أسود » كما قال « الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم اليه أنفعهم لعياله » مع وجوب مراعاة جميع حقوق الانسان الأساسية من ثقافية ، واجتماعية ، واقتصادية ، تجاه الجميع من غير تمايز .  
 وأما « فى الآفاق التشريعية » للدعوة الاسلامية ، فقد أقام الاسلام شريعته على أسس عالمية وانسانية ، مع التشديد على مراعاة العدل فيها ولو على الأنفس والاقربين .  
 ٢١- وبهذا الاستعراض الوجيز لجميع آفاق الدعوة الاسلامية ، بعد التوسع مقدما فى بعض آفاق الدعوة الاسلامية من الناحية الاجتماعية بالنسبة للعصر الذى نعيشه ، نرجو أن نكون قد أعطينا موضوعنا حقه من الاشارة اليه ، تارة بالبسط وتارة بالايجاز . والله سبحانه وتعالى من وراء القصد .



## تأملات فى اسباب سعادة المسلمين وشقائهم

### ودور العلم فى النهوض بالأمم

د . احسان حقى

فى كل زمان وفى كل قوم يظهر بين حين و حين افراد من العباقرة يفرضون شخصياتهم وعقولهم على قومهم او على كل العالم ، وكما يظهر افراد عباقرة تظهر اقوام عباقرة ايضا تفرض نفسها على غيرها بالحجة والمنطق والحكمة والعقل او بالقوة . واذا كان عدد افراد العباقرة قليل بالنسبة الى الاقوام العبقرية فاننا ، مع ذلك ، نستطيع ان نقول بأنه لا يوجد قوم من الاقوام العالمية الا وقد امتاز فى وقت ما بعبقرية من العبقريات . فلو اخذنا الاقوام القديمة كالفرعنة والاشوريين والكلدانيين والحثيين والفينيقيين والصينيين ثم الذين يلونهم كاليونان والرومان والفرس والهنود ثم الذين يلونهم كالاتراك والعرب ثم بعض الاقوام الاوربية القديمة والحديثة كالاسبان والبرتغال والاطليان والانكليز والافرنسيين والجرمانيين وغيرهم نجد ان كل هذه الاقوام قد مر عليها زمن من الأزمان كان لها فيه شأن وماضى مجيد فى ناحية من نواحي الحياة العقلية او العلمية او الفكرية او الحربية او غير ذلك ، ثم نجد جذوة تلك العبقرية قد انطفأت فجأة كما ظهرت فجأة

ثم عادت تلك الامة خاملة متفسخة و كأنها لم تك شيئا مذكورا بالامس .

وقد يعجب المرء من نهوض تلك الامة المفاجئ ومن تدهورها المفاجئ ايضا ويكاد يشك بأن يكون هؤلاء الاولاد والاحفاد الصعاليك المفاليك هم من نسل اولئك الاجداد العظام الميامين ، ولكن لا عجب فى ذلك فالامم تنهض بالسعى والجد والعمل وتضمحل وتتلاشى بالكسل والالتكال والجهل .

واذا حق لامة ، على ما هى عليه من خور وهزال وتفكك وتصدع ، ان تفتخر باجدادها وبماضيها فانما يحق لنا نحن المسلمين ذلك اكثر من اى امة اخرى لأن لنا ماضيا ساطعا كالشمس لا يمكن نكرانه او تجاهله واهماله لأنه شمل كل نواحي الحياة . وقاد العالم قرونا الى ينابيع العلم والعرفان .

واذا كان رجوعنا الى ذاك الماضى لايسمن ولا يغنى من جوع لأنه اشبه برجوع التاجر المفلس الى دفاتر حساباته القديمة ليذكر ما كان له من دين على فلان وفلان وما كان عليه من واجبات قصر بها ، فان هذا الرجوع لا يخلو من فائدة لأن الذى ليس له تليد ليس له جديد، ورجوعنا الى ذاك الماضى قد يحثنا على العمل لنستعيد ذاك الماضى ورجوع الاصيل الى اصله اهون من بلوغ الهجين مرتبة الاصيل .

واذا افتخرنا ، نحن المسلمين ، بماضيها فاننا نفتخر باجداد سطورا فى سجل الدهر اروع نهضة امتازوا بها على جميع الامم التى سبقتهم او التى جاءت بعدهم لأن نهضتهم شملت جميع نواحي الحياة

من مادية ومعنوية وعلمية وعقلية وفلسفية واجتماعية واذا لم يكن  
للاسلام من فضيلة الا كونه ساوى بين البشر وقال لافضل لعربى على  
عجمى ولا لاييىض على اسود الا بالتقوى لكفى فكيف به وقد قلب  
العالم كله فى تفكيره ومعتقداته ونظرة الى الحياة ؟

لقد فتح المسلمون العالم ، الذى كان معروفا آنذاك ، من اسبانيا  
الى الصين ، فى اقل من قرن ولم يفتحوه عسكيا بل فتحوه فكريا  
وعقليا اذ قضاوا على عبادة الاوثان ورفعوا شأن الانسان من مرتبة  
البهيمية الى مرتبة الانسانية العليا ونشروا لغة القرآن حتى اصبح العالم  
كله يدين بكل شى لهذا الدين العظيم .

يقول بعض علماء الغرب المتعصبين بأن المسلمين انما نشروا  
الحضارة اليونانية لأنهم ترجموا كتب اليونان وعملوا بها ، وهذا القول  
بقدر ما يدل على التعصب فانه يدل على الجهل لأن العالم يعلم بأن  
العلم لا يأتى ابتداءا بل يأتى اتباعا ، فالذى اخترع الصرف والنحو  
كان بحاجة الى الحروف الهجائية والذى اوجد الادب كان بحاجة الى  
الصرف والنحو وهكذا فان العلوم تبنى بعضها على بعض ولا تولد كاملة،  
وكل عالم يضع لبنة فى بناء علمه باستمرار وكلما وضعت لبنة جديدة  
زاد العلم تقدما ، وقول هؤلاء العلماء المتعصبين اشبه بقول احد  
الانكليز للشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية : ان كثيرا مما فى  
القرآن موجود فى الانجيل والتوراة اللتين بين ايدينا فما هو فضل  
القرآن ؟ فقال له الشيخ محمد عبده : لقد قال لنا الله هذا من قبل ان  
تقوله انت : اذ قال الله بشأن القرآن ، ( ان هذا لفى الصحف الاولى  
صحف ابراهيم وموسى ) فبهت الذى كفر .

الحقيقة ان المسلمين اخذوا علوم غيرهم فهذبوها ونقوها و اضافوا عليها وظهر فى المسلمين علماء ما زال علماء الغرب الى يومنا هذا ينحون منحاهم وينحون برؤسهم اكبارا واجلالا لهم . واننا اذا نظرنا الى ما قدم المسلمون من خدمات للعلم لا نستطيع مهما كنا متحاملين عليهم ومغالين فى العداء لهم الا ان نكبر جهودهم الجبارة وعقولهم الناضجة اذ تناول المسلمون اصول المعارف الانسانية وغاصوا فى اعماقها وقسموها الى فروع قال صاحب كتاب ( مفتاح السعادة ) انها بلغت ثلاث مئة فرع .

وان ما تركه المسلمون ولا سيما فى العصور الثلاثة الاولى من الاسلام من تراث ضخم لا يضارعه تراث فى العالم ، فالمسلمون اخذوا العلوم فجة وانضجوها وجعلوا لها قواعد ثابتة ومثال ذلك انهم اخذوا الطب عن بقراط ( المتوفى سنة ٣٨٧ قبل الميلاد ) وجالينوس ( المتوفى سنة ٢٠١ ميلادية ) وعن بعض الهنود والسرمان ولكنهم لم يأخذوه كما هو من غير تمحيص بل اخذوه وهذبوه ونقوه من الشعوذة والتنجيم والسحر وادخلوا عليه نظريات جديدة و نقدوا مذاهب القدماء فى تحليل بعض الامراض واستحدثوا اشياء جديدة فى التشخيص المرضى كما انهم اوجدوا ادوية جديدة ، فالاطباء المسلمون هم الذين اكتشفوا علاج البرقان والهيضة وهم الذين عالجوا الحميات والفالج بالفصد والتبريد على خلاف ما كانت عليه الحال من قبل وهم اول من استعمل المخدر فى الطب والكى فى الجراحة وصب الماء البارد على الرأس لقطع النزف ، واعظم من ذلك انهم توصلوا الى طريقة تفتيت الحصاة فى الكلية او المثانة ، كما استطاع ابو القاسم الزهراوى خلف

ابن عباس ( المتوفى ١١٠٦ ميلادية ) ان يعين المكان الذى يجب ان يشق فى الجسم لاجراج الحصة بعملية جراحية .

وكان ابوبكر الرازى اول من كتب فى امراض الاطفال وفى مرض الجدرى والهيضة وهو الذى استعمل الكحول للتطهير . اما الرئيس ابن سينا سيد الطب و جالينوس العرب ، كما يسميه الاوربيون ، فقد ظل قانونه شريعة الطب فى العالم زهاء ستة قرون وكان يدرس فى المدارس الطبية فى فرansa واطاليا وخاصة فى مونبيليه ، فى فرansa ، حتى وسط القرن التاسع عشر .

والمسلمون هم الذين وضعوا اصول علم الصيدلة وتركيب العقاقير وهم واضعو علم الكيمياء وهم الذين عرفوا فن التقطير والترشيح والتضفية والتذويب والبلورة والتكليس وهذا ما يعترف به الاوربيون . وبرع المسلمون فى علم النبات ولا سيما ماله علاقة بالطب وغير ذلك من العلوم . فالمسلمون لم يكونوا ، اذن ، ناقلين للعلوم بل اخذوا علوم الغير و اضافوا عليها وهذبوها وكسوا اكثرها صبغته العلمية المتميزة بعد ان كان خليطا ليس له صفة مميزة .

وكان من البديهي ، بعد ان بلغ المسلمون هذه المرتبة الرفيعة من العلوم ، ان يعنوا بالكتب وحفظها فقد ذكر التاريخ انه كان فى مدينة طرابلس ( ليبيا ) فى العهد الفاطمى مكتبة تضم ثلاثة ملايين مجلد ، احرقها الغرييون ابان الحروب الصليبية سنة ٥٠٢ هجرية ، وكان فى مكتبة العزيز بالله الفاطمى ( نزار بن المعز المتوفى ٩٩٦ ميلادية ) فى القاهرة مليون وست مئة الف مجلد اغرقت فى النيل او القيت فى الصحراء حتى صارت تلالا عرفت بتلال الكتب . وكان فى مكتبة

الحكم الثانى المستنصر فى قرطبة ، المتوفى سنة ٩٧٦ ميلادية ) ست مئة الف مجلد ، هذا بالاضافة الى ما حوت مكتبات العراق وفارس وسمرقند وبخارى وغيرها من كتب احرقها التتر او القوها فى دجلة .

قد لا يدرك ابن اليوم اهمية هذه الاعداد الضخمة التى كانت تحويها المكتبات الاسلامية لأنه يظن ان الذى يملك المال يستطيع فى ايامنا هذه ان يشتري ملايين الكتب فى اسابيع ولكن حينما يفكر بأن كل هذه الكتب كانت مخطوطة ، اذ ان المطبعة لم تكن موجودة ، وانه لم يكن يوجد من الكتاب الواحد ، فى العالم كله ، الا نسخة واحدة او بضع نسخ ، وان ثمن النسخة كان ، فى بعض الاحيان ، يوازى ثقلها ذهابا يدرك عظمة هذه المكتبات وما انفق فى جمعها من جهد ومال وعلم ، ولا ادل على عظمة هذه المكتبات الاسلامية من ان ملك فرانسوا شارل الخامس المعروف بلقب ( LE SAGE الحكيم ) والذى تولى الملك سنة ١٣٦٤ ، اى بعد الحكم الثانى بنحو اربع مئة سنة ، لم يستطع ان يجمع فى مكتبته الا تسع مئة كتاب ثلثها كتب دينية مسيحية .

وكما اننا نحن الشرقيين نذهب فى ايامنا هذه الى الغرب ( اوربا وامريكا ) لكى نتزود بالعلم فقد كان رجال العالم الغربى ، ابان النهضة الاسلامية وعصورها الزاهرة يقصدون البلاد الاسلامية ولا سيما الاندلس ليتزودوا بالعلم لأن العلم فى اوربا ، آنذاك ، كان محصورا برجال الدين وكان هؤلاء يخلطون الدين القائم على ما يعلمون من الانجيل والتوراة ، بالشعوذة ، فلما اتصلوا باسبانيا المسلمة استيقظوا من غفلتهم واخذوا يطلبون العلم على ايدى المسيحيين ، وفى

سنة ١١٣٠ ميلادية انشأ المسيحيون مدرسة للترجمة فى طليطلة تولاهـا اسقف واخذت تنقل الكتب العربية الى اللغة اللاتينية ، وهى اللغة العلمية الوحيدة فى كل اوربا آنذاك ، ثم انشئت مؤسسات اخر لمثل هذه الغاية وظلت تعمل ثلاثة قرون اى القرن الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر وبلغ كل ما ترجموه ثلاث مئة كتاب ونيف وكانت كتب الرازى والزهرأوى وابن سينا وابن رشد هى الكتب المفضلة لديهم وقد ترجموا بعض الكتب اللاتينية من ترجمتها العربية .

وقال المؤرخ الانكليزى جورج مولر فى كتابه : ( فلسفة التاريخ ) ان مدارس المسلمين فى اسبانيا كانت المصادر للعلوم وكان الاورييون يأتونها من كل قطر يتلقون فيها العلوم الطبيعية والرياضيات وغيرها من العلوم التى لم يكن الغرب قد سمع بها .

وكما كانت اسبانيا مركزا عاما للثقافة فى العهد الاسلامى فقد كان جنوب ايطاليا ، بعد أن استولى عليه المسلمون ، واسطة لنقل الثقافة العامة الى اوربا وكان فى صقلية والبندقية مؤسسات لترجمة العلوم ولولاها لما ظفرت اوربا بكتاب من كتب اليونان ولا بشى من علوم المسلمين .

وكما ان بعض رجال الدين يتعصبون اليوم ضد تعلم بعض العلوم فقد كانت الحالة فى اوربا فى القديم ، يوم كان العلم وقفا على رجال الكنيسة ، مثل ذلك وكان رجال الدين يتعصبون ضد تعلم العلوم الاسلامية ومن ذلك ان راهبا افرنسيا درس فى اشبيليا وقرطبة الرياضيات والفلك ثلاث سنين ثم رجع الى بلاده ينشر العلم الحق فاتهموه بالشعوذة والسحر ورموه بالكفر ايضا وقد قاسى فى سبيل قول



الحق الامرين من قومه ولكن علمه تغلب على جهلهم وظل يرتقى فى سلك الكهنوت حتى اصبح بابا باسم سيلفستر الثانى وكان معدودا من علماء عصره وقد ترجم بعض الكتب العربية الى اللاتينية .

وقد انصف احد كتاب اوربا المسلمين اذ قال : ان العلم الحقيقى انما دخل اوربا عن طريق العرب لاعن طريق اليونان لأن اليونان امة فكر والمسلمون امة علم .

هكذا كنا ايها المسلمون فهل انتم عاملون حتى تقولوا بلاخجل او وجل : نحن ابناء اولئك العظماء واننا سنعمل مثلما عملوا وسنكون امة اعمال لا امة اقوال ؟



# الاجمال والالباس فى النحو العربى

فواد محمود السندى

ان من أفضل ما رغب فيه الراغب ، وتعلق به الطالب ، معرفة لغة العرب التى نزل بها القرآن الكريم ، وجاءت بها احاديث الرسول الأمين . اذ بمعرفة قواعدها وتراكيبها يمكن الوقوف على معانيها وأسرارها .

وقد قبض الله عزوجل لهذه اللغة . من تمهدها بالصون والرعاية فى طليعة هؤلاء النحاة المخلصون الذين بذلوا جهدا يشكر ولا ينكر وقد اخترت من بين مباحث علم النحو موضوع الاجمال والالباس فى النحو العربى

وتبدأ صلتى بهذا البحث ، منذ وقوفى أمام الاشارات المتناثرة فى التراث النحوى حول اللبس ووجوب الحذر منه ، وضرورة ازالته عن الكلمة العربية مفردة ومركبة .

ثم سنحت لى الفرصة عندما التحقت بالدراسات العليا شعبة اللغويات وظهرت لى أهمية هذا الموضوع فى ابراز جهود النحاة فى حفظ اللسان العربى .

وقد حاولت فى هذا العمل المتواضع أن أقوم بتجميع التفصيلات والاشارات النحوية من مراجع البحث القديمة ، وأمهاث الكتب العربية

ثم أرتبها على أبواب النحو العربي ، ضاماً كل شيء الى لفقه ، وكل شاهد الى نظيره وجامعاً - جهد طاقتي - شوارد هذا الموضوع كلا تحت عنوان يخصها وقد جعلت حديثي في هذا البحث ، في ستة فصول يتقدمها تمهيد وتعقبها خاتمة .

فالتمهيد : بينت فيه معنى الاجمال ومعنى الالباس في اللغة وعند النحويين وأثبت فيه التفرقة بينهما ( فالاجمال ) هو ايراد اللفظ على وجه لا يفهم منه مراد المتكلم على وجه القطع واليقين .  
وأما ( الالباس ) أو اللبس فهو ايراد اللفظ على وجه يفهم منه خلاف المراد . وأوضحت في التمهيد ايضاً موقف النحاة من اللبس والاجمال .

الفصل الاول : خصصته ( لمواقع الاجمال في النحو العربي ) مقسماً الاجمال الى نوعين : نوع في المفردات . ، بأن ترد الكلمة المفردة بحيث تحتمل أكثر من معنى أو أكثر من وجه من نحو ( فلک ودلاحص وهجان ) وغيرها مما يحتمل أن يكون مفرداً وأن يكون جمع مكسر . ومن مثل ( حسان ) فيحتمل أن يكون من الحسن فالتون زائدة والوزن فعلان والاسم ممنوع من الصرف كما يحتمل أن يكون من الحسن فالتون أصلية والوزن فعال والاسم مصروف .

والنوع الآخر اجمال حاصل من التركيب ، والاحتمال فيه عائد الى الهيئة الخاصة التي تركبت عليها المفردات . من ذلك مثلاً . .

تكرار المستثنيات مع امكان استثناء بعضها نحو قولهم :

« له عندي عشرة الا أربعة الا اثنين الا واحدا »

فهذا يحتمل الاقرار بسبعة - باستثناء كل مستثنى مما قبله ، ويحتمل

نفس الوقت الاقرار بثلاثة . باستثناء مجموع المستثنيات من أصل العدد .

**الفصل الثنائي :** في التزام أمور يوقع خلافها في اللبس ، وهذه الأمور الملتزمة في الأسلوب العربي أمعن فيها النحاة فرأوا أن السر الكامن وراء التزامها هو الابتعاد عن الالباس .. وهذه الالتزامات متنوعة وفي كل منها عدة مسائل من ذلك مثلا : التزام تقديم حال النكرة عليها في نحو ( رأيت قائما رجلا ) اذ لوأخرت الحال لالتبست بالصفة ومن ذلك :

( التزام بقاء النون في ذان وتان ) وعدم جواز حذفها في حالة الرفع لما في الحذف من الالباس بالمفرد ذا وتا .

**وفي الفصل الثالث :** أوضحت وسائل دفع الاجمال ووسائل أمن اللبس مما يشهد بأن لفتنا العربية تميل الى الوضوح والبيان ، وتمكين مراد المتكلم في نفس المخاطب .

**والفصل الرابع :** جعلته في الأحكام النحوية التي أشرط في جوازها واثباتها أمن اللبس .. بمعنى أن الحكم النحوي في مسائل هذا الفصل معلق بأمن اللبس من ذلك مثلا : جواز اناة المفعول الثاني من باب كسا بشرط أمن اللبس قال ( ابن مالك ) :

وباتفاق قد ينوب الثان من باب كسا فيما التباسه أمن .  
فنقول مثلا أعطى خالداهم فان لم يؤمن اللبس تعين اناة الأول  
فنقول مثلا أعطى خالد حامدا .

**وفي الفصل الخامس :** تناولت المسائل النحوية التي خالفت

نظائرها بسبب اللبس .

وفى الفصل السادس والاخير .. جعلته فى توضيح دور الالباس  
فى توجيه صياغة الكلمة ، وفى توجيه استعمالها على وجه متعين  
أوعلى وجه مرجح .

وفى الخاتمة أجملت خلاصة البحث ونتائجه التى أهمها مايلى :

أولا : النحاة القدامى لم يفرقوا بين اللبس والاجمال ، والمتأخرون من  
النحاة فرقوا بينهما وبينوا حد كل منهما .

ومن المتأخرين من زاد المسألة تفصيلا فجعل الاجمال على  
قسمين قسم يقصده المتكلم قصدا وله مقاماته ، وهو مقبول وهو من  
مقاصد البلغاء .

والقسم الثانى اجمال معيب اذا جاء فى مقام البيان والايضاح ،  
وهذا ملحق بالالباس ، وعلى المتكلم أن يتحاشاه ويزيله من أسلوبه .

ثانيا : أجمع النحاة المتقدمون والمتأخرون على منع اللبس وحظر  
وقوعه فى الأسلوب العربى ، واهتموا - رحمهم الله - اهتماما كبيرا  
بالمحافظة على سلامة اللغة العربية لغة كتاب الله للعزیز ، وبينوا طرقا  
ووسائل من شأنها دفع اللبس وتخليص اللفظ وقائله موقفة العيسبيه .  
ثالثا : فى اللغة العربية مواقع اجمال كثيرة .. لا حرج على المتكلم  
فى أن يستعملها فى أسلوبه اذا قصد الاجمال قصدا ولم يرد الايضاح  
والتعيين .

أما الالباس فليس فى العربية مواقع الباس يقرها النحو العربى ،  
وانما فيه التزامات اذا ما خولفت وقع اللبس فى الكلام .

وهذه الالتزامات على أنواع ستة هى :

التزام التقديم أو التأخير ، والتزام المطابقة أو عدمها والتزام الابقاء أو الحذف ، والتزام التنكير أو التعريف ، والتزام وجه خاص فى الاعراب أو البناء ، والتزام التعبير بالضمير أو ابرازه .

وقد تناولت تحت كل التزام المسائل النحوية المتعلقة به والتي أهدت إليها .

رابعاً : فى النحو العربى مسائل كثيرة علقت أحكامها على أمن اللبس ، كما فيه مسائل أخرى كثيرة خالفت نظائرها بسبب اللبس والفرق بين النوعين هو :

أن الالباس فى المسائل الأولى وارد ومتوقع حدوثه ، بينما هو فى الأخرى غير واقع .

لذا فى الحكم النحوى فى الاولى محتمل للثبوت وعدمه .. فان أمن اللبس ثبت الحكم ، وان لم يؤمن امتنع الحكم .

على حين أن الحكم النحوى فى المسائل الثانية لا يعدل عنه وهو متقرر لا مناص منه ، والمسألة تخالف نظائرها .

واضرب مثلاً للتوضيح :

( الموصول ) اذا خالف لفظه معناه جاز فى العائد وجهان :

مرعاة اللفظ كقوله تعالى فى سورة محمد (١٦) : ( ومنهم من

يستمع اليك ) ومرعاة المعنى كقوله تعالى فى سورة يونس (٤٢) :

( ومنهم من يستمعون اليك ) وشرط ذلك الجواز أمن اللبس .

فان حصل معه الباس وجبت مراعاة المعنى نحو ( اعط من

سألوك ) وهم جماعة ومن سألك وهو مفرد . اذا كان الغرض بيان

وتوضيح الجمع من المفرد .

ومن المسائل الأخرى مثلا ( التوكيد ) الأصل فيه اذا أكذب  
الجملة توكيد لفظيا بجملة مثلها فالأجود أن يفصل بين الجملتين بـثم  
نحو قوله تعالى ( كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ) وقوله تعالى  
( وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين ) .

ولكنهم فى مثل : ضربت محمدا ضربت محمدا لا يفصلون بين  
الجملتين بـثم لان الفاصل يوهم تعدد الحدث وانهما ضربان تراخى  
أحدهما عن الآخر وهذا خلاف المراد وهو لبس .

خامسا : للالباس دور هام فى توجيه صياغة الكلمة العربية سواء ،  
بالنسبة لصياغتها فى أصل الوضع أو صياغتها صياغة جديدة من ذلك  
مثلا ( كسر الهمزة ) من افعال مصدر أفعال نحو أجمل أجمالا - اذ  
لوفتحت الهمزة وقلنا أجمالا لآلتبس المصدر بجمع جمل . ومنه كذلك:  
ما اشترطه النحاة من شروط عند الاتيان بصيغة التعجب وتشد  
الاعلال بالنقل وغير ذلك .

كما أن للالباس دورا هاما فى توجيه استعمال الكلمة العربية على  
وجه التعيين أو الترجيح من ذلك مثلا نحو ( حمزة ) ، يتعين جمعها  
على ( حمزات ) حتى لا يلتبس جمع المقرون بالتاء بجمع ما يجرى  
منهما لو قلنا : ( حمزون ) ولكيلا يجتمع فى الكلمة علامتا تذكير  
وتأنيث اذا قلنا : ( حمزتون ) .

سادسا : القرآن الكريم كان مرآة صافية تجلى فيها الاجمال بأسمى  
صورة . . فالاجمال مقصد من مقاصد البلاغ ،

ولا غرو فالقرآن سنام البلاغة وذروتها .

وقد أوردت خلال البحث كثيرا من الآيات الحكيمة الشاهدة

بذلك . ومن ذلك مثلا : قوله تعالى :

( قل من يرزقكم من السماوات والارض قل الله ، وانا أو اياكم  
لعلى هدى أو فى ضلال مبين ) ولا يخفى ما ( لأو ) هنا من التعبير عن  
المقصود فى اجمال بليغ فمعنى الآية : وان أحد الفريقين من الذين  
يوحدون الرازق من السماوات والارض بالعبادة ،  
ومن الذين يشركون به الجماد ، لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال .

قال الزمخشري ( الكشف ٢ / ٢٨٨ ) - رحمه الله - وهذا من  
الكلام المصنف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خطب  
به : قد أنصفك صاحبك .

هذا وفى درج الاجمال بعد ما تقدمه من التقرير البليغ ( قل الله )  
دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى  
الضلال المبين .

ولكن التعريض والتورية أولى بالمجادل للغلبة مع تقليل شغب  
الخصم وفل شوكتة بالهويناء .

ونحو قول الرجل لصاحبه : علم الله الصادق منى ومنك وان أحدنا  
لكاذب . هذا وقد عملت فى نهاية البحث فهارس لما ورد فيه من  
الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشواهد الشعرية . ثم فهرست  
المراجع والموضوعات . وفى الختام أرجو المولى القدير أن يحظى  
بحشى هذا بالقبول والرضا من أساتذتى الأجلاء بعد أن بذلت فيه جهد  
المقل سائلا إياه تعالى أن يجعله خاصا لوجهه الكريم .





## الدعوة الاسلاميه ، وآفاق المستقبل

الدكتور التهامي نكرة

الدعوة الى الاسلام :

ان تفتح الاسلام على الحياة نابغ من منهجه الشامل الذي يستوعب كل ألوان النشاط ، ماديا كان أم فكريا ، كما أن الدعوة المستمرة اليه تفرضها رسالته التي توجهت رسالات السماء ، وانتهت بها اليها .

فالمؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، خلفاؤه في الدعوة الى دينه الحنيف ، وبث تعاليمه في قلوب الذين لم تبلغهم رسالته ، أو لم يعرفوا حقيقتها ، كما قال في خطبته عند حجة الوداع : ( ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ) .

والمشاهدة التي توجب الاعلام ، تشمل من حضر عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشرقت عليه أنواره بلقائه ، ومن علم بما جاء في القرآن ، وبعلمه صارت النبوة بين جنبيه ، فقد شاهد الرسول بقلبه ، وان لم يشاهده بعينه ، فكان عليه التبليغ ، ليعم هذا الوجود الاعلام به .

وقد توعده الله الذين يكتمون ما أنزل الله من علم الكتاب في قوله عزوجل : (( ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون )) .

(سورة البقرة : ١٥٨ ) وفى الحديث ما بحث على نقل أقوال الرسول الى الاجيال من بعده ، حتى تعم هدايته بالرواية عنه ، وتبلغ شرعه (١) .  
فقد روى الشافعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
((نضر الله عبدا سمع مقالتي ، فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ، ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورائهم )) .

ثم ان الاسلام بوصفه رسالة الله الى الانسانية مابقيت الحياة ، يمثل بمبادئه العالمية ، وبقرآنه الخالد : وبشخصية رسوله المثالية ، فكرة حية فى ضمير الزمن ، فلن ينطفىء نوره ، وان تألبت عليه الطواغيت ، وقوى الشر ، لأنه انساني الخصائص والوجهة ، أقيمت دعائمه على مبادئ ثابتة ، وكليات لا تتبدل وكانت فيه مع ذلك مرونة التجديد ، وقابلية التطور ، وتفتح الاجتهاد فى اطار مبادئه وكلياته .  
يقول ( قوت ) المفكر الألمانى : (( ان هذا القرآن سيبقى الى الأبد منيرا للفكر الانسانى ، قوى التأثير )) .

وجدة القرآن الكريم لاتزال باقية ماثلة أمام كل تقدم فكرى بلغته الحياة حتى اليوم ، وهو كما كان جديدا على عقل انسان القرون الأولى ، عند نزوله ، فانه باشراقه ، وبما أتى به فى مجال العقيدة والشرعية ، وبناء الحياة على أقوم الأصول ، وأرسخ الدعائم ، سيظل جديدا على مر العصور والأجيال (٢)

لذلك أوجب الله أن تعيش الدعوة اليه . وأن يكون الداعى ترجمة حية لتعاليمه ، وأنموذجا كاملا لهدايته ، حتى تنعكس آثارها على

القلوب النقية . التى خصها الله بالقابلية ، ولاسيما فى هذا العصر الذى شاعت فيه عادات وأخلاق ، وظهرت سبل ومنعرجات ، وتفشى الجهل بأحكامه ، فاشتبهت الطرق ، وتنوعت الفتن والمغريات ، وانتشرت المذاهب الفلسفية والاجتماعية والاخلاقية ، وأدخلت الحضارة المادية مفاهيم جديدة فى الحياة ، فزيف الملحدون قيمه فى نفوس المسلمين ، للحيلولة دون بعث اسلامى جديد (( يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون )) ( سورة التوبة : ٣٢ ) .

انه الانتخاب الطبيعى الذى تقوم به الحياة ، والاستجابة الطبيعية لنداء الفطرة السليمة ، واليقظة الاسلامية الرائعة فى المشرق والمغرب ، وانجاز وعد الله الصادق بعزة كتابة ، وسيادة دينه فى الأرض .  
ألا فليعلم الدعاة الى الله ، أن من أشد الدعوات الاسلامية تأثيرا حال المسلمين أنفسهم فى سلوكهم ومعاملاتهم ، وتفكيرهم وثقافتهم ، وتطورهم وحضارتهم . ودعوتهم الى الاسلام بأخلاقهم وأعمالهم ، أبلغ من دعوتهم اليه بخطبهم ومقالاتهم .

ثم ان أساليب الدعوة يجب أن تكون لها صبغة المعاصرة ، حتى لاتعيش فى غربة ولايكفى استعمال مظاهر فى هذا العصر من وسائل الاعلام ، وأساليب الدعاية فى كتب منشورة ، وصحف سيارة ، وإذاعة مرئية ومسموعة ، وأفلام معروضة وخطب حماسية اذا لم يخاطب الناس بلغة العصر التى يتأثرون بها ، ويتجاوبون معها ولم تنشر حقائق الاسلام بين أهله ، وفى ربوع الذين لم يدخلوا فيه بمنجية وذوق وفن وموضوعية ، تنفى عنه تحريف المغالين فيه ، وتحامل الجافين عنه ،

وتنصفه من تعصب المحبين ، وافتيات الحاقدين .

فان من أشد الاسائنات الى الاسلام أن تلصق به تشويهات زرية ، أو يلبس أثوابا مزورة تطبعه فى نفوس البسطاء من أذعياء التطور والثورية ، بطابع السذاجة والرجعية ، دون تمييز بين الأصل والدخيل ، ولا بين الحقيقة والزيف ، حتى ترسخ فى الأذهان صور عنه منفرة ، كما نرى ذلك أحيانا فى تمثيل شخصية المأذون والمؤدب والقاضى الشرعى على المسرح ، أو على الشاشة ، مايجعل منهم أضحوكة وسخرية للعابثين ، الذين ينتمون شكلا الى الاسلام ولكن علاقتهم به واهية ، لاروح فيها لا قداسة .

وما أكثر المسلمين الذين يعيشون اليوم بين غربة روحية ، وازدواج فى الشخصية ، وانفصام عن الذاتية .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (( بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء )) ( أخرجه البخارى عن أبى هريرة ) .

فقد كان الرجل فى الجاهلية - اذا أسلم - غريبا بين أهله وعشيرته الذين يجفونه ويتوعدونه ، كما صار المسلم اليوم غريبا بين أقوام يتهافتون على الدنيا ، وقد ظفت عليهم أهواؤهم ، فضلوا وأضلوا ، ولم يجد الدين منفذا الى قلوبهم ، مثلما وجدت الحضارة المادية المعاصرة ويعجبنى فى هذا الصدد ما ذهب اليه الشيخ المراغى فى تفسيره للحديث عند تقديمه لكتاب محمد حسين هيكل ( حياة محمد صلى الله عليه وسلم ) ( ان غربة الاسلام فى بدنه أنه ظهر وقوى فى المد ولم تكن دار الاسلام الأولى ، بل هى دار غربة له ، بالنسبة الى مـ

وغربته فى آخر الزمان : أن يعتريه ضعف بعد أن ظهر ، ثم يعود الى الظهور بين أقوام غرباء عنه من غير أهله ، فيقيض الله له أمة قوية تدين به وتحميه ، ويعود بها الى الظهور من جديد .

وسواء فسرنا غربة الاسلام فى آخر الزمان بقلة ما يعمل به المسلمون من تعاليمه ، أو يضعف المسلمين وهوانهم ، أو بضعف الوازع الدينى فى ضمائرهم ، أو بغرابة مبادئه على النفوس ، فانها لاتخرج فى مجموعها عن غربة الاسلام الروحية والفكرية فى نفوس بعض المسلمين مما نشاهد بعضه اليوم من تنكر لمبادئه ونظمه وأحكامه وسريعاته ، رغم ما نراه فى الوقت ذاته من اقبال على اعتناقه فى أوروبا وأمريكا وأفريقيا .

وقد قال المطران الأنقليزى (( دافيد براؤن )) وهو ممن عرف بدراساته الاسلامية : ( الاسلام دين يعتنقه اليوم مليون شخص من مواطنينا البريطانيين ) ( ٣ ) .

وفى السنة الماضية اعتنق الاسلام

معظم سكان قرية بانكلترا

وكان مما يلفت النظر اهتمام الصحف والمجلات فى الغرب ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية بتحليل عوامل اليقظة الاسلامية وأبعادها وأهدافها ، فى خضم هذا الصراع الفكرى والعقدى الحاد ، الذى تميز به العصر ، خصوصا حول قضايا المجتمع الاقتصادية والثقافية والسياسية ، على تفاوت بين الكتاب والباحثين من حيث الموضوعية والنزعات الشخصية ، ومن حيث التجرد والنزاهة ، والأحكام المسبقة والدس ... ( ٤ ) .

وقد تجلت ظاهرة الاهتمام الغربى بالاسلام ومستقبله بعد أحداث ثورة ايران ، وانتصاراتها ، وبعد دعوة المؤتمر الاسلامى كافة الأقطار الاسلامية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر ، واعداد برامج لهذه الاحتفالات تحفز الهمم ، وتحبى العزائم ، وتبعث الروح النضالية من أجل مستقبل أفضل ، وهذا الاعداد سيعطى نفسا جديدا للدعوة الاسلامية ، يكفل استمرار جهود التوعية والاحياء والتنمية ، بل سيضاعفها ويزيد فى دعمها وتطويرها ، تبعا لتطور الفن الاعلامى بالصورة والكلمة ، كما أوصى بذلك المؤتمر الاسلامى فى اجتماع اللجان الوطنية بمكة المكرمة سنة ١٩٧٣ م .

لقد أضحى الاعلام فى هذا العصر وسيلة توجيه لافراد والجماعات باللغة الأثر ، حتى أصبح - أوكاد - أداة استلاب واستيلاء على الأفكار والعواطف ، فى ترويج النظريات والمذاهب ، بل وترويج البضائع والمنتجات للاستهلاك ، فكيف لاتتطور وسائل الدعوة الى الاسلام .

ثم ان تأثير الداعى بشخصيته اللامعة ، وصحته النفسية ، واشعاعه العلمى والروحى ، وبما يملك من قدرة على التحليل والبيان والاقناع ، ومن عمق فى التفكير ، والمام بمشاكل العصر وقضاياها ، واطلاع على الثقافات المعاصرة ، وما يروج فيه من مذاهب فلسفية ، وايدولوجيات اجتماعية ، كل ذلك من أقوى العوامل الأساسية التى تمكنه من أداء رسالته على النحو المأمول ، وتفتح له آفاق الدعوة ، وتشق له طريق النجاح ، كما فتحتها من قبل لعلماء أعلام لمعت أسماؤهم قديما وحديثا ، مثل : الغزالي ، والبصرى والافغانى والمودودى وغيرهم ممن

أحبوا الضمائر وأيقظوا المشاعر ، وأنعشوا روح الايمان فى اعماق الوجدان ، وجعلوا من الاسلام بسلوكهم وبتفانيهم فى خدمته ترجمة حية له ، وصورة ناطقة عنه .

ومن هنا فانه لا يكفى لأجيالنا الصاعدة الحماس الفياض وحده ، ان لم نجعل نحن من الاسلام نبراسا نسير على هديه فى يومنا الراهن ، وفى غدنا المرجو ، والا أصبح هتافات نفسية عابرة ، وهزات عاطفية خاطفة ، فاقدة لكل أثر ايجابى ، أو نفع عملى فى حاضرنا المشهود ، ومستقبلنا المنشود (٥).

### عقبات فى طريق الدعوة :

والعقبات التى تعترض طريق الدعوة ونجاحها وتأثيرها كثيرة ومتنوعة : منها مايتصل بالهيئة السياسية والاجتماعية ، ومنها مايرجع الى شخصية الداعى ومواقفه من قضايا العصر .

فالمجتمعات التى اخذت الحضارة المادية من اصلتها وتقاليدها كل مأخذ ، واذابتها فى بوتقتها - فسرى فيها داء التفسخ والانحلال ، لم يجد الدين منفذا الى قلوب ابنائها . لانهارانت عليها الاهواء والنزوات ، واستبد بها حب الدنيا فاعرضت عن تعاليم السماء واخلدت الى الارض .

وقد نجد فى هذه المجتمعات التى أفسدها زيف الحضارة ، وشغلها القشر عن اللباب ، علوما وخبرات لدى بعض أبنائها ، ولكنها المساومات الأجنبية وللمكاسب الشخصية ، وكم تركت هجرة الأدمغة عن البلاد النامية من فراغ ، رغم ما أنفقته من جهود وأموال فى تكوينها .

كما نجد فى هذه المجتمعات قوة وشوكة ، ولكن للبغى وقهر المستضعفين ومقاومة حرية الانسان الاساسية ، وقد تكون فيها ثروات، ولكن للترف والتفاخر والاستعلاء وقد يكون فيها ذكاء ، ولكن للمؤامرات والاحتياالات ، بحيث لاتوجه هذه الطاقات الحية وجهة سليمة ، تنفع الأمة وترفع من شأن الوطن .

وفى مثل هذه المجتمعات المترفة ، أو المبهورة بحياة الغرب ، أو المجذوبة بتيارات العصر ، سيجد الداعية عقبات فى الطريق ، فلا بد له من التحلى بالصبر والأناة والثبات والمثابرة ، والاعتزاز بقيم الاسلام الخالدة ، ونشرها بين الناس حتى يرسخ فى أذهانهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (( ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس )) .

ومصاعب الدعوة فى أوساط المترفين المتحللين ، أنهم يطلقون لأهوائهم العنان ، ويرخصون القيم العليا التى لاتعيش المجتمعات الراقية الا بها ولها ، ويعيثون فى الأرض فسادا ، ويحولون النفوس بتأثير العدوى والاغراء الى أدوات تستهلك ولا تنتج ، وتتمتع ولا تتعب .

وطبيعة هذا المرض الذى يكون من أعراضه اللهو والفراغ والاسراف ، أنه يفقد القلوب تلك الحساسية التى بها تتلقى وتتأثر وتستجيب ، فتضيق بحياة الكد والجهد ، لأن المترف مريض بالنعيم والرخاء لا يستطيع أن يخوض غمرات الحيات على ماهى عليه من عسر ويسر ، ورجل الحياة هو الذى يلابسها كما هى فى جميع أوضاعها وتقلباتها .

وقد أدرك العربون فى الأمم الغنية المتقدمة ضرورة مقاومة



أمراض الترف لدى أبناء الاثرياء ، فحاولوا علاجه بالجندية ، وبالرياضة العنيفة ، وبالرحلات الشاقة ، والمغامرات فى مجاهل الأرض وأعماق المحيطات (٦) .

ومن تناقضات بعض المجتمعات الاسلاميه أنه يوجد فيها الى جانب هؤلاء المترفين طبقة بائسة شل تفكيرها شعورها بالهوان والحرمان ، يستنزف جهدها ويجف عودها ، وتستغل طاقاتها ، ثم يرمى بها حطاما فى زحمة الحياة .

ان هؤلاء التمساء تائهون عن حاضرهم ، فضلا عن غدهم . وهيهات أن يؤدى الدين رسالة ، أوثمر تعاليمه فى جو خائق ، وفى بيئة عقيمة . وكيف يستطيع الواعظ أن يملأ قلب انسان بالهدى ، اذا كانت معدته خالية من الغذاء ، أو يكسوه بلباس التقوى اذا كان بدنه عاريا ؟ بل الواجب قبل كل شى أن يؤمن على ما يقيم أوده كانسان ، ثم ينتظر بعد ذلك أن تفرس فى قلبه مبادئ الايمان .

يقول الشيخ محمد الغزالى : ( كثيرا ما عالجت وعظ الناس فى بيئات صرعها الفقر والمرض والجهل ، فكنت أحرار ... ماذا أقول لهم هل أقبح لهم الدنيا كما يظن أنه مفروض على علماء الدين ؟ والدنيا لن تكون أقبح مما هى عليه فى أعين هؤلاء التمساء ، وحاجتهم الى من يعرفهم أركان الحياة ، أمس من حاجتهم الى من يعرفهم أركان الاسلام ، وجمهورهم لا يدري الا ساليب الصحيحة للزراعة والصناعة والتجارة ، فضلا عن أن يعرف كيف يعامل ربه واخوانه وحكامه .

أعرفهم بالله عزوجل ؟ ومعرفة الله لاسبيل اليها الا بعد معرفة

النفس ، فان من عرف نفسه ، عرف ربه ، وهؤلاء التعساء ذاهلون عن أنفسهم (٨).

واذا لم يكن الداعى ملما بالمشاكل الاجتماعية القائمة فى بلده ، لا يهتدى الى طريق العلاج والحل ، ولا يكون موضوعيا فى دعوته ، ولا يحسن اختيار الموضوعات الحية ولا ترتيبها بحسب الأولويات ، وبحسب الظروف . فقد يكون فى التذكير والتعريف بمبادئ العدالة الاجتماعية فى الاسلام كالتكافل الاجتماعى وتكافؤ الفرض بين الجميع ، والتخطيط الاقتصادى الذى يقرب الى العدل فى توزيع الثروة واستثمارها ، مافيه تبصرة لأولى الأمر الذين لا يستغنون عن التذكير والنصح ممن لا ينتصب الى زعامة ، ولا يدخل فى خصومات ولا يثير الفتن .

وقد قال على كرم الله وجهه : ( ان للقلوب شهوات واقبالا وادبارا ، فائتوها من قبل شهواتها واقبالها ، فان القلب اذا أكره عمى عن الحقيقة ) .

فالداعى مصلح بالتوعية ، والتوجيه ، وليس الاصلاح تعنيفا ، ولا اساءة ، ولا اثارا أحقاد ، كما أنه ليس من الحكمة فى الدعوة فصلها عن هموم المجتمع وشواغله ، وعزلها عما يستأثر باهتمام الأمة ، والا انفصل الدين عن الحياة ، واضحت الدعوة اليه عملا هامشيا ، قليل الجدوى ، لا يمد ضياء ولا يحل مشاكل .

فالحكومات الاسلامية التى ترى فى الزحف الأحمر خطرا عليها وعلى الاسلام ، يجب تبصيرها بأن شرارة الخطر ، انما تنقذ من الداخل ، قبل أن تأتى من الخارج ، وذلك عند انتشار البطالة والفقر

والحرمان ، وتفاقم الثراء والترف عند طبقة محظوظة ، وانعدام ما يكفل حاجات المواطن الضرورية ، وما يصون وجهه وكرامته فى بلد تدر عليه ثروته الطبيعية مالا تدره على بلد أوروبى ، ويرتفع فيه الدخل القومى للفرد ارتفاعا يدعو الى المقارنة والتساؤل والبحث عن مصدر العلة .

فإصلاح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى الداخل كفىل بتحقيق الرقى والاستقرار ، ودعم الأمن ، والوقاية من الانتفاضات ، التى تهدر الطاقات ، وتسيل الدماء ، وتشل حركة التنمية ، وتوقف سير الحضارة .

ولانسى أن من الحلقات المفقودة فى أنظمتنا الاجتماعية ، الوعى العام اليقظ الحارس للقيم المعنوية فى الجماعة ، الذى يشكل بدوره رأيا عاما يرهبه الحاكم والمواطن على السواء ، ويجعل كل باع على حق غيره ، وكل خائن لأمانته ، وكل معتد على الفضيلة ، وكل أنانى مهمل لواجبه ، وكل خارج من الآداب فى صورة من الصور ، يشعر بالحرمان من عطف المجتمع وتقديره ، وبخزى الضمير ، تحت نظرات السخط والمقت ، وبسهم النقد لتصرفاته اللامسؤولة تصوب نحوه ، حتى يراجع نفسه ، ويعدل من سيرته ، ويصلح ما أفسد ، ويتدارك ما فات .

وللرأى العام الواعى دوره الخطير فى التصدى لسلوك الرعونة والطيش ومواقف الائم والبغى ، وتصرفات الباطل والفساد ، فنحن فى حاجة الى رأى عام أخلاقى له نفوذه واحترامه فى نفوس كل الأفراد ، بحيث يشعر كل أمرئ أن اساءته دقت أوجلت ، ولاسيما المسؤولون ،

ستلاقى جوابا سريعا علينا فى سلوك المجموع بازائه (٨).  
ومن يستطيع تكوين الرأى العام وتربيته فى البلاد الاسلاميه غير  
الدعاة الى الحق والمثل العليا ، أولئك الذين يبدؤن النصيحة  
بالحسنى لكل من زلت به قدمه ، فيذكرونه كلما نسى ، وينبهونه كلما  
غفل ؟

وياليتنا حين نجار بالشكوى فى الخفاء ، نضعها فى موضعها دون  
تحامل أو مغالاة ، بل دون مغالطة أو مجاملة نخدع بها المسؤول ،  
فيتمادى فى ضلاله ، ولا نجروا على مواجهته ومكاشفته بما لا يدع  
مجالا للشك فى نزاهتنا وصدقنا ، وحبنا للخير والاصلاح .

فلاجبن ولا تهور ، ولا استكانة ولا تمرد ، ولا تملق ولا صلف . ومن  
معوقات الدعوة ، ما نرى بين الدعاة أنفسهم من اختلاف فى الرأى  
والحكم اختلافا يثير الشك واللبلة ، أكثر مما يعبر عن تنوع وجهات  
النظر فى قضية من القضايا الدينية ، اذ ليس منشؤه النظر والاجتهاد ،  
بل منشؤه شخصية الداعى ، وما يتسم به من تفتح أو تزمت ، ومن  
اعتدال أو تطرف ، ومن التزام حرفى بالنص ، ومن تصرف فى حدود  
بحسب الظروف والأوضاع ، وكثيرا ما يمزج بنفسه فيما ليس من  
اختصاصه فينتصب للافتاء ، ويحكم بالتحليل والتحريم بصورة مطلقة  
فيما يحتاج الى تفصيل وتقسيم ، وكل ذلك مما يؤدى الى خصومات  
سياسية تعرض الدعوة الى الشك وسوء التأويل ، حتى لنسمع من  
الساسة من يصرح بمثل هذا القول : لا سياسة فى الدين ، ولا دين فى  
السياسة .

والحقيقة التى لا مراء فيها ، أن السياسة فى الدين تقوم على

تنبثق عنه من قيم روحية : فكر دخيل ووجته الحضارة المادية المعاصرة، يطرق النفوس فى عنف القوى ، ومغالطة المسيطر ، وتستخدم فى شيوعه مختلف الوسائل الحضارية الفنية المعزية التى تتلقفها القوى المحلية الاعلامية ، فلا تترك مجالاً لتأثير التوجيه الدينى أو تدع الداعين ، الى القيم الاسلامية فى مظهر الضعيف المتخلف الذى لا يقوى على الحياة ، فضلا عن المواجهة (١٠) .

وليست الدعوة فى هذا العصر خطبا حماسية تمجد الاسلام ، وتندد بكل ما جاءت به حضارة العصر جملة وتفصيلا ، وتنقم على الناس ، وتتهمهم بالمروق والفكر تارة ، بالانحراف ، والجاهلية أخرى، ولاهى قائمة من الأوامر والنواهى ومطالب الإصلاح والتغيير ، فان هذا المنهج قد يفسد ولا يصلح ، وقد يقطع أوامر الود مع الناس ، لأنه يحقر أعمالهم ، ويجعل الذين لا يوالونهم ولا ينتمون اليهم خارجين عن الجماعة الاسلامية على اعتبار ( من ليس منا ، فهو خصم لنا ) ، بل ان الاتصال بهؤلاء فى الدعوة أوكد لمحاولة كسبهم والافادة منهم، ولا يجوز بحال تعالى عليهم ، فان مزلق الغلو والغرور والصلف تنأى بأصحابها عن تأليف القلوب ، وتقريب النفوس ، ولعل أصل الانحراف هنا هو تصور جماعات قليلة العدد ، لاجبة لها فى شى ، ولا طاعة لها على أحد ، بأنهم - وحدهم - جماعة المسلمين .

ان عناصر المجتمع ازاء الدعوات والأفكار ثلاثة أصناف : مؤيد ، ومحايد ومعارض . منهج الدعوة فى مضمونه الحركى يقوم على ولاء الموالين ، ومحاولة كسب المحايدين والمترددين ، والسعى الى تحييد المعارضين ، ومن هنا فان الداعى لا يجوز له أن يتجاهل الناس من

حواله ، أو يقصر علاقاته على الموالين وحدهم . (١١) .

المقومات الأساسية للدعوة ، معرفة ، وفن ، وإخلاص . وهيئات أن ينهض بأعبائها في هذا العصر من افتقد أحد مقوماتها أو جليها ، أنه قد يسىء إليها وإلى الإسلام من حيث لا يشعر .

ولماذا يتصدى للدعوة من لم تكن له قدم راسخة في العلوم الإسلامية ، أولم تكن له خبرة بطرق العرض العصرية ، وأساليب الإقناع والتأثير ، في حين يقعد العلماء الأكفاء القادرون عن أداء هذا الواجب ؟

أليست الدعوة الإسلامية فريضة دينية ترجع إلى قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

أليست تدرجا في معاملة النفوس بالحسنى ، واقترابا من واقع الناس طلبا لهدايتهم ؟ فقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم من ثقيف إسلامهم ، واشتروا ألا صدقة عليهم ولا جهاد .

روى عن وهب قال : سألت جابرا عن شأن ثقيف إذ بايعت ، فقال : اشترطت على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع رسول الله يقول بعد ذلك : (( سيتصدقون ويجاهدون إن أسلموا )) .

وسألوه مع ذلك ألا يصلوا وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم ، ولا يعشروا ولا يحبوا ، ولا يستعمل عليهم غيرهم ، فقبل صلى الله عليه وسلم منهم وقال : (( أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك ، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه )) .

ثم أمر عليهم واحدا منهم ، وكان من أحدثهم سنا ، وهو عثمان

الحفاظ على تراث الأمة ومقدساتها ، وقيمها الروحية وتزكيتها ،  
ودفعها الى الانشاء واحياء الطاقات المبدعة فى حكمة واتزان ، كما أن  
الدين فى السياسة يقوم على أخلاقية السياسة ذاتها ، حتى تتجه فى  
طريق حميد العواقب ، يكتنفه الأمن والعدل والوفاء بالحقوق الفردية  
والاجتماعية للأمة ، ويجنبها المزالق والمغامرات والاعطال ، بما يسديه  
الدعاة الى الحق من نصيح الذين تولوا أمر المسلمين ، عملا بالحديث  
النبوى الشريف ، وما انتشر الاسلام الا بأصالة المنهج الذى سار  
عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن فهمهم للاسلام ،  
وتطبيق تعاليمه بالقدرة ، والدعوة اليه بالحكمة ، كما أمر القرآن .

وإذا كانت الكليات الأساسية والمبادئ العامة فى الدين هى موضع  
اتفاق فى الغالب ، ينتهى فيها الجدل بعد أن قال الله كلمته الحاسمة ،  
فان رأى المبنى على الاجتهاد ، لايجوز أن يتحول الى عقيدة تسمو  
عن النقاش ، فان آراء الناس تختلف اختلافا كبيرا فى الشؤون  
الاجتماعية والسياسية فى هذا الخضم الهائل من الصراع الأسمى  
والايديولوجى ، وتنازع النفوذ الدولى فما يصلح لقوم ، قد لا يصلح  
لآخرين ، وما يصلح لهم فى وقت قد لا يصلح لهم فى وقت آخر (٩).  
ومحاولة التغيير الكلى السريع كثيرا مايتوه بالفشل الذريع ، وتفت فى  
العزائم ، وتبعث على اليأس والتشاؤم .

فالمصالح الدنيوية المتداخلة تتفاقم ، ومشكلات العصر  
المعقدة تتراكم ، والمجتمعات الاسلامية لها خصائصها ومشاكلها  
التي تتفاوت فى أهميتها من زمن الى زمن ، ومن بلد الى بلد ، وبعضها  
مايزال يتأرجح بين فكر أصيل موروث ، هو الفكر الاسلامى ، وما

بن أبي العاص الذي قال : (( آخر ما عهد الى رسول الله حين استعملني على الطائف ان قال : (( واذا أمتت قوما فخفف بهم الصلاة ، فانه يقوم فيها الصغير والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة )) (١٢).

فأين هذا التيسير ممن تغالوا ، فنفروا وكفروا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ قال صلى الله عليه وسلم : (( يسروا ولا تعسروا وسددوا وقاربوا )) . ونهى أصحابه عن قولهم لمن شرب الخمر : أخزاه الله ، وعلمهم قائلا : (( لا تقولوا هكذا ، ولا تعينوا عليه الشيطان ))

يروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستعينه فى شى ، فاعطاه ، ثم قال : أحسنت اليك ؟ قال : لا ولا أجملت . فغضب المسلمون وقاموا اليه . فإشار عليهم أن كفوا ، ثم قال فدخل منزله ، ثم ارسل الى الاعرابى ، فدعاه الى البيت ، فزاده شيئا ، فرضى . فقال صلى الله عليه وسلم : (( انك جئتنا فسألنا فاعطيناك ، وقلت ما قلت ، وفى أنفس المسلمين شى من ذلك فان أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدي ، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك )) قال : نعم فلما كان الغداة جاء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان صاحبكم هذا كان جائعا ، فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال ، وانا دعوناه الى البيت فأعطيناه فزعم أنه قد رضى ، أكذاك ؟ )) .

قال الاعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الا ان مثلى ومثل هذا الاعرابى كمثل رجل كانت له ناقة ، فشردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدها الا نفورا .



فناداهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى ، فأنا أرفق بها . فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض ، فجاءت فاستناخت ، فشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه ، دخل النار )) (١٣) .

وصدق رسول الله ، فانه يؤخذ باللين والرفق ، مالا يؤخذ بالشدة والعنف وقد أورد الامام البخارى جملة من الأحاديث النبوية رد بها على الخوارج الذين قالوا بكفر من ارتكب كبير بين المسلمين . وما أكثر أن نقرأ ونسمع وصف مجتمع اسلامى بأنه ( مجتمع جاهلى ) ، أو ( جاهلية هذا القرن ) ، أو نحو ذلك من الاوصاف التى تكال جزافا .

فالنبي ، صلى الله عليه وسلم لم يقل لأبى ذر حين فعل خطأ ما يفعله أهل الجاهلية : انك من أهل الجاهلية ، بل قال له : (( انك امرؤ فيك جاهلية )) . كما لا يجوز أن نطلق وصف الكفر على الذين أقروا بالشهادتين ومهما بلغت معاصيهم وانحرافاتهم ، فلا تخرجهم عن الايمان ، ولا تزيل عنهم أخوة الاسلام ، ولا تجعلهم مطرودين من رحمة الله . فحسب الدعاة الى الله على بصيرة أن يدعوهم الى الحق ويزينوه لهم ، ويرغبوهم فيه ، ويصدوهم عن الباطل وينفروهم منه . وما عليهم بعد ذلك من حسابهم فى شئ ، وانما حسابهم على الله . قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : (( فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر )) ( سورة الفاشية : ٢ ) .

ورحم الله الحسن البصرى اذ يقول : « العامل على غير علم كالسالك على غير طريق وأن قوما طلبوا العبادة ، وتركوا العلم ، حتى

خرجوا باسيافهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو طالبوا العلم،  
لم يدلهم على ما فعلوا )) .

فمن التصورات الخاطئة أن مصدر أسباب بعدنا عن الاسلام ، اننا  
طبعنا حياتنا كلها بطابع العمر ، وتنكبنا عن منهج السلف ، ناسين  
ما تردينا فيه من جهل وغفلة ، واستبداد ، ونفاق ، وتنافر ، واطماع  
وعبت بالقيم الروحية ، واهدار لكرامة الفرد ، واحتكام للقوة ، ومصادرة  
للحريات الأساسية ، وظلم اجتماعى فى توزيع الثروات القومية ،  
وخلافات تهز الوحدة من جذورها ، تبعية اجنبية ماحقة للذاتية ، رغم  
وثائق الاستقلال وممارسة مظاهره ، وتقديمية جارحة ، الفت الدين لتحل  
محله تحت ستار الثورة .

ان هذا الركाम الذى ارتكس فيه المسلمون ، وكان حجة  
على الاسلام ، وقف عائقا بينه وبين من يلتمس الحق فيه ، وهو يحتاج  
فى تصفيته الى مخططات وجهود ، حتى لايتهم الاسلام بالجمود  
والانعزالية ، أو بعد القدرة على الحركة الهادفة المنظمة ، لمتابعة  
الاحداث المتجددة ، والعكوف على مسائل ثانوية أو هامشية أو جزئية  
بالنسبة لقضايا الاسلام الكبرى فى هذا العصر ، تلك التى تفجر فى  
الامة طاقات القدرة على العطاء والاختراع والابداع ، وتحريك  
التاريخ ، وتقديم الحلول العملية الواضحة . فان الصحوة الاسلامية لن  
يعد يتسع صدرها للنزعة الدفاعية ، أو الاعتذارية التى ينكفى اصحابها  
على جوانب العظمة فى ماضيهم ، ويكثرون على مسامع الدنيا ، أنهم  
جديرون بالتقدير والاعتبار شعورا بنقص دفين ، وبالعجز عن مواجهة  
المنافسين والخصوم بالمثل ، وهى فى جوهرها مسلك سلبى هروبى

عن الحاضر والمستقبل ، ولا للنزعة الهجومية التي تكفى بلعن الزمان ،  
وادانة الجميع ، وتحريم كل شئ والمطالبة بالغاء هذا النظام ، أو  
الحجر على ذاك الملوک .

ذلك أن الحياة لابد أن تستمر وأن تسير . وحركتها سنة من سنن  
الله ، لا يملك أحد أن يقف في وجهها ، أو يردها الى الماضى ، وانما  
يحتاج الناس من دعاة الاسلام أن يقدموا لهم بديلا حقيقيا مما هم فى  
حاجة اليه ، ويطلب منهم الغاء . وهذا هو التحدى الحقيقى الذى  
يواجه دعاة الاسلام . وليسوا وحدهم يتحملون المسؤولية . وانما  
يشاركهم فيها جميع العلماء والمجتهدين وأهل الذكر فى علوم الدين  
والدنيا على السواء .

اما اذا بقى المسلمون عاجزين عن تقديم السلوك البديل ،  
والنظام البديل والمنهج البديل ، فان الدعوة الى الاسلام لن تستقل  
بعقول الناس وقلوبهم ، الا بقدر مايكتشفون المعجز الذى يعاينه  
المسلمون عند البناء والممارسة والتطبيق (١٤).

### الدعوة ومستقبل الاسلام

فالدعوة الاسلامية تواجه مشاكل وتحديات من الداخل والخارج  
لايمكن تجاوزها الا بمضاعفة جهود علماء الدين وعلماء الحياة  
وتضافرها على حل الأزمات ، ووضع مخططات عملية طويلة النفس ،  
يدخل فيها تنظيم علاقات المجتمع وعلاقات الدول الاسلامية نفسها ،  
ثم علاقاتها بغيرها من الدول ، ولا سيما الدول الكبرى التى قل أن  
تمنع شيئا بلا ثمن ولاهدف ذاتى .

فنعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتى ما أمكن ، حتى لاتذلنا الحاجة ،

أو تنحنى رؤسنا أمام الرغبة الملحة ، فنقبل كل معونة مشروطة ، ونسلم زمام أمورنا ونستسلم الى مايراد منا أن نفعل .

فتقدم الغرب علينا فى ميادين الصناعة والفلاحة والتجارة والنقل والمواصلات ووسائل الاعلام ، وفى سائر المهارات والعلوم التقنية ، وتخلفنا عنه فى هذه الميادين لما يوسع الهوة الفاصلة بيننا وبينه ، ويضاعف شعوره بفرور التفوق وشعورنا بالنفس ازاءه .

وكفى ما دأبنا على ترداده دائما ، من أن حضارة الغرب المادية آيسة الى الوهن والافلاس ، وأن مستقبل الاسلام رهين بمصير المسلمين فى المجال الحضارى ، وفى كل ماله اتصال بحياتهم المادية والروحية ، على اعتبار أن ذلك فى طليعة المقومات الاساسية للشخصية ، لما له من ارتباط وثيق بالعقلية ، وبالارضية التى يعيش عليها الاسلام وينطلق منها .

فنحن نرى اليوم رغم ما قيل وما يقال من حضارة الغرب ، ورغم الثنائية فيها بين رجل الدنيا ورجل الدين ، وبين التعاليم المسيحية والقوانين الوضعية وبين الكنيسة والدولة ، وبين العلم والعقيدة - أن المسيحية أكتست هالة من التقدير رغم ذلك كله - بفضل تقدم ابنائها علميا وحضاريا ، حتى صارت جزءا لا يتجزأ من مقومات الشخصية الأوروبية ، وناهيك بأثر الاحزاب المسيحية الغربية فى الحياة العامة ، وبدور الحركات التبشيرية فى بلدان أسيا وأفريقيا ، فى حين أن الانقسام والثنائية والازدواجية فى حياتنا أشد وأقوى .

ولم يقوى احساسنا بأن الاسلام الذى ننتمى اليه ، ليس جزءا من مشوهات ، شخصيتنا لما نعيش فيه أحيانا ، من غربة وتناقضات

وسلبات ، وفراغ روحى ومادى . فهل ارتفعت الأمية والفقر والأمراض الناتجة عن سوء التغذية وانعدام النظافة عن جماهير الشعوب الاسلامية وهل زال التراشق بالتهم والشتائم بين حكوماتهم عن طريق وسائل الاعلام الحديثة ؟ وهل خرجوا حقاً من عصور الظلام والتخلف والفوضى ، ونظموا صفوفهم لمواجهة الخطر الصهيونى والأمبريالى الماحق ، بعد أن يأمن بعضهم بعضاً ؟ وهل أزلنا ما أرتنا الاعداء من نيران العداوة بين العروبة وبين الاسلام ؟ الذى لا يستطيع أن يفصم روابطه بها روحياً ، لأن منها بيئة الاولى ونبيه وأبطاله وقرآنه وحديثه، حتى امتزجت كلمة ( عربى ) بكلمة ( مسلم ) فى اذهان الملايين من المسلمين ؟

وهل أخذنا من العلوم الصحيحة حفظنا ، وتفتحنا على الحضارات ، لاقتباس ما ينفعنا فى الصناعة والفلاحة والعمران ، وتركنا القشور ، وما يتنافى مع أخلاقنا وتقاليدها ؟

وهل غيرنا ما بأنفسنا ايماناً منا بأن حالة الأمم فى عقائدها ومعارفها وعلومها وأخلاقها وطرق عملها ، هى الأصل فى تغيير ما بها من ضعف وفقر وتخلف ؟

هل خرجنا من طور الخطب والتوصيات والقرارات ، الى طور التنفيذ والعمل والتطبيق ؟ وهل ، وهل ، وهل الخ ...

جملة طويلة من التساؤلات تفرض نفسها على نفس كل مسلم يتوق الى غد أفضل وحياة أسعد . والمؤسف أن أكثر ماتكون الاجابات عليها بالنفى .

ان الصحوة الاسلامية تفرض على المسلمين وحكامهم حينما

كانوا ، أن يعتبروا عن أخلاصهم للاسلام بالعمل قبل القول ،  
والايتركوا لأعدائهم ثلمات ينفذون منها اليهم لأن الصليبية المقلعة ،  
والامبريالية الجائرة ، والصهيونية الباغية ، كلها متحالفة عليهم لابطال  
أعمالهم ، وافساد مخططاتهم ، وتريق صفوفهم ، وتشويه ثورتهم .  
فاينما التفتنا رأينا الخلافات والنزاعات ، ان مقاومة الخطر الذى قد  
يأتينا من الداخل ، أشد من مقاومة العدو الخارجى .

ولكم يعز علينا أن نرى جهود الثورة الايرانية تتبعثر فى تيار  
الخلافات والنزاعات الداخلية ، التى تحرك خيوطها وتعمل على  
تصعيدها يد أجنبية خفية ، حتى يتسائل الصديق فى حيرة والعدو فى  
مكر : الى أين أنتهت هذه الثورة الاسلامية ، وما هو مصيرها ، وما  
مستقبل الجمهورية الاسلامية الايرانية ؟

ولاشك أن تجميع هذه الثورة العظيمة التى انتصرت على قوى  
البغى والطغيان ، وابرز مايشوهها من فوضى ، وتنازع على السلطة ،  
وعصريات داخلية ، وانتهاكات للقوانين الدولية ، وحركات رجعية ،  
وهو من مخططات الامبريالية التى يسؤها مثل هذه الانتصارات  
التاريخية ، انها تحاول دوما أن تقيم الدليل على عجزنا عن تسيير  
شؤوننا بأيدينا ليبرروا تدخلهم ، أو ليحملونا على اللجوء الى من يحميناه  
ويتسولى أمرنا ، والدفاع عن حقوقنا ، بصورة تلجمنا عن مصارحته  
أحيانا بكلمة حق ، فيها نصح الصديق المخلص ، وتنبيهه فى لطف  
الدخطر التماذى فى الاعتداء على بلاد اسلامية ذات سيادة . فأين ماتم  
الاتفاق عليه فى مؤتمر القمة الرابع للبلدان غير المنحازة ، الذى انعقد  
بعاصمة الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ م ؟

وكيف تهون هذه الحقائق والمبادئ فى نفوس المسلمين ؟  
اجتمع مؤتمر للتبشير بالقدس ، فقبل لكبير المبشرين : ان النفقات  
على التبشير كثيرة ، ولكننا لم نجد من خرج من الاسلام الى المسيحية ،  
فأجاب قائلا : نعم ان المبشرين لم ينجحوا فى ادخال المسلمين  
للمسيحية ، ولكنهم نجحوا فى تهوين الحقائق الاسلامية فى نفوس  
الكثيرين منهم .

ولعل أكثر ما فى أوضاعنا السياسية والاقتصادية والثقافية ايلا ما ،  
أنا نعيش بعواطفنا ، وبعقول أعدائنا ، لابعقولنا . فنحن نمارس حياتنا  
كما يريدون ، لاكما نريد نحن ، كما أن من أشد الأخطار علينا أن  
يتزلزل ايماننا بديننا وتراثنا وتاريخنا ، لأننا اذا خسرنا ديننا ، خسرنا معه  
كل شئ ، اذا سلم لنا ديننا وخسرنا كل شئ ، استطعنا أن نسترد كل  
ما خسرناه بفضل الايمان (١٥) .

ولعل من أؤكد واجب الدعاة الى الاسلام فى القرن الهجرى  
الجديد ، أن يولوا عناية خاصة بتكوين رأى عام اسلامى عالمى ، يكون  
له وزنه فى التأيد والانكسار ، ويقف شوكة فى وجوه كل المسيئين الى  
الاسلام وأهله وضد كل الاعمال التخريبية التى تتخذ شكل الثورة ،  
لتنقض على الماضى بلاهواة ، وتخرب المقدسات وتدوس القيم العليا ،  
وأن يعملوا على افهام الغرب الذى عرف الاسلام فى القرون  
الوسطى كعدو ألد ، وخطر داهم ، أنه دين الحضارة والتفتح والسلام ، اذ  
ليس حتميا أن يستمر لون من العداء الخفى أو العلنى المتعصب بين  
المسيحيين والمسلمين فى القرن العشرين ، اذ باب الحوار بينهما  
مفتوح ، للتفاهم فى كثير من القضايا رغم اختلافهما فى بعض القضايا

العقائدية التي لا يمكن التفاوضا فيها ، حتى يبقى المسلم مسلما ،  
والمسيح مسيحيا .

يقول القس ( جاك اندروز ) من رجال الكنيسة المتجددة المتحدة  
فى بريطانيا (( ان المسيحيين عندما يقتربون من المسلمين بتلك  
الروح التي يختص بها الدين وحده ، سيلقون ترحيبا حتى من أشد  
الفئات تطرفا .... وأن المسيحيين الذين عرفوا الاسلام ، وعاشوا فى  
البلاد الاسلامية قد اكتشفوا أن عيسى القرآن وعيسى الانجيل ،  
يمكنهما الاتفاق اذا هما وقفا وجها لوجه )) (١٦) .

وعلى المنظمات الاسلامية أن ترعى شؤون جالياتنا الاسلامية  
فى أوروبا وأمريكا ومساعدة المجلس الاسلامى الأوروبى الذى يعمل  
جاهدا على حماية الحياة الدينية والثقافية للمسلمين فى أوروبا ،  
والمحافظة عليها ، وتعزيزها والتنسيق بينه وبين المراكز الثقافية  
الاسلامية ، وبين المنظمات الاسلامية الأخرى فى المانيا الغربية  
وسويسرا وفرنسا والنمسا وايطاليا وبلجيكا وهولندا والبلدان  
الاسكندنافية ، للتعاون على حل أزماتهم السكنية ، والتربوية المتعلقة  
بتعليم أطفالهم العربية والتربية الدينية والوطنية، حتى يعيشوا فى أوروبا  
مسلمين ، لا كقوم مغربين ثقافيا ودينا ، لأنهم لا يستطيعون أن يندمجوا  
فيهم اندماجا كليا ، ولا أن يسايروهم فى جميع أمورهم ، فيعترفون لهم  
بحقوقهم الاجتماعية لمساهمتهم فى ازدهار اقتصادهم الوطنى ،  
وبحقوقهم الدينية فى أعيادهم وأداء فرائضهم ، حتى ينزع الاسلام  
عن نفسه فى بعض البلدان الأوروبية صفة الدين الاجنبى ، سيما  
وللإسلام اليوم أتباع كثيرون فى أوروبا يتجاوز عددهم ستة ملايين



فى بلدان السوق الأوروبية المشتركة ، وهم من العرب والاسيويين والأفارقة والأتراك .

وكذلك الشأن بالنسبة للأقليات الإسلامية الذين يمتحنون فى دينهم فى بعض البلاد الأجنبية ، وسيوف القهر والقمع مسلطة فوق رؤسهم ، فمن يرعى دينهم ، ويغذى أرواحهم ، ويدافع عن حقوقهم غير الحكومات والمنظمات الإسلامية ، كما ترعى الأحزاب والحكومات الشيوعية حقوق الأقليات الشيوعية وحررياتهم الأساسية فى مختلف بلدان العالم .

لقد شيد دعائهم الأمة الإسلامية فى فجر تاريخها أهل الدعوة الأولى : وحملة الدين الى الناس ، فانشأت حضارة متينة الأركان ، مزدهرة العمران .

ومن حقق الإسلام على دعائه فى هذا العصر ان يعلوا مناره ويرفعوا لواءه ، وينشروه فى جميع الاصقاع ، حتى يعم خيره وفضله وينتشر أمنه وعدله ، والله من وراء القصد .

★★★★★★★

# مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية باللغة العربية

الرسائل القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري  
تحقيق : الدكتور بير محمد حسن (مع الترجمة "الأردية")  
✽

معدن الجواهر في تاريخ بصرة الجزائر للشيخ نعمان  
تحقيق : الجائنة الدكتور حميد الله  
✽

الكندي وآراؤه الفلسفية  
للدكتور عبد الرحمن شاه ولي  
✽

مقصود المؤمنين لبازيد الانصاري  
تحقيق : الدكتور ميروى خان  
✽

كتاب الانفعال للإمام الصغاني  
تحقيق : الأستاذ أحمد خان



**AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYA**

**ARABIC JOURNAL**

OF THE

**ISLAMIC RESEARCH INSTITUTE, ISLAMABAD, PAKISTAN**



September-October 1982

\* \* \* \* \*

	Inside Pakistan	Outside Pakistan
<i>Annual Subscription</i>	Rs. 30 00	\$15.00 or £7.50
<i>Single Copy</i>	Rs. 6 00	\$3 00     £1.50

\* \* \* \* \*

*All business correspondence  
should be addressed to :*

**The Circulation Manager**

**Islamic Research Institute  
ISLAMIC UNIVERSITY  
ISLAMABAD - PAKISTAN**

---

Printed at Islamic Research Institute Press,  
Published by Muhammad Sami'ullah for the Islamic Research Institute, Islamabad

# الدراسات الإسلامية

مجلة إسلامية علمية

تصدر بعد كل شهرين

وتتضمن فروع الدين والتشريعة والفقه والأدب



محرم الحرام - صفر المظفر ١٤٠٣ هـ

نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٢ م

مجمع البحوث الإسلامية  
الجامعة الإسلامية  
إسلام آباد - باكستان



# الدِّينُ سُبُلُ الْإِسْلَامِ

مجلة إسلامية علمية

تصدر بعد كل شهرين  
وتبحث في الدين والثقافة والتاريخ والآداب



مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية

اسلام آباد، الباكستان



محرم - صفر ١٤٠٣ هـ

نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٢ م

المجلد السابع عشر

العدد السادس

# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

○ الأستاذ الدكتور عبد الواحد هالي بوتنا

مدير مجمع البحوث الإسلامية ، الجامعة الإسلامية اسلام آباد

○ الأستاذ الشيخ عبد القدوس الهاشمي

استاذ مجمع البحوث الإسلامية

○ الأستاذ الدكتور محمد صغير حسن المعصومي

استاذ الشريعة بالجامعة الإسلامية اسلام آباد

الأستاذ الدكتور أحمد حسن

استاذ مشارك بمجمع البحوث الإسلامية

○ الأستاذ الدكتور نور محمد الغفاري

استاذ مشارك بمجمع البحوث الإسلامية

○ الأستاذ محمد طفيل

استاذ مساعد بمجمع البحوث الإسلامية

رئيس اللجنة: فخر الدين محمد بن أبي زكريا

## المحتوى

كلمة العدد

رئيس التحرير

ص ٥



الشرعية الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان

د . ابراهيم القطان

ص ١٠



الامام الشافعى ودوره فى تدوين الفقه الاسلامى

د . طه جابر العلوانى

ص ٥٨



اسلامية العلوم السياسية

د . عبدالحميد أبو سليمان

ص ٧٨





## ضيوف العدد

★ الدكتور الشيخ ابراهيم القطان ★  
من كبار فقهاء الأردن ورئيس القضاء الشرعى  
بالمملكة الأردنية الهاشمية  
★★★★★

★ الأستاذ الدكتور طه جابر العلوانى ★  
أستاذ الشريعة ، بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ،  
الرياض ، المملكة العربية السعودية  
★★★★★ /

★ الأستاذ الدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان ★  
استاذ الفكر السياسى بجامعة الرياض ، والأمين العام  
للندوة العالمية للشباب الاسلامى بالرياض ، سابقا



ليس من الضروري ان تتفق ادارة المجمع مع جميع  
الآراء والبحوث التى ينشرها الكتاب فى هذه المجلة



## كلمة العدد

لا يخفى على كل من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد وله أدنى بصيرة فى شئون العالم المعاصر الفكرية والثقافية أن المدنية الحديثة التى هى فى الحقيقة امتداد للحضارة الاوربية المسيحية الالحادية قد باءت بالفشل فشلا كاملا فى اقرار السلام السياسى و الاطمينان النفسى والروحى فى هذا العالم المضطرب الحائر على مفترق الطرق . فلا زال الصراع الفكرى بين الامم والشعوب يزداد كل يوم شدة وتهديدا للكيان البشرى فى هذا الكوكب الأرضى .

فالفلسفات الشيوعية والاشتراكية التى ظهرت على وجه الأرض بدعاوى عالية و بصرخات كبيرة لصالح الانسانية وفلاح البشرية جاءت بأكثر بكثير مما جاءت بها الرأسمالية المادية من مصائب ومتاعب وكوارث .

وهذا ، ولاشك ، يجعل الانسان المفكر المعاصر يميل عن جميع هذه الفلسفات الضالة والأنظمة الفاسدة والنظريات الفاشلة وبدأ يلفت نظره الى فلسفة جديدة ونظام حى ونظرية شاملة للحياة تحميه من نتائج ما اعتنقه من قبل من دين ونظام وفلسفة ، وتقيه من أن يقع فى هاوية الهلاك وتحفظ مبانى المدنية وجدران الحضارة وأسس الانسانية من أن تنقض .

ومنذ أن استولى الغرب على العالم الاسلامى فكرا وسياسة وحضارة تسلسل الفكر الغربى اللادينى فى الكيان العقلى والثقافى الاسلامى . وأصبحت المبادئ الاسلامية الثابتة عرضة - بل أضحية - لما يسمى بالاستعراض النقدى أو الانتقاد العلمى . وكان من نتيجة هذا الواقع المر أن بدأت الفوضى الفكرية التى ذاقها الغرب واجتازها طوال القرون تتسرب الى البلاد الاسلامية تسربا هائلا . ومن المعلوم أن الفوضى الفكرية التى أتى بها الغرب وأوردها فى العالم الاسلامى تتبعها ردة فكرية واختلال فى النظام الفكرى والثقافى .

ولا يخفى على كل من له علم وبصيرة فى تاريخ العلوم وتطور الثقافة فى أوربا أن الحضارة الغربية بجميع نواحيها وبجميع مافيهها من العلوم والفنون والنهضة العلمية مطبوعة بطابع علمانى خالص ومتسربة بروح المادية البحتة . » وكانت هذه الحضارة بمعناها الواسع - كما استعرضها العلامة ابو الحسن الندوى - مجموعة عقائد ومناهج فكرية ، وفلسفات ونظم سياسية واقتصادية ، وعلوم طبيعية وعمرانية واجتماعية ، وتجارب خاصة مرت بها الشعوب الاوربية التى تزعمت هذه الحضارة فى رحلتها الطويلة ، وكانت مظهر تقدم العلم البشرى وعلوم الطبيعة ، وعلم الآلات والعلوم الرياضية ، ومجموع نتائج جهود علماء وباحين عبر القرون . فكانت مزيجا غريبا من أجزاء لا يكون الحكم عليها واحدا متشابها . كانت مزيجا من السليم و السقيم ، ومن الصواب والخطأ فى النتائج والأحكام ، ومن البديهيات فى العلم التى لاتقبل الجدل والنسك ، ومن التخمينات و التحكمات فى الآراء والدعاوى التى تقبل المناقشة الطويلة فى دور التجربة والاختبار والنشؤ والارتقاء ، ومما لا يختص باقليم أو عنصر من علوم تطبيقية

وبالعكس مما تجلت فيه الطبيعة الاوربية واثرت فيه البيئة الغربية وولدت حوادث تاريخية خاصة اکتوت بنارها هذه الامم ، و مما له صلة قوية عميقة بالدين و العقائد ، و مما لاصلة له بالدين مطلقا . وذلك الذى زاد فى تعقد هذه المشكلة وخطورتها وأخرج مركز العالم الاسلامى .. .

وكان كل ذلك بالاضافة إلى ما عليها هذه المدنية والحضارة من طبيعة متغيرة لاثبات لها ولافرار . وتتجلى طبيعتها المتغيرة فى جميع نواحي حياتها ، فنراها فى آدابها واخلافها ومظاهر حضارتها وازياءها ، واصبحت نقافتها متغيرة - تتغير دائما وتنقلب من صورة إلى صورة ، وذلك لأن الثقافة الغربية ليست لها مبادئ أبدية خالدة تنبت اعدامها فى عالم التغير المستمر وتقيها من الاخفاق فى علوم السياسة والاجتماع وتنظم حياتها الفردية والجماعية وتضبط امورها . فنرى الغرب تظهر فيه كل يوم نظرية جديدة وفكر جديد يضيف إلى فوضاه الفكرية ويزيد فيها بواعث جديدة لاختلالها وانهارها .

★ \_ ★ \_ ★ \_ ★

علاقة الفرد بالدولة كانت ولا تزال من أهم قضايا الفكر السياسى التى شغلت أذهان المفكرين وقرائح العلماء فى جميع العصور والدهور . وعمل كل على ساكلته وقدم حلا لهذه المسئلة حسبما أفتاه علمه وفكره . فمنح بعضهم الأسبقية والأفضلية للفرد وبعضهم للدولة أو المجتمع . زعم بعض المفكرين أن الدولة شر لا مفر منه ، فلا نستطيع إلا أن نحصر نشاطاتها فى أصغر دائرة ممكنة ونحدد مجال عملها فى أضيق حدود . وهناك آخرون ينزلون الدولة منزلة الاله ، ويوسعون فى مجال نشاطاتها على جميع مجالات الحياة التى يمكن توسيعها فيها .

ويخضع هؤلاء المفكرون الفرد للدولة اخضاعا تاما ويزعمون أن ليس للفرد حق تجاه الدولة سوى ماتسمح به الدولة نفسها .

وبما أن الدولة هي مصدر لتلك الحقوق جميعا عند هؤلاء المفكرين ، فليس للأفراد في رأيهم حقوق طبيعية أو فطرية يحترمها كل انسان ، وتحترمها الدولة ويحترمها المجتمع . ويعتقد كثير من علماء السياسة الغربيين ومن هذا حذوهم أن الطبيعة أو الفطرة لا تمنح أى حق لأى فرد ، فلا يتمتع الإنسان بأى حق لمجرد كونه انساناً ، و انما هو المجتمع السياسى المنظم الذى يمنحه حقوقه المدنية وحقوقه السياسية . وهذا المجتمع السياسى المنظم هو الذى يعطيه حريته ، وهو مصدر واجباته تجاه نفسه ، وتجاه أبناء مجتمعه ، وتجاه البشرية جمعاء . ومن العجب العجائب أن يكون مجتمع من المجتمعات الانسانية الكثيرة مصدراً لواجبات المرء تجاه البشرية وتجاه الكون بأسره . فان المصدر لشئ لا بد أن يكون أعم منه وأقوى . وأما المجتمع فانما هو جزء من الكيان البشرى الكبير ، فكيف يمكن أن يكون الجزء مصدرا للكل !

وتزداد مشكلة الحقوق المدنية والسياسية التى يجب أن يتمتع بها كل انسان بصفته انسانا وبمجرد كونه مواطنا لدولة من دول العالم خطورة واهمية بتطور الثقافة والمدنية والحضارة . فلما كانت الثقافة والحضارة فيما مضى لم تبلغ الى الحد الذى بلغته اليوم لم تكن هذه المسئلة من رؤوس المسائل واكبرها أهمية . ولعل السبب فى ذلك هو تغير مكانة الاخلاق فى المجتمع الحديث ، فكانت القيم الاخلاقية فى الماضى تحتل مكانة كبرى فى المجتمع الانسانى ، وكان لها أثقل الوزن فى ميزان المعاملات بين الناس ، سواء كانت هذه المعاملة بين

فرد وفرد أو بين طبقة وطبقة . حتى ونرى فى المجتمع الجاهلى قبل نزول القرآن الكريم أنه كان لدى العرب أهمية كبيرة للمثل الاخلاقية فى المعاملات بين الناس والمعاشرة فيما بينهم .

ولكن الآن فقد اختل المجتمع البشرى واضطربت المثل الاخلاقية ، وتهددت القيم الأدبية ، وأوشكت المدنية والحضارة على الانهيار، فاضطرت الامم الغربية الى أن تجمع الحقوق التى تعدها هذه الامم من الحقوق الاساسية للانسان بصفته انسانا وتدونها فى مجموعات ووثائق ، يجب اطاعتها واتباعها على الحكومات والدول - واخيرا حاولت هيئة الامم المتحدة أن تجمعها فى وثيقة خاصة تعرف باسم الاعلان العالمى لحقوق الانسان . واقرت الجمعية العامة للامم المتحدة هذه الوثيقة فى العاشر من ديسمبر ١٩٤٨م . وليست هذه الوثيقة الا اعتراف ورجوع الى ما أعلنه الاسلام من كرامة البشر وأن للانسان حقوقا ثابتة لايجوز لأحد أن يفتصبها .

ولو قادننا بين الحقوق التى يمنحها الاسلام للبشرية بأسرها والتى يعتبرها من مقاصد شريعته الفراء و بين « المثل الأعلى المشترك الذى ينبغى أن تصل اليه كافة الشعوب والأمم » لاتضح لنا أن هذا المثل الأعلى لم يبلغ حتى الآن الى نصف ما جاءت به الشريعة الاسلامية قبل أربعة عشر قرنا ، بل قبل ذلك بكثير حين نادى دين البشرية كلها - دين الاسلام - بكرامة الانسان وخلافته يوم بزغ فجر الانسانية على هذه الكرة الأرضية . فهل من مدكر ؟

محمود احمد غازى

## الشرعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان

ابراهيم القطان

الاسلام الدين الفطرى لانه لا يكلف الانسان الا بما هو سهل  
وهين وممكن ، ولا يجنيه من العقائد الا بما لا يقف حجر عثرة فى  
سبيل تقدمه ورقيه ، لان غرضه الاول تخليص النفس الانسانية من  
تلك الاوهام التى اتت بها سدنة المعابد ، ورؤساء الدين الزاعمين  
بان لهم حق الوساطة بين المخلوق والخالق ، وليطهر القلوب والافئدة  
مما ران عليها من آثار الوراثات والتقليد الاعمى ، وما تراكم على  
قلوب الناس من مظاهر التعصب والجمود .

كان الناس من جهة الدين فى غيابة من الوهم ، وظلمات الجهل ،  
يقصدون أساطير جمعت من مخلفات الماضين ، ووساوس المتقدمين ،  
وخرافات الوثنية ، وعادات الجاهلية والجاهليين . فكانوا فى حيرة من  
امرهم .

وكان جو العالم الأرضى مكفهرأ بسحب الاضطرابات الوحشية فى  
كل مكان وكان اعتماد الناس على وسائل الشر اكثر من اعتمادهم على  
وسائل الخير ، وكان اجمع الروساء للثقة والطاعة اشداهم صيحة فى  
اصلاء نيران الحروب والمعارك ، ولم يكن يأخذ بعواطف القلوب ولا  
يؤثر عليها تأثيرا حادا ، الا شئ واحد هو الغنى وسلب الأمم والشعوب ،

والاستيلاء على المدن والاعيان ، والفقراء المزارعين حتى بسطاء المتسولين ولولا شعاع ضئيل من الحكمة كان يتألق فى بعض صوامع المتعبدين ، وبعض المبادئ الفلسفية التى كانت بمعزل عن اعاصير تلك المشاغب ، وانتقلت من روح الى روح اخرى ، بوساطة بعض اصحاب الجراءة من رسل الرقى ، لكانت البربرية أسرع خطاها ، مقودة بفطرسه زعماء البهيمية ، واستحالت الى وحشية محضة .

فعلى هذه الاحوال الحالكة ، وفى وسط هذا الخضم الشديد الظلمة ، ولدى الهدى وعم نوره الكون ، وجاء الاسلام مبشرا الناس بقوله تعالى : ( يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، وانزلنا اليكم نورا مبينا ، فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه ، ويهديهم اليه صراطا مستقيما ) .

كانت النفوس حيرى فى معنى الدين ، لاتعرف من آثاره غير الظلم والاهانة والسلب والنهب من القائمين عليه ومن يلوذ بهم ، فقررلهم الاسلام بان الدين ضالة الارواح ، وانشودة العواطف ، وبلسم جراح الحياة ، وتنسيم الراحة والطمأنينة ، ومهب نفحات الحق ، هو دين واحد فى اصوله وعقائده بعث الله به كافة الانبياء والمرسلين الى الأمم ، رفعا لما طرأ عليهم من الظلم والخلاف ، وحسما لما نالهم من روح النزاع ( كان الناس امة واحدة فاختلفوا ) .

لقد عاش الناس آمادا طويلة متفرقين شيعا ، ومتخالفين اصولا ومبادئ وكان العقل الانسانى لايزال يبرزح ببقايا السذاجة الاولى ، يتخذ من هذا التشيع والتخالف عاملين قويين على توسيع شقة الانقسام البشرى ، وقد اتخذوا الاديان بواعث للمضى فى هذا التناحر الى



اقصى حد ، وما زالو على هذه الحال من الفرقة والاختلاف حتى تمهدت سبل الاتصال بين الشعوب ، وتسهلت وسائل التعارف بينها ، ونجحت حاجات حيوية تدعوها لتبادل الثمرات ، وتداول المنافع ، فبدأ العالم يتصل بعضه ببعض عن طريق التجارة ، فكانت وسيلة للتفاهم ، فكان هذا عهدا جديدا فى حياة الامم ما زال تدفع عوامله بالشعوب بعضها نحو بعض ، ممهدا لأكبر عهد من عهود البشرية ، الا وهو القيام على اصل جامع يؤلف بين الناس فى حظيرة واحدة .

ولد هذا الشعور فى العالم للحاجة اليه ، ولكنه ولد خيالا يطوف ببعض الرؤس ، وكان يزداد على مر الايام قوة ، الى عهد خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

فى هذا العهد اراد الله تعالى ان يجعل من هذا الشعور الخيالى حقيقة واقعة ، فشرع للناس الاسلام ، وارسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، وافتتح به عهدا نهائيا للبشرية لم تحلم به او تتخيله من ناحية الدين قط .

فقد كانت الأمم متناحرة بسبب الاديان ، وكل ينادى بان دينه هو الصحيح ، وباقى الاديان مزورة ، حتى ان بعض الفلاسفة كان يتخيل ان الوحدة العالمية يمكن ان تتم بالتخلى عن الاديان .

فكيف حل الاسلام هذه المعضلة الخطيرة فى حدود العقل ومنطق الاشياء وسوغها للاذهان الى حد ان صار ليس بين خصم الاسلام وقبوله والتحمس له الا ان يسمعها بينة من الداعى اليه ، وان يفهمها حق الفهم .

حق ان هذه المعجزة لدين يعلن انه آخر الاديان الالهية ، وانه

الدين العام لمجموع البشرية ، فاعلن الاسلام انه فى اصوله  
الاعتقادية ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الاول الذى اوحاه الى نوح  
ثم تابع وحيه الى جميع المرسلين من بعده ، فاذا كان الناس يرون امام  
أعينهم اديانا مختلفة فى هذه الاصول ، فانما حدث ذلك من تحريف  
قاداتها لها ، وتحميلها مالا تحتمله من اهوائهم واوهامهم ، بغيا بينهم .  
وقد ارسل الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى آخر الزمان ،  
خالصا من كل ما ادخل اليه مما ليس منه ، ليقوم الناس على اصل  
جامع ، فينعموا بمزايا الوحدة ، ويتوجهوا بجملتهم لتحصيل الكمال  
الذى وعدت به البشرية ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : ( شرع لكم  
من الدين ما وصى به نوحا ، والذى اوحينا اليك ، وما وصينا به  
ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على  
المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهذى اليه من  
ينيب ، وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة  
سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم ، وان الذين اورثوا  
الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما  
أمرت ولا تتبع اهواءهم ، وقل آمنت بما انزل الله من كتاب ، وامرت  
لاعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ، لاحجة بيننا  
وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير ) .

وقوله تعالى : ( ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين اتوا  
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله  
فان الله سريع الحساب ) .

هذا هو الدين الجامع للناس ، الدين الخالد ، ولو ادرك الناس

كافة معنى الاسلام وفقهوا كنه ما يرمى اليه لما بقى على وجه الارض من يدين بدين آخر ، لانه مطلوب كل روح ، ومرمى كل قابلية ، ومطمأن كل احساس ، ومنتهى كل عسل من معنى الدين والايمان ، وهذا سر قوله تعالى : (( وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون )) .

ولولا ان الاسلام دين ينطبق على كل قابلية واستعداد ، ويلاتم كل عاطفة واحساس ، لما كلف الله به عموم خلقه من انس وجن ، وهو سبحانه وتعالى القائل بلسان الرحمة (( لا يكلف الله نفسا الا وسعها )) والذى ضمن للدين الاسلامى الخلود امران : الفطرة الانسانية وسلطان العقل الكامل ، والناس جميعا يتفقون فى مقتضيات الفطرة ، فما يراه انسان بفطرته حسنا يراه كل الناس حسنا ، وما يراه قبيحا يراه كافة الناس قبيحا .

واما سلطان العقل الكامل ، فهو الامر الواضح فى احكام هذا الدين واوامره ونواهيه ، فانه قبس من نور الله ، ونفحة من حكمته . اعتمد الاسلام هذين الأمرين الطبيعيين ، اعتماد البناء على ركنيه الركينين فقال تعالى عن الفطرة الانسانية : ( فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون ) .

فالله جل شأنه يبين للناس ان الدين هو ما جبلت عليه النفوس من الفطرة الالهية ، ولكن بشرط ان لاتشاب بتعاليم تتحكم فيها وتوجهها غير وجهتها الطبيعية ، وهذه الفطرة الخالصة من كل شائبة هى الاسلام .

الا ان هذا الموقف يحتاج لمقوم يقومه ، فان الناس يختلفون فى الفرائز الطبيعية ، وفى الصفات الوراثية ، فمنهم المتثبت والمتسرع ومنهم البعيد النظر وقصيره ، ومنهم الكثير العلم والقليله ، فكان لابد من حكم يرضى الناس جميعا حكومته ، ولا يشذ عنها الا مفتون او متعنت ، وهذا الحكم هو العقل . ولما كان هذا العقل مناط التكليف ، وفصل التفرقة بين الحق والباطل ، وجب ان يكون بحيث يصلح لهذه المهمة الخطيرة . فلذلك حث الله تعالى على تكميله ، بالنظر فى هذا الكون الواسع وما فيه من اعلام نصبها فيه ، ليقوى على ما هو بصدده ، ويأمن العثار فى حكمه ، ولا يلتبس عليه الباطل فى تلونه .

فهذا الجمع بين حكم الفطرة المعدلة بحكم العقل الكامل ، هو الأساس الدينى الذى بعث الله خاتم انبيائه صلى الله عليه وسلم لوضعه ونشره واعلانه بين الامم ، لتتوحد فى اديانها وعقائدها ، كما هى متوحدة فى انسانيتها وفطرها وعقولها .

وبما ان الاسلام جاء لتوحيد الامم فى عهد جديد للبشرية ، كانت عقائده على هذا الأصل الجامع ، فامر الآخذين به ان يعتقدوا بجميع رسل الله ، وان لا يفرقوا بينهم ، وان يصدقوا بما ارسلوا به من الكتب ، جاعلا ذلك اساس الايمان لتكون صبغته عالمية من كل وجه ، فقال تعالى : (( قولوا آمنا بالله وما انزل اليه وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى ، وما اوتى النبيون من ربهم ، لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون .

### الشريعة

يراد بالشريعة : كل ما شرعه الله للمسلمين من دين ، سواء اكان

بالقرآن الكريم ، ام بسنة رسول الله من قول او فعل او تقرير ، فهى لهذا تشمل اصول الدين ، اى ما يتعلق بالله وصفاته والدار الاخرى وغير ذلك من بحوث علم التوحيد وغيره ، كما تشمل ما يرجع الى تهذيب المرء نفسه واهله ، وما يجب ان تكون عليه العلاقات الاجتماعية ، وما هو المثل الاعلى الذى يجب ان يعمل لبلوغه او مقاربته ، وما هى الطرق التى بها يصل الى هذا المثل او الغاية من الحياة ، وذلك كله هو ما يعرف باسم علم الاخلاق ، وبذلك تكون الشريعة شاملة احكام الله لكل من اعمالنا ، من حل وحرمة وكراهة وندب ، واباحة ، وذلك ما يعرف باسم الفقه المرادف لكلمة قانون فى عرف المحدثين .

يقول الشيخ محمد على التهانوى فى كتابه العظيم : (( كشف اصطلاحات الفنون )) مادة شريعة الجزء الاول : (( الشريعة ما شرع الله تعالى لعباده من الاحكام التى جاء بها نبي من الانبياء صلى الله عليهم وعلى نبينا وسلم سواء كانت متعلقة بكيفية عمل ، وتسمى فرعيه وعمليه ، ودون لها علم الفقه ، او لكيفية الاعتقاد وتسمى اصلية واعتقادية ، ودون لها علم الكلام ، ويسمى الشرع ايضا بالدين والملة )) .

فالفقه اخص من الشريعة ، لانه جزء منها وبعض ما تشتمل عليه ويقول الجرجاني فى (( كتاب التعريفات )) : الفقه هو فى اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه ، وفى الاصطلاح : هو العلم بالاحكام الشريعة العملية من ادلتها التفصيلية ... وهو علم مستنبط بالرأى والاجتهاد ، ويحتاج فيه الى النظر والتأمل ... ) .

فالاسلام يتناول حياة المسلم كلها دينية ام دنيوية ، فلا فرق

فى الاسلام بين امور الدين وبين غيرها من الامور القانونية والسياسية وذلك انه منذ عصر النبى عليه الصلاة والسلام وعصر الخلفاء الراشدين اخذت السلطة الدينية شكل الدولة السياسى ، وبقي هذا الامر مستمرا الى الوقت الحاضر فى المبدأ على الاقل .

وهكذا البس الدين كل شى من امور المسلمين ثوب التشريع ، واخذت الاجيال المتعاقبة فى تنمية التشريع ، وتطور فى الازمنة المتوالية حتى وصل الى بناء هائل منظم لكل انواع المعاملات والعلاقات الانسانية للمسلمين تنظيما دقيقا ، واصبحت القوانين كلها تبعا لهذا المبدأ الذى لا يفرق بين امور الدين وامور الدنيا فقها ودينا الهيا .

وهذا الفقه بهذا المعنى الشامل هو فى الحقيقة الناحية التى تمثل لنا الروح الاسلامية على اصلها ، وتصورها لنا فى جوهرها الاساسى، كما انه يمثل لنا الطابع الحقيقى للتفكير الاسلامى ، فالذين يعنون بمعرفة الروح الاسلامية والتفكير الاسلامى فى مهدهما وعلى حقيقتهما ، عليهم ان يدرسوا ذلك فى الفقه الاسلامى الذى لم يتأثر بمؤثرات اجنبية ، ولم يدخله دخيل فى الفكر او الطريقة وقد اثر الفقه الاسلامى فى كثير من القوانين الغربية ، فقد دخل فرنسا عن طريق الاندلس قديما والمغرب والجزائر حديثا . وهو مصدر من مصادر التشريع فى انجلترا وغيرها .

ولا يزال الفقه الى الآن العامل الاساسى فى الكفاح الفكرى للاسلام ضد الغرب . فالغربيون مع انهم نهلوا من فقهننا ، واخذوا منه الكثير ، فانهم يريدون منا ان نبعد عنه ونتركه كليا ، وقد نجحوا كثيرا

فى ان جعلونا نتخذ قوانينهم ونطبقها فى حياتنا ، وابعدوننا عن فقهننا واسلامنا . واوهمونا بان حياتنا الدينية معناها التأخر ، وان عدم مسايرتنا للمدنية الحالية فيها نوع من التأخر والجمود والرجعية عن التمدن .

ولما كان الفقه هو الذى يمثل هذه الناحية فى حياة المسلمين ، كان هو خط الدفاع الاول للاسلام ضد هذه الهجمات المتواصلة من قبل المدنية الغربية ، ومن هنا كانت حركات الاصلاح والتقدم الاسلامى التى يحاول بها المصلحون المسلمون التجديد تبتدى من الفقه . فهو يمثل عند دعاة الاصلاح الاسلام التاريخى ، وهم يريدون الرجوع الى الاسلام الاول ، ويرون فيه حياة سالحة ، وقدرة على التطور الاجتماعى والقانونى .

فاننا نريد ان نصل من الاسلام نفسه ، ومن قواه الخاصة الى نظام عملى مستعمل فى الحياة القانونية ، ولا يكون هذا الا باعادة النظر فى الفقه وتطوراته فى العصور الاخيرة والتمسك منه بما نراه حيا صحيحا قابلا للتطبيق العملى ، وبناء الاسس الجديدة على ما كان عليه الاسلام فى عهده الاول ، وعهد نهضة المسلمين الفقهية وايام الاجتهاد .

هذا ما نريده من دراسة الفقه الاسلامى ، والحض على الاجتهاد ونحن فى زمن توافرت فيه المصادر والوسائل واصبحت بين ايدينا بكثرة لم تتوافر للناس من قبل ، وما علينا الا ان نعمل بجهد وامانة واخلاص .

### الفرض من دراسة الفقه الاسلامى :

الشريعة الاسلامية ، والفقه احد اقسامها الكبرى ، صالحة لكل زمان ومكان ، هذه قضية صحيحة مسلمة بلاريب ، يلهج بها المسلمون جميعا ، وحق لهم ذلك ، فأرى فرضا علينا ان نبين صحة هذه القضية التى اصبحت جزءا من عقيدتنا الدينية ، وان نعمل على دعمها بالبرهان والدليل .

ولا يكون هذا بمحاولة ايجاد ضروب من المشابهة بين بعض النظريات والآراء فى القانون والفقه الاسلامى ، ولا بتبيين كثير من التشريعات الرسمية فى القانون المدنى وغيره من فروع القانون . انما يكون ذلك بالعمل على انشاء قانون من هذا الفقه ، باسلوب واضح مبسط ، له طابعه الخاص ومبادئه واصوله الخاصة ، ويكون محققا لحاجات العصر وحالا لمشاكله العديدة المختلفة ، وان فى فقهاء المادة الطبية الواسعة القدرة على ذلك كله .

وقد عرف علماء القانون فى الغرب لهذه الشريعة قدرها ، واقروا فى بعض مؤتمراتهم القانونية صلاحيتها لتكون اساسا للتشريع ، ومن هذه المؤتمرات مؤتمر القانون المقارن الذى عقد فى ( لا جاي ) فى اغسطس عام ١٩٣٨ وكان من قراراته ما يلى :

١- اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع .

٢- اعتبارها حية صالحة للتطور .

٣- اعتبارها قائمة بذاتها غير مأخوذة من غيرها .

وبعد ذلك علينا واجب خطير لنصل الى الغاية التى نرشد ، وهى جعل فقهاء الاسلامى المصدر الاول لتشريعنا الحديث ، هذه الغاية التى



يعتبر بلوغها امنية كل مسلم محب لدينه وامته ووطنه الذى يجب ان يكون مستقلا فى كل شئ وفى التشريع بخاصة .

ان علينا بيان هذا الفقه فى مراجعه الاولى الاصلية ، وهذا لا يتأتى الا بنشر المراجع نشرا علميا ييسرها للراغبين والباحثين ثم بعد ذلك نشرامهات الكتب الفقهية الاخرى التى جاءت فى العصور التالية ، ولانقتصر من ذلك على مذهب واحد ، ولا على المذاهب الاربعة المعروفة ، ، بل علينا ان ننشر المذاهب الاخرى كمذهب الزيدية والامامية من مذاهب الشيعة ، والمذاهب الظاهرية ، والاباضية ، ففى هذه المذاهب الاخرى كنوز من الثروة الفقهية وفيها كثير مما نفعنا فى نهضتنا الاجتماعية والتشريعية .

ومتى تم لنا معرفة هذه المذاهب المختلفة ، علينا دراستها على نحو جديد غير النحو الذى يدرس عادة دراسة تقليدية ، فاننا نعى الدراسة المقارنة ، بينها وبين بعضها وبعض من ناحية ، وبينها وبين القوانين الحديثة من ناحية اخرى فان فضل الدراسة المقارنة فى كل نواحي المعرفة فضل معروف غير منكور .

وقد ادرك ذلك كله الاستاذ الكبير المرحوم الدكتور عبدالرزاق السنهورى فقال فى كلمته الافتتاحية لكتاب : النظرية العامة ، للالتزامات . الجزء الاول فى نظرية العقد ( قال : ) فاذا قدر لنا ان نستقل بفقهنا ، وان نفرغه فى جو مصرى ( هكذا ) يشب فيه على قدم مصرية وينمو بمقومات ذاتية ، يقتضى علينا ان نخطو الخطوة الاخيرة ، فنخرج من الدائرة القومية الى الدائرة العالمية ، ونؤدى قسطا مما تفرضه علينا الانسانية ضريبة فى سبيل تقدم الفقه

العالمى ، اوما اصطلاح الفقهاء على تسميته بالقانون المقارن . ومن اهم الوسائل فى الوصول الى ذلك ، العناية بالشريعة الاسلامية ، شريعة الشرق وروح الهامه وعصارة اذهان مفكره ، نبتت فى صحرائه وترعرعت فى سهوله ووديانه ، فهى قبس من روح الشرق ، ومشكاة من نور الاسلام ، يلتقى عندها الشرق والاسلام ، فيضئ ذلك بنورها هذا ، ويرى فى هذا روح ذاك ، حتى ليمتزجان ويصيران شيئا واحدا ، هذه هى الشريعة الاسلامية ، لو وطئت اكنافها ، وعبدت سبلها ، لكان لنا فى هذا التراث الجليل ما يفتخ روح الاستقلال فى فقهاء وقضائنا وفى تشريعنا ثم لاشرفنا نطالع العالم بهذا النور ففضئ به جانبنا من جوانب الثقافة العالمية فى القانون ) .

وبعد هذه الكلمة الطيبة نرى الاستاذ نفسه يعمل فى القانون المدنى الجديد على الافادة حقا من الفقه الاسلامى ، فيأخذ عنه كثيرا من احكامه فى نواح مختلفة ، وبهذا صار من المصادر الرسمية للقانون ، وان كان لم يأخذ مكانه الجدير به بعد ، ثم نراه يقول بعد ذلك : (( اما جعل الشريعة الاسلامية هى الاساس الاول الذى يبلى عليه تشريعنا المدنى ، فلا يزال امنية من اعز الامانى التى تختلج بها الصدور وتنطوى عليها الجوانح ولكن قبل ان تصبح هذه الامنية حقيقة واقعه ، ينبغى ان تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الاسلامية فى ضوء القانون المقارن . ونرجو ان يكون من وراء جعل الفقه الاسلامى مصدرا للقانون الجديد ما يعاون على قيام هذه النهضة )) .

وحين يحين الوقت الذى يمكن فيه جعل الفقه الاسلامى هو المصدر الاول عندنا للقانون ، ونرجو ان يكون ذلك قريبا بفضل الله

وعونه ، علينا ان نعمل على تقنيته وتدوينه فى مواد باسلوب سهل تتضمن خير الاحكام التى توافق العصر . حتى لايفضل الباحث بين الآراء المختلفة فى مراجعته وكتبه التى لايكاد يحصرها الانسان . وقد خرج القانون المدنى عندنا فى الاردن بعون الله وبفضل عدد من الباحثين الافاضل ، فى ثوب قشيب ، ومواد واضحة من الشريعة الاسلامية ونرجو ان يتبعه غيره من القوانين ان شاء الله .

### طبيعة الفقه الاسلامى

ليس من الممكن استيعاب خصائص الفقه الاسلامى التى يتميز بها عن كل ما عرفه العالم من ضروب الفقه حتى اليوم ، بهذه الصفحات القليلة ، ولكن يمكن تعرفها باجمال مما يأتى .

- ١- الفقه يرجع فى اسسه العامة الى وحى الله تعالى .
  - ٢- تمهيد الشريعة لاحكامه بوازع الدين والاخلاق .
  - ٣- جزاؤه دنيوى واخروى معا .
  - ٤- نزعته جماعية .
  - ٥- قبوله للتطور حسب بيئات الزمان والمكان .
  - ٦- تأثره اوعدم تأثره بالقوانين الاخرى .
  - ٧- غايته تنظيم الحياة الخاصة والعامة ، وتيسيرها ، واسعاد العالم كله .
- جاء الاسلام بعد ان استنفد كل من الاديان السابقة غايته ، وصارت الانسانية مستعدة لتقبله ، واحست بالحاجة الملحة لرسالة سماوية تكون خاتمة الرسالات جميعا ، وتشوقت لدين جديد يسير بها اقديماً الى حياة العز والكرامة والسعادة ، لافرق بين جنس وجنس ، ولا بين امة واخرى .

وكان جو العالم مكفهرًا بسحب الاضطرابات الوحشية فى كل مكان وفى هذا الجو المكفهر بظلمات الفتن ، اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يرفع علم الألفة العالمية العامة ، وان يضع للناس على ضوء نور الوحي اساسها ، وذلك بقوله تعالى : (( يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم )) .

فكانت وسيلة الاسلام لذلك ، بيان العقيدة الحققة ، بعد ان اختلفت فى ذلك جميع الملل اختلافا كبيرا مزق العالم الى فرق كثيرة متعادية ، ووضع النظم والقوانين الصالحة لحياة الفرد والجماعة . فأساس هذا الفقه هو الوحي من الله تعالى ، هذا الوحي الذى نجده فى كتابه الكريم ، وسنة رسوله العظيم الذى لاينطق عن الهوى ، ففى هذين المصدرين ، نجد جماع ما نعرف اليوم من اقسام القانون الحديث المختلفة ، المدنى ، والتجارى ، والعقوبات ، والدستورى ، والدولى .... الى آخر فروع القانون .

وكل فقيه مقيد بنصوص هذين المصدرين او الاصلين الاساسيين ما ساعفته النصوص ، والا فهو مقيد باستلزام روح الشريعة ومبادئها واصولها ومقاصدها ، وفى ذلك مجال كبير للاجتهاد بلايب وهذا ما سيأتى توضيحه .

هذا فى حين ان القانون الوضعى على اختلافه باختلاف الأمم وعلى تعدد مذاهبه واقسامه ، من عمل الانسان ، ولذلك لانجده له من القداسة مانجده للتشريع الذى اساسه الوحي الالهى الذى لايتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، لانه تنزيل من حكيم حميد .

ولا تتحقق الغاية المرجوة من القانون بحسن وضعه واحكامه فحسب وانما تتحقق مع ذلك بتنفيذه ممن شرع لهم ، على ان يكون هذا التنفيذ بوازع من انفسهم وقلوبهم . وهذا الوازع يجئ من ايمانهم بعدالة هذا القانون ، ورضاهم به واعتقادهم المثوبة من المشرع راضين على تشريعاته واحكامه.

فالتشريعات الاسلامية كما نعرفها فى القرآن والسنة النبوية ، قد بلغت الكمال ، اذ قامت جميعها على اعتبارات من الدين والاخلاق تجعلها تبلغ غاية الرضا والايمان ممن وجهت اليهم من المؤمنين .  
فالله سبحانه وتعالى يعلم ما طبعت عليه النفس الانسانية من اناية واثرة ، وهو لذلك يؤكد فى التشريع على الناحية الخلقية والعاطفية فمثلا يؤكد حقوق الجار على جاره الى درجة انه قرنه بالامر بعبادة الله وعدم الشرك به ، فقال : ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ، وبذى القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار الجنب ) .

ونجد الرسول صلى الله عليه وسلم يتناول هذا المعنى فيؤكد فى احاديث كثيرة منها : قوله ( مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه ) . ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ) الى احاديث كثيرة .....

وفى الزكاة نجد القرآن الكريم يغرس فى نفس المؤمن ان اداء هذه الزكاة ، خير للمتصدق نفسه فيقول : ( خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ) ومن ثم يحث الرسول الكريم على الصدقة باحاديث كثيرة يبين فيها تغليظ عقوبة من لا يؤدى الزكاة وبعد ذلك

يؤكد للمتصدق ان الله سيعوضه عما انفق خيرا كثيرا ، من ذلك قوله :  
( مامن يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما : اللهم  
اعط منفقا خلفا ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكا تلفا ) .

والجهاد والذود عن الوطن والعقيدة من مقاصد الاسلام ، ولهذا  
كتب الله الجهاد على المسلمين زيادا عن الوطن ، ودفاعا عن العقيدة ،  
ونشرا للدين ، لكنه لم يأمر بذلك امرا مجردا فحسب ، بل رغب فيه  
وبين فضائله وثمراته ، فان الله يعلم ان اكثر النفوس فطرت على الضنى  
بالنفس كما فطرت على الضن بالمال ، ولهذا رغب فى الجهاد  
بضروب الترغيب المختلفة ، وبين انه خير من الدنيا وما فيها ، وان  
جزاءه فى الدنيا الغنيمة والنصر ، وفى الآخرة الجنة ، ورد فى ذلك  
فى كثير من الآيات والاحاديث . من ذلك قوله تعالى :

( فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن  
يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ) .

وقوله تعالى : ( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن  
لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون الخ ... ) .

والى جانب ذلك احاديث كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام :  
( تكفل الله لمن جاهد فى سبيله ، لا يخرج من بيته الا الجهاد فى  
سبيله وتصديق كلماته ، ان يدخله الجنة او يرد الى مسكنه بما نال من  
اجرا و غنيمة ) .

وقوله : ( لعدوة فى سبيل الله او روحه خير من الدنيا وما فيها ) .  
وكان لهذا المنهج فى التمهيد لتشريع الجهاد وتحبيب بذل النفوس فى  
سبيل الله ، اثره الكبير فى قلوب المؤمنين ، ففى يوم بدر واول ما تلافى

المسلمون والمشركون من قريش وقف النبي صلى الله عليه وسلم يحض المسلمين على الثبات ويرغبهم فى الجنة فقال عمير بن الحمام وفى يده ثمرات يأكلها اما بينى وبين دخول الجنة الا ان يقتلنى هؤلاء يا رسول الله ، ثملقى الثمرات من يده وأخذ سيفه واقتحم الصفوف وقاتل حتى استشهد فى سبيل الله .

والمثل كثيرة وظاهر فيها التمهيد فى التشريع الاسلامى بالدين والاخلاق كما جاء فى تحريم الربا ، وبتشاريع الطلاق والميراث ، والامر بالشهادة وعدم كتمانها ، ونحو ذلك ، وسيطول بنا البحث لو استرسلنا بايراد الامثلة .

فالقانون السماوى وهو فى اسمى صورته الفقه الاسلامى بين انه يشيب ويعاقب فى هذه الحياة وفى الدار الاخرى ايضا ، والجزاء الاخرى اعظم دائما من الجزاء الدنيوى ، ومن اجل ذلك يحس المؤمن بوازع نفسى قوى بضرورة العمل باحكامه واتباع اوامره ونواهيه .

فالتشريع الاسلامى يرمى الى صلاح الفرد والمجتمع فالنزعة فيه هى النزعة الجماعية ، وهذه النزعة ، والطابع الجماعى للفقه الاسلامى نجده واضحا فيما جاء به الاسلام من عبادات كما هو واضح فيما اتى من احكام المعاملات التى نراها فى الحياة العملية ، فكل هذه التشريعات فى هاتين الناحيتين تهدف الى تهذيب الفرد وصالحه والصالح العام للمجتمع باسره ، والامثال على ذلك واضحة ندركها وتكفيها فيها الاشارة طلبا للايجاز ، وخوفا من التطويل الممل . نشير مثلا ، الى حكمة شرعية الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وحل

البيع وتحريم الربا ، والامر برعاية اليتيم ، والجار ، والوفاء بالعقود وتحليل الزواج لانشاء الاسرة الصالحة التى هى اساس بناء المجتمع ، وتحريم الزنا ، واقامة الحدود صيانة للمجتمع ، الى آخر ما نعرف من الاحكام التى جاءت بالامر والنهى والحل والحرم بالترغيب تارة والترهيب تارة .

والامثلة على ذلك كثيرة تحتاج الى مجلدات ، وانما نكتفى بقليل منها : فمن حق الزوج ان تكون زوجته فى طاعته ، لتكون سكنا له ، وليثمر الزواج ثمراته المنشودة منه ، ولكن هذا الحق مقيد بان لا يكون فى استعماله ضرر للزوجة ، والا منع منه او حد القاضى من استعماله ، حتى لا يكون للزوجة فى بعض حالات الضرر طلب التفريق بينها وبينه ، ولذلك يقول الله تعالى : ( فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ) .

ومن حق الحكام ان تسمع لهم الرعية ويطيعهم الشعب ، ولكن ذلك مشروط بان يصدروا فى حكمهم وسياستهم للامة عن المصلحة العامة ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( السمع والطاعة على امرء المسلم فيما احب او كره ، مالم يؤمر بمعصية ، فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ) .

وهو كما نرى ، اصل من اصول الحكم له خطره الكبير ، اذ انه يحدد فى دقة تامة سلطان الحاكم وحقوق المحكوم ، وفى اتباعه مصلحة الامة جميعا .

فالفقه الاسلامى يحفظ الحق لصاحبه بلاريب ، ويبيع له استعماله كما يريد ، ويحميه من اعتداء الغير ، ولكن بجانب ذلك



كله ، يعمل التشريع الاسلامى من ناحية اخرى ، على ان لا يضار الغير باستعمال صاحب الحق حقه ضررا يكون اكبر من ضرر الحد من حرية صاحب الحق ، وذلك تطبيقا للقاعدة الشرعية العظيمة : ( لا ضرر ولا ضرار ) دفعا لأكبر الضررين بالاخف منهما ، فهذه القاعدة تحكم استعمال الحقوق ، وفى تطبيقها تحقيق صالح صاحب الحق وصالح الغير معا .

وفى هذه الامثلة الكفاية لاثبات الطابع الجماعى للفقہ الاسلامى هذا الطابع الذى نجد فى القرآن الكريم وسنة الرسول واحكام وآراء الجلة من الصحابة المصدر الاصيل له وذلك ، كما قلنا لان الشريعة الاسلامية لم تأت لصالح الفرد وحده ، بل لصالح المجتمع كله فى اكبر حدوده .

والفقہ الاسلامى له من كل ما ذكر ما جعله خالدا يتطور مع الزمن ، ولو استعرضنا تاريخه من بدء لتبين لنا كيف كان فى زمن الخلفاء الراشدين ، وكيف نما وترعرع على ايدى السلف الصالح من العلماء المجتهدين ، واصبح تراثا هائلا ، وثروة لاتقدر ، ولو ان العلماء استمروا بالاجتهاد ، وقاموا عليه كما يجب ولم يجمدوا على القديم ، لما كانت الامة الاسلامية بحاجة مطلقا للجوء للقوانين الغربية تأخذ منها تشريعاتها وقوانينها .

وهكذا صرنا الى حالة مؤلمة من الاخذ عن الغرب فى كل شئ ، حتى كأننا امة ليس لها مقوماتها الذاتية ، وتراثها العظيم ، وتقاليدها الطيبة ونرجو ان نعود الى شريعتنا ننهل منها ما تغطى حاجتنا ، ونعمل على استقلالنا فى التشريع الاسلامى ، وهذا بفضلكم انتم وتشجيعكم ،

والسير الى الامام على هذا الصراط المستقيم .

ووسائل التطور فى الفقه الاسلامى كثيرة ، واهمها : الاجماع ، والقياس ، ومبدأ الاستحسان ، والمصالح المرسلة ، ورعاية العرف على شروط خاصة ، وسيأتى الكلام على ذلك كله بعد الكلام على الاجتهاد ومصادر التشريع فى الاسلام ان شاء الله .

وبعد هل تأثر الفقه الاسلامى بالقانون الرومانى ؟ هذا القانون الذى كان معمولاً به فى كثير من البلدان التى فتحها المسلمون ، وخصوصاً الشام والعراق ، قال بهذا التأثير بعض المستشرقين المغرضين ، الذين كتبوا فى العقلية العربية وخصائصها ، واسسها التى قامت عليها ، وما نالها من تأثيرات مختلفة وقد غلبا بعض المستشرقين الى درجة جعل القانون الرومانى مصدراً من مصادر الفقه الاسلامى ، وذلك عن غير بينة او دليل ، بل عن عدم فهم للفقه نفسه واصوله ، وذلك كله من التعصب الاعمى ، والغرور والجهل الكبير ..

ومن اولئك المستشرقين الذين قالوا بالتأثر الى حد كبير (( جولد تسيهر )) المستشرق المجرى اليهودى ، وبعضهم يكتب اسمه (( كولد صهر )) وكذلك المستشرق الهولندى (( دى بور )) الذى يقول : (( بعد ان فتح المسلمون بلاداً ذات مدنات قديمة نشأت حاجات لم يكن للاسلام بها عهد وحلت محل شئون الحياة العربية البسيطة عادات وانظمة لم يرشد الشرع ارشاداً دقيقاً الى وجه الحق فيها ، ولم يرد فى السنة بالنص ولا بالتأويل ما يبين الطريق الى معالجتها ، ثم اخذ عدد الوقائع الجزئية يزداد كل يوم ، وهى وقائع لم ترد فيها نصوص ولم يكن للمسلمين يد من الحكم فيها ، اما بما يتفق مع العرف ، واما

بما يهديهم اليه ادراكهم لمعنى الخير ، ولا بد ان يكون القانون الرومانى قد ظل زمنا طويلا يؤثر تأثيرا كبيرا فى هذا الاتجاه فى الشام والعراق ، وهما من ولايات الامبراطورية الرومانية القديمة )) . تاريخ الفلسفة فى الاسلام .

ومن الذين غلوا كبيرا فى هذه الناحية ، الى درجة تدعوا الاستخفاف والزراية بأرائهم المجردة من الدليل العلمى الصحيح الذى يتطلب هذا البحث التاريخى (( المستشرق آموس )) الذى زعم : بان الشرع المحمدى ليس الا القانون الرومانى للامبراطورية الشرقية ، معدلا وفق الاحوال السياسية فى الممتلكات العربية )) .

ان اصحاب هذا الرأى لا يستندون الا الى ما رأوه من التشابه بين بعض احكام الفقه الاسلامى والقانون الرومانى ، ثم الى ما يحدثه بلاريب التقاء الحضارات والعادات والاعراف القانونية بعضها فى بعض ، ولكن هل مجرد هذا التشابه ان كان موجودا حقيقة ، يدل على التأثير الذى يزعمون ، بل على ان الفقه الاسلامى ليس الا القانون الرومانى مع شئ من التعديل هنا وهناك كما يزعم هذا الآموس فى جرأة عجيبة على الحق والتاريخ ، بدون خجل ولا حياء ولا دليل .

وان هذا التشابه فى الاحكام القانونية او فى غير ذلك من النظم المختلف امر طبيعى بين الامم جميعا ، والانسان هو الانسان فى كل مكان وزمان لافرق بين المسلمين والرومان او غيرهم من الامم والشعوب المختلفة ، ونجد ذلك ماثلا واضحا فى الفلسفة ومناحى التفكير عامة .

ولا نستطيع لمجرد بعض هذا التشابه ، الزعم بان هذه الامة هى

التي اخذت عن تلك وليس العكس ، بل قد يكون مرجعه الى ما نعرف من ان العقل الانسانى السليم يتشابه فى كثير من الوان التفكير ، دون حاجة لتفسير هذا الشبه بالاخذ والتقليد ، وكل هذه امور بديهية لاحتجاج فى فهمها وتسليمها الى عناء كبير فى التفكير .

وبعد ذلك هل عرف المسلمون القانون الرومانى ، كما عرفوا الفلسفة اليونانية ؟ الجواب بالنفى بلا ريب ، فان المسلمين نقلوا للعربية فلسفة اليونان ، وافادوا منها ، وهم يفخرون بذلك بجهودهم الفلسفية التى اضافوا الى جهود فلاسفة اليونان ، وغيروا بها غير قليل من نظرياتهم وآرائهم الفلسفية وقد فعلوا ذلك لاحتاجهم الى تلك الفلسفة .

اما من ناحية القانون ، فلم يحسوا الى حاجة للأخذ عن غيرهم لان لديهم من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، مايفنيهم عن الاستعانة بغيرهم فى هذا السبيل ، ولو كان الامر غير هذا لحفظ لنا التاريخ كتابا واحدا او رسالة واحدة نقلوها الى العربية من قانون الرومان كما نقلوا كثيرا من تراث الفرس الأدبى والعلمى بجانب التراث اليونانى .

بل ان التشريع الرومانى قد افاد من الفقه الاسلامى ، فيما زيد عليه ايام النهضة الاوربية ، عن طريق الثقافة والعلوم الاسلامية التى كانت من عوامل هذه النهضة كما هو معروف ، وقد يستطيع الباحث المدقق ان يجد لهذا التأثير امثلة غير قليلة . انظر فلسفة التشريع فى الاسلام للدكتور صبحى المحمصانى ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

وانه لمن المؤسف حقا ان يتأثر بعض كتاب العرب والمسلمين

بهذه الآراء المزيفة ويصدقوها ، وما ذلك الا لجهلهم ، وقلة معرفتهم  
بالفقه الاسلامى والشريعة الاسلامية ، ومن جهل شيئا عاداه .

### الاجتهاد

الاجتهاد : هو بذل الوسع فى استنباط الحكم الشرعى من الادلة  
الشرعية وتطبيقها . وباب الاجتهاد من اعظم مزايا التشريع الاسلامى ،  
واكبرها لما فيه من الفوائد العظمى ، التى تنير الطريق امام  
المشرعين من العلماء ، ولانه يجعل الفقه الاسلامى فقها حيا صالحا  
لكل زمان ومكان .

والاجتهاد يكون فى المسائل والوقائع التى لم يرد فيها نص او  
دليل صريح قطعى ، فاذا كانت الواقعة التى يراد معرفة حكمها قد دل  
على الحكم الشرعى فيها دليل صريح من كتاب او سنة ، فلا مجال  
للاجتهاد فيها ، ولذلك قيل (( لا مجال للاجتهاد فى مورد النص )) .

اما اذا كانت الواقعة التى يراد معرفة حكمها قد ورد فيها نص ظنى  
الورود والدلالة ، او احدهما ظنى فقط ففيهما للاجتهاد مجال ، لان  
المجتهد عليه ان يبحث فى الدليل الظنى الورود من حيث سنده ،  
وطريق وصوله اليه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودرجة روايته من  
العدالة والضبط والثقة والصدق ، وفى هذا يختلف تقدير المجتهدين  
للدليل . فمنهم من يطمئن الى روايته ويأخذ به ، ومنهم من لا يطمئن  
الى روايته ولا يأخذ به ، وهذا باب اختلف فيه المجتهدين فسى كثير  
من الاحكام .

فاذا اراه اجتهاده فى سند الدليل الى الاطمئنان لرواية ،  
وصدق روايته ، اجتهد فى معرفة مايدل عليه الدليل من الاحكام ، وما

يطبق فيه من الوقائع ، لان الدليل قد يدل ظاهره على معنى، ولكنه ليس هو المراد وقد يكون عاما ، وقد يكون مطلقا ، وقد يكون على صيغة الأمر او النهى .

فالمجتهد يصل باجتهاده الى معرفة ان الظاهر على ظاهره او هو مؤول وان العام باق على عمومه او هو مخصص ، وكذلك المطلق على اطلاقه اوهو مقيد ، والامر للوجوب او لغيره ، والنهى للتحريم او لغيره ، والذي يهديه فى اجتهاده القواعد الاصولية واللغوية ، ومقاصد الشارع ومبادئه العامة ، وبهذا يصل الى ان هذا النص الذى بين يديه يطبق فى هذه الواقعة او لا يطبق .

وكذلك اذا كانت الواقعة لانص على حكمها اصلا فعليها مجال متسع للاجتهاد ، لان المجتهد يبحث ليصل الى معرفة حكمها بواسطة القياس ، او الاستحسان اور الاستصحاب او مراعاة العرف ، او المصالح المرسلة ، وسيأتى تفسير هذه الادلة بالتفصيل .  
فالخلاصة ان مجال الاجتهاد امران : مالا نص فيه اصلا ، وما فيه نص غير قطعى .

ولامجال للاجتهاد فيما فيه نص قطعى . كما تقدم .  
المجتهد : يشترط لمن يكون اهلا للاجتهاد اربعة شروط .  
الاول : ان يكون المجتهد على علم باللغة العربية وطرق دلالة عباراتها ومفرداتها ، وله ذوق فى فهم اساليبها اكتسبه من الحنق فى علومها وفنونها وسعة اطلاع على آدابها وآثار فصاحتها من شعر ونثر وغيرها ،  
لان اول وجه للمجتهد هى النصوص فى القرآن والسنة وفهمها .  
كما يفهما العربى الذى وردت هذه النصوص بلغته .

الثانى . ان يكون على علم بالقرآن ، والمراد ان يكون عليما بالاحكام الشرعية التى جاء بها القرآن ، وبآيات التى نصت على هذه الاحكام ، بحيث اذا عرضت واقعة كان ميسورا له ان يستحضر كل ما ورد فى موضوع هذه الواقعة من آيات الاحكام فى القرآن . ولا يشترط ان يكون حافظا للقرآن جميعه .

وآيات الاحكام فى القرآن ليست كثيرة ، وقد خصها بعض المفسرين بتفسير خاص . كتفسير آيات الاحكام للجصاص ، ولابن العربى وغيرهما ، ويوجد فهارس مفصلة لآيات القرآن على احرف الهجاء وعلى المواضع ، والأمر اصبح ميسورا جدا لمن يريد ان يبحث ويستنبط اكثر من ذى قبل .

الثالث : ان يكون على علم بالسنة كذلك . وكتب الحديث قد جمعت ورتبت ومحضت واصبح الصحيح المعتمد معروفا منها ، وقد ادى العلماء للسنة النبوية خدمات جليلة ، وكفونا مؤونة البحث فى الاسانيد وصار معروفا لدينا فى كل حديث أنه متواتر او مشهور ، او صحيح او حسن او ضعيف .

. وعنى العلماء عناية كبيرة فى احاديث الاحكام مجموعها ورتبوها على ابواب الفقه وعمال المكلفين ، بحيث يتيسر للانسان الباحث ان يرجع الى ما ورد فى السنة الصحيحة من احكام البيع او الطلاق او الزواج او العقوبات او غيرها من سائر المعاملات .

ومن احسن الكتب فى هذا الموضوع : (( نيل الاوطار )) للشوكانى وسبل السلام للصنعانى ، والتاج الجامع للاصول الخمسة «البخارى ومسلم وابى داود ، والترمذى ، والنسائى» .

الرابع : ان يعرف وجوه القياس ، وذالك بأن يعرف الحكم التشريعية التى شرعت من اجلها الاحكام ، ويعرف المسالك التى مهدها الشارع لمعرفة علل احكامه ، ويكون خبيراً بوقائع احوال الناس ، ومعاملاتها ومعاملاتهم حتى يعرف ما تتحقق فيه علة الحكم من الوقائع التى لانص فيها ، ويكون خبيراً ايضا بمصالح الناس وعرفهم ، وما يكون ذريعة الى الخير والشر فيهم ، حتى اذا لم يجد فى القياس سبيلاً الى معرفة حكم الواقعة ، سلك سبيلاً اخرى من السبل التى مهدتها الشريعة الاسلامية للوصول الى استنباط الحكم الذى لانص فيه .

والمجتهد مأجور ، ان اصاب فله اجران ، اجر على اجتهاده ، واجر على اصابته الصواب ، وان اخطأ فله اجر واحد على اجتهاده .  
ذلك لان الله تعالى ما ترك الناس سدى ، بل شرع لكل فعل من افعال المكلفين حكماً ، ونصب لكل حكم دليلاً يدل عليه ، وطلب من اهل النظر فى هذه الادلة ان ينظروا فيها ليهدوا الى حكمه ، فمن توافرت فيه اهلية النظر فيها ، واجتهد حتى وصل الى الحكم الذى اداه اليه اجتهاده فهو مأجور على هذا الاجتهاد ، والواجب عليه ان يعمل فى قضائه وافتائه بما اداه اليه اجتهاده ، لانه حكم الله حسب ظنه الراجح ، ويجوز للعامة الذين ليست لهم ملكة الاجتهاد واستخلاص الاحكام من نصوصها ، ان يتبعوا المجتهدين ويقلدوهم لقوله تعالى : (( فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون )) وقد شرح السيد السنوس شروط الاجتهاد شرحاً وافياً فى كتابة المسائل العشر .



وان الاجتهاد لا ينقض بمثله ، فلو اجتهد مجتهد فى واقعة وحكم فيه بالحكم الذى اداه اليه اجتهاده ، ثم عرضت عليه صورة من هذه الواقعة فاداه اجتهاده الى حكم آخر ، فانه لا يجوز له نقض حكمه السابق . فقد ورد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قضى فى حادثة بقضاء ، ثم تغير اجتهاده ، فلم ينقض ما قضى به اولاً ، بل قضى فى مثل هذه الحادثة بالحكم الاخر الذى اداه اليه اجتهاده الثانى ، وقال : ذلك على ما قضينا ، وهذا على ما نقضى .

وكذلك لا يجوز لمجتهد آخر خالفه فى اجتهاده ان ينقض حكمه لانه ليس اجتهاد احد المجتهدين باحق ان يتبع من اجتهاد الآخر ، ولان نقض الاجتهاد باجتهاد آخر يودى الى ان لا يستقر حكم ، والى ان لا تكون للشئ المحكوم به قوة .

وقد قضى ابوبكر فى مسائل وخالفه عمر بعده فيها ولم ينقض احكام ابى بكر رضى الله عنهما . وعلى هذا المعنى ينبغى ان يفهم قول سيدنا عمر بن الخطاب فى عهده المشهور الى ابى موسى الاشعرى حين ولاء القضاء : (( لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق ، فان مراجعة الحق خير من التماهى فى الباطل )) .

يقول الشاطبى فى الموافقات فى الصفحة ٢٣٠-٢٣١ من الجزء الرابع المطبعة الرحمانية بمصر . يقول ما يلى : ( خرج ثابت فى الدلائل عن عبد الصمد بن عبد الوارث قال وجدت فى كتاب جدى : ( اتيت مكة فاصبت بها ابا حنيفة وابن ابى ليلى وابن شبرمه ، فاتيت ابا حنيفة فقلت له ما تقول فى رجل باع بيعا واشترط شرطاً ؟ قال ابو

حنيفة : البيع باطل والشرط باطل

واتيت ابن ابي ليلي فقال : البيع جائز والشرط باطل . واتيت ابن شبرمة فقال : البيع جائز والشرط جائز .

فقلت سبحان الله . ثلاثة من فقهاء الكوفة يختلفون علينا في مسألة ، فاتيت ابا حنيفة فاخبرته بقولهما ، فقال لا ادرى ما قالا ، حدثني عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع وشرط .

فاتيت ابن ابي ليلي فاخبرته بقولهما فقال لا ادرى ما قالا ، حدثنا هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( اشترى بريرة واشترطى لهم الولاء ، فان الولاء لمن اعتق ) . فاجاز البيع وابطل الشرط .

فاتيت ابن شبرمة فاخبرته بقولهما فقال : ما ادرى ما قالا ، حدثني مسعود بن حكيم عن محارب بن دثار عن جابر بن عبد الله قال : ( اشترى منى رسول الله جملا فشرطت حملانى ، فاجاز البيع والشرط ) . فهؤلاء العلماء الافاضل افتى كل واحد منهم بما اعتمد عليه في الحديث الذى رواه ، ولم ينكر على غيره الذى خالفه .

وقد ذهب جمهور علماء المسلمين الى ان القياس حجة شرعية على الاحكام العملية ، ومذهب الظاهرية ، والنظامية من المعتزلة ، وبعض فرق الشيعة ان القياس ليس بحجة .

وقد عرض ابن القيم فى الجزء الاول من كتابه العظيم ( اعلام الموقعين ) مسألة القياس عرضا وافيا ، ويبين ادلة القائلين به وادلة الآخرين الذين يرفضونه ، وتكلم على عدم احاطة النصوص او احاطتها

ومعنى هذا الحاجة للقياس ... وأتى بكلام واف وشرح مفصل ، ولم ينس ان يعرض لمسألة كون احكام الله معللة . والقياس فى نظرى شى مهم ودليل عظيم نحن بحاجة اليه .

وقد أثبت الجمهور حجية القياس بالقرآن الكريم والسنة وعمل الصحابة فمن القرآن الكريم قوله تعالى : ( يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ، فان تنازعتم فى شى فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا ) .

ووجه الاستدلال بهذه الآية ان الله سبحانه وتعالى امر المؤمنين ان تنازعوا واختلفوا فى شى ، ليس لله ولا لرسوله ولا لأولى الامر منهم فيه حكم ، ان يردوه الى الله والرسول ، وردة وارجاعه الى الله والى الرسول يشمل كل ما يصدق عليه انه رد اليهما لان فيه متابعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فى حكمه .

واما السنة فاظهر ما استدلوا منها حديث معاذ بن جبل المشهور ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبعثه الى اليمن ، قال له كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ قال : اقضى بكتاب الله ، فان لم اجد فبسنة رسول الله ، فان لم اجد اجتهد رأى ولا آلو . فضرب رسول الله على صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله بما يرضى الله ورسوله .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث ان رسول الله عليه الصلاة والسلام أقر معاذاً على ان يجتهد اذا لم يجد نصياً يقضى به فى الكتاب والسنة .

والاجتهاد بذل الجهد للوصول الى الحكم . وهو يشمل القياس  
لانه نوع من الاجتهاد والاستدلال .

وهناك آيات اخرى ، وعدة احاديث ، وعمل الصحابة واقوالهم  
واصولا الاجتهاد والقياس لما نما التشريع وازدهر الفقه الاسلامي ؛  
كما وصل الينا بهذه الحالة من الكثرة والازدهار .  
فقد كانوا يجتهدون في الوقائع التي لانص فيها ، وقيسون مالا  
نص فيه على ما فيه نص ويعتبرون بنظيره .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في عهده الى ابي موسى  
الاشعري : ( ثم الفهم فيما ادلى اليك مما ورد عليك مما ليس فيه  
قرآن ولا سنة ثم قايس بين الامور عند ذلك ، واعرف الامثال ثم اعمد  
فيما ترى احبها الى الله واشبهها بالحق ) .

وقال على بن ابي طالب رضى الله عنه : ( ويعرف الحق بالمقايسة  
عند ذوى الالباب ) وقد عرض ابن القيم في كتابه العظيم : ( اعلام  
الموقعين ) مسألة القياس عرضا وافيا في الجزء الاول ، ونقل في  
الجزء الثانى عدة فتاوى لاصحاب رسول الله افوتوا فيها باجتهادهم  
بطريق القياس .

ومما انكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته على من  
اجتهد من صحابته الكرام وما انكر بعض الصحابة على بعض اجتهاد  
الرأى وقياس الاشياء على الاشياء .

ثم ان نصوص القرآن والسنة محدودة ومتناهية ، ووقائع الناس  
واقضيتهم غير محدودة ولا متناهية ، فلا يمكن ان تكون النصوص  
المتناهية وحدها هي المصدر التشريعى لما لا يتناهى ، فالقياس هو

المصدر التشريعى الذى يساير الوقائع المتجددة فى كل زمان ومكان ،  
ويكشف حكم الشريعة فيما يقع من الحوادث وبوفق بين التشريع  
والمصالح .

وان الله تعالى ما شرح حكما الا لمصلحة ، وان مصالح العباد هى  
الغاية المقصودة من تشريع الاحكام . فاذا ساوت الواقعة التى لا نص  
فيها الواقعة المنصوص عليها فى علة الحكم التى هى مظنة المصلحة  
قضت الحكمة والعدالة ان تساويها فى الحكم تحقيقا للمصلحة التى  
هى مقصود الشارع من التشريع .

وان القياس دليل تؤيده الفطرة السليمة والمنطق الصحيح ، فان  
من نهى عن شراب لانه سام يقيس بهذا الشراب كل شراب سام ،  
ومن حرم عليه تصرف لان فيه اعتداء وظلماً لغيره يقيس بهذا كل  
تصرف فيه اعتداء وظلم لغيره .

ولا يعرف بين الناس اختلاف فى ان ما جرى على احد المثلين  
يجرى على الآخر ما دام لافارق بينهما والله الموفق للصواب .

٦- ولا حاجة فى الاطالة فى بيان مصادر التشريع كالكتاب  
والسنة والاجماع فى هذه العجالة فانها مشروحة مفصلة فى كتب  
اصول الفقه . وانما اريد ان اتعرض لاربعة مصادر هامة نحتاج اليها  
فى زماننا هذا وفى كل زمان وهى : ١- الاستحسان . ٢- المصالح  
المرسلة . ٣- الاستصحاب . ٤- العرف والعادة .

هذه مصادر لها قيمتها من حيث التشريع ، وهى عون كبير لنا فى  
سد حاجتنا مما يجد من وقائع لا نص فيها ، ويجد المشرع والمجتهد  
والحكام مطلوبهم فيها والاستعانة بها ، وهى معين لا ينضب ، ومفخرة

من مفاخر التشريع الاسلامى .

١- الاستحسان : فى اللغة عد الشيء حسنا .

وفى اصطلاح التشريع : هو عدول المجتهد عن مقتضى قياس خفى ، او عن حكم كلى الى حكم استثنائى لدليل انقذ فى عقله رجح لديه هذا العدول .

وقال الكرخى من علماء الحنفية : ( الاستحسان هو العدول فى مسألة عن مثل ما حكم به فى نظائرها الى خلافه ، لوجه اقوى )) وفى المبسوط للسرخسى : (( الاستحسان قياس خفى قوى اثره )) .  
وقد يقال ان الاستحسان : هو العدول عن قياس ظاهر جلى الى قياس خفيت علته .

فاذا عرضت واقعة ولم يرد نص بحكمها ، وللنظر فيها وجهتان مختلفتان ، احدهما ظاهرة تقتضى حكما ، والاخرى خفية تقتضى حكما آخر وقام بنفس المجتهد دليل رجح وجهة النظر الخفية ، فعدل عن وجهة النظر الظاهرة فهذا يسمى شرعا : الاستحسان وكذلك اذا كان الحكم كليا ، قام بنفس المجتهد دليل يقتضى استثناء جزئيه من هذا الحكم الكلى والحكم عليها بحكم آخر فهذا ايضا يسمى شرعا الاستحسان .

ومن تعريفه يظهر انه نوعان : احدهما ترجيح قياس خفى على قياس جلى بدليل ، وثانيهما استثناء جزئيه من حكم كلى بدليل .  
وهذا المعنى هو الذى يريده الاحناف والمالكية والحنابلة من هذا الاصل الذى اخذوا به . فهو ليس قولاً بالرأى والهوى .

فالاستحسان اذا دليل أو أصل من أصول الفقه ، ويجئ فى المرتبة

بعد الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وكثيرا ما انتفع به الفقهاء فى التشريع فنراهم يقولون مثلا : هذا الشئ يجوز استحسانا لاقياسا ، وذلك الامر معذور قياسا ، مباح استحسانا ، ويروى عن الامام مالك رضى الله عنه انه كان يقول : (( الاستحسان تسعة اعشار العلم )) . ويستدلون بحجيته بقوله تعالى : (( فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه )) . وقوله : (( فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا باحسنها )) . وفى الحديث : (( ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن )) رواه احمد فى كتاب السنة واليزار والطيالسى والطبرانى وابو نعيم عن ابن مسعود .

والامثلة عن الاستحسان كثيرة منها : لا يصح بيع المعدوم ، ولكن اجيزت الاجارة استحسانا ، مع انها بيع لمنافع الشئ المستأجر ، وهذه المنافع معدومة لعدم وجودها عند عقد الاجارة ، فكان القياس بطلان هذا العقد ولكنه اجيز استحسانا .

نص فقهاء الحنفية على ان الوقف اذا وقف ارضا زراعية يدخل حق المسيل وحق الشرب وحق المرور فى الوقف تبعا بدون ذكره استحسانا . والقياس انها لاتدخل الا بالنص كالبيع . ووجه الاستحسان : ان المقصود من الوقف انتفاع الموقوف عليهم ، ولا يكون الانتفاع بالأرض الزراعية الا بالشرب والمسيل والطريق ، فتدخل فى الوقف بدون ذكرها لان المقصود لا يتحقق الا بها كالاجارة .

نهى الشارع عن بيع المعدوم والتعاقد على المعدوم ، ورخص استحسانا فى السلم والاجارة والمزارعة والمساقاة والاستصناع وهى كلها عقود ، المعقود عليه فيها معدوم وقت التعاقد كما مر بالاجارة ،

ووجه الاستحسان حاجة الناس وتعارفهم .

وقد قال الامام الشاطبي فى الموافقات : من استحسن لم يرجع الى مجرد ذوقه وتشهيه ، وانما رجع الى ما علم من قصد الشارع فى الجملة فى امثال تلك الاشياء المعروضة ، كالمسائل التى يقتضى القياس فيها امرا الا ان ذلك الأمر يؤدى الى تفويت مصلحة من جهة او جلب مفسدة كذلك .

٢- المصالح المرسلة ، أو المصلحة المرسلة بالافراد ، ومعنى المرسلة : المطلقة . ومعنى المصلحة المرسلة : المصلحة التى لم يشرع الشارع حكما لتحقيقها ، ولم يدل دليل شرعى على اعتبارها أو القائها ، وسميت مطلقة لانها لم تقيد بدليل اعتبار ، او دليل الغاء . واكثر الفقهاء اخذا بهذا المصدر من مصادر الاحكام ، هو الامام مالك ابن انس امام اهل المدينة . وحسنا فعل ذلك بانه لو وقفنا فى التشريع عند المصالح التى امر الشارع باعتبارها ، لتعطلت كثير من المصالح الحقيقية للناس وللأمة .

هذه المصالح التى تختلف وتتجدد فى كل زمان ومكان ، ولعجزت الشريعة الاسلامية عن مسايرة التطور الذى لانعلم له مدى ينتهى اليه ، بل هو دائم ما دام الزمن .

ومن امثلتها : المصلحة التى شرع لاجلها الصحابة اتخاذ السجون ، وضرب النقود ، وابقاء الارض لزراعية التى فتحوها فى ايدى اهلها ووضع الخراج عليها ، وغير ذلك من المصالح التى اقتضتها الضرورات ، او الحاجات او التحسينات ولم تشرع لها احكام ، ولم يشهد شاهد شرعى باعتبارها او القائها .



ويشترط لاعتبار المصالح المرسلة مصدرا من مصادر التشريع  
ثلاثة شروط :

١- ان يكون ذلك فى مسائل المعاملات لا العبادات . لان هذه  
ثابتة لا تتغير .

٢- ان لا تعارض هذه المصلحة مقصدا من مقاصد الشريعة ولا  
دليلا من ادلتها المعروفة .

٣- ان تكون مصلحة حقيقية ضرورية للمجتمع ، او على ،  
الاقل ان يكون فيه تحصيل نفع او درء ضرر حقيقى ، ولا تكون  
لمصلحة شخصية .

فمن استقرأ تشريع الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ، يتبين  
انهم شرعوا احكاما كثيرة لتحقيق مطلق المصلحة ، لالقيام شاهد  
باعتبارها ،

فابوبكر رضى الله عنه جمع الصحف المفردة التى كانت مدونا فيها  
القرآن ، حارب مانعى الزكاة ، واستخلف عمر بن الخطاب ، وعمر  
امضى الطلاق ثلاثا بكلمة واحدة ، ومنع سهم المؤلفة قلوبهم ، ووقف  
تنفيذ حد السرقة فى عام المجاعة ، وعثمان جمع المسلمين على  
مصحف واحد ، وحرق ما عداه . وورث زوجة من طلق زوجته  
للفرار من ارثها .

والاحناف حجروا على المفتى الماجن والطبيب الجاهل  
والمكارى المفلس والمالكية اباحوا حبس المتهم وتعزيره توصلا  
لاقراره ، والشافعية اوجبوا القصاص من الجماعة اذا قتلوا الواحد ،  
ومن ذلك جواز ان يفرض الامام العادل على الاغنياء من المال ما لا بد

منه لتكثير الجند ، واعداد السلاح ، وحماية البلاد .  
 وجميع هذه المصالح التى قصدتها بما شرعوه من الاحكام هى  
 مصالح مرسله ، وقد شرعوا بناء عليها لانها مصلحة ، ولانها لا دليل من  
 الشارع على الغائها . وقال ابن عقيل : (( السياسة كل فعل تكون معه  
 الناس اقرب الى الصلاح ، وابتعد عن الفساد وان لم يضعه الرسول ،  
 ولا نزل به وحى ، ومن قال : لاسياسة الا بما نطق به الشرع فقد غلط  
 وغلط الصحابة فى شريعتهم .

### ٣- العرف :

العرف : هو ما تعارفه الناس وساروا عليه ، من قول ، او فعل ، او  
 ترك ، ويسمى العادة . وفى اصطلاح الشرعيين : لافرق بين العرف  
 والعادة . فالعرف العملى : مثل تعارف الناس البيع بالتعاطى من غير  
 صيغة لفظية .

والعرف القولى : مثل تعارفهم اطلاق الولد على الذكر دون  
 الانثى وتعارفهم على ان لا يطلقوا لفظ اللحم على السمك .  
 والعرف يتكون من تعارف الناس على اختلاف طبقاتهم عامتهم  
 وخاصتهم ، بخلاف الاجماع فانه يتكون من اتفاق المجتهدين خاصة .  
 ولادخل للعامة فى تكوينه .

العرف : نوعان : عرف صحيح ، وعرف فاسد .  
 فالعرف الصحيح هو ما تعارفه الناس ، ولا يخالف دليلا شرعيا  
 ولا يحل محرما ولا يبطل واجبا ، كتعارف الناس عقد الاستصناع ،  
 وتعارفهم تقسيم العهد الى مقدم ومؤخر ، وتعارفهم ان ما يقدمه  
 الخاطب الى خطيبته من حلى وثياب هو هدية لامن المهر .

والعرف الفاسد : هو ما تعارفه الناس ولكنه يخالف الشرع او يحل المحرم او يبطل الواجب . مثل كثير من الأمور المنكرة التي يتعامل الناس بها كالربا والمقامرة وغير ذلك من المفاسد .

اما العرف الصحيح فيجب مراعاته فى التشريع وفى القضاء ، وعلى المجتهد مراعاته فى تشريعه ، وعلى القاضى مراعاته فى قضائه لان ما تعارفه الناس وساروا عليه صار من حاجاتهم ومتفقا مع مصالحهم ، فما دام لا يخالف الشرع وجبت مراعاته .

وقد راعى الشارع الصحيح من عرف العرب فى التشريع ، ففرض الدية على العاقلة ، وشرط الكفاءة فى الزواج ، واعتبر العصبية فى الولاية والارث .

ولهذا قال العلماء : العادة شريعة محكمة ، والعرف فى الشرع له اعتبار ، والامام مالك بنى كثيرا من احكامه على عمل اهل المدينة ، وابوحنيفة واصحابه اختلفوا فى احكام بناء على اختلاف اعرفهم ، والشافعى لما هبط مصر غير بعض الاحكام التى كان قد ذهب اليها فى بغداد ، لتغير العرف ، ولهذا له مذهبان قديم وجديد ، وفى فقه الحنفية احكام كثيرة مبنية على العرف . منها اذا اختلف المتداعيان ولا بينة لاحدهما فالقول لمن يشهد له العرف . ومن حلف لا ياكل لحما واكل سمكا لا يحث بناء على العرف .

ومن العبارات المشهورة المعروف عرفا كالمشروط شرطا ، والثابت فى العرف كالثابت بالنص . وقد الف ابن عابدين رسالة سماها :

((نشر العرف فيما بنى من الاحكام على العرف )) .

والاحكام المبنية على العرف تتغير بتغيره زمانا ومكانا ، والعرف عند التحقيق ليس دليلا شرعيا مستقلا ، وهو فى الغالب من مراعاة المصلحة المرسله . وهو من الادلة الهامة ، والمصادر التى يجب ان تراعى ويؤخذ بها لما فيها من الفائدة للناس والمجتمع ، ولتكون الشريعة حية صالحة لكل زمان ومكان .

٤- الاستصحاب : وهو الحكم على الشئ بالحال التى كان عليها من قبل ، حتى يقوم دليل على تغير تلك الحال .  
او جعل الحكم الذى كان ثابتا فى الماضى باقيا فى الحال حتى يقوم دليل على تغيره .

فاذا سئل المجتهد عن حكم عقد او تصرف ، ولم يجد نصا فى القرآن او السنة ، ولا دليلا شرعيا يطلق على حكمه ، حكم باباحة هذا العقد او التصرف بناء على ان الاصل فى الاشياء الاباحة ، فمالم يفسم دليل على تغيرها فالشئ على اباحته الاصلية .

واذا سئل المجتهد عن حكم حيوان او جماد او نبات او اى طعام او اى شراب او عمل من الاعمال ، ولم يجد دليلا شرعيا على حكمه ، حكم باباحته . لان الاباحة هى الاصل ولم يقم دليل على تغيره .  
وانما كان الاصل فى الاشياء الاباحة ، لان الله سبحانه وتعالى قال فى كتابه الكريم : (( هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ))  
وصرح فى عدة آيات بانه سخر للناس ما فى السماوات وما فى الارض ، ولا يكون ما فى الارض مخلوقا للناس ومسخرها لهم الا اذا كان مباحا لهم . لانه لو كان محظورا ما كان لهم .

والاستصحاب آخر دليل شرعى يلجا اليه المجتهد لمعرفة حكم ما

عرض له ، وهو طريق فى الاستدلال قد فطر الناس عليه وساروا عليه فى جميع تصرفاتهم واحكامهم . وعلى الاستصحاب بنيت المبادئ الشرعية الآتية :

الاصل بقاء ما كان على ما كان حتى يثبت تغييره ، الاصل فى الاشياء الاباحة ما ثبت باليقين لا يزول بالشك ، الاصل فى الانسان البراءة .

### باب الاجتهاد مفتوح

بعد هذه الجولة الموجزة فى مزايا التشريع الاسلامى وتفسير الاجتهاد والمجتهد والادلة الحية التى فصلناها بايجاز ، اريد ان اتحدث عن ضرورة الاجتهاد ، ان باب الاجتهاد ، وان الاجتهاد مفتوح لم يغلّق ، وانما طرأ ركود على الاشتغال بالشرعة الاسلامية ، وفترت همة الناس ، واتكلوا على ما خلفه لهم اسلافهم الطاهرون . والاجتهاد اليوم اسهل منه فى الزمن الماضى ، حيث كان العالم يضطر احيانا ان يقطع آلاف الاميال ، ويضرب اكباد الابل كما يقولون . فى طلب حديث واحد ، او مقابلة عالم ليأخذ عنه ، او فى طلب كتاب لينسخه وغير ذلك من الصعوبات والعقبات .

واليوم الكتب متوافرة ، والمصادر كثيرة والحصول عليها سهل جدا ، والوسائل ميسرة ، والعالم اصبح صغيرا جدا بسبب تيسير المواصلات وسهولتها .

والاجتهاد فى كل عصر فرض من فروض الكفاية ، حتى ذهب كثير من العلماء والمحققين الى انه لا يجوز شرعا خلو الزمان من

مجتهد قائم بحجج الله يبين للناس منازل اليهم .

وما احسن ما قاله العلامة الشوكاني رحمه الله : (( لا يخفى على من له أود فى فهم ان الاجتهاد قد يسره الله للمتأخرين تيسيرا لم يكن للسابقين لان التفاسير للكتاب العزيز قد دونت ، وصارت فى الكثرة الى حد لا يمكن حصره ، والسنة المطهرة قد دونت ، وتكلمت الامة على التعديل والتجريح والتصحيح والترجيح ، بما هو زيادة على ما يحتاج اليه المجتهد ، وقد كان الواحد من السلف يرحل للحديث الواحد من قطر الى قطر ، فالاجتهاد على المتأخرين ايسر واسهل من الاجتهاد على المتقدمين ، ولا يخالف هذا من لهم فهم صحيح وعقل سوى )) ارشاد الفحول .

وكذلك فان الاجتهاد سهل ميسور على الباحث المجد ، يقول ابن رشد فى كتابه العظيم (( بداية المجتهد )) فى الصفحة ١٨٤- ١٨٥ من الجزء الثانى فى كتاب العرف طبعة مصطفى البابى الحلبي سنة ١٣٣٩هـ .

(( فان هذا الكتاب انما وضعناه ليبلغ المجتهد فى هذه الصناعة رتبة الاجتهاد اذا حصل ما يجب له ان يحصل عليه من القدر الكافى له فى علم النحو واللغة وصناعة اصول الفقه ، ويكفى من ذلك ما هو مساو لجرم هذا الكتاب او اقل ، وبهذه الرتبة يسمى فقيها ، لايحفظ مسائل الفقه ولو بلغت فى العدد اقصى ما يمكن ان يحفظه انسان ، كما نجد متفقهة زماننا ، يظنون ان الاقفة هو الذى حفظ مسائل اكثر ، وهؤلاء عرض لهم شبيه ما يعرض لمن ظن ان الخفاف هو الذى عنده خفاف كثيرة ، لا الذى يقدر على عملها ، وهو بين ان الذى عنده

خفاف كثيرة سياًته انسان بقدف لا ففء فى خفافه ما ففلف لقدمه ففلفا الى صانع الخفاف ضرورة ، وهوالذى ففصع لكل قدم خفا فوافقه . ففها هومثال اكفر المففقه فى هذا الوقت )) .

فابن رشد هو العالم الففلسوف الذى كان فففش فى الاندلس والمغرب فى القرن السادس الهجرى فقول ان الاجفهاد ضرورى وهو ممكن فى وقفه فكفف الآن .

وفى زماننا والمصادر متوافرة ، والوسائل موجودة ، والاتصال بفن العالم سهل .

وهذه الثروة الضخمة التى بفن افدنا من المراجع التى فففى على كنوز من فرائنا العظمف ، وفقنها الذى فمفل الفكر العربى الاسلامى النفر ، وما خلفه لنا اسلافنا من قواعد وآراء وافكار فففر لنا الفرفق ، وفسهل علفنا مهمة البفء والفقص والاجفهاد .

من ذلك فولهم : (( العبرة فى العقود للمقاصد والمعانى لا للالفاظ والمبانى . الفققن لا فزول بالشك ، القفدم ففرك على قدمه ، الضرر لا فكون قفدما ، الاصل براءة الذمة ، الاجفهاد لا فنفقص بمثله ، المشقة ففلب الففسفر فعنى ان الصعوبة فففر سبفا للفسهفل وفلزم الفوسفع فى وقت الضقق وفففرع على هذا الاصل كفففر من الاحكام الفقهفة ، وهو اصل عظمف ، كذلك : الامر اذا ضاق اتسع . الضرورات ففبح المحظورات ، الضرورات فقدر بقدرها . ماجاز لعذر بطل بزواله . الضرر لا فزال بمثله . دره المفاسد اولى من فلب المصالح ، الاضطرار لا فبطل حق الففر ، فففرع على هذه القاعدة انه لواضطر انسان من الفوع فاكل طعام الاخر فضمن قفمفه ، العادة محكمة ، استعمال

الناس حجة يجب العمل بها . لا يكر تغير الاحكام بتغير الزمان . وغير ذلك من الفوائد الجليلة الكثيرة التى تملأ الكتب ، مما نفخر به وتكون عوناً لنا فى ابحاثنا وتشريعاتنا .

فالدين سرع ليكون دستوراً فى العبادات والمعاملات للأمم ، فاما العبادات فرسوم مفررة توحى الى الرسول عليه الصلاه والسلام فيبلغها الى اصحابه ثم يتناقلها اتباعهم جيلاً بعد جيل لا يصح فيها الزيادة ولا النقصان ، بل كلما كانت بحالتها الاولى اشبه ، كانت الى حقيقتها اقرب .

واما المعاملات فهى رسوم قانونية تابعة لأصول اولية وضعت للتوفيق بين مصالح الناس وحسم النزاع الذى يقوم بينهم ، ولحماية مصالحهم وانفسهم واموالهم واعراضهم ، ليعيسوا عيشة راضية طيبة فى ظل شرع الله .

ولما كانت هذه المصالح تتغير وتتنوع على حسب الحاجات ، وباختلاف الزمان والمكان ، ووجوه النزاع تتباين الى غير حد تقف عنده وليس لهذه المنازعات من نهاية ، فلا يعقل احد وخصوصاً فى عصرنا الحاضر ان توجد قوانين مقررة تصلح لكل زمان ومكان ، ولكل امة فى كل حال من احوال المجتمعات .

لذلك يجب وجوباً قاطعاً ان يكون هناك اجتهاد ، ومجتهدون يبحون وينقبون ويحققون لنا ما يتطلبه الناس فى هذا العصر المعقد لكثرة متطلباته ومشكلاته ، من التشريعات التى يقتضيها روح العصر ، وحاجة الزمان والمكان ويعرف الناس ان شريعتنا الفراء سريعة حية صالحة لان تعيش فى كل زمان ، وتسائر روح العصر ، وتسد حاجات



اهله وتحقق رغباته فى حل النزاعات بينهم بالعدل والاحسان .  
 فاذا اردنا ان يعود الى شريعتنا شبابها ، وان تكون كما كانت  
 دستور الامم الاسلامية فى معاملاتها وجب علينا ان نعترف بدوام انفتاح  
 باب الاجتهاد ، وان يوكل امر التشريع الى جماعة من الاكفاء الباحثين  
 المتفرغين ، واقول الى جماعة لا الى فرد ، ذلك ان الفرد مهما كان  
 متضلعا من العلم والفقه لا يستطيع ان يحيط بحاجة المجتمع .

وهذه الجماعة تتفرغ للبحث والتنقيب والعمل على مد الامة  
 بالتشريع اللازم لها حسب حاجاتها ، مستمدة من الاصول الاولى للدين  
 الحنيف ، الدين الفطرى الاصيل ، ومن روح المجتمع .

فاذا تسنى لنا نحن المسلمين ان نحقق شيئا من هذا حلت  
 شريعتنا الغراء محل كل شريعة سواها واكتسبت بخدمة العقول النيرة  
 المخلصة لها جلالاتها على جلالها .

اما كيف تتكون هذه الجماعة المؤمنة ، وكيف تنظم وكيف تجتمع  
 فان هذه امور جدية بالبحث ، والدرس والتنظيم .

يقول الاستاذ حسن احمد الخطيب فى كتابه القيم (( فقه الاسلام ))  
 . صفحة ٣٦١ - ٣٦٣ :

(( عرفنا مما تقدم حكم الاجتهاد والتقليد ، وان الرأى السديد  
 الراجع عدم جواز خلواى عصر من العصور عن الاجتهاد ، وثبت وقوع  
 الاجتهاد من صاحب الشريعة صلوات الله وسلامه عليه ، ومن صحابته  
 والتابعين ومن تلاهم من الائمة والحكام والقضاة والعلماء .

فيابنى قومى وعشيرتى من علماء المسلمين فى مصر وسائر  
 الاقطار الاسلامية : انصروا شريعتكم ، وقوموا عليها قيام السدنة

المخلصين وامنحوها ما وهب الله لكم من عقول مستبصرة فاحصة ، وافئدة بنور العلم والعرفان وهدى الدين مستضيئة مشرقة ، واتبعوا سلفكم الصالح الذى عرف واستيقن ان هذه الشريعة لا يكفل بقاؤها الذى اراده الله لها الى يوم الدين الا بالاجتهاد المشروع الذى تراعى فيه اصول الشريعة القيمة ، وقواعد الدين الحنيف ولا تقولوا اننا لم نبلغ مبلغ اسلافنا فى اهلية الاجتهاد .... وانى اقول لا عذر لكبار علمائنا فى تهيب الاجتهاد ، وقد فتح لهم الغزالي وابن القيم بابيه على مصراعيه فانهما سوغا تجزئة الاجتهاد - .....

اما حكومات البلاد الاسلامية ، وفى صدرها الحكومة المصرية فان عليها واجبا لا يقل عما يجب على علمائنا ، وهو تحقيق ذلك المقصد الجليل ، وتنفيذ هذا الرأى السديد الذى طالما تضاء المصلحون من تأليف لجنة دائمة أو مجمع للفقهاء الاسلامى يختار اعضاؤه من ائمة المذاهب الاسلامية وعلمائها من جميع الاقطار الاسلامية . ومن اعلام القانون الوضعى الذين عرفوا لشريعة الاسلام قدرها ، واطلعوا على اسرارها ومزاياها وهم بحمد الله كثيرون على ان يناط به امران :

الأول : ترتيب الفقهاء الاسلامى على مختلف المذاهب وتجميعه

فى بنود مرتبة ، منسقة فى جميع بحوثه .

الثانى : ان يبحثوا ويجهتدوا لوضع احكام لماجد من الوقائع والحوادث والمعاملات .... وبذلك تستطيع كل دولة اسلامية عند وضع قوانينها او تغيير شىء منها - ان تستقى من الاحكام التى يقرها ذلك المجمع الفقهي الاجتهادى، وفقنا الله ورزقنا حسن النظر والاعتبار ، والبصر بمحاسن شريعته انه اكرم مسئول ، واعظم مأمول )) .

٨ واختم حديثى بما بدأته بان الاسلام دين انسانى عالمى عام ،  
 يخاطب الامم جميعا ، فلا يفرق بين امة وامة بفارق الجنس او اللون او  
 اللغة ، فكل انسان فى هذا العالم اهل لأن يأوى الى هذه الاخوة  
 الانسانية حيث شاء ، (( وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا )) .

هكذا اعلنها القرآن الكريم دعوة عامة منذ الف واربعمئة سنة ،  
 وهكذا اعلنها النبى عليه الصلاة والسلام ، وخلفاؤه الراشدون وتابعوهم  
 الابرار فى صدر الاسلام ، ولم يمض ربع قرن من التاريخ الهجرى  
 حتى قامت بينات الواقع على حقيقة هذه الدعوة الاسلامية الانسانية ،  
 فدان بالاسلام اناس من جميع الاقوام والسلالات .

وهذه هى البيئة العلمية على عمومية هذا الدين ، وهى بيئة ينفرد  
 بها الاسلام بين جميع الاديان .

هذه الخاصة الانسانية باقية فى صميم الاسلام يواجه بها الحضارة  
 العصرية كما واجه بها حضارات العصور الاولى ، وهى التى صبغت  
 تلك الحضارات الاسلامية ، وهى التى جعلت تاريخ العالم من القرن  
 السادس للميلاد الى القرن الخامس عشر تاريخ الفكر الاسلامى  
 والآداب الاسلامية ، ولم ينفصل التاريخان بعد ذلك ، لان الاسلام فقد  
 خاصته التى لازمته عدة قرون ، ولكنهما انفصلا لان المسلمين تخلفوا  
 عن الركب ، واصبحوا غير مسلمين الا باللقب والعنوان .

فامام الاسلام الآن مطلبان ضروريان لا يحتملان التسويف  
 والتهاون ، وهما حماية الذات امام المطالع الاجنبية ، والتعاون على  
 تحصيل وسائل التقدم والرقى .

والامة التى تهمل وسائل التقدم والرقى فى العصر الحاضر تحتاج الى حماية ذاتها ولا تجد وسيلة الحماية .

والمطامع الاجنبية التى تواجه الشعوب الاسلامية كثيرة وهى على درجات فى القوة وفى الخطر .

فمنها المقصور على السيادة والسياسة وما يتصل من السيطرة على موارد البلاد ومرافقها الزراعية والصناعية والتجارية وغيرها من الموارد والمرافق .

ومنها ما يتجاوز السيادة والسياسة وتوابعها الى السيطرة على العقائد والاخلاق والعادات والنظم الاجتماعية وهو شر ضروب الاستعمار كافة .

وقد خرج الاستعمار مشكلا من البلاد العربية والاسلامية ، ولكنه لا يزال يتمثل فى الاخلاق والثقافة والعادات ونظم التعليم والاقتصاد والقوانين .

وكل هذه الاخطار تحتاج الى التعاون بين الامم الاسلامية تعاوناً وثيقاً حتى يدركوا هذه الاخطار التى تغفلت بين صفوفهم ، وعشت فى عقول الكثيرين ممن يوصفون بالمتقفين .

فالعالم الاسلامى فى العصر الحاضر امام اخطار مشتركة تتطلب منه ان يشترك فى مقاومتها واتخاذ الحيطة التامة منه .

ومن اهم هذه الاخطار التخلص من قوانينه التى الزمنا بها ، والرجوع الى شريعتنا الغراء ننهل من مواردها المذبة ، ونفك رقبة التقليد الاعمى من اعناقنا ، ونحافظ على كياننا ولغتنا وديننا ومواردنا الهائلة فاننا من اغنى الامم ، ولكن ثروتنا تهرب من بلادنا الى الغرب

وتتكس الاموال هناك والمواطنون يعانون من الجهل والجوع والفقر .  
 فاشتراك الامم الاسلامية فى هذه الاخطار يوجب عليها  
 الاشتراك والتعاون فى دراستها والاتفاق على الوسائل المستطاعة  
 لاجتنابها والتغلب عليها . ومحاربة الضعف والتخلف والجمود ، والأخذ  
 بوسائل التقدم والارتقاء ، والسير قدما نبني ونثرى الحضارة كما بنى  
 اسلافنا الطاهرون الابرار ، والله من وراء القصد ، وهو الهادى الى  
 الصراط المستقيم . وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون))

### المصادر

- ١- الموافقات للشاطبى . والاعتصام له ايضا .
- ٢- المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع  
 الاسلامى . سيد عبدالله على حسين . داراحياء الكتب العربية -  
 عيسى البابى الحلبي
- ٣- بداية المجتهد ، لايى الوليدابن رشد . طبع مصطفى البابى الحلبي .
- ٤- مصادر الحق فى الفقه الاسلامى . الدكتور عبدالرزاق السنهورى .
- ٥- دائره المعارف . محمد فريد وجدى .
- ٦- مجلة الازهر من مقالات محمد فريد وجدى .
- ٧- الاسلام فى عصر العلم محمد فريد وجدى .
- ٨- الموسوعة العربية الميسرة .
- ٩- الاسلام والحضارة الانسانية . عباس محمود العقاد . منشورات  
 المكتبة العصرية صيدا .
- ١٠- علم اصول الفقه - عبدالوهاب خلاف - دار القلم .

- ١١- المسائل العشر للاستاذ محمد بن على السنوسى الخطابى الحسنى  
الادريسى شركة الطباعة الفنية .
- ١٢- الاحكام السلطانية للماوردى . مطبعة مصطفى البابى الحلبي .
- ١٣- اصول الفقه للاستاذ محمد ابوزهرة - دار الفكر العربى .
- ١٤- تاريخ التشريع : للاستاذ الخضرى . طبع عيسى البابى الحلبي
- ١٥- النظم الاسلامية - الدكتور حسن ابراهيم حسن - على ابراهيم  
حسن .
- ١٦- ارشاد الفحول للامام الشوكانى طبعة محمد على صبيح مكتبة  
النهضة المصرية .
- ١٧- فقه الاسلام - حسن احمد الخطيب - مطبعة سيد على حافظ .
- ١٨- التعريف بالاسلام - عبدالكريم الخطيب - دار الكتب الحديثة .
- ١٩- الاموال ونظرية العقد فى الفقه الاسلامى - الدكتور محمد  
يوسف موسى - دار الكتاب العربى
- ٢٠- التاج الجامع للأصول - للشيخ منصور على ناصيف - المكتبة  
الاسلامية .
- ٢١- تفسير الطبرى ، وتفسير المنار ، وتفسير المراهى ، وعدد من  
التفاسير .
- ٢٢- احياء علوم الدين لامام الغزالى - لجنة نشر الثقافة الاسلامية .

## الامام الشافعى ودوره فى تدوين الفقه الاسلامى

طه جابر العلوانى

ولد الامام الشافعى سنة (١٥٠هـ) ، وهى السنة التى توفى فيها الامام أبو حنيفة ، وكان قد تفقه أول الامر فى مكة على بعض رجال العلم من أهل الحديث فيها ، كمسلم بن خالد الزنجى (ت ١٧٩هـ) ، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ) ثم ذهب الى امام دار الهجرة ، ومقدم أهل الحديث مالك بن أنس ، فلزمه وروى عنه الموطأ ، وكان يعترف بفضلته عليه ، فعن يونس بن عبد الأعلى أنه سمع الشافعى يقول : « اذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وما أحد أمّن على من مالك ابن أنس (١) كان ذلك منه - رضى الله عنه - بعد دراسة اللغة والشعر والادب ، وبعض العلوم الرياضية والطبيعية وأخبار الناس .

ولم يكن يعجبه كل ما عليه من عرفهم من أهل الحديث فأخذ عليهم عملهم « بالمنقطع » وقال : « ... المنقطع ليس بشيء » كما أخذ عليهم عملهم « بالمرسل » . مطلقا ، واستثنى مراسيل سعيد فقط . وأخذ على بعضهم التشدد فى التزكية ، ولما ذهب الى العراق - قاعدة أهل رأى - لاحظ تحامل أهل رأى على « أهل المدينة » وفى مقدمتهم استاذهم مالك فانبرى للدفاع عن استاذهم ومذهبه ومنهجه . روى عنه أنه قال : « ..... قال لى محمد بن الحسن صاحبنا ( يعنى أبا

حنيفة ) أعلم من صاحبكم ( يعنى مالكا ) وما كان على صاحبكم أن يتكلم ، وما كان لصاحبنا أن يسكت ، قال الشافعى : ففضبت ، وقلت ناشدتك الله من كان أعلم بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مالكا ، أو أبو حنيفة ؟ قال : مالكا ، لكن صاحبنا أقيس ، فقلت : نعم ، ومالك أعلم بكتاب الله تعالى وناسخه ومنسوخه ، وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أبى حنيفة ، فمن كان أعلم بكتاب الله وسنة رسوله كان أولى بالكلام . (٢)

ثم انصرف - رحمه الله - لدراسة كتب محمد بن الحسن وغيره من كتب العراقيين ، ولأزم محمد بن الحسن ، فكان كثيرا مايرد عليه ، ويناقش آراءه انتصارا للسنة وأهل الحديث ، ثم ترك بغداد - بعد ذلك - لكنه عاد اليها سنة (١٩٥هـ) وكان فى جامعها الكبير نيفا وأربعون أو خمسون حلقة فما زال يقعد فى حلقة حلقة ، يقول لهم : قال الله وقال الرسول ، وهم يقولون : قال أصحابنا حتى مافى المسجد حلقة غيره . (٣)

واختلف الى حلقة دراسة كبار أهل الرأى كأبى ثور والزعفرانى والكرايسى وغيرهم فانتقلوا عن مذهب أهل الرأى الى مذهبه ، كما ارتاد الامام أحمد بن حنبل حلقتة ، ويروى عنه أنه قال : « ما أحد من أصحاب الحديث حمل محبرة الامام شافعى عليه منة ، فقلنا : ياأبا محمد كتبت ذلك ؟ قال : ان اصحاب الرأى كانوا يهزأون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعى واقام الحجة عليهم . » (٤)

واستجابة منه لطلب أهل الحديث وضع كتاب « الحجة » فى بغداد ليرد على أهل الرأى فيما خالفهم فيه (٥)



وبعد ذلك غادر الى مصر ، فوجد أكثر الناس قد أخذوا وتشبهوا بكل ماكان يراه مالك أو يذهب اليه دون تمييز . فأخذ ينظر فى أقوال مالك نظرة الفاحص الناقد ، فوجده فى بعض الامور « ... يقول بالاصل ويدع الفرع ، ويقول بالفرع ويدع الاصل » .

كما وجده ترك بعض الاخبار الصحيحة ليأخذ بقول واحد من الصحابة ، أو بقول واحد من التابعين ، أو برأى فقيه . وأحيانا يترك قول الصحابى لرأى بعض التابعين أو لرأى نفسه ، وذلك أنه يدعى الاجماع وهو مختلف فيه .

كما وجد أن القول بحجية « اجماع أهل المدينة » قول ضعيف (٦) وصنف كتاب « اختلافه مع مالك » وأحصى فيه المسائل المشار اليها . فمالك - فى نظر الشافعى - قد أفرط فى ملاحظة المصالح المطلقة المرسله غير المستندة الى شواهد الشرع مع توفرها - وأبو حنيفة قصر نظره فى الجزئيات والفروع والتفاصيل من غير مراعاة للقواعد والاصول فى الكثير الغالب . (٧)

ولذلك رأى - رحمه الله - أن أهم ماينبغى توجيه العناية اليه - هو : جمع أصول الاستنباط الفقهى ، ولم قواعدها ، وتحويل هذه القواعد الى منهج بحث يستخلص الفقه به من أدلته ، ويكون الفقه تطبيقا عمليا لقواعده ، ليظهر بذلك فقه جديد بديل لفقه المدرستين فى أصوله وقواعده ، فوضع كتابه « الرسالة » ، وبنى على القواعد التى جمعها فيها فقهه ومذهبه ، يقول الامام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : « لم نكن نعرف الخصوص والعموم حتى ورد الشافعى » (٨)

وكان يقول للامام أحمد - رحمه الله - : « ... أما أنتم فاعلم

بالحديث والرجال منى ، فاذا كان الحديث صحيحا فأعلموني ، وان يكن كوفيا أو بصريا أو شاميا أذهب اليه اذا كان صحيحا « (٩)  
وذلك يدل بوضوح على مدى اهتمامه بتقعيد القواعد أكثر من اهتمامه بالفروع والجزئيات .

ولقد أطبق أهل العلم - من الكاتبيين فى تاريخ « أصول الفقه » على أن أول مؤلف فيه هو الامام الشافعى ، وأول مؤلف هو « الرسالة » (١٠) وقد عقد الزركشى (٩٣هـ) فى كتابه « البحر المحيط » فصلا فى هذا جاء فيه : ... الشافعى أول من صنف فى أصول الفقه ، صنف فيه كتاب الرسالة وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس الذى ذكر فيه تضليل المعتزلة ، ورجوعه عن قبول شهادتهم ، ثم تبعه المصنفون فى علم الاصول .

وقال الجوينى فى شرحه للرسالة : .. لم يسبق الشافعى أحد فى تصانيف الاصول ومعرفتها ، وقد حكى عن ابن عباس تخصيص عموم ، وعن بعضهم القول بالمفهوم ، ومن بعدهم لم يقل فى الاصول شيئا ، ولم يكن لهم فيه قدم فانا رأينا كتب السلف - من التابعين وتابعى التابعين وغيرهم ، وما رأيناهم صنفوا فيه « (١١)  
منهج الشافعى فى الرسالة :

١- بدأ الشافعى الرسالة بوصف حال الخلق عند بعثة رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - فبين : أنهم كانوا صنفين .

أهل كتاب حرقوه وبدلوا أحكامه ، وكفروا فخلطوا باطلهم بالحق الذى أنزله الله تعالى .

ومشركين كافرين اتخذوا من دون الله أوثانا آلهة . ثم ذكر : أن الله - جلت قدرته - استنقذ الناس كلهم بخاتم رسله ، وأنزل عليه كتابه ليخرجهم به من الكفر والعمى الى النور والهدى ، « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (١٢)

ثم أفاض فى بيان منزلة القرآن العظيم من الاسلام واشتماله على ماقد أحل الله وما حرم ، وما تعبد الناس ، وما أعد لاهل طاعته من الثواب ، وما أوجب لاهل معصيته من العقاب ، ووعظه - جل شأنه - لهم بالاخبار عن كان قبلهم

ثم بين الامام ماينبغى لطلبة العلم بالدين من بلوغ غاية جهدهم فى الاستكثار من علم القرآن العظيم ، واخلاص النية لاستدراك علمه نصاو استنباطا .

ثم ذكر فى ختام مقدمته للرسالة أنه : « ... ليست بأحد من أهل دين الله نارة الا وفى كتاب الله - جل سناؤه - الدليل على سبيل الهدى فيها . قال الله تعالى : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » (١٣) ، وقال : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » (١٤) ، وقال :

«ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» (١٥)

، وقال : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدري

ماالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا

وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله » (١٦)

ثم عقد بابا للكلام عن « البيان » فعرفه ، وبين مراتب البيان الذى

جاء به القرآن الكريم للاحكام وهى خمسة :

الاول : ما أبان الله تعالى فى كتابه نصا جليا لا يتطرق اليه التأويل وهذه النوع لا يحتاج فى بيانه لغير القرآن .

الثانى : ما أبانه القرآن بنص يحتمل أوجها ، فدلّت السنة على تعيين المراد منه من بين هذه الواجه .

الثالث : ما أتى القرآن فيه على غاية البيان ، فى فرضه ، وبين رسول الله : كيف فرضه ، وعلى من فرضه ، ومتى يزول فرضه ويثبت .

الرابع : ما بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما ليس لله فيه نص حكم وقد فرض الله فى كتابه طاعة رسوله ، والانتهاى الى حكمه ، فمن قبل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبفرض الله قبل .

الخامس : ما فرض الله على خلقه الاجتهاد فى طلبه ، وهو القياس ، والقياس - عنده - ما طلب بالدلائل على موافقة الخبر المتقدم من الكتاب أو السنة .

وبعد أن أجمل „ مراتب البيان „ الخمس أخذ يوضحها ويبين لها الامثلة والشواهد فى أبواب خمسة . وقد رتب الرسالة فى الابواب التالية :

باب بيان ما نزل من الكتاب عاما ، يراد به العام ويدخله الخصوص .  
باب بيان ما نزل من القرآن عام الظاهر ، وهو يجمع العام والخصوص .

باب ما نزل من الكتاب عام الظاهر ، يراد به كله الخاص .  
باب الصنف الذى يبين سياقه معناه .

باب الصنف الذى يدل لفظه على باطنه دون ظاهره .

باب ما نزل عاما فدلّت السنة خاصة على أنه يراد به الخاص . وقد

تعرض - فى هذا الباب - لبيان حجية السنة ومنزلتها من الدين ،  
ولذلك فقد وضع بعد هذا الباب الابواب التالية :

باب بيان فرض الله تعالى فى كتابه اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

باب فرض الله طاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - مقرونة بطاعة الله - جل ذكره - ومذكورة وحدها .

باب ما أمر الله به من طاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

باب ما أبان الله لخلقه من فرضه على رسوله اتباع ما أوحى اليه ،  
وما شهدله - من اتباع ما أمر به ، ومن هداه ، وانه هاد لمن اتبعه .

وفى هذا الباب أكد الامام القول بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سن مع كتاب الله ، وبين فيما ليس فيه - بعينه - نص كتاب ،  
وأثبت وجود السنة المستقلة عن الكتاب ، وحاجج المخالفين فى ذلك ،  
ثم قال : .. وسأذكر ما وصفنا من السنة مع كتاب الله ، والسنة فيما  
ليس فيه نص كتاب بعض ما يدل على جملة ما وصفنا منه ان شاء الله تعالى .

فأول ما نبداً به - من ذكر سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
مع كتاب الله ذكر الاستدلال بسنته على الناسخ والمنسوخ من كتاب  
الله - عز وجل - .

ثم ذكر الفرائض المنصوصة - التى سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معها .

ثم ذكر الفرائض الجمل - التى أبان رسول الله عليه وسلم - عن  
الله كيف هى ، ومواقيتها . ثم ذكر العام من أمر الله تعالى ، الذى أراد

به العام ، والعام الذى أراد به الخاص .

ثم ذكر سنته فيما ليس فيه نص كتاب .

ثم عقد فصلا للكلام عن « ابتداء الناسخ والمنسوخ » ، ذكر فيه أن الله - سبحانه - جعل النسخ للتخفيف والوسعة . ثم ذكر أن الكتاب انما ينسخ بالكتاب ، وأن السنة انما تنسخ بالسنة .

ثم تحدث عن الناسخ والمنسوخ - الذى يدل الكتاب على بعضه ، والسنة على بعضه - .

وعقد بابا للحديث عن فرض الصلاة - الذى دل الكتاب ، ثم السنة على من تزول عنه بالعذر ، وعلى من لا تكتب صلاته بالمعصية . كما عقد بابا آخر للكلام عن الناسخ والمنسوخ - الذى تدل عليه السنة والاجماع .

ثم تحدث عن الفرائض - التى أنزلها الله - تعالى - نصا فى باب خاص .

ثم تكلم عن الفرائض المنصوصة - التى سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معها .

وتحدث بعد ذلك عن الفرض المنصوص - الذى دلت السنة على أنه انما أراد به الخاص .

ثم تحدث عن « حمل الفرائض » - التى أحكم الله - تعالى - فرضها بكتابه وبين كيف فرضها على لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم - فتحدث فى الصلاة والزكاة والحج ، وعدد النساء ، ومحرمات النساء ، ومحرمات الطعام .

ثم عقد بابا للكلام عن « العلل فى الاحاديث » تعرض فيه الى

ما يكون بين الاحاديث من اختلاف ينشأ عن أسباب متعددة تعرض لبعضها : كالاختلاف بسبب النسخ ، وبسبب الغلط فى الاحاديث ، وبين بعض ما ينشأ عنه الغلط فى الحديث كما تعرض لكثير من الاسباب الاخرى التى ينشأ عنها الاختلاف .

ثم تحدث - رحمه الله - عن أبواب النهى وأقسامه ، وأوضح أن الاحاديث يوضح بعضها بعضا .

ثم عقد بابا « للعلم » فبين : أنه نوعان ، هما : علم عامة لايسع بالغا غير مغلوب على عقله جهله ، وأكد : أن هذا الصنف - من العلم - موجود كله نصا فى كتاب الله تعالى - وموجودة تفاصيله بشكل عام عند جماهير المسلمين تتناقله أجيالهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم لايتنازعون فى حكايته ، ولا فى وجوبه عليهم ، وهذا العلم العام لايمكن فيه الغلط من الخبر ولا التأويل .

أما الصنف الثانى - فهو : ما يثوب العباد من فروع الفرائض ، وما يخص به من الاحكام وغيرها مما ليس فيه نص كتاب ولا فى أكثره نص سنة الا من أخبار الخاصة ( أى : خبر الواحد ) . وقد مهد بهذا للبحثين جاء بهما - رحمه الله - بعد ذلك ، وهما :

باب خبر الواحد ، فبين المراد به ، وشروطه وتعرض للفرق بين الشهادة والرواية ، وذكر مايقبل فيه خبر الواحد من الامور ، وما لايكفى به - وحده - فيه . ثم انتقل - عليه رحمة الله - للكلام عن حجية خبر الواحد والاستدلال عليها ، ورد جميع الشهادات التى أوردها المخالفون بأسلوب استدلالى فى غاية القوة والصانة .

ثم انتقل الى باب « الاجماع » فبين حقيقته ، ولماذا كان حجة .

وبعد ذلك تكلم عن « القياس » فأوضح معناه ، وماهيته ، والحاجة اليه ، وأنواعه ، ومن له أن يقيس ، ومن ليس له ذلك .

ثم عقد « للاجتهد » بابا ، بين الاصل فيه من الكتاب ، ثم من السنة ثم تحدث عن الصواب والخطأ في الاجتهاد .

ثم تحدث عن « الاستحسان » أوضح فيه أنه لا يحل لاحد من المسلمين أن يستحسن على ما يخالف الحديث ، وأكد أنه ليس لاحد أن يثبت حكما شرعيا الا بكتاب أو سنة أو اجماع أو قياس . وبين الفرق بين القياس والاستحسان .

ثم عقد بابا للاختلاف بين أهل العلم ، فبين : أن هذا الاختلاف نوعان :

نوع محرم ، وآخر ليس كذلك ، فالاختلاف المحرم ، هو : كل اختلاف فيما أقام الله به الحجة في كتابه ، أو على لسان نبيه منصوصا بيئا .

وأما الاختلاف الجائز ، فهو الاختلاف فيما يحتمل التأويل ويدرك قياسا ثم استدل لما ذكره ، ومثل للاختلاف الجائز ، وذكر بعض اسبابه ، وتناول نماذج مما اختلف فيه علماء الصحابة كالعدة والايلاء والمواريث .

وفى هذا الباب تعرض - رحمه الله - الى مذهبه في أقوال الصحابة اذا تفرقوا .

ثم ختم الرسالة في بيان مذهبه في « مراتب الادلة » المذكورة ، فقال : « .. نحكم بالكتاب والسنة المجتمع عليها - الذي لا اختلاف فيها ، فنقول : لهذا حكمنا في الظاهر والباطن .



ويحكم بالسنة قد رويت من طريق الانفراد لا يجتمع الناس عليها ،  
فنقول : حكمنا بالحق فى الظاهر ، لانه قد يمكن الغلط فيمن روى  
الحديث .

ونحكم بالاجماع ، ثم القياس ، وهو أضعف من هذا ، ولكنها منزلة  
ضرورة لانه لا يحل القياس والخبر موجود .  
ولقد ظهر من خلال ماكتبه الامام الاصول المتفق عليها والاصول  
المختلف فيها فى هذا العصر :

أما المتفق عليها من نص الكتاب والسنة على الجملة .  
وأما المختلف فيها ، فهى السنة لدى البعض ، أو « خبر الآحاد »  
أو « الخاصة » كما يسميه الشافعى على وجه الخصوص . والمذهبان  
قد تولى الشافعى وغيره مناقشتها وردهما بما لا مطمع بمزيد عليه فى  
الرسالة ، وفى « جماع العلم » وغيرهما .

٢- الاجماع ، والخلاف فى حجيته ، وفى بعض أنواعه ، وفيمن  
يعتبر اجماعهم ، وفى الامور التى يعتبر فيها الاجماع حجة ، وفى  
امكانية العلم به عند وقوعه .

٣- اختلفوا فى كل من القياس والاستحسان اختلافًا تناول  
مفهوميهما ، وحقيقة كل منهما ، وحجيته ، وامكانية العمل به ، وطريقته ،  
والامثلة التى يمكن أن ترجع الى أى منهما من عمل الصحابة .

٤- كما كان الاختلاف بينا فى مفاهيم « الامر والنهى » ودلالة كل  
منهما وأثره فى سائر الاحكام الفقهية . ويلاحظ فى هذا المجال - أن  
الائمة الاربعة فى هذا العصر لم يكن استعمال المصطلحات المحددة  
كالتجريم والايجاب وغيرهما شائعا فى لغاتهم وتعابيرهم ، بل حدث

ذلك بعدهم كما يؤكد ابن القيم (٦)

٥- أما الأدلة الأخرى فيما يذكره الأصوليون ضمن الأدلة المختلف فيها فكذلك لم ترها عند الأئمة في هذا العصر ظاهرة في تعابيرهم كالعرف والعادة والاستصحاب وغيرها .

### أصول الفقه بعد الإمام الشافعى :

لقد سيطرت رسالة الإمام الشافعى منذ ظهورها على الدراسات الأصولية وانقسم العلماء الى فريقين : فريق تقبل الرسالة ، وحولها الى قاعدة حجاج عن مذهبه ، وهم جمهور أهل الحديث . وفريق رفض معظم ما جاء فيها ، وأدرك أن عليه أن يرد على صاحبها ما أورده مما يخالف مذهبه - قبل أن يتأثر الناس بما جاء فيها ، وهذا ينطبق على جمهور أهل الرأي ، والمخالفين فى الأمور التى تعرض لها الإمام فى رسالته .

وقد ذكر ابن النديم فيما كتب بعد الرسالة - فى علم « أصول الفقه » فنسب للإمام أحمد بن حنبل ( ت ٢٤١ هـ ) كتاب « الناسخ والمنسوخ » وله كتاب « السنة » وهو أقرب الى كتب التوحيد والعقائد من كتب الأصول ، طبع فى مكة سنة ( ١٣٤٩ هـ ) والكتاب جاء بصيغتين : كبرى ، وهى المشار اليها ، ولها نسخ خطية فى دار الكتب المصرية وفى الظاهرية . كما طبعت بالقاهرة بدون تاريخ . .

أما « السنة » فى صيغته الصغرى - فهو فى اعتقاد أهل السنة ، طبع بالقاهرة بدون تاريخ . وله كتاب « طاعة الرسول » صلى الله عليه وآله وسلم نقل عنه ابن القيم فى اعلام الموقعين ( ١٨ ) ، ويبدو أنه كان يمتلك نسخة منه وقد بحثنا عن الكتاب فى كثير من المكان فلم نعر

عليه ، وظاهر مما نقل ابن القيم عنه أنه كتاب أصولى هام فى مباحث السنة ، فلعله فقد بعد ذلك التاريخ ، أو أنه أدمج أثناء التجليد مع أى كتاب من الكتب الاخرى أو ضاعت منه ورقة العنوان فلم يعد من الممكن العثور عليه الا بطريق الاستقراء والتتبع .

كما نسبت المصادر لداود الظاهرى ( ت ٢٧٠ هـ ) كتاب الاجماع ، و « ابطال التقليد » و « خبر الواحد » و « الخبر الموجب للعلم » و « الخصوص والعموم » و « المفسر والمجمل » و « الكافى فى مقالة المطلبى » - يعنى الشافعى - وكتاب « مسألتين خالف فيهما الشافعى » .

وفى هذه الفترة عكف علماء الحنفية على دراسة رسالة الشافعى للرد على ماخالفهم فيه ، ولاستخلاص أصول لفقهم من خلال فتاوى الامام أبى حنيفة - رحمه الله - فى المسائل الجزئية التى عرضت له : فكتب عيسى بن أبان ( ت ٢٢٠ هـ ) كتابا فى « خبر الواحد » وكتاب « اثبات القياس » و « اجتهاد الرأى » .

وكتب البرزعى ( ت ٣٦٧ هـ ) « مسائل الخلاف » ، له نسخة فى الزيتونة بتونس فى ( ٢٣٦ ) ورقة وهو برقم ( ١٦١٩ ) .

وكتب أبو جعفر الطحاوى ( ت ٣٢١ هـ ) « اختلاف الفقهاء » الذى اختصره الجصاص ( ت ٣٧٠ هـ ) ، له نسخة فى القاهرة وجاد الله ( راجع لمعرفة أوصافها فهرس معهد المخطوطات ( ١ - ٣٢٩ ) كما طبع . وكتب الكراييسى الحنفى ( ت ٣٢٢ هـ ) كتابه « الفروق » له نسخة خطية فى أحمد الثالث وفيض الله فى استانبول .

كما نسب لابن سماعة ( ت ٢٣٣ هـ ) كتب أصولية لم تذكر

أسمائها . (١٩) وكتب الكنانى (ت ٢٨٩هـ) كتاب « الحجة فى الرد على الشافعى » كما صنف على بن موسى القمى الحنفى (ت ٣٠٥هـ) كتاب « ماخالف فيه الشافعى العراقيين فى أحكام القرآن » و « اثبات القياس » و « الاجتهاد » و « خبر الواحد » .  
وكتب الكرخى (ت ٣٤٠هـ) « أصوله » المعروفة والمطبوعة بالقاهرة ضمن مجموعة بدون تاريخ .

وكتب أبو سهل النوبختى (٣١٠هـ) إمامية كتاب « نقض رسالة الشافعى » و « ابطال القياس » و « الرد على ابن الراوندى فى بعض آرائه الاصولية » .

كما كتب ابن الجنيد (ت ٣٨١هـ) من الزيدية كتاب « الفسخ على من أجاز النسخ لما تم شرعه وجل نفعه » و « الافهام لاصول الاحكام . أما الشافعية - فقد كتب أبو ثور (ت ٢٤٠هـ) منهم كتاب « اختلاف الفقهاء » . ولابى عبدالله محمد بن نصر المروزى (ت ٢٩٤هـ) كتاب فى « اختلاف الفقهاء » أيضا . وكتب أبو العباس بن سريج (ت ٣٠٥هـ) فى الرد على عيسى بن أبان ، وناظره محمد بن داود الظاهرى فيما خالفوا فيه الشافعى . وكتب ابراهيم بن أحمد المروزى (٣٤٠هـ) كتابى « العموم والخصوص » و « الفصول فى معرفة الاصول » (٢٠) . كما عكف بعضهم على شرح « الرسالة » فشرحها أبو بكر الصيرفى (ت ٣٣٠هـ) ، وأبو الوليد النيسابورى (ت ٣٤٩هـ) ، والقفال الشاش الكبير (ت ٣٦٥هـ) أو (٣٦٣هـ) ، وأبو بكر الجوزقى (ت ٣٨٨هـ) ، وأبو محمد الجوينى ( والد امام الحرمين ) ، ونسبوا لخمسة آخرين شروحا للرسالة أيضا ، وهم : أبو زيد الجزولى ،

ويوسف بن عمر وجمال الدين أفقهى ، وابن الفاكهاني ، وأبو القاسم : عيسى بن ناجي . ولم يظهر لحد الآن أى من هذه الشروح التى كان العلماء ينقلون عن بعضها الى مابعد القرن السابع الهجرى . وقد ذكر الشيخ مصطفى عبدالرازق (٢١) أن المكتبة الاهلية ببغداد تحتفظ بنسخة من شرح الجوينى على الرسالة ، ونقل منها بعض النصوص ، وحاولنا العثور عليها هناك فلم نوفق ، فإليها وضعت ضمن كتب علم آخر ، أو باسم مغاير فتحتاج الى استقراء بطريق تصفح المخطوطات المحفوظة مما لا يتيسر الا نادرا ، ويحتاج الى فترة زمنية كافية ، يقضيها الباحث فى المكتبة .

تطور علم أصول الفقه بعد الشافعى :

ان ماذكرنا من العسير أن يعتبر تطورا حقيقيا فى هذا العلم ، فانه - كما رأينا - يدور فى الكثير الغالب حول الرسالة نقضا أو تأييدا أو شرحا يكاد لا يخرج عن ذلك ، وبقي الامر كذلك حتى دخل القرن الخامس ، وفيه بدأ فيه مايمكن اعتباره تطورا لهذا العلم بعد وضعه وجمعه .

ففى هذه الفترة انبرى القاضى الباقلانى (ت ٤٠٣هـ) ، والقاضى عبدالجبار الهمدانى (ت ٤١٥هـ) لاعادة كتابة موضوعات الاصول جميعها ، يقول الزركشى فى كتابه « البحر » : « حتى جاء القاضيان قاضى السنة أبو بكر الطيب ، وقاضى المعتزلة عبدالجبار ، فوسعا العبارات ، وفكا الاشارات وفصلا الاجمال ، ورفعوا الاشكال » (٢٢) .

ومن هنا استحق القاضى الباقلانى لقب « شيخ الاصوليين » (٢٣) بعد ان كتب كتابه « التقريب والارشاد » ، وهو كتاب لم يظهر لحد الآن

فعلله فى بعض خزائن المخطوطات ، فالاصوليون ظلوا ينقلون عنه الى القرن التاسع الهجرى .

كما كتب القاضى عبدالجبار كتابه « العهد » أو « العمدة » وشرحه . وقد اختصر « تقريب القاضى » امام الحرمين ( ت ٥٧٨ هـ ) بكتاب سماه « التلخيص » أو « الملخص » تحتفظ بعض خزائن المخطوطات بأوراق منه والاصوليون الذين جاءوا بعده نقلوا عن ملخصه الكثير من آراء القاضى .

كما ألف كتابه « البرهان » على نحو كتاب « القاضى » من حيث شموله لكل المباحث الاصولية ، وتحرره فى منهجه ، وسيره مع الدليل حيث كان ، حتى أنه وهو الاشعرى الشافعى قد خالف اماميه الاشعرى والشافعى فى مسائل كثيرة جعلت أصحابه الشافعية ينصرفون عن شرحه ، وايلائه من العناية مايستحق وان كانت كتبهم تكثر النقل عنه . وشرحه عالمان من علماء المالكية - هما الامام أبو عبدالله المازرى ( ت ٥٣٦ هـ ) وأبو الحسن الايبارى ( ) ، ثم جمع بين الشرحين مالكى ثالث هو أبو يحيى ( ) ، وكل هؤلاء قد تحامل على امام الحرمين لما رأوا من جرأته فى الرد على الامام الاشعرى فيما خالفه فيه ، وردده على الامام مالك فى مسألة « المصالح المرسله » ( ٢٤ )

كما أن امام الحرمين قد وضع لكتابه مقدمات خلت من معظمها رسالة الامام فقد بدأ بالكلام على مايجب على من يريد الخوض بعلم من معرفة مصادره ، ومعناه فأوضح أن مصادر « أصول الفقه » - هى الكلام والعربية والفقه ، ثم تعرض الى الاحكام الشرعية والتكليف والاهلية وعوارضها ، ثم فصل الكلام فى مدارك العلوم وبيان مايدرك

بالعقل ، وبين مدارك العلوم فى الدين ، وذلك كله قدم به على مباحث « البيان » التى بدأ الامام الشافعى بها رسالته .

وحين انتقل الى « البيان » وبعده الموضوعات الاخرى التى وردت فى الرسالة لاحظنا أنه قد نزع الى تحديد « البيان » بشكل أدق من تحديد الامام الشافعى له : فبين ماهيته ، والاختلاف فيه ، ومراتبه ، ومسألة أخرى لم تأخذ من اهتمام الامام الشافعى شيئا ، تلك هى مسألة « تأخير البيان الى وقت الحاجة » واختلافهم فيه ، ولكنه فى الكلام عن « مراتب البيان » نقل المراتب الخمسة التى ذكرها الامام الشافعى وأيدما أورده عليه أبو بكر بن داود الظاهرى . ثم ذكر « مراتب البيان » عند بعض الفقهاء . واختار : أن « البيان » عنده هو الدليل ، وهو نوعان : عقلى وسمعى . فأما الدليل السمعى فالمستند فيه المعجزة فكل ماكان أقرب الى المعجزة فهو أولى بالتقديم ، ومابعد فى الرتبة آخر : فالاول الكتاب ، والسنة المتواترة ، ثم الاجماع ، ثم خبر الواحد والقياس .

ثم تطرق الى اللغات وأوضح : أن الاصوليين يعتنون من مباحث اللغات بما أهمله أئمة العربية - من كلام على الاوامر والنواهي والعموم والخصوص ، وغيرها مما تعرض له الامام الشافعى .

وقد أشار خلال ذلك الى بعض مذكره القاضى الباقلانى مما يشير بوضوح الى أن هذه الاضافات على منهج الامام الشافعى قد سبقه بها القاضى الباقلانى .

وامام الحرمين من أبرز شيوخ الامام محمد الغزالى ( ت ٥٠٥ هـ ) ومن الطبيعى أن يتأثر الغزالى بشيخه ، وللغزالى فى الاصول كتب أربعة ،

أولها « المنخول » وهو كتاب متوسط الحجم ، مطبوع كأنه ألفه للمبتدئين فى الاصول ، أو المتوسطين فيه ، وكتاب ، آخر أحال عليه فى المستصفى (٢٥) ولا تعرف عنه غير عنوانه الذى ذكره ، وهو « تهذيب الاصول » و « شفاء العليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل » الذى حقق وطبع فى بغداد سنة (١٣٩٠هـ - ١٩٧١م) وموسوعته الاصولية وخاتمة كتبه فى هذا العلم « المستصفى » الذى طبع عدة مرات فى مصر وغيرها . وقد ألفه بعد أن خرج من خلوته ، بدأه بمقدمة أتى بها على معظم مباحث علم المنطق الارسطى الذى كان شديد الاهتمام به فأتى على الحد وشروطه وأقسامه وتكلم عن الدليل وأقسامه ، ثم بدأ بالكلام على أقطاب الكتاب الاربعة التى أتى بها على جميع المباحث الاصولية التى عنى بها شيخه امام الحرمين وسابقوه كالقاضى الباقلانى ، واذا كان لشيخه آراء قد انفرد بها ، وخالف اماميه الشافعى والاشعرى ، فان للغزالي - أيضا - آراء خاصة تفرد بها عن سابقيه ارتضاها البعض وأخذها عليه الآخرون .

هذه أهم جوانب التطوير التى يمكن تسجيلها للشافعية فى هذا العلم .

أما الفريق الثانى الذى ساهم فى هذا التطوير - فهم المعتزلة - فبعد أن كتب القاضى عبد الجبار كتابه « العهد » أو « العمد » وشرحه ، وسجل بعض آراءه الاصولية فى موسوعته - التى عثر على بعض أجزائها ، وطبعت ، وهو « المغنى » حيث أفرد الجزء السابع عشر منه للمباحث الاصولية .

وكما اهتم امام الحرمين بكتب القاضى الباقلانى فقد اهتم أبو



الحسين البصرى المعتزلى (ت ٤٢٥هـ) بكتب القاضى عبدالجبار  
 فشرح كتابه « العهد » أو « العمد » ، ولما شعر بطول هذا الشرح قام  
 بتلخيصه فى كتابه المعروف « المعتمد » وهو مطبوع متداول .

وفى هذه الفترة كتب الشيخ أبو اسحاق الشيرازى (ت ٤٧٦هـ)  
 كتابيه « اللع » و « التبصرة » وكلاهما مطبوع متداول .

كما كتب القاضى أبو يعلى الفراء الحنبلى كتابه الاصولى « العدة  
 فى أصول الفقه » الذى حققه ونشره الدكتور أحمد المباركى سنة  
 (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) وكتب ابن عقيل البغدادى - من الحنابلة أيضا  
 - « الواضح فى الاصول » ، وكتب أبو الخطاب (ت ٥١٠هـ) كتابه  
 الاصولى الشهير « التمهيد » وقد قام بعض الباحثين فى الآونة الاخيرة  
 بتحقيقه ، ولم يطبع لحد الآن .

والكتب التى ألفها المالكية - فى هذه الفترة - « عيون الادلة فى  
 مسائل الخلاف بين فقهاء الامصار » له نسخة فى القرويين بفاس (٢٦)،  
 اعتبره الشيرازى أفضل كتب المالكية فى الخلاف ، ألفه ابن القصار  
 البغدادى (ت ٣٩٨هـ) و « مقدمة فى أصول الفقه » لها نسخة فى  
 مكتبة الازهر لنفس المؤلف .

وقد سارت كتب الشافعية والحنابلة والمالكية والمعتزلة على نمط  
 متقارب فى التبويب والتنظيم غلب عليها اسم « طريقة المتكلمين » .

## المراجع

- (١) الانتقاء (ص ٢٣) .
- (٢) الانتقاء (ص ٢٤) .
- (٣) تاريخ بغداد (٦٨/٢)
- (٤) الانتقاء ص ( ٨٦ )
- (٥) المراجع السابعة
- (٦) اطر مناصب الشافعي للمعز الرازي ص (٢٦)
- (٧) مفتي الخلق لامام الحرمين
- (٨) البحر المحيط للزركشي مخطوط
- (٩) الانتقاء ص (٢٥)
- (١٠) لم يشد عن هذا الاتفاق الا سذود من المتعصين لبعض المذاهب ليس لهم سند علمي يدل لما ذهبوا اليه : من كون الشافعي مسوفا بالكتابة في هذا العلم
- (١١) عن كتاب « تمهيد في تاريخ الفلسفة » (٢٣٤)
- (١٢) فصلت (٤١ - ٣٢)
- (١٣) ابراهيم (١)
- (١٤) الحل ( ٤٤ )
- ( ١٥ ) الحل ( ٨٩ )
- ( ١٦ ) الشورى ( ٥٢ - ٥٣ )
- (١٧) اعلام الموقعين (١ / ٣٢)
- ( ١٨ ) ايضاً
- (١٩) راجع المهرست لابن النديم (٢٨٤)
- (٢٠) الفهرست (٢٩٩)
- (٢١) في كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة
- ( ٢٢ ) البحر المحيط للزركشي . مخطوط .
- (٢٣) كما في فائس القرائي في مواضع متعددة منها ( ١ / ١٩ - آ )
- (٢٤) مد طبع البرهان في فطر طبعة نفيسة وحقق
- (٢٥) راجع ( ١ / ١٨٧)
- (٢٦) وانظر مروكلمان الملحق ( ٢ / ٩٦٣ رقم ٤٩ ) .

## اسلامية العلوم السياسية

عبدالحميد أحمد أبو سليمان

إذا أخذنا ميدان العلوم السياسية كنموذج للقضايا والمصاعب الذي يواجهها الفكر الاسلامي والتي تواجه الدارس المسلم في ميدان المعرفة والثقافة في هذا العصر نجدها واضحة وملموسة .

فهذا العلم علم اجتماعي لم يوله المسلمون عظيم اهتمام كأثر مباشر لانفصام القيادة الفكرية عن القيادة السياسية للامة تاريخيا ولان انعدام الخبرة بميدان السياسة والحكم من ناحية وسيطرة الفكر النظري القانوني الشكلي كان له أسوأ الانار السلبية في ميدان الدراسة السياسية الاسلامية وقدرة الفكر الاسلامي على تقديم التصورات والحلول والبدائل التي تواكب الحركة والتغير في بناء وامكانات وتحديات المجتمعات الاسلامية عبر حركة الزمار والمكان والتاريخ .

ولعل من المفيد تصوير آثار هذا القصور في مجال العلوم السياسية بان نضرب مثلين لفقيهين من الفقهاء الاجلاء اصحاب القدرة والباع في اختصاصهم الفقهي ولكن آثار المنهج حين يتعرضون لقضايا الفكر السياسي لا تخفى على نظر المختص .

والمثل الاول هو للفقيه الفيلسوف القاضي ابوالوليد محمد بن

احمد بن رشد القرطبي الاندلسى فى كتابة الجليل فى الفقه الاسلامى المقارن « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » فى باب الجهاد حين نعرض لخلاف الفقهاء حول جواز قطع الشجر فى الحرب وكان السبب لهذا الخلاف هو نشوء الظن ان ابابكر رضى الله عنه حين منع قطع الشجر قد خالف فعله فعل الرسول عليه السلام الذى ثبت انه حرق نخل بنى النضير ، وكان وجه التوفيق حيث انه « لا يجوز على ابي بكر ان يخالف الرسول مع علمه بفعله » انما كان على احد وجهين اولهما الظن بان فعل ابابكر هذا « انما كان لمكان علمه بنسخ ذلك الفعل منه صلى الله عليه وسلم . » والثانى ان ذلك الفعل من الرسول عليه الصلاة والسلام انما « كان خاصا بينى النضير لغزوهم » .

ويعقب ابن رشد على ذلك بقوله فيما يراه الفقهاء فى الامر « ومن اعتمد فعله عليه الصلاة والسلام ولم ير قول احد ولا فعله جحةً عليه فال بتحريق الشجر » .

ومن هذا المثل الذى يتعلق بسياسات ومعارك حربية تمت فى اوقات ومواضع مختلفة بكل ما تمثله المعارك العسكرية والسياسية من دينا ميكية وحركية تستوجب على القيادة التيقظ والمبادرة على مقتضى الحال ، وهذا لا يعنى عدم الالتزام الخلقى والانسانى بمفهوم الاسلام وعدم التصرف بروح الشريعة الا اننا نجد الفكر النظرى القانونى السكلى غير المختص يقيم قضايا ويعقد مقارنات وهمية ويلجأ الى الفرضيات والظنون للوصول الى حل التعارضات الوهمية الى أوجدها .

ان فكرة البحث عن النصوص والكلمات عند النظر فى طبيعة المواقف والسياسات التى تأخذ بها القيادات امام المشاكل والتحديات

والمعارك السياسية والعسكرية التي يواجهونها هو فى حد ذاته تفكير نظرى لا تستطيع القيادات القولية فى اطاراته .

ان التفكير الموضوعى العملى يوجب الانطلاق فى كل حالة وقضية من معطياتها المتكاملة وظروفها الزمانية والمكانية الخاصة لمعرفة طبيعة التصرف والسياسة الاسلامية المستولة السليمة التى يقتضيها الموقف .

ولو انطلقنا من هذا المنطلق العملى الكلى الشامل لرأينا انه لامجال للمقارنة والموازنة بين موقعة بنى النضير على بداية قيام دولة المدينة او ما اسميه العهد المدنى الاول والمسلمون قلة يحيط بها الاعداء وبين معارك جيوش الفتح على عهد ابى بكر رضى الله عنه فى بلاد العراق والشام .

فمعركة بنى النضير تمت والمدينة محدودة القوة والقدرة يحيط بها الاعداء فى كل الجزيرة العربية وبنو النضير قبيلة يهودية متماسكة مزارعة فى منطقة المدينة التى تتميز بالابار الكثيرة والمياه السطحية وتتوفر للقبيلة من زراعتها التمور التى تتميز بقدرتها على البقاء وصلاحها للاكل لمدد طويلة ، ومعنى كل ذلك عسكريا حصار طويل مرهق ومجهد لقوى جيش الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولذلك فان الامر بقطع النخيل الذى يأخذ نموه واثماره عددا من السنين فيه القضاء على موارد رزق وعيش قبيلة بنى النضير وبذلك كانت خطة سديدة محكمة انهت المعركة لصالحهم دون خسائر للمسلمين وطلب بنو النضير الخروج من المدينة بانفسهم والمنقول من متاعهم .

اما جيوش ابى بكر فانها خرجت تقارع جيوش الامبراطوريات المعاصرة فى فارس والروم التى تهدد سلامة الدولة الاسلامية وتقع فى العراق والشام على اطراف الجزيرة العربية تهدد المسلمين وتتحكم فى رقاب ابناء العراق والشام وتستنزف خيرات بلادهم وثمارهم .

ولذلك كانت خطة ابى بكر انطلاقا من روح الاسلام فى مقاومة التعسف والاستبداد وتوفير حرية العقيدة للبشر ، خطة سديدة جعلت من جيوش الفتح جيوش تحرير وحماية يتعاطفون معها ابناء الارض المفتوحة وكانت لهم بمثابة جيوش انقاذ وتحرير ، اما لو ان تلك الجيوش الفاتحة قد دمرت موارد عيش ابناء تلك البلاد فلاشك انهم كانوا سيقفون الى جانب جلاديههم من الفرس والرومان لانهم سيكونون ارحم بهم على اى حال من جيوش الغزو والتدمير .

وهكذا فان المشكلة الاساسية هنا هى مشكلة فى منهج النظر والدراسة اكثر منها فى اى أمر آخر .

والمثال الثانى هو ما أورده العالم الجليل الفقيه المعاصر الذى يلقى كتابه قبولا فى الدائرة الاسلامية وتعتبر من افضل المعروض فى ميدانه وهو الشيخ سيد سابق فى كتابه فقه السنة فى باب الجهاد حين يتحدث فى فصل من فصول الكتاب عن « التبييت » وهو مهاجمة العدو ليلا .

ويتطرق الاستاذ الفاضل للموضوع من وجوهه المختلفة والاسباب التى تستدعى الهجوم والتى يخشى منها قتل اسرى المسلمين او من لا يقصد قتله بسبب الظلام ويستشهد باقوال السلف من العلماء توضيحا وتوثيقا ودعما لما يصل اليه من رأى والذى قال

به فى النهاية وهو جواز التبييت .

والقضية التى يواجهها الدارس المختص والقارئ من القيادات السياسية او العسكرية فى موضوع الجهاد والسياسة والحرب فى الاسلام هى ليست فى سلامة ما أوردته العالم الفاضل فى حد ذاته وتوثيقه ولكن فى اطار الدراسة الشاملة وعلاقة الموضوع ومنهج تناوله ودراسته فيما يختص بعمل هؤلاء وما يواجهونه من قضايا وتحديات .

فالتبييت لاشك قضية هامة وكبرى فى حروب العصور الماضية التى يحارب فيها السيف والرمح وعلى ظهور الخيل وتظل ضحاياها فى حدود العشرات او المئات .

اما فى الحروب الحديثة وامكاناتها الهائلة وطبيعة اسلحتها واسعة التدمير التى لاتعرف استخداماتها ليلا ولا نهارا ولا رجلا ولا امرأة والتى تعد ضحاياها بالالوف ومئات الالوف والتى يتقرر مصيرها فى الساعات والدقائق والتى تستهدف المواقع لاهميتها الاستراتيجية وليس لنوعية النازلين او العاملين او المحيطين بها فلا معنى ولا علاقة لهذا النوع من المعارك والحروب . والمشكلة هنا ايضا مشكلة منهج ومنطلق فى الدراسة والبحث والعرض والفكر والنظر . ولعله بعد هذا لايصبح قياس القاضى الماوردى فى كتابه « الاحكام السلطانية » عقد الخلافة على عقد النكاح فى انعقاده باثنين أمرا مستغربا .

قصور الدراسات السياسية الاسلامية :

واذا ادركنا طبيعة المشاكل التى يعانى منها الفكر الاسلامى فى المنهج اصبح من السهل علينا معرفة السبب خلف قصور الدراسات الاسلامية السياسية وما يبدو عليها من التعارض والبساطة والمحدودية

رغم جلال وسمو المبادئ التى تقوم وترتكز عليها هذه الدراسات فى الخلافة والشورى والعدل والمستولية .

ولعل من المفيد ان نتناول هنا بعض القضايا الهامة التى تطرح نفسها فى مجال الدراسة السياسية الاسلامية ويقصر المنهج فى تناولها وتوجد بذلك ازمة فكر سياسى لدى الامة يحول بينها وبين التنظيم السليم والمشاركة العامة من الامة فى تبني قضاياها الهامة وبذل الجهد المطلوب لانجاحها .

ووجه القصور التى تعاني منها الدراسات الاسلامية السياسية مرجعها الى نوعين من القصور :

الاول : هو قصور ينعكس على فهم النماذج والنصوص الاسلامية الاولى التى تعتبر مصدرا للغاية الاسلامية وموجها للفكر والاجتهاد الاسلامى .

الثانى : هو قصور ينعكس فى فهم مبسط غير مختص فى الفكر السياسى الغربى والاجنبى تدفعه الرغبة فى مقاومة هذا الغزو الاجنبى والانبهار به لدى جمهور المثقفين وينتهى فى كثير من الاحيان الى تبني مصطلحات ونظم لاتعكس حقيقة الغاية والمفهوم الاسلامى وتترك ساحة الفكر الاسلامى اكثر اضطرابا وبلبلة وتزيد من صعوبات الخلاص ووضوح الرؤية .

الفرد المطلق والمستبد العادل :

فى المجال الاول : نرى مفهوم كثير من الدارسين والكتاب فى حقل الدراسة السياسية الاسلامية للخلافة الراشدة على انها نظام حكم فرد مطلق حتى جاء من القيادات الفكرية الاسلامية من يتحدث عن



المستبد العادل وتركزت الدراسات الاسلامية على شكليات الشروط  
فيمن يتولى الخلافة وولاية العهد والبيعة وواجبات السلطان في اتباع  
الشريعة وحق طاعته على الرعية .

اما جوهر العملية التنظيمية والسياسية والعوامل والقوى المؤثرة في  
بنائها واستقرارها واجراءاتها في اختيار كوادر القيادة السياسية  
والاجتماعية وتحديد ادوارها ونقل السلطة من قيادة الى اخرى ومن  
جيل الى آخر واسلوب اتخاذ القيادة لقراراتها واسلوب وحدود ممارسة  
القيادة لسلطاتها والرقابة عليها .

كل ذلك لا نجد له صدى ولا عناية في هذه الكتابات كما سبق ان  
قلنا لانعدام الخبرة والاختصاص وبالتالي النظر السطحي المبسط  
للانظمة والتاريخ .

ولاهمية الخلافة الراشدة في الفكر الاسلامي ولتباعد الزمن مع  
عهدا وتغير الظروف تغيرا كبيرا كانت دراستها وحسن فهمها وفهم  
مدلولات مكوناتها امرا غير يسير على غير المختص المجرب .

ومن المعروف في دراسة الانظمة السياسية انه لايمكن الاكتفاء  
بدراسة المؤسسات والوثائق والانظمة الرسمية لنظام الحكم ولذلك  
لا بد من دراسة تشمل الانظمة والاجهزة والعوامل المؤثرة في نظام  
الحكم الرسمية وغير الرسمية حتى يمكن فهم النظام واسلوب عمله .

والخلافة الراشدة سيجد الدارس لها الحد الأدنى من المؤسسات  
والانظمة الرسمية والمكتوبة .

وليس ذلك عن نقص فيها ولكن طبيعة البيئة العربية البدائية  
البسيطة التي نشأت فيها والتي تقم بها حكومات اوامير اطوريات ونظم

معقدة ولكن كانت قبائل مبعثرة متناثرة لا يجمعها نظام ولا دولة قبل الاسلام ولان حكومة الخلافة الراشدة كانت تواجه تحديات هائلة فى عالمها المعاصر مع ضلالة الامكانيات البشرية .

ولان الاصحاب بقيادة الرسول عليه السلام هم الذين انشأوا دولة المدينة وهم الذين مارسوا العمل حول الرسول عليه السلام طيلة ثلاثة وعشرين عاما .

لذلك لا يجد الدارس تنظيما او اجراءات لاختيار القيادة وتحديدها فالاصحاب هم القيادة كأمر واقع بحكم انشائهم للدولة والنظام الاجتماعى .

كذلك لن يجد الدارس تنظيما ولا اجراءات لتحديد ادوار القادة لان قدراتهم ومواقعهم محددة على عهد الرسول عليه السلام ويعرف الاصحاب قدرات بعضهم البعض ولذلك فاختيارات الخليفة على اى الاحوال لم تكن اعتباطية ولا عشوائية .

اما الرقابة فكانت تتم تلقائيا من خلال الباب المفتوح فى المسجد بين كوادر القيادة وبينهم وبين الرعية ولطبيعة التربية العقائدية المتينة للاصحاب .

اما تنظيم واجراءات نقل السلطة من جيل القيادة جيل الاصحاب الى الجيل الذى يليه من ابناء الامة وعلى اساس من الغاية الاسلامية فى الالتزام والكفاءة فللاسف فان انهيار الخلافة الراشدة وهى ما تزال فى دائرة الجيل الاول لم تسمح بقيام تلك الاجراءات وبلورتها .

ولهذا فان دراسة الخلافة الراشدة ومعرفة طبيعتها واساليب عملها لابد فيه من النظر المختص المثلث قبل القفز من الوهلة الاولى الى

القول بالفرد المطلق والمستبد العادل رغم ان القرآن ينفي في اول ما انزل من الوحي « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » ٩٦ : ٥ وقبل القول باجراءات وتصورات اخرى في التنظيم والشورى والسلطات والرقابة وسواها من شئون الحكم وممارسته في مجتمع او آخر قياسا واستلهاما واقتداء بنظام الخلافة الراشدة .

### الشورى والردة :

ومن قضايا المجال الاول قصر مفهوم الشورى الاسلامية في علاقات الحكم على مجرد سماع الخليفة او السلطان للاراء وان قرار حرب الردة الذى اتخذه الخليفة الاول ابوبكر رضى الله عنه كان مجرد انقاذ لمفهوم حكم النص في قتال المرتد .

وتتلخص النظرة بهذا الاسلوب ان ابابكر قد اتخذ القرار واصر عليه رغم اعتراض عمر بن الخطاب ومن أيده في ذلك من الصحابة . والعجيب ان القائلين بهذه الاراء لا يرون من الامر الا نصوصا او نتفا من نصوص جاءت ضمن جدال وحوار بين الاطراف .

ولا يرون القضية في صورتها الكبرى ، وكيف ان قضية اخضاع القبائل العربية الونية الهمجية البدائية قد كانت موضع وحى وفرارات نبوية توجب اخضاعهم للسلطة والنظام الاجتماعى الاسلامى واظهار سعائر وأداء واجبات الاسلام بغض النظر عن ايمانهم ( فل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ) ١٤ : ٤٩ فلا يقبل منهم الا خضوع للاسلام وسلطة الدولة الاسلامية والافالحرب والقتال والاذعان عنوة للسلطة الاسلامية .

وعجيب الايروا قدر ابى بكر وهو صاحب العقل الراجح والجنان

الثابت والرأى المتزن السديد والقلب الرحيم الذى ما كان ليتخذ قرارا خطيرا كهذا فى غمرة احداث لاجديد فيها حيث ان الردة والعصيان قد ظهرا قبل وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام لظهور مسيلمة وسجاح والاسود العنسى ، دون فكر ولا روية .

وعجيب الايدركوا الوقت والجهد والادوار التى تمر بها القرارات السياسية عموما والهامة على وجه الخصوص قبل ان يتم تبنيها واقرارها. ونستطيع ان نرى فى قضية الردة قضية سياسية هامة فى بناء المجتمع والسلطة وتنظيم الجزيرة العربية وليس مجرد صراع لغوى قانونى حول الكلمات والعبارات والنصوص كما نستطيع ان نرى فيها صورة حية لاتخاذ القرارات السياسية ومعاناتها وشروط حمل المسؤولية القيادية السياسية ولذلك يهدد عمر الخليفة ابا بكر بترك المسؤولية والرئاسة اذا لم يتخل فى النهاية عن آرائه التى لم تتقبلها الجماعة كما نرى الخليفة ابا بكر ييسط وجهة نظره ويوضحها ويدافع عنها وفى النهاية تقتنع الجماعة برأى الخليفة وترى رؤيته وتقر قراره ويأتى التصويت بالثقة من عمر ذاته قبل سواء بعد ان سمع لابي بكر وهو اعرف الناس بقدراته وحكمته ويرجع الى نفسه ليقول والله ما ان رأيت اصرار ابي بكر حتى شرح الله صدرى وتابعت القيادة القائد وتوجه الجيش الى أداء المهام الموكولة اليه طواعية وقناعة ضميرية لم يكن لابي بكر سلطان عليهم سواها خاصة بعد ان سمعنا عمر وهو يقرر وجوب تنحى الخليفة اذا لم يذعن للجماعة وقد علمنا التاريخ من قولة الاعرابى لابي بكر « والله لورأينا فيك اعوحاجا قومناه بسيوفنا » .

فكيف يمكن للدارس ان لا يرى معنى الشورى ومداهها فى

الممارسة الاسلامية على عهد الخلافة الراشدة وكيف له ان يرى فى ذلك مجالا للاستبداد او اطلاق السلطة .

لابد ان تهتز رؤية الدارسين غير المختصين حين يفكرون فى شئون الحكم لايفرقون بين الشئون التنفيذية والادارية التى تحتّم تحديد المسئولية وبين القرارات الكبرى وشئون الرأى والسياسات العامة التى تكون مجال الشورى ويكون للشورى فيها فائدة تمحيص الرأى واكتماله وسداده باضافة الاراء الى بعضها كما هى اجراءات تعليمية للامة وقياداتها بشأن هذه السياسات والقرارات كما انها تعنى الانتماء الى هذه القرارات وبالتالي الحرص على انجاحها وتقويم التضحيات اللازمة لها عن رضا وقناعة .

### الفلسفات والمصطلحات الاجنبية :

ومن قضايا المجال الثانى التى يعانى الدارسون والكتاب الاسلاميون منها خوضهم فى قضايا الانظمة والمصطلحات السياسية الاجنبية بدراية محدودة وبمعيار قانونى شكلى ولعل ذلك بتأثير مزدوج من منهج دراستهم اصلا من ناحية ولعدم تمكنهم من الالمام الشامل بخلفيات واسس تلك الانظمة .

وفى غمرة الحاجة الى الملاحقة والاستجابة للضغوط الحضارية تأتى الدراسات والفوائد قاصرة عن المطلوب بل مصدرا اضافيا لضباب الرؤية واضطراب الفكر وصعوبة التمييز .

### الديمقراطية والسيادة :

هذان المصطلحان هما من المصطلحات ذات الاصول الاجنبية والتى تناولتها اهتمامات الكتاب الاسلاميين وتبناها بعضهم كمفاهيم توافق

طبيعة الاسلام ويتوجب تبنيها فى الفكر والنظم الاسلامية .  
ولاشك ان هناك اسبابا من التشابهات الظاهرة بين هذه  
المصطلحات والغايات والمفاهيم الاسلامية الا ان المؤسف ان لهذه  
المصطلحات والمفاهيم جذورا وجوانب خاصة لم يتنبه لها هؤلاء  
الكتاب ولم يعيروها الاهتمام الكافى مما أورث الفكر الاسلامى مزيدا  
من القضايا الفكرية الزئبقية المتلونة التى يجز الجانِب الظاهر منها  
جوانب وقضايا غير موعوبة ولا مطلوبة ولا مفهومة ولكنها تؤدى الى  
اضطراب الفكر وعمتة النظر .

فالديمقراطية مبدأ ومفهوم واجراءات لها جذور قديمة فى التاريخ  
والفكر والفلسفة الغربية لاتقف عند كونها - من الناحية العامة - قضية  
اجرائية فى اختبار القيادات السياسية فى الغرب ولكنها فى الواقع  
الترجمة العملية السياسية للفلسفة المادية الفردية التى تؤله الفرد  
وتجعله غاية وهواه قانونا للوجود وكل شى وسيلة لهذا الوجود .  
ولذلك كانت الديمقراطية فى النهاية اثتلافا وتجمع افراد ينالون  
"قوة الاغلبية ليحكموا فكرتهم ومصالحهم الخاصة بالحد الأدنى  
المناسب من التنازلات فى مواجهة الاقليات .

ولذلك فمفهوم الاغلبية والاقلية واهمية التصويت وغياب فكرة  
العدل والحق كحقيقة موضوعية يطلبها الفرد والمجتمع لاجود لها فى  
مفهوم الديمقراطية ولا وجود الا لما هو سياسى بمعنى التدبير الذى  
يتمكن القوى ان يحقق به اكثر قدر من المصلحة كما يحددها لنفسه .  
ولاشك ان لهذه الاسس والخلفيات الفلسفية والتاريخية والنفسية  
آثارها على بناء الانظمة والاجراءات والممارسات الغربية .

ولمثل هذه الاسباب يأتى التخطى فى الفهم وفى التطبيق عند المسلمين من محاكاتهم لنظم ومصطلحات وتجارب غيرهم دون ان يدركوا تلك الاسباب ولا تلك المؤثرات .

ان الشورى ليست الديمقراطية رغم انها تهدف الى اختيار وانتشار القيادات والوصول الى القرارات التى يقبل بها ويساندها جمهور الامة .

ولكن الفرق ان الشورى كما يدل اسمها تصدر عن فهم فلسفى مغاير يبنى على ايمان المسلم بان الحق والعدل حقيقة موضوعية يسعى الى بلوغها بعض النظر عن هواه وميله الخاص وان عملية الشورى هى اجراءات يجلسون فيها الى بعضهم بغرض تبين وجه الحق واتباعه دون حتمية شرط ولا فرض مسبق من مصلحة بعينها ولا عدد من الاصوات بعينه ، وليس من بأس من التصويت والاغلبية والاقلية اذا كان الامر مجال رأى وتفضيل لايهضم حقا ، او اذا غمت الروية ولا مناص من مقياس لاتخاذ القرار المطلوب .

ان مفاهيم الخلفية الفلسفية اذا تركز الوعى عليها فلانسك انها سوف تترك اثارها على طبيعة التنظيم الاسلامى السياسى واجراءاته فى اسلوب الوصول الى القرارات وتنفيذها على غير ما يجرى فى المجتمعات والانظمة الاجنبية .

وكذلك مصطلح السيادة فرغم ان بعض الكتاب قد تبناه على اساس ان البيعة انما تعطى السيادة للامة كما هى فى الانظمة الغربية الديمقراطية فان البعض قد رفضها على اعتبار ان الوحي هو شريعة المسلمين ولامجال للتشريع من قبل احد من المسلمين فذلك مرده

الى الله .

والقضية التى يثيرها مثل هذا المصطلح فى الفكر الاسلامى بالرفض او القبول قضية زائفة لاتزيد الرؤية الاسلامية الا تعتيما واهتزازا .

فالسيادة مصطلح غربى له جذوره التاريخية فى الصراع على من يسند اليه القرار السياسى فى المجتمع وقد استخدم هذا المصطلح ليضع سلطة القرار السياسى ومن ذلك القرار التشريعى فى يد الملك ضد السادة الاقطاعيين كقوة موحدة فى ابان نشأة الدول القومية ، ثم استخدم بعد ذلك ليضع القرار السياسى والتشريعى فى يد ممثلى الشعوب باسم الامة بعد ان اتسعت دائرة المشاركة السياسية ونمت قوة الطبقات الجديدة صاحبة القوة فى المجتمعات التجارية الصناعية الجديدة .

وتبنى قضية مصطلح السيادة او رفضه انما يعنى ان الوعى على الطبيعة الدستورية للمجتمع الاسلامى غير واضحة وان التفرقة بين مختلف مستويات القرارات فى النظم الاسلامية غير واضحة .  
فغير صحيح ان سلطة المجتمع المسلم فى الشئون التشريعية مطلقة كما انه غير صحيح ان المجتمعات والسلطات الاسلامية التشريعية لاجود لها .

من المهم ان نعلم اولا طبيعة المستويات التشريعية حتى يمكن ان نحدد الاختصاصات فى المجتمعات المسلمة .

فالقيم والمبادئ والتشريعات الدستورية الاساسية كما جاءت فى الوحي ليست موضع جدل ولا اختصاص لاحد فيما وراء ما نزل منها .  
اما التشريع على المستويات الدنيا وفيما لم يرد فيه وحي ولا نص



ولا توجيه فهو اختصاص الامة بحسب الحال والا فيم كان الاجتهاد والرأى والترجيح ؟ واذا لم يكن هذا من الناحية الفنية قرارا وتشريعا فماذا يكون ؟

ان كثيرا من الحقوق والدماء تنقرر فى مثل هذا الاختصاص وبسبب هذه الاجتهادات والترجيحات التشريعية .

ان الاطار الاسلامى على هذا المستوى ليس فيه صراع على تحديد مصدر القرار ولا مجال فيه للانتصار بفئة على فئة .

وان هذا الخلط وهذه المحاكاة لن تؤدى الا الى صعوبة تحديد الاختصاصات بمفهوم اسلامى وفق المنطلق والاطار الاسلامى .

ولذلك فاما انكار لكل القرار على الامة واما وضع مطلق القرار فى يدها على غير مايقضى بها بناؤها الاسلامى .

ان مصطلح السيادة لا مجال له فى الاطار الاسلامى التنظيمى السياسى فهو فى مدلول الاختصاصات التشريعية الاساسية مستقر .

والمشكلة ليس فى تحديد مصادر القرار هل هو

الوحى المنزل او الامة .

ولكن القضية التى يفرضها الاطار الاسلامى هى الكيفية التى تنظم ممارسة الامة لاختصاصاتها وسلطانها بالشكل السليم الذى يمثل الغاية والروح الاسلامية .

الدين والدولة والخلافة :

ومن القضايا التى يقع فيها المسلمون فى غمرة ضيعة المعرفة

الاسلامية الناضجة فى مجال العلوم السياسية قضية هل الاسلام دين ودولة ؟ وما فى المطالبة باقامة نظام الخلافة فى العصر الراهن فى بلاد

المسلمين من حرج .  
 وهاتان القضيتان تمثلان نجاح الفكر المعادى فى ارباك فكر  
 الكتاب المسلمين .

فطرح قضية الدين والدولة بغض النظر عن التفاصيل والنصوص  
 التى بتبادلها الاطراف لاثبات وجهة نظر كل منهم من مؤيد ومعارض  
 فان القضية تمثل نجاحا فى ارباك الفكر الاسلامى وخلطه للقضايا  
 الاساسية وصرف النظر عن القضايا الهامة لضياح المنهج السليم .  
 فالنظر الكلى الاسلام يرفض اصلا وجود قضية دين ودولة فى الاسلام  
 لالتفص فى النصوص التفصيلية والجزئية ولكن لان مفهوم الاسلام  
 اصلا وفضايه الايديولوجية الكبرى فى الذاب الالهية والخير والنسر  
 والاخرة انما يفصد منها السلوك الانسانى فى الحياة والمجتمع  
 ولا معنى ولا اسلام والايمان اذا لم يكن للالتزام الاسلامى انعكاس  
 على السلوك والتنظيم الاجتماعى للانسان .

ولكن خلط مفهوم الدين بالمعنى المسيحى من ناحية واحساس  
 المسلمين المستمر فى العصر الراهن بازمة الانظمة الاجتماعية  
 الاسلامية ورغبتهم فى مخرج سهل من الازمة جعلهم ينصتون  
 ويناركون فى حوارات فكرية سياسية من هذا النوع .

وانتهى الامر بالعدو ان بلغ غايته فى صفوف كثير منهم بدعوى  
 مجيد الاسلام كتراث وقبوله كمسلمات غيبية تتجاهل توجهاته  
 الاجتماعية ليملا بعد ذلك فكره ولبه بمفاهيم الاستعلاء والعنصرية  
 والقومية والتنظيمات العلمانية واليسارية المنافية للاسلام وغايات  
 الاسلام ومبادئه وقيمه .

اما قضية الخلافة فهي قضية تمثل الخلط بين الاسلام كقيم  
وغايات ومثل ومبادئ وبين التطبيقات التاريخية المادية فى حياة  
المجتمعات الاسلامية التاريخية .

ولما كان من الصعب-ان لم يكن من المستحيل - اعادة تطبيق  
النظم التاريخية بحذافيرها كان واذا عرفت الخلافة بانها الصورة  
المادية للتنظيمات السياسية الاسلامية فان اعادة تطبيقها والامل فى  
تبنيتها اكثر صعوبة بغض النظر اذا كان قد تم تبنى هذا النوع من  
التعاريف بشكل واع كما هو الشأن ببعض المستشرقين او كان بشكل  
غير واع ولا مقصود اذا تم من بعض الكتاب والدارسين المسلمين .  
ان الخلافة ليست الا مصطلحا اسلاميا فصد منها اقامة النظام  
الاجتماعى السياسى عند المسلمين على اساس الاسلام واقامة  
شريعة الاسلام خلافة لدور الرسول عليه السلام فى قيادة المجتمع  
الاسلامى لتلك الغاية .

ولذلك فالخلافة فكرة وغاية ومصطلح لطبيعة النظم السياسية  
الاسلامية .

واى نظام مهما كان تركيبه اذا التزم الحدود والغاية والقيم  
الاسلامية وفصد الى رعاية شئون الامة الدينية والدنيوية على اساس  
الشريعة و وفقا لها فهو نظام خلافة .

ولا يمكن للمسلم ان يسلم باقامة النظام السياسى فى مجتمعه غير  
ذلك الاساس ولا لتلك الغاية .

ان نظام الخلافة غاية ولكن اذا جردنا ذلك المصطلح من سوء  
الفهم الذى يجعلنا نقصد من ورائه صورا مادية تاريخية او من سوء

الغاية التي ترمى الى تنكرنا لشخصيتنا ونفض اليد من البحث في ذاتيتنا لبدء مسيرة قادرة اصيلة .

### واقع الدراسات الجامعية السياسية الاسلامية :

ولكى تخطو محاولات اسلامية العلوم السياسية خطواتها بنجاح علينا ان نعرف واقع هذه الدراسات فهى فى مجملها لا تعدو ان تكون مجموعة من الكتب عن الاراء والتصورات والاجتهادات الفردية والكتابات الوصفية التاريخية والقانونية الدستورية الشكلية لانظمة الحكم والادارة فى الاسلام او فى السير واحكام الحرب والسلام .

ومن الواضح ان مجالات الدراسة التحليلية فى ميادين الفكر السياسى وتتبع الظاهرة السياسية فى التاريخ الاسلامى وطبيعتها واهتماماتها وقضاياها ومصطلحاتها والاصيل منها والوافد عليها والثابت والمتغير فيها وكذلك مفهوم العلاقات الدولية فى الاسلام والعوامل المؤثرة على مسيرته التاريخية وحصيلة تجربة علاقات الامة التاريخية وكذلك دراسات نظم الحكم وحصيلة تجاربها والدروس المستفادة منها فى سبيل تنظيم مجتمع افضل الى جانب دراسات التاريخ السياسى الموضوعية للامة . كل هذه الدراسات غائبة فى محيط الجامعة فى البلاد الاسلامية .

وليس بالمستغرب ان يتخرج الطالب من معاهد الدراسة الجامعية السياسية فى البلاد الاسلامية مؤهلا فى العلوم السياسية وهو يجهل الوجه والغاية والانجاز والواقع الاسلامى فى كل هذه الحقول الا النزر اليسير ان تيسر له وفى الغالب فى مجال نظم الحكم والادارة بمفهومها الوصفى القانونى التاريخى المحدود الذي لايسمن ولا يغنى

من جوع .

والمطلوب هو العناية والالتفات الى وجوه النقص الهائلة فى هذه الميادين وميادين العلوم الاجتماعية وتكوين المراكز والحلقات والوحدات الدراسية للبحث والدرس فى هذه المجالات من قبل اصحاب الاختصاص .

وهذه الجهود لابد ان تكون مضيئة فى البداية حيث تمتد الى دراسة واعية شاملة تحليلية للتاريخ والتراث الاسلامى فى كافة مصادره من قرآن وسنة وكتب الفقه والتاريخ والادب حيث تعالج هذه القضايا بتبويب ومسميات ومصطلحات غير ما ألف الدارسون المعاصرون .

كما ان عليهم النظر الشامل فيما بين يديهم من قدر هائل من العلوم والمناهج الاجنبية مع كل ما تمثله من قدرة وانجاز فيه قدر عظيم من الفائدة الا انه يصدر عن منطلقات وغايات ومصالح وعلاقات لاتمثل ولا تنطبق على منطلقاتنا ولا غاياتنا ومصالحنا وعلاقاتنا ودوافعنا النفسية والمعنوية .

ولذلك لابد من البحث والتنقيب والنظر الثاقب المحلل نبل بلوغ مرحلة الهضم والعطاء .

ولقد مضى وضاع وقت طويل وعلى مؤسسات التعليم والمعرفة الجادة ان تضع هذا النوع من العمل والانجاز على رأس قائمة اولوياتها وان توفر له الموارد الضرورية وتفرغ له الكوادر العلمية المؤهلة الملتزمة القادرة حتى يتغير وجه المعرفة والمنهج الاسلامى فى هذه العلوم بما يعيد الى المسلمين قدرتهم ويضع حدا لقيابهم

الثقافى والحضارى القىادى فى العالم .

خاتمة : لايزال الخير فى اتباع غاية الاسلام :

وفى نهاية هذا البحث أود أن أقدم مثالين للامال الانسانية التى ترتجى من بعث الاسلام حيا قياديا فى حياة البشرية منقذا لها من الافات والمخاطر الرهيبة التى تتهددها بانفتاح آفاق العلم المادية المثمرة والمدمرة فى آن واحد .

النظام السياسى ونظام الاسرة الاسلامى :

اذا تأملنا فى واقع العالم الاسلامى وواقع العالم الغربى للفت نظرنا ظاهرتان متناقضتان للامن والاستقرار مع انعدام الامن والاستقرار فى كل من العالمين .

ففى العالم الاسلامى نجد الحياة على المستوى الفردى آمنة مطمئنة بشكل عام لا يقلقها ولا يفرعها العنف والجريمة على عكس ما يحدث فى البلاد الغربية حيث ان الحياة على مستوى العلاقة الفردية تتسم بالعنف والخوف وانعدام الامن .

اما على المستوى السياسى ففى الوقت الذى ينعم الغرب الديمقراطية بالامن والاستقرار فى النظام والحكم وممارسة السلطة والمعارضة وتوارثها ، الا اننا نجد العالم الاسلامى الذى تتسم نظمه السياسية بالاستبداد يعانى من العنف والخوف وعدم الاستقرار .

واذا نظرنا الى كلا المجتمعين لوجدنا ان العالم الاسلامى على المستوى الفردى يتمسك بشكل عام بنظام الاسرة وقانون الاحوال الشخصية الاسلامى رغم تعاقب الازمان ( وهو قانون يتسم بالعلاقة الاخلاقية وروح المسئولية والتكامل والتعاون المتين بين افراد الاسرة )

يحقق احساسا بالرضا والاحترام والتعاطف بين افراد المجتمع ولا يدع مجالا لروح الحقد والضغينة وامراض الطفولة النفسية بالنمو ، ولذلك حتى حين تشتد الحاجة فى بعض المجتمعات الاسلامية بالافراد نجد ظاهرة السرقة بالنسل شائعة ولا تكاد تعرف السرقة المصحوبة بالعنف والدماء .

اما فى الغرب حيث يتسم نظام الاسرة بالانحلال وعكس كل مايثله نظام وقانون الاسرة الاسلامية وما يستتبع ذلك من انعدام روح المسؤولية والتكافل وما ينتج عنه من تفكك الاسرة وتفشى الامراض النفسية لدى الاطفال والشباب كانت النتيجة هى الحقد والجريمة والعنف وانعدام الامن فى شوارع الحواضر الغربية الكبرى .

اما على مستوى النظام السياسى فاننا نجد العكس فان العالم الغربى قد التزم فى نظامه السياسى مفهوم الانتخاب والاختيار للقيادات السياسية مما اساع الرضا والاستمرار فى العلاقات السياسية ووفر الامن ولذلك فان الصراع السياسى لامحال له فى تنظيم اختيار تحسمه الامة فى صناديق الاقتراع ولا يحسمه السلاح فى ميادين المعارك .

اما فى العالم الاسلامى الذى يقوم مفهومه فى التنظيم السياسى واختيار القيادة على الالتزام الاسلامى والكفاءة والذى انحرفت مسيرتها عنه بانهياء الخلافة الراشدة والتزم بذلك نظام الملك المستبد الذى يقوم على الاستئثار بالسلطة لاصحاب القوة والعصية لذلك انعدم الاستقرار السياسى واصبحت مقاليد السلطة والحكم تحسم على حد السلاح وليس فى ضمير الامة واخبارها للعناصر الملتزمة المؤهلة .

ان من الواضح ان التزام الامة للنظام الاسلامى فى الاحوال

الشخصية أورها انا كما ان انحرافها عن النظام الاسلامى فى  
الميدان السياسى والحياة العامة أورها الاضطراب والعناء .

وليس للغرب فى رأى من سبيل الى السلام على المستوى  
الفردى الا باصلاح نظام الاسرة فيه على نسق المفهوم والنظام  
الاسلامى للأسرة

كما لن يحقق العائم الاسلامى السلام والاستقرار فى حياته  
ونظامه السياسى مالم يعد الى مفاهيم وغايات الاسلام فى التنظيم  
السياسى فى الشورى والاختيار على اساس الالتزام الاسلامى  
والكفاءة الوظيفية .

### فلسفة السلام العالمى :

من الواضح ان الانسانية بامكانات الدمار الذرية ودروس التاريخ  
البشرى تواجه خطر الدمار الشامل .

ومن الواضح ان فلسفة الغرب المادية بشقيها القومى وصراع  
الطبقات الماركسى هى فلسفات مواجهة ومناجزة ولا يمكن الاطمئنان  
الى نظام دولى تقوم نظرة اعضائه ومفهومهم للحياة على المواجهة ولا  
تمدنا التجربة البشرية الابخيرة حتمية الحرب بين المتواجهين  
المتناجزين المتعادين مهما طال الزمن ومهما حكم العقل فى مضمار  
الحرب ومخاطرها ولم تغن المؤسسات الدولية قط فى درء الحروب  
حين تتوفر اسبابها فى العداء والخوف وانعدام الثقة .

والاسلام يقدم مفهوما اساسيا فى النظرة والعلاقة بين البشر  
انطلاقا من وحدة اصلهم من نفس واحدة وان تفرعهم شعوبا وقبائل  
واختلاف ألسنتهم واللوانهم هو لغاية ايجابية لايجاد الظروف البشرية



الموضوعية للتفاعل والتعارف فيما بينهم ، كما ان رعاية حق العشيرة والاقارب واهل الحوار واجب وغاية يتطلبها الاسلام من الانسان بل ويتطلب الاسلام من المسلم العدل والاحسان الى غير المسلم الذى تربطه به صلة السلم .

اما المعتدى فعلى الجميع صد عدوانه وللمعتدى عليه حق رد العدوان بمثله وان كان الاسلام يدعو الى الصفح والعفو ما كان ذلك ممكنا وفى طاقة المعتدى عليه .

وهذا المفهوم وهذه الفلسفة هى قانون والزام ربانى للمسلم بحكم اسلامه لاخيار له فيه ولا رجعة عنه .

وهذه الفلسفة وهذا المفهوم الذى يتبته علاقات الدوائر المتداخلة يمثل فلسفة ونظرة انسانية اصيلة للسلام فى المجتمع الانسانى المعاصر ويمثل نظرة ايجابية تركز على وحدة الوجود والمصلحة الانسانية المشتركة ودون هذه الفلسفة وهذا الالتزام لن يكون أمل وقاعدة حقيقية للسلام الانسانى تنمو وتزدهر عليها مختلف الجهود والتنظيمات الدولية الوظيفية .

ان فى نماء وازدهار الفلسفة والايديولوجية والمفهوم الاسلامى الربانى فى الحياة الانسانية أملا وغاية نبيلة ليس لمصلحة وترقية ما يزيد على خمس البشرية فقط بل ولمصلحة الانسانية جمعاء بنظرة انسانية مستقبلية واعية .

والله أسأل ان يكلل جهود العاملين المخلصين بالنجاح وان يشيهم خير الثواب وان يوفق المسلمين الى جادة الحق والصواب وان يهدى الناس الى الصراط المستقيم . وبالله التوفيق وعليه قصد السبيل .

# مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية باللغة العربية

الرسائل القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري  
تحقيق : الدكتور بير محمد حسن (مع الترجمة الأُرديه)



معدن الجواهر في تاريخ بصره الجزائر للشيخ نعمان  
تحقيق : البعثة الدكتور حميد الله



الكندى وآراؤه الفلسفية  
للدكتور عبدالرحمن شاه ولي



مقصود المؤمنين لبازيد الأنصاري  
تحقيق : الدكتور ميرولى خان



كتاب الانفعال للإمام الصغاني  
تحقيق : الأستاذ أحمد خان



# AL-DIRĀSĀT AL-ISLĀMIYYAH

*Arabic Journal*

OF THE

ISLMIC RESEARCH INSTITUTE ISLAMABAD  
PAKISTAN

Vol. XVII No. 6

November-December 1982

\* \* \* \* \*

	Inside Pakistan	Outside Pakistan
<i>Annual Subscription</i>	Rs. 30 00	\$15.00 or £7.50
<i>Single Copy</i>	Rs. 6.00	\$ 3.00    £1.50

\* \* \* \* \*

*All business correspondence*

*should be addressed to :*

The Circulation Manager

**Islamic Research Institute**

**ISLAMIC UNIVERSITY**

**ISLAMABAD - PAKISTAN**

---

Printed at Islamic Research Institute Press,  
Published by Muhammad Sami'ullah for the Islamic Research Institute, Islamabad

